سيرة
عنترة بن شداد



لسان العرب

المجلد السابع

التزام مكتبة الجمهورية العربية

إهـــــــداء2005

أ/إبراهيم منصور غنيم

القاهرة

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

لسان العرب

سيرة
فارس فرسان الحجاز أبى الفوارس
عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية المشتملة على الأخبار العجيبة والأنباء الجلية

الجزء الثانى والاربعون

يطلب من

مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد
بشارع الصنادقية بالأزهر

دار الطباعة اليوسفية ٢ ش دار الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وأسرت حصنا مع سنان وقومهم ... وقطعت أذنيهم جزاء من يعتدى
وكذلك النعمان لما أن ثوى ... مع حيلة النذل اللئيم الأنكد
فسعيت أطلب ثأره بفوارس ... شم الأنوف من الطراد الأمجد
فأتانى العامود من أعجامهم ... فأسرته والأربعين مساعد
يقدمهم رؤوس القبائل كلهم ... عدداً تمام الأربعين مسدد
والازدشير العلج لما أن رأى ... عينين عبلة رام وصلا سرمد
ألقى لعنترة على فيـــل له ... يرجو فناه بغير ضرب مهند
حتى إذا لحقت يد خرطومه ... من بعد تقطيع الحديد الأصلد
رجفت يداه ورجلاه خيفة ... من كف عنترة وعظم تجلد
فهوى على وجه الصعيد كأنه ... جبل وضجت فرسها والمعبد
زعقت عبيلة والنساء جميعهم ... لما رأوا فعل بفيل أطود
هذا هو الفعل الذى يبقى له ... ذكر جميل فى الزمان مخلد
من عيرتى لهفا من أجل عبيلة ... قتلت لثيما بالقبائح معتد
وتركت كسرى فى القفار مجندلا ... من عظم بأسى لايفيق لمنشد
وكذلك هانىء وابن عمه عامر ... جابوا حديثى بينهم فى مشهد
وطلب برازى فامتثلت لقوله ... وأوريته فى الحرب قوة ساعد
لما رآنى لاأمل من اللقـــا ... طلب الإقالة واعترف بتودد
وكذلك فرسان الزمان أسرتهم ... نعم الأماجد كم لهم من معهد
وحريمنا مع عامر وملاعب ... وأخى وبنى والصديق المسعد
وأتى لنا شيبوب أعلمنا بهم ... خلصتهم وغصوب ولى من يد
وأتيت مكة والحطيم وزمزم ... والمروتين بصدر ابحر أجود
من كان ينكر فى الحروب فعائلى ... فقصيدتى فى البيت غاية مقصد
أذللت جميع العالمين لقولهـــا ... فغدوا لها من راكعين وسجد
واسرت من كبرائهم وملوكهم ... جمع غطارقة قناصا باليد

وكذا غضوب الليث أيضاً قدته ... قهراً يحكى والعدى لى تشهد
مع طرفة مع مالك مع حارث ... وكذاك عمرو ذى الحمل الأنكد
وكذاك أمرؤ القيس سيد قومه ... وزهير ذو الفضل الكريم الامجد
وملكت أشجع ثم فهر ومرة ... وهزمت خزوما وآل الأسعد
وقهرت عامة وقحطان معاً ... وحملت خواناً بطعن عود
وبنى السكوك وطى مع أحلافها ... وقتك حسامى فى أمية مع عد
ونزلت كسرى فى المدائن خاضعاً ... لسنان رمحى مع بريق مهند
وخرجت غضباناً لأجل عبيلة ... لما دعتنى للنساء الحسود
ولقيت سروة فى الطريق ملكتها ... هى ظبية تسبى النساء الشرد
وبرأتها من سرعها وجنونها ... بكتاب مقرى الوحش كان يساعد
وبحصن خيبركم لنا من وقعة ... فيه يذوب لها الحصى والجلمد
وأسرت فيه خدعة لا قوة ... من حيلة هن كافر متهدد
وأتى لهم بطريق يبغى منهم ... حمل الخراج من النصار المسجد
وتجمعوا يبغون قتلى بعدما ... سمعوا بأنى فى الحديد مصفد
وملكت حصن القوم منهم بعدما ... خلصت أولادى بحد مهند
وقتلت جبار بن صخر بعدما ... التقى أبى شداد وسط الفدفد
وأطلقت قيس الرأى من أغلاله ... لما ملكه ذو الخمار المعتدى
وهرب سبيع محيراً وسط الفلا ... وقبضة شيبوب الهمام الأصلد
ورجعت قاصدا أرضنا وديارنا ... باكى حزيناً بعد قتلة والد
ودفنته فى قبر مالك صاحبى ... قد كان ذخرى فى الشدائد منجد
وذبحت أبطال اليهود لأجله ... وجرى الدما شبيه بحر مزبد
وعتقت أولادا لهم ونساؤهم ... وأتت لنا الفرسان تندب والد
ورحلت قاصداً عمرة وبلادها ... من أجل شودان عليها تعتدى
وقتلت صاعقة الأصم وصحبه ... خليتهم وسط المعامع شرد
وسويد بن عويد لما قدته ... قهراً وجندله غضوب الأمجد
ولقيت للحبشا ثم مليكهم ... لون الظلام بقوتى وتجلد
وطلب ودادى واتخذنى صاحبا ... وكذلك صفوان نعم السيد
ولقيت وجه الغول فى جيش أتى ... وتركته فى القاع يبحث باليد
وكذلك العكاش لما أن أتى ... يبغى القتال قاصداً متعمد

فقتلته وتركته وسط الفلا ملقى طريحاً لايفيق لمنشد
وكذاك عند بن بسطام الذى قاد الجيوش بقوة وتمرد
فقتلته وطلبت غوار الذى ملك البلاد ونلت منه المقصد
من بعدهم لون الظلام وبعده وجليت مما كان فى قلبى الصد
وسرت مع صفوان لأجل مراده نصبت لنا شرك الخداع بقصد
وكذاك همام رآنى عنده وأنا مقيد بالحديد مصفد
وطلب هلاكى واستعد لقتلتى فكسرت قيدى قوة بتعمد
وأسرته وملكت منه قياده وملكت قصر القوم قهراً باليد
وأتى لنا شيبوب يقتفى أثرنا فرق لجيش القدم وسط الفدفد
لما دخل نحو الحريم تعارفوا منه بمعرفة وحسن تودد
ومقامنا فى أرضهم وديارهم وحديث سيار الهمام الأمجد
وكذا الجيوش الكل أنساب لنا وملوكهم أخوالنا لم نجحد
وكذلك الدمها ليث زمانه أخوال غمرة نعم ذاك السيد
ومسيرنا نحو النجاشى نبتغى حربا له مع كل قيل ماجد
وليت زنجير الهمام وقد جرى مني حروب مثلها لم توجد
لاقيته يوم اللقـــام فقتلته من بعد ماقد كان قرما أصلد
أبريت منه العنق ثم تركته ملقى عفيرا والخلائق تشهد
وكسرت جيش كسرة قاذر وقتلت ملك النجاشى الأوحد
فظهر من أخوالى وزاد سرورنا وتكملت أفراحنا وتردد
ورجعت قاصداً الديار بفرحة ومعى الهدايا من لجين وعسجد
وأتى معى صفوان طالب أرضنا وفرح به شيبوب نعم الأمجد
حتى أتينـــا للشريف وأرضها ماتت لغمرة حكم رب واحد
فدفنتها فى أرضها وديارها وحكم ميمون ذاك الأوحد
وربيعة بن مكدم قاتلته نعم الشجاع للندب ذاك السيد
لحنى عليـــه وقد رماه نيشة غدراً وساعده القضاء المرتد
فاخذت ثارات له بحسامنا وجليت مما كان فى قلبى الصد
وذبحت فوق القبر كم من فارس حتى تركت الدم يجرى مورد
وأسرت للغضبان لما أن أتى يبغى لرأسى مهر دعدا مقصد

وأخذت دعدا بصارمى من بعدما ... جندلت السرحان فوق الفدفد
ورحلينا لأجل الرعية عندنا ... ضاقت بأموال الربا والجلد
ومسير أولادى أرض محبل ... وأسرهم العوام ذاك المعتد
وكذاك صعصعة وآل مزينة ... وخليتهم وسط المطامع شرد
أذللتهم من بعد قتل ملوكهم ... حتى أتونى طائعين وسجد
وحديث وصل الحبل لما أن أتى ... وأجرته لما أتى مستنجد
خلصته من قوم هياف الذى ... ملك البلاد وصاحب الكف الند
والعبد هياف الهمام لقيته ... وجرى لنا فعلا علا فى المشهد
وكذا التنين حين لقيته ... لما استغثت بذكر أحمد مسعد
وكذاك حلى بالجواد وسيره ... حتى غدت منه الفوارس شرد
وكذاك غانم إذ أتاه بنجدة ... يوما بكل مدرع ومزود
وكذاك هاطل بن سافية الذى ... قد كان فى حصن العقاب الأصلد
وشريط ولى هاربا بجنوده ... وسط القفار محيراً لا يهتدى
وقاتلت مع يكسوم لما سرنى ... بخلاص أولادى ولم يتمرد
أما خزاعة قد أنكسر لما أتى ... بعساكر من عند طود الأطود
وكذاك طود الأطواد قد جندلته ... وسط القفار بفرد لكمة من يد
خلفته فوق التراب معفراً ... وكسرت عسكره وربى مسعد
ومصيرنا للشامخ المولى الذى ... ملك الجزيرة بعد صاحبها الرد
وأخذت ودعة لابن عمى عروة ... لما اشتكى ألم الهوى يتنهد
وبها خلصنا من دواهى أمها ... سهم الزال وسحرها لم يجحد
وهزمت عسكرها بصارم مثقف ... كالبرق يلمع فى الظلام الأسود
ولقيت أخى شيبوب قاصد نحونا ... لأجل القصيد حطها ذاك الرد
وأتيت مكة صبت فيها معشرا ... وفوارسا عدد الحصى والجلد
فتركت فرساناً لهم وقت اللقا ... هذاك مكتوف وذاك مقيد
ما بين مهزوم وآخر ثاويا ... بيدى الأثنين وماله من مسعد
والكيلكان تركته وسط الفلا ... ملقى جديراً وهو يبحث باليد
وأسرت طارقة بن نايح قوة ... فى أرض مكة والخلائق تشهد
وطلب برازى عتبة فأجبته ... واوريت الأهوال حتى يهتد

وكذاك المتغطرس النذل الذى ... هو ابن خال سبيع ولى من يد
وكذلك المستوعر الجبان الذى ... خط القصيدة تجبراً وتمرد
أسقيته من حد سيفى شربة ... فبقى لا يجيب المنشد
وبنى النضار قد أبدت سراتهم ... ملكوا البلاد بلاد أرض المسجد
وبنى نمير وزيد مع أحلافهم ... الكل خافوا من لقاء الموعد
وجذام ثم اللخم ولى مليكهم ... قهرت العباد بقــوة وتجلد
وكذا بنى زهران ثم كنانة ... جندلتهما صرعا بقاع الفدفد
وملكت أشجع ثم زهرا ومرة ... وكسرت مخزوما وآل الأسعد
وبنى زرارة والعنان وخثعم ... لما لقيتهموا بذات الأصمد
وبنى الجريش وما أتى فى صحبهم ... وفتك حسامى فى أمية مع عد
وكذلك الصنديد لمـــا أن أتى ... والزبرقان لأجل ثار الأنكد
فقتلت الصنديد قتلة ماجد ... والزبرقان أسرته فى مشهد
وكذلك الغضبان لما أن عصى ... وأراد يلقانى قتالا معتد
وبرز إلى ورام قهرى عامد ... فأذقته حربا والخلائق تشهد
وكم نصحته أن يعود فما رضى ... حتى استقال وقد أتى قبل يد
عــــدد الملوك فوارساً أرديتهم ... وقهرت سبعين ألفا أطود
قحطان مع عدنان قد أذللتهم ... وأتو لشعرى راكعين وسجد
وكذا الفوارس كل فيل باسل ... ممن يعد بكل وقت أنجد
قد قدتهم قود الاباعر عنوة ... بالمشرفى وبالوشيخ الأصلد
لوكان لى فى ذا الزمان مقاوم ... لأذلنى قهراً وكان لوى يدى
وأنا المنية حين جد جديدها ... فى الحرب لا تعد والفروسية من يد
لكنهم ذلوا لوقع مضاربى ... فوق التراب ولمع برق مهند
وأنا ابن شداد الكريم ومن علت ... أعلامه فوق السهـا والفرقد
نلت الفخار على البرية كلها ... بفعائلى وتكرمى وتمجد
نادى بعنترة إذا اشتد القنـــا ... وبرنانة حلق الحديد الأزرد
تلقى حسامى قاطعاً مثل القضا ... وسنان رمحى بالمنية فى يد
هذه القصيدة ليس لها مضاهى ... فى قول كل ممجد ومسدد
وفعلت فى البيت الحرام فعائلا ... تبقى مذكورة دواما سرمد
شهدت لى الابطال فى يوم اللقا ... أنى أنا الليث الشجاع الأوحد

من منكمو أضحى بروم موافقى ‌‌ يبغى الذى أعيا الفوارس فى غد

(قال الاصمعى) وأبو عبيدة بن غيلم وأبو حازم المكى رحمة الله عليهم أجمعين فلما سمعت العربان شعره وماذكره من نظمه ونثره وعدد الفرسان الذين قتلوا وعدد الملوك الذين أسروا خافت من شجاعته وذلت لهيبته وأقشعرت جلودها من سطوته فنادت عن بكرة أبيها بفرد لسان لا والله يا ابن شداد لاعاد أحدا مناشهر فى وجهك حسام ولا مددنا نحوك رمحا ولا زلنا أبدا الدهر لك صلحا فافعل بنا ما تريد وأحكم علينا حكم الموالى على العبيد فلما سمع عنتر كلامهم شكرهم وأثنى عليهم وأقروا بوقوع هيبته فى قلوبهم وأقروا له الفخر المبين وخروا لشعره ساجدين ولا ينبغى السجود إلا لرب العالمين ولما كان فى الغد تفرقت العرب إلى ديارها وأوطانها وأخذ عنتر معه جميع مقدمين القبائل والمتاهل والغدران وخواصهم الاعيان مثل دريد بن الصمة وحجار بن عامر وعمرو بن معد يكرب وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وهانىء بن مسعود وحقاف بن ندبة ودنار بن روق والعباس بن مرداس وعتبة بن شهاب وبسطام وأبوه قيس ومثل هؤلاء الفرسان وساروا فى أوائلهم الملك قيس بن زهير وعنتر ابن شداد وجدوا فى المسير حتى وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى والتقت الاحباب بالاحباب وأخبروا أهاليهم كيف قتل عنتر المتوعر ورد قصيدته إلى موضعها ففرحت العشيرة وضرب السرادق الكبير المسمى بنصف الدنيا الذى جاء به من عند كسرى وأمر بنحر النحور وسكب الخمور وأنزلهم على الغدران والمناهل وزاد لهم فى الإكرام فقام الامير هانىء على الاقدام وقبل الارض قدام عنتر والمقدمين من العربان ومدح وشكر وقال أدام الله لكم العز والإكرام على مر الليالى ثم أنه سار يمدحه بهذه الأبيات يقول:

أنتم كواكب الزمان ونوره ‌‌ وشموسه وبدر تجلى المغلس

أنتم ليوث الحرب فى يوم اللقا ‌‌ أنتم أسود الحرب والعزم القسى

يا صاحبى لله قــوم أصبحوا ‌‌ جبر الكسير وهم حياة الانفس

قوم إذا ركبوا الجياد وحاربوا ‌‌ مالت مخافتهم جبال المقدس

فاذا أتاهم خائف أو عائد ‌‌ زاحوا ضرورته بغير تنكس

لبسوا الدروع على القلوب وأقبلوا ‌‌ يتسابقون إلى ذهاب الانفس

قال فشكروا عنتر والمقدمين وأثنوا عليه وقام له دريد وأخذ بيده وأجلسه إلى جانبه ساعة من الزمان والتفت إلى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا حاصل عندى وسوسة من قصيدتك المعلقة من جهة عدد الوقائع وعدد الفرسان وأريد منك أن تعيدها على اسمعها وأبقى أعيدها بين قومى وعشيرتى فقال عنتر يا شيخ العرب وأميرها إعلم أن كل وقت ما يكون

عقل الإنسان معه ولكن إن كنت تطلب ذلك فأنا أسمعك غيرها وأعيد عليك اسم الفرسان والوقاية على قافية غيرها ثم إن عنتر أشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

﴿ هذه القصيدة المترددة لعنتر بن شداد التى أعادها فى بنى عبس لديه لدريد بن الصمة ﴾

﴿ وهذه القصيدة مخروجة من التواريخ ﴾

ياعبلة خلى عنك قولى المعشر وأصغى إلى قول الهمام القسور
وخذى مقالا صغته من عسجد ومعانيا رصعتها من جوهر
كم مهمة قد خضته بفوارس ومفاوز جاوزتها فى الاعكر
كم جحفل مثل الضباب هزمته بمهند أحد الشفار وأسمر
كم من رؤس فى الحروب نثرتها نثرا وصفا بالنا عن خنصر
ياعبلة دونك والفوارس فاسألى إن كان عندك شكة فى عنتر
أسد تخاف الأسد من غابتها من هول صرخاتى وجولة أبحر
والفرس تحذر فى الفلاة وتلتقى بأسى كذاك الروم فى ذى الأعصر
ياعبلة هل أخبرت يوماً أننى وليت منهزماً هزيمة مدبر
أفرى الصدور بعزم طعن باسل وأبرى الرؤس بكل ضرب منكر
كم فارس خليت يأكل لحمه وحش الفلا وتنوشه من أنسر
وإذا ركبت ترى الجبال تضج من ركض الخيول بكل قطر موعر
وإذا حملت تحوم عقبان الفلا وأسودها تنهش كل غضنفر
والموت يفزع من سماع اسمى ومن شخصى يفر فرار وحش مذعر
كم فارس ألقى السلاح وارتمى للأرض وهو لكل لجوء مضمر
وبوده لو كان لاقانى ولو ألقى أسيرا قبلى ذا من أشهر
وعاينت عيناك فعلى بالعدا من كل قيل فى التراب معفر
لما قتلت لعبد شاس وبعده عبد الربيع ابن اللئام المنكر
وكذلك المغطرس الضرغام مع عساف قد أهلكتهم بغير تفكر
وقتلت ناقد يالهـــا من قتلة وحويت مهرى ذا الاعز الابحر
والخسروان تركته وسط الفلا لما أتى نحو المليك المنذر
وملكت أموالا أتت من قيصر والبطر موت ثوى بلدن أسمر
وكذاك بهرام اللئيم ورستم لما أتى يبغى الصراع مخبر
وكذاك طارقة الزمان سقيته كاس الحمام بحد سيفى أبتر
كل سقيتهم الحمام حمية ومفرجا أحواله لاتنكر

وضربت فياضا بحد مهند ماضى ثقيل المتن غير مقصر
أرديته من فوق ظهر جواده فهوى صريعاً مثل نجم مكدر
ولجابر ومفرج وحذيفة هلكوا بسن رمحى الأسمر
وطعنت للصدام يوم صدامه فى صدره طعن الهمام القسور
وإذا برمحى نافذ من ظهره متشعشعاً كالأزجوان الأحمر
وحللت شاس من عقال لما مضيت لمكة والمشعر
ولقيت روضة فى الطريق أسرته وطلبته لأجل البنات البكر
وأسرت للجيدا ابنه زاهر وقتلت خالدا قتلة لم تنكر
ونجاد قد شردته بجيوشه وكذاك بسطام الكريم العنصر
وقتلت قنعب بن غياث الذى قصد البنات بقوة وتجبر
وكذاك عروة قد حللت وثاقه مع أخته سلمى بحد الأبتر
وتركت أبا الأشبال فى وسط الفلا رزق الطيور وكل ضبع أغبر
وتركت مسحل هاوياً عن سرجه لما طعنت صدره بالأسمر
وسل للفتى أسدين مدركه وقد أمسى وأصبح للكريهة مضمر
ومفرج بن هلال أضحى ثاويا من طعنتى فى وسط بر أقفر
ولغاسق مع نقمة أرديتهم بالمشرق ولم أخف من مشعر
وأسرت غشم والطفيل وقدتهم قيد البعير إلى الهوان الأكبر
كذاك حجار بن عامر قدته بكتافه قود البعير الأغبر
والحارث البطل الكمى أسرته وهو ابن ظالم والخبيث الاقشر
ومنازل نازلته وقهرته قهراً وظن بأنه لا يقهر
وكذاك معدى الهزبرى تركته ماشياً ذليلا فى الفلاة المو عر
وقتلت جراح بن صائل فى الوغا الوائلى يدعى شديد العنصر
والأسود الملك الهمام أسرته أعنى أخو النعمان بن المنذر
وكذا بوادى السيل سالى دماؤهم ونفوسهم ذهبت بليل أعكر
وضربت رأس الورد شان بصارمى حسن الصقال والسنان بجوهر
فهوى سريعاً لابساً حلل الدما وثوى جديلا فى التراب معفر
وأسرت مقرى الوحش ثم أطلقته يوم الهياج فنعم ذاك القسور
فرأيته حفظ الوداد فكان لى خلا كريماً صادقاً لم يغدر
هو الذى يدعى بفارس شامة فى الحرب مصادق زندة لم يحذر

فلاحفظن وداده ماعشت فى ... عهدى وأرعى عهده فى المحشر
ولا كلفن لإبنه من بعده ... وأذب عنه بصارمى وأسمر
هـذا فعالى ما حييت وأننى ... أرعى الزمام ولا أخون لمعشر
والعوثبان ضربته بمهند ... وتركته رزقا لضبع أغبر
وقتلت بدراً للنصارى عامداً ... أبن الهمام الحارث المتنسر
والأخيل البطل الهمام قتلته ... وبريت هامته بحد الأبتر
ولعمرو بن صرقب قد تركت عظامه ... منشورة فى وسط بر أقفر
وكـذا معاوية تركت مجندلا ... والجابر سيـد تميم بابتر
وكـذا عقاب ثم مسعود معاً ... جندلتهم بمهندى وبأسمر
وسلو صميدع ثم عمروا بعشـده ... ما قد لقوا يوم الوغا من عنتر
مزقتهم بالسيف كل ممزق ... وبدرتهم بطرا بحد الأخضر
ولابن زجرته زاجراً لما أتى ... يبغى لقتلى زحتـه بالأبتر
ولعامر أبى الطفيل حين ملكته ... وعفوت عنه عفو ليث قسور
والجابر ولقيط لما قدتهم ... قود الأعابر قسوة بتعثر
وخرجت فى طلب المدام لأشترى ... فلقيت عمرو بن ود العامرى
وأسرت زبد الخيل قهراً فى الوغا ... وأخذت عامراً قسوة بتحير
وغـداً لسليك وصحبه من خوفه ... وسط البرارى جفلا يتنفر
وأسرت حارث بن ظالم أنه ... أفعاله عنـد اللقا لاتنكر
ولذى الخار القرم أيضا قدته ... وسط القفار قود البعير المذعر
وتركت حساناً تحير نساؤه ... أسفاً عليه بحرقة وتصبر
وكذاك جبار بن صخر تركته ... طعما لوحش البر ثم الأنسر
وتركت رمحى نافذ من ظهره ... ورزيته فى مقدار سبعة أشبر
وطعنت ميشا طعنة عبسية ... هدمت أشدتها قواعد خيبر
وقتلت مرتوما وبددت جيوشه ... وتركتهم وسط العجاج الأعكر
وسويد بن عويد لمـا قدته ... وكـذاك صاعقة الهمام القسور
ومصادقة لون الظلام وابنه ... بدر التمام الفيل نسل الأغبر
وحديث همام وغوار بعـده ... قاسم إلى الأعمار نحو العنصر
وكذلك الملك النجاشى قصدته ... وتركت زنجيراً قتيلا معفر

وربيعة بن مكدم هو صادق بفضائل نعم الصديق المخبر
وكذاك الغضبان لما أن أتى يبغى قتالى قوة بتجبر
وكذاك صعصعة وآل مزينة وتركت كلا فى التراب معفر
وحديث هياف المليك وقومه ثم أصطلحت صلحة لم تنكر
ومسيرنا حصن العقاب بهمة مشهورة لى دائماً فى الأعصر
ومصادقة يكسوم لى من بعدها أطلق لأولادى بغير تجبر
وقتلت طود الاطود أيضا بلكمة فغدا قتيلا فى التراب معفر
وتحاربت سهم النزال مع بنتها من بعد ما أصابنا فى العسكر
ورجوعنا من بعد قتل رجالهم يوم الحروب ولم أدع منكر
وحوادث حدثت على بمكة والابطحين وزمزم والمشعر
وسلى بنى قحطان فى يوم الوغا وقبائلا ملأت القفار وحمير
ورددتهم كلمح المنظر وأسرت من شيبان كل غضنفر
وكذاك زهوان وأدزم قدتهم وأسرت مخزوما بهذا الاسمر
وقبائل طى ثم منى قد مضو هربا ولم يأتى لهم من مخبر
وعلوت كهذا بأبيض صارم وحميت خولانا ولست بمنكر
وضربت فى نبهان ضربة صادق من أبيض وطعان رمحى الاسمر
وأبدت آل تميم جمعاً فى الوغا وكذا قتلت بعسكر فى عسكر
وسلى بنى همدان مع جشم العلا وبنى الوحيد على الخيول الضمر
وبنى غيلم ثم لخم جويلة هربوا وخافوا سطوتى وتخبر
أفنيتهم وأبدتهم وأسرتهم وقهرت فى الهيجاء كل غضنفر
وزبيد ثم مخزوم ثم فزارة مع آل مرة والمحل الاخضر
وكذاك غنى وآل قضاعة وردوا حياض الموت غير مكدر
ولكم وردت الموت أعظم مورد صدرت عنه وكان أعظم مصدر
ولكم حنظت مدرعا من سرجه فى الحرب وهو بروحه لم يشعر
وإذا حملت على الكمى يكاد أن يلقى التراب وطرفه كالاحور
وأنا المذكور فى الحروب جميعها والقسم لى أيضاً بحظ وافر
قد طال ماعثر الجواد براكب ويخال ظناً إنه يعثر
ولكم أسرت حريم كل مهذب وعفوت عنهم فعل ليث قسور

وأنا ملوك الارض تخشى سطوتى ... ومع المامع صارمى لم يفتر
كم فارس قهر الملوك بيأسه ... يسمى الهمام الفارس المستوعر
لاقيته بعساكر قد طبقت ... تلك السهول وكل شعب موعر
وبارزتهم وقتلتهم وقهرتهم ... وتركتهم رزقا لضبع أغبر
وسعى من الفرسان كل ضيدع ... ما منهموا إلا كريم العنصر
وكذا رخاة الحرب فارس قومه ... ومبيد أعداء بحد الأبتر
هو عروة بن الورد فى يوم الوغا ... يفنى العداة بأبيض وبأسمر
وقتلت للمستوعر النذل الذى ... جمع القبائل تبعاً مع حمير
ورجعت رويت القصيدة بعده ... والعرب تشهد قوتى وتجبر
وهو الذى حط القصيدة عامداً ... تبأ له مما لقى من عنتر
بارزته ورميته برزية ... وخرقت منه صدره بالاسمر
وتركته ملقى على وجه الثرى ... ودماؤه مهروقة كالأنهر
ورجعت علقت القصيدة بعده ... بالرغم عنه وكل صعب يصغر
هذا مقال عبد عبس فى الورى ... ذى الجود والحظ الجزيل الاوفر
من آل عبس أصل كل قبيلة ... مدحا وشاع مديحها فى الاعصر
وأنا المسمى عنترا يوم الوغا ... من آل عبس ليث غاب قسور
وأنا الذى سعدى رقا درج العلا ... فوق السماك مقارنا للمشتر

قال الراوى فلما سمع دريد والفرسان ذلك الكلام شكروه ومدحوه بكل شفة ولسان وباتوا تلك الليلة فى سرور وأفراح وأكل طعام وشراب راح حتى أصبح الله بالصباح فعزموا على المسير والرواح وإذا هم بغبار قد ثار وانكشف عن قبائل شتى قد ملأت الروابى والآكام وأبدوا السلام على شيخ العرب دريد بن الصمة ومن معه من الاقوام وقالوا له أعلم يا شيخ العرب أن هؤلاء القبائل قد سمعت ما جرى على المستوعر فى البيت الحرام من حامية عبس الليث الهمام وقد جئنا نهنيه بنصره عليهم وأعادت قصيدته مكانها ففرح دريد لصديقه عنتر كيف وقعت هيبته فى قلوب العربان وركضوا بالخيل واستقبلوا القبائل وأنزلهم فى الروابى والجبال وذبحوا لهم الاغنام والجمال والنياق وأقاموا فى الإكرام ثلاثة من الايام وطلبوا بعد ذلك من عنتر الحمايا فامر عنتر إلى عروة بن الورد أن يكتب إلى كل قبيلة كتاب بالأمان للقبيلة الفلانية أن لا يتعرض اليها أحد ومن تعرض لها وأخذ منها عقال بعير فلا بد من ركوب عنتر عليه ولم يترك فى قبيلته لا كبير ولا صغير فكتب عروة بن الورد الف

وخمسمائة كتاب إلى ألف وخمسمائة قبيلة أولها ضهية وآخرها بنى بجيلة وتجهزوا بعدذلك للمسير فطلعت العربان معهم للوداع يوما كاملا ورجع عنتر بعدوداع القبائل إلى أوطانه وأقام فى عز وأنعام وخيرات زائدات مدة أعوام ففرغ ماعنده من المدام فقال لعروة خذ أهبة السفر أنت ورجالك الكرام حتى تسير من هاهنا وتقابل تجار الشام فهم الغضبان وأخوته على الفرسان فقال لهم أقيموا على القبيلة خوفا من الفرسان المتحيرين فى ذلك الزمان لاننا مانغيب إلا حتى نلتقى مع التجار المدام ونعود قوام فلما سمعوا كلامه أجابوه إلى ذلك الكلام ودخلوا إلى عبلة وبل شوقه منها وهى تقول له إلى أين قاصد وما كان عليها ماهو طالب وسار من عندها فرأى عروة واقفا له فى الانتظار هو وجماعته الاخيار فركب وسار وقد تبعوه قومه من كل فارس مغوار وتقدم شيبوب أمامهم كأنه ذكر النعام يركض فى تلك البراوى والآكام وهو يقول لاخيه إلى أين قاصد فى هذه الفدافد فقال أبصر لنا أرض يكون الخمر فيها كثير موجود فقال له ياأخى على بالى أرض يقال لها تيما ولكن لها طريقين طريق من أرض العراق مسيرة شهر كامل وطريق من على اليمن مسيرة إحدى عشر يوم ولكن ماتسير إلا من طريق العراق فقال له عنتر ولم هذا الكلام فقال ياأخى اليمانية فيها واد غابه معمورة بالجان ولايقدر أحد يسير من ذلك المكان فقال له ياويلك ياولدالزنا أى شىء هذا الكلام ونحن لانخاف من أنس ولامن جان فسر قدامنا على هذا الطريق ولانسير على مهلك فلابد منها والنزول فيها ودع قبائل الجن يتعرضون لنا ثم أنه جاش الشعر فى خاطره فأشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

يابنت مالك لاتخافى من العدا	إذا لاح وقع الحرب يوم التشاجر
فدون خباك فارس متقشمم	يبيد ليوث الحرب ليس بقاصر
فلو طلبوك أهل العصر كلهم	لفرقتهم فوق الثرى والمحاجر
بسيف يمانى لو ضربت بحده	دجا الليل ولى وهو بالصبح عاثر
أنا لو لقيت الجن ماخفت حربها	لو اجتمعوا من كل وعر وعامر
ولو كنت أعرف الأرض قبضة	لكنت قلبت الأرض من كل حاجر
خلقتنى إله العرش ربى وخالقى	أطهر تلك الأرض من كل كافر
إلى أن يجىء خير البرايا محمد	ويظهر دين الحق لأهل البصائر
فان طول الله العظيم لمدتى	وأدركته نلت العلا والمفاخر
وأدخل فى الدين القويم بلا خفا	وأقتل عداه بالقنا والبواتر
وأخدمه حتى طول عمرى ومدتى	وانصره إن شاء ربى وناصر

وافتح له الأقطار شرقا ومغرباً بعزم يقد الصخر يوم الغواير
ألا فاشهدوا أنى على دين أحمد من اليوم حتى تبعث أهل المقابر

(قال الراوى) فشكره عروة وقال له لافض الله فاك ولا كان من يشناك فعند ذلك سار شيبوب بين أيديهم وهم من ورائه مدة الايام وهم يقطعون البرارى والقيعان حتى أشرفوا على وادى الشيطان فقال عنتر لشيبوب انزل بنا فوحق ذمة العرب لابد من الإقامة فيه والبيات حتى تتفرج على ما فيه من النبات فاجابوه القوم ونزلوا هذا وعنتر أخذ سيفه بيمينه ودرقته بشماله وسار وهو يتفرج يميناً ويساراً وإذا هو بشجرة شوم كفرية كبيرة يونانية مايدور عليها أحضان عشر رجال وعندها عين من الماء الزلال نازلة تحضر على تلك الحصى والرمال فتعجب من قدرة الملك المتعال فبينما هو غارق فى بحر الافتكار يسبح الملك الجبار خالق الليل والنهار وإذا بصوت مثل الرعد العاصف وقائل يقول ويلك يا نسل الأشرار ما كفاك تهجمك على الإنس فى الديار حتى تتهجم على الحق والعيار ياويلك أنا الصمام بن الشلغام خذ ما جاءك وابشر بالهلاك فلما سمع عنتر ذلك الكلام ورأى الصوت من تلك الشجرة فسل الحسام وقصدها وكان لهذا المارد كلام عجيب لأنه حبسه كاهن من الكهان من قديم الزمان لأنه رأى ان قتلته لا تكون إلا على يد فارس يظهر من الحجاز فأتى به إلى تلك الشجرة وسجنه فيها بالأسماء والأقسام ورصده حتى إذا سله سيف ذلك الشخص الحجازى فقطع رأسه قوام من الأسماء العظام فكان ذلك المارد يعرف هذا الكلام فكل من جاز عليه فى هذا المكان يعتقد أنه ذلك الشخص الموعود به فيظهر هذا الوادى معمور بالجان فما بقى يدخله إلا من لا يكون يعرفه حتى أتى عنتر وسمع حسه وسحب حسامه وقصد الشجرة وهو يظنه أنه متدار فيها فاجسامه عليها والمارد يصيح ويميل عن حسامه حتى قطعها وأتى طرف الحسام فى المارد فقال له ثنى فأراد عنتر أن يثنى عليه وإذا بقائل يقول لا تفعل يا أبا الفوارس تندم .

(قال الراوى) فقال عنتر ومن تكون أيها المتكلم ولم تراك عيناى فقال أنا من ملوك الجان الذين آمنوا بسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وأما هذا الجنى الذى قتلته أنت فانه كان عاصياً على السيد سليمان واتخذله مسكن فى هذا المكان وصار يتعرض لكل من دخله من البشر فجعل الله قتله على يديك أيها الفارس القسورولو أنك ثنيت عليه لعاش وعاد اليك على الأثر وأوصل أذيته اليك ولكن أحذر ياعنتر من أهله لانهم فى أرض غير هذه الأرض وبينك وبينهم عشرة فراسخ وهم مقيمون فى واد يقال له وادى صارخ (قال الراوى) ثم انه أخذ رأسه وأتى بها إلى عروة بن الورد وفرسانه ورماها بين أيديهم فتعوذوا باللات

والعزى من ذلك الشيطان هذا وعنتر يضحك عليهم ويبدى الابتسام وهو يقول لهم لاتخافوا من رأس هذا الشيطان فعندها سأل عروة لعنتر عن ذلك الأمر المنكر فصار عنتر يحدث عروة بما جرى وماصار فعندها أشار عروة وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أبا الفوارس ياليث الحرب ويا … بحر المكارم والاسعاف والبذل
أبا الفوارس تدرك قد سما ونما … ونجم سعدك فوق الشمس والحمل
أبا الفوارس ياجبر الكسير ويا … غوثا وعونا لمن ضاقت به الحيل
أبا الفوارس يامن سطا وغدا … محكما فى رقاب العرب والدول
يا واحد الدهر يامن لاشبيه لا … فى الجواد والحرب كم أرديت من بطل
قتلت ذا المارد الشيطان ياأملى … بعزم بأس فى النيران تشتعل
ولو رآك عدوك ماستطاع بأن … يمشى على الأرض من خوف ومن وجل

قال الراوى فلما فرغ عروة من شعره ونظامه ونثره فشكره عنتر على مقاله وفعله وبعدها ساروا أول يوم وثانى يوم بهمة قوية وعزمة جرية وهم يقطعون هذه وإذاهم أشرفوا على مدينة بيضاء كانها الحمامة الرعبية أوكأنها الفضة النقية فلما نظر عنتر اليها قال لأخيه شيبوب ما تكون هذه ياشيبوب فقال ياأخى هذه يقال لها المدينة البيضاء ويقال أن الذى بناها الاسكندر بن دارب الرومى الآن ساكن بها ملك نصرانى يقال له الليلمان بن مرقوم وقومه نصارى يشدون الزنار ويعبدون الصلبان من دون الملك الجبار وصناعتهم ياأخى عصير المدام لأن أرضهم أكثر أشجارها عنباً أيها البطل وأن ياأخى ملكهم الليلمان بن مرقوم مافى بلاد النصارى أشجع منه وقد سمعت أنا غار على بلاد الملك النعمان وهو على حالى حياته ملك وسلطان وكان معه عشرة من الفرسان وساق مافيها من الاموال والخيل والجمال فلما أن درى به الملك النعمان جد خلفه وجرد أربعين الف عنان فعدا عليهم وحده بعد ماأخر من معه من الفرسان وقال لهم لاأحد منكم يساعدنى على الشجعان ثم انه حمل عليهم وأوقع بهم الذل والهوان وشتتهم فى جنبات الارض والكثبان فلما رجعت المنهزمين وأخبروا الملك النعمان بذلك الاسباب فأرسل يعلم بذلك الحارث الوهاب ويشكو له من ذلك الجبار فأرسل له الآخر عسكر جرار فحمل عليه وكسره فأرسل ثانى عسكر دمره فخاف منه الملك الحارث الوهاب من كثرة شره ودهاه فعند ذلك أرسل إليه الحارث وهاداه واكتفى شره وحاداه ثم انه أرسل يقول للملك النعمان أعلم ياملك الزمان يامن هو أوحد العصر والأوان أن الذى نهب أموالك وأخذ نوقك وجمالك قد عجزت يدى عنه فنك ياملك الزمان ومنه فلا أحد يعارضك من قبله لأنه قد زاد علينا وعليك شر هو والآن قد زادت فروسيته وقويت شوكته وتقول عنه سائر الأنام انه سائر الكهف أيها البطل الهمام

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من شيبوب هذا الكلام صار الضيا فى عينه ظلام وقال لأخيه شيبوب هل سمعت بهذا الكلام الذى كأنه أحلام فوحق ذمة العرب وشهر رجب ماخطر لى جبهه على بال ولا من أخذ روحه والمال والنوال وهذه المدينة وكل مافيها ولا أدع فيها عقال لا ما أكن عنتر شداد ابن البطل المفضال ثم انه قال لشيبوب دلنى على مراعيهم دعهم يكونوا مائة ألف فارس مثل الذى تقول عليه ياشيبوب فان أخوك عنتر فيه الكفاية وأكثر فعندها أمرهم شيبوب بالنزول فى جبل من جبال تلك الأرض والطلول وباتوا وبات عنتر يحرسهم فى ظلام الاعتكار إلى أن ولى الليل وطلع النهار فعندها ساق عنتر الأموال بما فيها من الخيل والجمال فتصايحت عليه بعض الرعيان والبعض منهم طلب إلى ناحية المدينة على ذلك الشأن وهم يشكون بالويل والثبور وعظائم الأمور وقد تصايح الرعيان من كل ناحية ومكان فعندها ركبت سائر مافى المدينة من الفرسان والشجعان وفى أوائلهم الملك الليلمان هو راكب على ظهر الجواد ورجليه تخط فى الأرض والوهاد بهم مثل الأسد الحردان ومازال سائراً بمن معه من الفرسان إلى أن قارب البطل المنصان فلما قاربه زعق عليه وحمل فالتقاه عنتر فارس السهل والجبل وله قلب أقوى من الحجر جنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وحملت جماعة عروة على جميع الفرسان وعمل بينهم الصارم اليمان وجرى الدم على وجه الصحصحان وخرق السنان فى نواعم الأبدان وحامت على أجساد القتلى كواسر العقبان وتقدمت الوحوش إلى ذلك المكان ومازالوا وهم فى قتال ونزال وحرب وجدال وأخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد وتجريع الموت الزؤام إلى وقت أواخر النهار وإذا بشيبوب يزعق على عنتر البطل المغوار وهو يقول ويلك ياابن الملعونة أنت جبان وذليل ومهان ولا عندك خبر بالحرب والطعان وأنت واقف تعطى أهمال وجماعتك وقعوا فى الذل والهوان مع هؤلاء القوم الأشرار ياللعجب لما صار فيك ياابن زبيبة من الاهمال (قال الراوى) فلما سمع عنتر من أخيه ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وحمل على الليلمان بقلب أقوى من الحجر الصوان وزعق عليه زعقة دوى لها ذلك المكان ومالت منها فروع الاغصان طعنه بعقب الرمح لقحه مثل جذع النخل على الصحصحان وقال لشيبوب كتفه فتقدم إليه شيبوب وكتفه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف فلما نظرت عساكر الليلمان إلى ملكهم وقد صار ذليل حقير وهو فى حالة الذل أسير على الأرض عفير عملت فى رؤسهم النخوة الجاهلية وقال لبعضهم ياويلكم أما تنظرون إلى ماحل بملككم وكيف أخذوه وهو يتمرمر وقد أنزلوا به العبر ياويلكم احملوا فى هذه الساعة لعل تأخذوا رأس هذا العبد على كتفيه وتصبوا المصائب عليه فعند ذلك هزت الفرسان كتافهم بالرماح وجردت البيض الصفاح ونادى منادى الحرب لابراح وتقدم البطل

الجحجاح وطلب الجبان الرواح مما شاهد من كثرة الجراح ومازالوا على مثل ذلك الرواح إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بكواكبه الوضاح فعند ذلك أنفصلت الطائفتين ورجعت إلى بعضهما بعض وكان الربح فى ذلك النهار لأبو الفوارس عنتر الأسد القمهار فلله درة من فارس قهار وأسد جبار وفارس شجاع وقرم مناع لايخاف الموت ولايفوته فى الحرب فوت وهو كأنه ملك الموت وقد عاد وهو مخضب بالدماء كشقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان ثم أن عنتر جاش الشعر فى خاطره فانشد يقول صلوا على طه الرسول

لقد كلت النفس من طول المقام وقد صاح صائحنا والسلام
وصاحت طيور فناء الاجل على شجر العمر بعد الكلام
فهذا جريح وآخر طريح وهذا أنين من عظم الصدام
وزلزلت الأرض زلزالها وصار الضيا كلون الظلام
وراح المجير وقل النصير وحار الكبير وشاب الغلام
وهذا قتيل وهذا ذليل وهذا قتيل برشق السهام
وهان الخليل بوسط المجال وصادمته الخيل تحت القتام
وزاد الصياح وعظم الجراح بروس الرماح وحد الحسام
وخوض العجاج وعظم الهياج وطول الانزعاج وبئس المقام
وطعن الوداج وسط الهجيج ولبس النسيج وقوم كرام
وهمز الحصان ووكز السنان وفر الجبان من السهام
وخوض المجال بطعن الطوال وقتل الرجال من أولاد حام

(قال الراوى) وبعدما أنشد عنتر هذا النظام نزل فى الخيام لأكل الطعام فلما أكلوا ماقسم الله لهم من الزاد أرادوا أن يأخذوا حظهم من المنام وقد قام عنتر للحرس فى جنح الليل الاغلس ومازالوا كذلك إلى أن أصبح الصباح فعند ذلك برز عنتر إلى الميدان وصال وجال ولعب على أربعة أركان المجال وزعق ونادى وقال ياسادات بنى غسان وكل من حضر فى ذلك المكان من عرفنى فقد أكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا الفيل الانكد والحجر الصلمد والفارس الاسود الذى ناره فى الحرب ماتخمد أنا فارس الفرسان ومبيد الاقران وحاوى قصب الرهان فى حومة الميدان وفارس عبس وعدنان أنا طويل النجاد ورفيع العماد وحامى النساء والاولاد أنا عنتر بن شداد حية بطن الوادى ابرزوا إلى فرسانكم وأظهروا لى شجعانكم حتى أقتل أقرانكم وأبطالكم وأيتم أطفالكم وأفرق جموعكم وأخرب دياركم وأنهب أموالكم وأسبى حريمكم فلم يبرز إليه أنسان لاقاص ولاداني ثم إنه ركب

رأسه فى قربوص سرجه وحمل حملة جبار ومال على الميمنة أقلبها وعلى الميسرة أقلبها على الميمنة فلما رات فرسان الليلمان إلى هذا الأمر والشأن ضاقت عليهم الأرض فى طولها والعرض وقالوا ما بقى لنا خلاص من ضيق الاقفاص إلا الضرب بالحسام والطعن بالرمح المعتدل القوام إما أن نخلص أو نشرب كؤس الحمام هنالك دارت الابطال بالابطال وقصرت الاعمار وحارت الابصار ودارت السيف فيهم من كل جانب وسدت فى وجوههم المذاهب وقدر أوا طعنات عنتر وهى لا تبقى ولا تذر فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وكان فرارهم أوفى غنيمة وبنو عبس تطعن فى أقفيتهم إلى أقصى مكان وعاد عنتر وعلى درعه الدماء مثل أكباد الإبل وهو مثل شقيقة الارجوان ولما استقر به الجلوس فى ذلك المكان أمر باحضار الملك الليلمان إلى بين يديه فأمر بضرب رقبته وأن يسقيه كاس منيته فجرد شيبوب سيفه وأراد أن يسقيه كاس الحمام وإذا بالملك الليلمان قال لعنتر يافارس الزمان أخبرنى من تكون من الفرسان فأنا طول عمرى أبارز الفرسان فى حومة الميدان فارأيت أقوى منك جنان ولا أثبت عند الضرب والطعان فعند ذلك قال له ياعنتر ياويلك ما أجهلك بالفرسان المشهورة فى حومة المجال الموصوفين بالشجاعة والبراعة بين الفرسان والله ما كذب الذى قال إنكم ماترعون ذمام ولا أنتم كرام ولا سيما وأنتم تعبدون الصلبان والصور والصورة فى الحيطان أنا معروف لكل إنسان فى الارض والبلدان أنا فارس عبس وعدنان وقراد وذبيان وحامى القبائل والغدران أنا فارس الجلاد عنتر بن شداد فقال الليلمان الحمد لله الذى استجاب دعائى لانى كنت اسمع بك واطلب من الله ان يجمع بينى وبينك فى الميدان حتى أجرب روحى معك فاستجاب منى دعائى وقبل شكوتى فاتخذنى لك غلام من بعض الغلمان وعوناً من بعض الاعوان واعلم يافارس عبس وعدنان إنى أنا ابن صاحبك وصديقك مقرى الوحش

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه وعلم انه ابن عم مقرى الوحش قال ياشيبوب اطلقه من الاعتقال وأراد الليلمان يقبل رجل عنتر فأبى عن ذلك وأخذه بالاحضان وافتكر مقرى الوحش فغشى عليه ساعة زمانية ثم بعد ذلك أنشد يقول صلوا على طه الرسول

تفكرت مقرالوحش فاضت مدامعى ... وثار غراماً كامنا فى جوانب
على صاحب قد كان لى عوناً على العدا ... إذا ماأتوا يوم اللقا والتحارب
ايا مقرناً للوحش ماكان حلنا ... تفارقنا يا ابن الكرام الاطايب
عليك أرى حزنى طويلا مبرحا ... حتى اصير فوق الحصى والترائب
فلو كان شخصك يفتدى لفديته ... بشخصى وما املك وجميع حبائب
فمن لمسيكة بعدك اليوم إذا غدت ... تنادى وانت لاتجيب بجاوب

وسيبع اليمن يامقرى الوحش باكيا عليك بدمع فى الثرى دم ساكب
وفقدك مقرى الوحش اعلم بأنه بشيراً بأنى عن قريب لذاهب
وكل جميع الخلق تفنى بجمعهم ويبقى الذى يأمر بسير السحائب

(قال الراوى) فلما فرغ من هذه الابيات وقال له الليلمان ما جاء بك إلى هذه الديار أى حاجة تطلب يا فارس الفرسان فحكى له عنتر على احتياجه المدام ففرح الليلمان قال قضيت حاجتك ياسيد الاقران هذا عندنا منه شىء كثير ولكن وحق المسيح ما يمكنك من الرواح إلا بعد شهر ثلاثين يوما حتى تأكل ضيافتنا ونشبع من حديثك وبهجة طلعتك ثم أنه ركب حصان وقصد نحو المدينة فلما رأوه عرفوه فنزلوا وفتحوا له الباب فدخل الليلمان وقد تلقته أصحابه وسألوه عن الذى جرى له فحكى لهم على ما وقع له وما جرى وليس فى الإعادة إفادة ففرحوا بصاحبة عنتر فارس البدو والحضر وكان ملك المدينة يقال ميسرون فخرج فى سائر الرجال والعساكر لما اطمأن بصاحبة الليلمان لعنتر وما زالوا سائرين حتى قربوا من عنتر وقد ترجلوا وسلموا على رفقائه قال الراوى ثم ان عنتر ركب على ظهر جواده وتقلد بسيفه الابتر وسار وكان راكب جنب الملك ميسرون وهو سائر على يمينه والليلمان عن شماله ودخلوا من أبواب المدينة هذا وقد خرجت القسوس والرهبان والشمامسة والكهان والبطارقة والمطران وفى أيديهم العكاكيز الابنوس والمباخر الفضة والذهب وفيها فحم جمر من خشب الكرم ومن فوقه العود القمارى والكفور وقد خرجت البنات البكور بعد ما أفرغت على أكفالها الشعور وقد ملأ أقداح الجواهر والبلور من رانق الخور وهموا أكتملهم بالحضور وكشفوا طلعات الشعور عن وجوه كأنها الشموس والبدور وقد شعشعت كواكب وجناتهم الضياء ونور وأبرزوا من ذخائر المحاسن ما كان مدخور ومستور حتى صار كل من رآهم يقول هذا يوم النشور وقد خرجت المولدات والحور (قال الروى) هذا وعنتر لما أبصرهم على الميمنة أطرق برأسه إلى الارض ولما أبصرهم على الميسرة اطرق برأسه إلى الارض ولما نظر إلى تلك البنات التى كأنهن البدور الطالعات فسبحان من خلقهم من ماء مهين فتبارك الله أحسن الخالقين وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى قصر المدينة ونزلوا فيه ومدوا لهم السماط فاكلوا الخاص والعام وبعد ذلك قدموا المدام الذى صنما وراق وصار كأنه دموع العشاق إذا بكت من الهجر والفراق فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا إلى ان انسدل الظلام وقد اكتفوا من شرب المدام وقاموا وقد طلبوا الخيام فقال الليلمان تفضلوا فادخلهم إلى دار قد حلالها برسمهم وفرش لهم البسط الرومى فدخل عنتر وجماعته وناموا إلى الصباح وإذا هم بالليلمان وقف لهم على الباب الذى للدار يستدعيهم إلى الرواح والملك ميسرون إلى الصيد والقنص والنزه واللهو

(قال الراوى) فركب عنتر وعروة بن الورد وبقى جماعته وساروا معه وإذا بالملك المدينة ميسرون راكب فى موكبه وخواصه وحجابه فلما رآهم عنترهم أن يترجل ويسلم عليه فأبى الملك ميسرون وحلف عليه ثم أنهم ساروا إلى أن انتهوا إلى وادى كثير الاشجار والغدران وطيور تصيح على منابر الاغصان من بلبل وهزار وقرى وسمان وبجع وكيروان وفاخت وعقبان ولقلق وغربان والأرض قد اكتست من الزهر ألوان فالجلنار كأنه أعراف الديوك وقلائد العقيق والمرجان والورد كأنه صيوان من ياقوت أو صحن بهرجان وانفتح طيب الطلع عن شماريخ اللؤلؤ مدوراً مثل التيجان وامتدت قضبان زمرد ذلك الكرم على البستان وزعق ساجع الطيور يطلب الرياض الفتان وسائر ورق الاترج كأنه كفوف الغزلان وأخرج الروض من ذخائره ألوان وانعقد المأنور كأنه النجوم لكل إنسان وتكلل جوهر الند وانتشر على زبرجد الريحان وجرى سلسبيل أنهر لرى الرمان ولاح الزنبق والعنبر والقرنفل كأنها بهرجان وتمايلت الفروع من نسيم الصبا على الغصون من معادن زهرها تيجان وصار الياسمين كأنه صنع من الفضة جلبان وأما التاريخ فصار كأنه أكر من الذهب أو مرمرا أو زعفران وكل ذلك صنع الملك الديان مكون الاكوان وخالق الإنس والجان (قال الراوى) ولما قربوا من ذلك المكان ووصلوا إلى ذلك البستان أطلقوا خيولهم على صيد الوحوش والغزلان من كل جانب ومكان لأن ذلك الوادى وحشه كثير وماؤه غزير لأنه كان برسم ميسرون لا يقدر أحد يصاد منه شىء لا كثير ولا قليل لا غنى ولا فقير فاصطادوا من الوحش شىء كثير وكان أكثرهم صيد عنتر بن شداد ولما فرغوا من صيدهم دخلوا ذلك البستان وساروا فيه وإذا هم قد أشرفوا على قصر عالى البنيان مشيد الاركان قد تعلق بالسحاب وغاص أساسه فى قاع الارض أو التراب لكن ذلك القصر يرى باطنه من ظاهره لأن الذى يكون فيه يرونه من خارجه والذى فى باطنه يرى الذى من خارجه وهو قطعة واحدة كله وكان طوله مائتين ذراع بذراع القوم وعرضه أربعمائة ذراع وقدامه صخرة عالية كأنها الياقوت الاحمر وعليها تماثيل وصور مصورة بأقلام مكتوبة (قال الاصمعى) وأن هذا القصر من عجائب الدنيا وأصل من بناه غابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام من زمان البلبلة وسماه قصر الخلد وفى رواية وهب بن منبه أنه القصر الابيض الذى بناه اسكندر بن دارب الرومى الملقب بذى القرنين لما دار الدنيا وهو يدعو الامم التى يمر عليها للإيمان فمن آمن تركه فى مكانه ومن أبى محقته بالسيف الذكر حتى أنه بلغ فى سياحته إلى البحر المحيط من حده إلى آخر أقاليم الاندلس تحت بنات نعش فاصاب فيها أمم من بنى يافث بن نوح وبنى حام ليس لهم حدود ولا يعرف عددهم إلا الرب المعبود ومن أهالى بنى سام خلق كثير فلم يزل ذو القرنين حدثهم ومضى إلى

العراق يدعو ويقتل ثم عاد وهو قاصدا أرض فارس فآمن من آمن وقتل من قتل وسار إلى أن وصل إلى القصر الذى نحن فى حديثه وقد نظر إلى ذلك القصر والصخر وهو قصر عابر بن شالح بن أوخشد بن سام بن نوح فلم يكن له همة إلا فى استخراج تواريخه المكتوبة بالاقلام الحميرية فاذا هو هذا القصر لمن ذكرنا أسمائهم وهو من البلور الصافى كما ترى قطعة واحدة قال فلما نظره ذو القرنين بن داوب الرومى أنشد وجعل يقول :

أين رب القصر أين راح الذى شيد القصر زمانا وسكن
أين من كانوا ملوكا فى الورى أين من نشأ قصوراً للسكن
أين ينجون من الموت ومن آخر العمر على ريب الزمن
أين من حاز المدائن والقرى سكنوا والله فى قاع الدمن

(قال الراوى) ثم أنه رسم الشعر على جانب الصخر الشمال ودخل إلى ذلك القصر فرأى فيه عجائب وغرائب يكل عن وصفها اللسان ويضيق منها هذا الديوان وقد رأى من يمشى من خارجه فتعجب من تلك ثم أنه كتب على الباب اليمين هذه الابيات :

نزلنا من على الصخرا إلى قصر وجدناه دخلنا فيه فتحنا الباب
وقد عدنا غلقناه فيمن القصر من نسأله وقد جئنا وجدناه
رأينا القصر كالشمس منيراً عند رؤياه أين الماجد السامى
مليك القصر بناه رأينا ذا وما ذاك فقيدنا لا رأيناه
وقدما ساكنا حيناً لو أبصرنا سألناه عن الأقوام وماقالوا
وما لاقوا وقلنا آراه الدهر آمالا على بعد ومناه
خلا بالدهر أطلاقا سليما ثم هناه ووقاه بلا نقص
زمانا ثم افناه إذا ما أقلت منه أمانيا حمدناه
وإن ألوى سيرا منه أحيانا شتمناه إذا ماخاننا ذا الدهر
بطرف منه خناه سريعاً بعد إبطاء إذا نحن تركناه

(قال الاصمعى) ثم خرج إلى جانب القصر وكتب هذه الأبيات

ألا أيها الروان قد نلت حظه غلبت بعمايها ملوك الاعاجم
ملكت غروب الشمس يوما بجحفل لآنى أرضاً غير أرض العوالم
فحمت جميع الأرض لله عنوة إلى غايتها بالقنا والصوارم
وقدت كماة العرب والعجم مسرعا إلى مرج بحر مزبد متراكم

عقدت لغير الرح عقداً بكفه | فامسك عن مجرى المد المتلازم
تجرعته عذبا من الماء سابغاً | وكان أجاجاً طعمه كالعلاقم
يشرب كمثل الطير فوق متونها | تطير وخافيها بهن مقادم
فحاربت فيه أمة بعد أمة | وقدمت فيه عالما بعد عالم
أتيت إلى وادى خبيت رماله | برمل تراه كالجبال الولاسم
يسيروا نهاراً والليالى كأنها | بحار تهيجها الرياح العظايم
وإذا رأيت صديقه وشقيقه | لم تدر أيهما دوى الاراحم
وأعطيت أسبابا من الرأى غيرها | تناهت بأرشد وصدق المعالم
فلما أتاه للشيب شب وارتقى | على متنه عمرو بن عادبن عاصم
فبادر سبالا الولائد جملة | بجمعهم أهل التقى والمكارم
تعسر بعض الناس بالظن أمرهم | وقالوا دعوا الأمر دعوة حازم
وقالوا رأوا مالا يقيمون موته | لجنوا إلى الحور الحسان النواعم
ومن قال فى علم الغيوب بعلمه | له نومه ترابا على كل نائم
فيا أسفى ماراح فى الرمل هالكا | بطول الميدا مازلت باك ونادم
ويردعنى عمرو عليه تحيتى | وفارقنى بعفو وحزم بن حازم
كتبت بخط الحميرين آية | بأن ليس بعد مسير بقادم
ولامذهب غير الذى قد أتيتموا | بنو حمير عند النسور القشاعم
ولا بد مما أن يروحوا لغزوة | لقتل الاعادى والملوك الحواكم
يطوفوا إلى مجرى البلاد وغربها | الى مشرق الاقصى بأمر ملايم
وتعلم أن الدهر يبلى جديده | ومن قارع الايام ليس بسالم
ألم تر أن الدهر يهد لما بنا | ومن يك مهزوما فليس بهازم
نزلنا على ذا القصر من كل جانب | رأيناه خالى من جميع العوالم
علمنا بمن أنشاه فى الارض ميتاً | وقد ذاق كاس الموت من صار نائم
وهذا كلامى قد كتبت بلاحقا | لمن جاء بعدى من ملوك عظائم

(قال الاصمعى) والكلام هذا يطول ولكن نرجع إلى سياقة الحديث الاول فلما وصل الملك ميسرون إلى ذلك وعنتر وجماعته وحطوا ما معهم من الصيد وطلعوا بعنتر ففرجوه على ذلك القصر المذكور هذا وعنتر تعجب من حسن بنائه وتشييد أركانه ثم أنهم عادوا إلى ذلك البستان وفرشوا فيه من الحرير والالوان وأحضروا الطعام وقدموا آنية المدام وقد دار بينهم الكاس بعدما عبق عليه نشر الورد والآس فلما رأى عنتر ذلك المكان

الذى تخايل له أنه يرقص بالأشجار وبجاوبة الأطيار والماء الحدار فأنشد وقال هذه الأبيات

واق المدام لنا بكاس الجوهر ۝ لما بدت أرض الرياض كعنبر
والطل من فوق الشقيق كلؤلؤ ۝ رطب على فص عقيق أحمر
والآس فى أرجائها كزبرجد ۝ أوفى البهار الياسمين بعنبر
والأرض قد كسيت بحلى عرائس ۝ ناهيك من ذهب يزان بجوهر
وتنثر المنور فى دوح الربا ۝ وتقدح الأقداح نار تسعر
وتجاوب الأطيار لما تلعلعت ۝ فوق الغصون على صفاء الأنهر
والنهر صفح والغصون تراقصت ۝ والغيم ينقط در وسط المحضر
وتنوعت أرض الرياض وأزهرت ۝ من جوهر الأزهار مالم يظهر
فالطل لؤلؤ والعقيق شقائق ۝ والورد عسجد والأزاهر جوهر
والجلنار شبيه ياقوتة بدا ۝ قد رصعوا زمرد من أخضر
والطير بين مشرد ومغرد ۝ والزهر بين مذهب ومجوهر
والغيم يبكى فى السماء بأدمع ۝ تنهل من طرف السحاب الممطر
والمـــاء بين تدفق وترقق ۝ والورد بين أحمر وأبيض وأصفر
ياصاحبى بادر للذات الصبا ۝ فالدهر لايبقى على حال ميسر

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات تمايلت لها السادات طربا وترنحت لها قلوب أصحاب النخوات ولا بقوا يعرفوا أن كانوا هم فى أرض أو فى سموات وكان ساقيهم فى ذلك اليوم جارية رومية كأنها حورية تفتن بجمالها سائر البرية لأنها كانت ذات خصر نحيل وردف ثقيل وخد أسيل وشعر طويل وأنف كالخلال وعيون كعيون الغزال وحواجب ترى نباله فتصيب بها مقاتل الرجال وتورثهم النبال والخبال وهى فتنة لمن يراها وحورية لمن يتمتع بها فسبحان من خلقها وسواها كما قال فيها بعض واصفيها شعر:

رومية حسنها اكتمل ۝ بقد قويم زها واعتدل
بطرف كحيل وخد أسيل ۝ وردف ثقيل يخال الجبل
وشعر طويل وحسن جميل ۝ وريق سلسبيل وطرف اكتحل
وقد رشيق وفم عقيق ۝ وخد شقيق يزين الحلل
لها جوز نهود وعيون سود ۝ تصيد اسود بسحر المقل

(قال الراوى) فملأت عليهم المدام وتمايلت قدامهم بلين ذاك القوام ومزجت بريقها خمرا وشق عنبرا من ريقها فقال لها الليلمان اسمعينا يازوح البدن شيئا من لفظك الحسن ما يجانسه

الفرح ويذهب الحزن والترح لأن ضيفنا عنتر ووقتنا يذكر قال فخطت الكاس من يدها وأخذت عوداً من صنعة الهنود وحطته فى حجرها كأنه مولود فباحلها بأسرارها فزحزته بأناملها فحن وبكى وأن واشتكى فأنشدت الجارية تقول هذه الأبيات :

تحدر دمع العين من أعين السحب وقعقع صوت الرعد من بجف الحجب
ولاح من أرجاء السماء بوارق من الشرق تبدو تارة ثم المغرب
إلى أن بدا جيش من الصبح طالعاً ولاح بأنوار مطرزة الهدب
وفتحت الأزهار أكمام ريقها وفاح عنبر من حدائقها القلب
وغردت الأطيار من فوق دوحها فيهجن أشواق المحب إلى الحب
وقد بدت الأرجاء وفاح عبيرها علينا وقد تم السرور لذى القرب
فيا مجده ما أن يقاسى لغيرها على قلة الجوزاء والمرتقى الصعب
ونسمع من الفاظه كل نغمة تلذ بها الاسماع من منطق عذب
وإن قصرت فى مدح وصفه فان لسان الحال من حوده ينب
ولو كانت الايام تنطق لبشرت وهو من بين الترائب والصلب

(قال الراوى) ولما أن فرغت مال عنتر طرباً وزاد من نغمتها تصبياً وما زالوا فى أكل طعام وشرب مدام حتى ولت عساكر الضياء والابتسام وهجمت عليهم جيوش الظلام فقاموا كلهم وقد طلبوا المدينة ودخل كل واحد إلى مرقده فلما طلع الصباح وابتسم عن ثغره الوضاح فركب عنتر وعروة وجماعته وإذا بالليلبان واقف لهم على الباب فساروا جميعاً حتى دخلوا على الملك ميسرون فلما رأى عنتر قام له على الاقدام باداء السلام وأراد أن يركب ويخرجوا إلى الصيد والقنص فسبقه عنتر بن شداد وقال له يا ملك وحق باسط المهاد وجاعل الجبال أوتاد ورفع السبع الشداد ما أنا بليت فى هذه الارض والبلاد لأن أولادى وابنة عمى عبلة قد قتلنى الشوق اليهم (قال الراوى) فاغتم الملك ميسرون وابن عمى مقرى الوحش الليلبان على حلفان عنتر لأنهما كانوا يظنون أنه يقيم عند همام حتى يشبعا من عشرته والكلام ثم انهما جهزوا له من احمال المدام وحملوها فوق الجمال وأخرجاله من هدايا أرضهما وبلادهما ما يحير الفكر وساروا لوداعه يوماً كاملا وحلف عليهما عنتر أن يرجعا فرجعوا وقلوبهما تنقطع وأعينهما من شدة الفراق تدمع على فراق أبى الفوارس عنتر (قال الاصمعى) وسار الليلبان ابن عم مقرى الوحش ندماً على فراق عنتر وهو ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

حوادث الدهر تبدى العجائب وترمى سهاما للأنام صائب
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها ولا تستحى من عتب خل صاحب
تفرق ما بين المحبين عاجلا وترمى البرايا من سهام المصائب

فمن ذا الذى منها من الدهر سالما ... وأنهوا الذى ماذاق منها النوائب
فكم من خليل مع خليل معاشر ... بلذة عيش بين خل وصاحب
فغارت عليهم بالتفرق عاجلا ... على غفلة منها يبقوا فى الترائب
فكم آمل قد جاءته بفعلها ... وكم أكدت من كل ماش وراكب
كم كدرت ماقد صفى بعد صفوه ... وكم أسلبت ماأوهبت من مواهب
لقيت ابن شداد الذى شاع ذكره ... كليث سطا مابين أسد الهضائب
ولما اصطلحنا فرق الدهر بيننا ... ومازال هذا الدهر يبدى العجائب

(قال الراوى) وأما عنتر بن شداد فانه سار مع جماعته طالب الديار وهو يتمايل على ظهر جواده الابجر وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أبرق نجد بدا ياسعد أم هينا ... أم نور عبلة بدا يابرق هينا
أم نورها قد بدأ يابرق غسق فى ... يهب منه زكى المسك مفتونا
يانور عبلة ما برق بخبرها ... كما تشب على أيدى المصاليتا
أذكر بترتيب أولها وآخرها ... فعاودتها بنات العين تشميتا
قد صاغها الله من حسن وقال لها ... خوضى الممالك تركيباً وتشتيتا
وسحر أجفانها قد زادنى سقما ... أخليت فيها كهاروتا وماروتا
ياعارضا ماطرى تغدو بوارقه ... إلى البحار بهذا الغيث يحيينا
يابرق فى العلم السعدى لى فتاة ... فاحمل تحيتها عنى لحيتــــا
يابرق أن سألت عنى فقل لها ... بأن سيفى لو قد النار كبريتا
ترى المنايا تبدو فى جوانبه ... تخاله وجه جنيا وعفريتا
ياعبلة إنى إذا ماجلت فى وهج ... تسمع له الآذان أرعادا وتصويتا
حتى يرى الخصم فعل الليث عنترة ... فعل يظن له إبليس مبهوتا
واليوم فرعون لو ينظر فعاثله ... لخاف يعلوا على الارض جالوتا
ياعبلة أن طلت الاهوال ناظرة ... براقب الجدى فى مائه الجوتا
ولو ظل رأى سيفى الفرقدان هوت ... من الثريا وعاد المشترى لها روتا
فابشرى يامنى قلبى ولا تخفى ... وأذكرى فعلى ان كنت أنسيتا
فلو رأيت لشخص الموت فى رهج ... صدمته لم أرد منه تفاليتا

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من ديار بنى عبس فأمر عنتر لشيبوب أن يسبقهم إلى الحى ويبشرهم بعودتهم من سفرتهم غانمين فسبق وأعلمهم فخرج الملك قيس فى بنى عبس

وأولاده عنتر معه هذا وعمارة قد كبر عمامته وطول من خلفه عدبته وكحل لحظه ومقلته واسبل على اكتافه شوقته وقص شواربه ولحيته وخرج وهو يتمختر فى ركبته وهو يقول فى سره بشفته لا أهلا ولا سهلا ولا مرحباً بالقادمين وليتهم ما كانوا عادوا سالمين ولا غانمين وليت الرزايا أحاطت بهم أجمعين (قال الراوى) ولما رأى عنتر الملك قيس سعى اليه وسلم عليه وعلى أخوته وعلى أولاده هذا وعمارة يقول فى الظاهر وقد تفطرت منه المرائر وعميت منه النواظر وهو يقول الحمد لله الذى رأيناك يا ابن العم سالم وعدت إلينا غانم لا كان يوم والله ما أراك فيه يا فارس عبس وعدنان وفزاره وذبيان فشكره عنتر على ذلك الكلام وعلم أن كلامه كله فشار وساروا حتى وصلوا إلى الديار وتلقت عبلة ابن عمها عنتر فتلقاها عنتر بالاحضان هذا وأمه زبيبة شابطة له فى ظهره وهى تقول له أنت ما تحضن إلا محبوبتك ونسيت يا ابن شداد والدتك فالتفت اليها عنتر وهو يضحك من كلامها ثم أنه دخل على بنت عمه وقام إلى أن طلع النهار وأرسل للملك قيس الهدايا من الذى جاء بها معه ولأعمامه ولأرباب القبيلة وأقام عنتر وقد صفى له الزمان وزالت عنه الهموم والاحزان وواضب الدعوات على الغدران مع أولاده والإخوان فقلت جماله التى كانت كثيرة مما نحر منها للأضياف والخلان فاراد أن يخرج ثانى سفرة فقاطع عليه ولده الغضبان وحلف عليه بأعظم الإيمان أن لا يخرج فى هذه المرة إلا هو فلم يقدر أبوه يرده فى كلام ولا يرد عليه نثراً ولا نظام ثم أن الغضبان تجهز من وقته وساعته وأخذ اخوته ميسرة وغصوب وأمر بالركوب فركبوا وساروا وهم عشر فوارس وسار قدامهم الغضبان فلما تبطنوا البرارى والقفار أخذوا فى المشورة فى أى أرض يقصدوها وساروا ليلا ونهار وغدو وابتكار حتى وصلوا إلى أرض من أرض اليمن يقال لها أرض العلم والقصر المطلسم وكانت هذه الأرض يحكم عليها رجل جبار من الجبابرة الاشرار لا يصطلى له بنار يقال له الاهواج بن عربيد المتوج وكان يحكم على عشرين الف جبار يقال : قال وكانت تلك الأرض تسمى أرض العلم والقسم المطلسم لأنه كان بتلك الأرض منارة مبنية بالرخام مليحة الزى والهندام وكان طولها ثلثمائة وخمسين ذراع وعلى رأسها علم يخفق الهواء وفى رأس العلم لوح من الذهب الأحمر معلق فى سلسلة من الفضة البيضاء ولا يقدر أحد يصعد اليها ولا يعلو عليها لأنها جالسة ملسة وفى جدارها مكتوب هذه بناية الملك الهدهاد بن بلعام الذى بنى الاهرام وانه عاش الف عام من العمر وتزوج الف بنت وجاب منهم الف ولد كر فلما أدركه الحمام لا نفعه مال ولا حطام ولا أولاد ولا اخدام وقال كأنى كنت فى منام وعيشتى فى الدنيا كأنها أحلام فلما أدركتنى الوفاة بنيت هذا القصر فى المدينة ورصدته وطلسمته وجعلت فيه ما أملكه من الذخائر والحطام وأمرت قومى إذا أنا مت يضعون فيه على سريرى ويقفلون على الباب

ويذبحون عليه عبداً وأسداً وفيل قربان ويجعلوهم رصداً ولا يخلوا أحداً يقرب من باب المكان فيصبح على روحه ندمان (قال الراوى) وماسميت أرض العلم إلا بهذه المنارة والعلم الذى كان فوقها والقصر والطلسم وبلغنى أن كثيراً من الملوك الذين ملكوا تلك الأرض أرادوا أن يفتحوا ذلك القصر فلم يقدروا على ذلك ويهلكوا من أعوانه ومن كثرة المهالك وماأحد يعرف مافيه إلى يومنا هذا وقيل أن سيدنا سليمان بن داود دخله ودخله الاسكندر ابن دارب الرومى ولكن وجدوا عنده أمة بالليل وجوههم كوجوه الكلاب وبالنهار وجوه الآدميين لان الله تعالى خلق لهم وجهين وجه من قدام ووجه من وراء وعلى الوجه الذى من وراء برنس لحم يغطيه بالليل فإذا نام وطلع النهار انقلب ذلك البرنس على الوجه الثانى فيختفى ويظهر الآخر وأمانسائهم فلاح والصبى يجىء لابيه والبنت لامها ويتكلمون بوجه الآدميين وبوجه الكلام ينبحون بنبيح الكلاب (قال الراوى) وعدنا إلى سياقة الحديث الأول فلما أن وصل الغضبان إلى أرض العلم والقصر المطلسم فوقفوا يتشاورون فيما يفعلون فقال له الخذرف الرأى عندى أننا نبات فى هذا المكان فإذا طلع الصباح نحمل على الرعاة ونسوق الاموال والنوق والجمال فاستصوبوا رأيه ونزلوا فى مكان أخضر وأشجاره مورقة وأزهار أغصانه باسقة وأنهاره دافقة وأطياره ناطقة تسبح لمن له العزة والبقاء وقد رقصت فيه الاغصان وفاح الشيح والبعثران وتنسم ريح الصبا وتقلدت أعناق الغصون بعقود وجواهر الندا وألبست على رؤسها تيجان وتمايلت فى حلل الورق ورقص النهر بموجه فى الجروف وتسلسل الماء فى جداوله كأنه ثعبان وعانق كل غصن رفيقه بالاحضان وقد سرحت الوحش والغزلان على كثبان الرمل كأنه الزعفران وانتظمت سلاسل التمرحنا كأنها البرهمان وأرخت ضفائر النخيل وشقت عن الطلع الذى كأنه الكيروان واحمرت زهور الورد وفاح الياسمين الذى كأنه صلبان وكشف الريحان ورؤسه كأنها رؤس الحبشان وكأن منسرين أوانى بكور فى وسطها زعفران وذلك الوادى كأنه روضة من رياض الجنان كما قال فيه الشاعر :

أنظر إلى روض زهت أزهارها ❊ وفاحت أعطـــاره وتعبق
كسيت بحلل زبرجد أشجاره ❊ كعرائس الجياد هن تروق
وتصايح الهزار على ترنم بلبل ❊ يتلوه شحرور وصـــاح مطوق
رقصت غصون حين ترنمت ❊ طرباً وأوراق الغصون تصفق
والارض قد فرشت بفرش فاخر ❊ ذا سندس حسن واستبرق
من أحمر فى أصفر ومعصفر ❊ مع أبيض زاه وهذا أزرق

أهدت لنا روض الكمال لنورها ... بفتيت كافور عليها يسحق
وتوقد بيدى البرق مجامراً ... يرشح لنا من عرق مسك عابق
راحت بها ماء الجداول شرداً ... هاتان كل غدير ماء يدفق
غصت ببرد مياؤها غدرانها ... شرقا وأفواد الخمائل تشرق
والبان قد مالت غصون قدوده ... والريح فى التقريب منه يخفق
فالبرق يضحك والبلابل مدح ... والماء يسرح والحمام مطوق
أما الرياض مكلل ومتوج ... ومدلج ومنطق ومفرطق
والطير قد غنى على أفنانها ... هرج ونان فى الثقيل ومطلق
مغرد ومعدد ومردد ... يتلو الزبور بمعجم يستنطق
والروض فهو موشح وموسع ... وممهد ومغرد ومسردق
ومطلق ومسجن ومدفق ... ومطرق ومشنق ومنطق
وتجبر ومعطر ومستر ... ومؤزر ومجبر ومزق
والزهر فهو مكوفر ومعنبر ... وممسك ومهلل ومخرق
ومرصع ومجزع ومصبغ ... ومسج ومنجد ومحدق
والماء فهو معسجد ومزرد ... ومصيد ومعوض ومعبق
ومبابل ومملسل ومقلل ... ومسلل بين النسيم ومطلق
ومشرد ومغرد ومحبب ... كبارد من فضة ومروق
فكان ذاك الزهر نجم قد بدا ... يزهو وطوراً فى الغمامة يرشق
والورد كالوجنات حين تزهجت ... خجلا ولاثمها محب مشوق

(قال الراوى) فباتوا فى ذلك الوادى إلى أن طلع الصباح وخرج فى تلك المدينة وانتشر فى ذلك البر والبطاح فخرج عليه الغضبان وجماعته وساقوا الاموال والنوق والجمال فصاحت عليه الريعان من كل جانب ومكان فزعق عليهم الغضبان بصوت مزعج يفلق الحجر ويملخ الشجر يا أولاد الزنا سوقوا الجمال وخلوا عنكم الزور فى المقال ثم بادر إلى المقدم عليهم وكان إسمه جابر وهو عبد جبار لايصطلى له بنار وضربه ضربة طير رأسه بلا مداغمة ولا ممانعة فلما رأت الريعان تلك الضربة الزائدة الاهوال ساقوا النوق والجمال ثم أن الغضبان ساق المال مع خمسة من الرجال الذين كانوا معه ووقف هو فى خمسة ليرد من تبعه قال فوالله ما أبعدوا فى تلك القفار بالمال حتى ثار الصياح من خلفهم وقد خرجت الخيل من خلفهم من سائر الاقطار وعلا الزعاق والصياح وأقبلت الخيل وفى أوائلها

الاهوج بن عربيد المتوج له صياح كالرعد فى هدوء الليل وهو ينادى إلى أين تمضون يا أخس العرب ويا أندل من ضرب فى البيداء طنب وأنا لكم فى الطلب فعند ذلك صاح عليه الغضبان اسكت يا ابن الفقرتان أخرس الله منك اللسان وحمل عليه بقلب لاهو خائف ولا فزعان ومد إليه السنان كأنه لسان ثعبان وقال له دونك والطعان فأنا الذى أخذت مالكم ونوقكم وجمالكم فحمل عليه الاهوج لان الخبر كان قد وصل إليه من بعض الريحان الذين سلموا من الغضبان كما ذكرنا وحمل عليه كما وصفنا فالتقاه الغضبان كما ذكرنا بعد ما مد إليه السنان هذا والاهوج ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

إذا أخذت مال الرجال الفوارس	وسرت ولم تلق لديها منافس
فلا حملت يدى اليمنى لصارم	ولا جلت بالخطى يوم التداعس
أنا الاهوج المذكور فى حومة الوغا	مبيد الاعادى آخذ المنافس
فكم ليلة قد سرت فيها بهمة	يقصر عنها كل راجل وفارس
وكم مرة أصبحت للقول عامداً	وأسمع صراخ الجن والابالس
ونيرانها تشعل إذا الليل قد دجا	وأشخاصهم مثل النخيل العوابس
أصيح عليهم يرجعوا الكل شرداً	إذا ما رأوا سيفى كما نار قابس
فكم جحفل فرقته بمهند	ولاخفت من حرب الرجال القناعس
وسيفى إذا ما سل فى يوم معرك	تخر له جن الفلا والابالس
وذا اليوم تظهر لك جميع فعائلى	فلابد ما أخليك فى الارض ناكس

(قال الراوى) فأجابه الغضبان على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول:

إذا كنت بارزت الرجال الفوارس	وطاعنت بالخطى يوم التداعس
فإنى أنا غضبان فى حومة الوغا	بجندل أبطال اللقا والقناعس
ولى صارم كالشمس يبدو شعاعه	تقول أنت مصباح بدا فى الحنادس
ورمحى إذا ما اهتز فى يوم معرك	تخر له جن الفلا والابالس
وما هالنى باد عدا فيك مهالة	ولا خفت يوم الوغا من منافس
فسل عنى الابطال فى يوم حربها	يخبرك عنى كل قرم مداعس
فآخذ أموال الملوك بصارمى	أنا النسر فى أعلا السماكين جالس
أنا الجبل العالى على كل طالب	أنا قاهر الابطال يوم التنافس
أنا صورة الموت التى لو تصورت	لجميع الورى ماتوا بلا لمس لامس
أنا ابن من ساد البرايا بعزمه	عشيرة المشهور بين الفوارس

وقومى بنو عبس أهل الفخر والسخا   مناقبهم تجلى ظلال الحنادس

(قال الراوى) وبعد ذلك النظام أخذا فى النزال والصدام وتجريع الموت الزؤام وثار عليهما القتام وعمل بينهما الرمح والحسام واشتد البلاء والزحام وسكر من غير مدام وصار عليهما النهار مثل الظلام (قال الراوى) ولم يزالا فى صياح وكفاح حتى ذهبت منهما الارواح وتثلمت منهما الصفاح وتقصفت الرماح وكلت من تحتهما الخيل وقل منهما القوى والحيل وإذا بالغضبان زعق فى الاهوج وضربه بالسيف وإذا برأسه قد تدحرج فلما رأت القوم ملكها قد قتل حملت على الغضبان والخمس فوارس رفقاه فى الميدان وعمل الضرب والطعان واظلم النهار وبان وغابت عربان الفرقدان ونفخ الجبان كالثور الجيمان وانقطع دلو الحياة بالسيف والسنان وافترق شمل الثريا ومالت كفة الميزان وذبح سعد السعود بسعد الذابح رهان وانتفضت سهام المعمعة كالشهب إذا انقضت على كل شيطان وانجد الجدى من الوقعة فى حومة الميدان وخفى نور الشمس وظهرت النجوم والفرقدان كما قال الأصمعى مصنف هذا الديوان حيث يقول هذه الابيات :

أنظر لوقعة قد سمت وتطلب   بعد الضياء صارت كليل عاكر
فيها الصوارم قدحكت لكواكب   تنقض من جو السماء كريح سائر
وبنات نعش يرهجن كأنها   خود تشعشع فى كل غباء فاجر
والجدى كالرجل الذى ليست له   سنة وليس له حايف ناصر
وأما الثريا قد بدت من خلفها   دبرانها ولذاك قلب الدائر
والحوت سبح فى السماء كسبحه   فى البحر وهو بكل سبح باهر
وكواكب الجوز أشبه عوائد   تبدى لهن قواصر وأواخر
والشمس خود قد بدت فى أزرق   والبدر لابس أبيض متفاخر

(قال الراوى) وما زال الحرب يعمل حتى غربت الشمس بالزوال فلما رأوا ضرباته وزعقاته فى الميدان ولوا الفرار وهجموا فى تلك القفار وعاد عنهم الغضبان وسار وا طالبين أصحابهم فلما اجتمعوا بهم فرحوا بسلامتهم وهنوا بعضهم بعضاً وساروا فى تلك الارض وهذا الغضبان أمامهم يتمايل على ظهر الحصان ويتفكر فيما وقع له مع الأهوج بن الملك المتوج وما زالوا سائرين فى البرارى والقفار ليلا ونهار حتى قربوا من ديار بنى عبس ونزلوا فى واد من أودية تلك الأرض وكانت هذه الأرض روضة من رياض الجنان من كثرة الفواكه والأشجار فباتوا فيها تلك الليلة وهم فى أمان من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما طلع النهار أراد الغضبان أن يسير مع رفقاؤه فأعجبه ذلك الوادى وزهره

ونباته فأراد أن يقيم فيه ذلك النهار حتى يتفرج على أشجاره وأغصانه ويصطاد من وحشه وغزلانه ويتبرد من السفر بمائه وغدرانه لأنه كان زمن الربيع والأرض قد أخرجت زهرها وبانت الشمس فى برج الحمل والزمان قد راق واعتدل فأنشد يقول :

إذا حلت الشمس فى برج الحمل ... وراق الزمان لنا واعتدل
وقامت عرائسه تنجلى ... من الروض فى سندس من الحلل
وهب النسيم رقيق السحر ... يلاعب أغصانه بالميل
ولاحت جداوله شرداً ... وأضحت حمائمه فى صلل
وتأذل ذيل السحاب بالغمام ... كصبغ العقار إذا ما هطل
فزهر يفوح وطير ينوح ... وماء يسوح وشىء حصل
عمدنا إلى شرب مشمولة ... علينا السرور بها مشتمل
جلاها علينا مريض الجفون ... صحيح الجمال بعيد العلل
إذا ماس كالبدر قد القلوب ... وإن قال قلقل ركن البطل
ورحنا مع الراح فى عيشة ... إذا ذكر العشق كانت مثل

(قال الراوى) فاضطربت جماعة الغضبان لتلك الأبيات الحسان وإذا هم بالخيل جافلة وو راءها أسد طويل فى تقاطيع الفيل غليظ الجثة طويل له صوت كالرعد إذا ظهر ترى أنفه النار والسرور بفم أبخر وله عينان كأنهما الجمر إذا أسعر فلما أن رآه الغضبان خطف درقته وسيفه اليمان وكان ذلك السيف ماضى وعلى ذهاب النفوس قاضى كما قال فيه الشاعر حيث يقول

حسام عدا للروح كأنه ... من الله فى قبض النفوس رسول
يقوم صبى العين فى رقداته ... ويطيح فى أشباحه ويجول
كأن جنود الذل كسرن فوقه ... قرون جراد بينهن دخول
إذا ما تمطى الموت فى يقظاته ... فلا بد من نفس هناك تسيل
وإن لاحظ الأبطال أوصلح الطلا ... تشحط يوماً بينهن قتيل

(قال الراوى) ثم أنه حمل ذلك الأسد وهو يقول تخطر فى أرض أكون فيها موجود ختياً لك بين الأسود فلما رآه الأسد حمل عليه وزعق على الغضبان ووثب عليه فالتقاه الغضبان وضربه بين عينيه فشقه إلى لخذيه ثم أنه أخذ قلبه أكله وشرب من دمه وعاد إلى أصحابه فالتقوه وهنوه بالسلامة من ذلك الأسد فشكرهم وأثنى عليهم وبعد ذلك ساروا من ذلك الوادى المشهور المذكور طالبين ديارهم فلما وصلوا إلى العلم السعدى خرج عنتر إلى لقاء أولاده وقد فرح بسلامتهم قلبه وفؤاده ودخلوا إلى البيوت ودخل الغضبان على

زوجته دعدا وهى لم تصدق أن تراه سالماً (قال الراوى) وأقام عنتر مع أولاده فى فرح وهناء وسرور وغبطة وحبور وعملوا الدعوات والولائم على الغدران وتلك المعالم وقد هابته العربان وأهل المناطق والغدران وطلبوا منه ومن أولاده الذمام والأمان ويعطوه الجزية فى كل عام (قال الراوى) وأقام عنتر على شرب المدام وترويج الطعام أعوام فقل ماله ونوقه وجماله من كثرة الدعوات والولائم حتى اقترض من نوق عبلة مائة ناقة فقال لعروة يا أبا الأبيض أنا لا أقدر على الدين فشد عزمك واعزم بنا على السفر أنت وجالك وأولادى وأخى شيبوب وإبنه الخذروف فأجابه فى ذلك وأعلم رجاله قال الراوى وباتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بكوكبه ولاح فعند ذلك ركب عنتر سيد الأبطال والأقران وركب والده الغضبان وإخوته غصوب وميسرة ومازن فارس الغبرة وعروة بن الورد ورجاله وأبطاله وهم ثمانون فارساً وشيبوب من جملة من كان معهم ثم إنهم ساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى أنهم يقعوا بغنيمة يغتنموها لأجل أنهم يأخذوها وينحروها فى الولائم لأجل من يقدم عليهم من العربان لأجل السلام والتهنئة إلا أن بنى عبس لما أصبحوا فلم يروا لعنتر أثر خافوا وأعلموا الملك قيس بالأمر والخبر فقال لهم عند ذلك الملك قيس يا بنى عمى أن ابن عمنا عنتر رحل وحده بعسكره ونحن قدر أهل الأرض وأكثر وعنتر ومن معه ثمانون فارس مثل الليوث العوابس ولا يقع أمر منكر إلا ويكون بقضاء وقدر ثم أن القبيلة قامت بعده تحت الخوف والفزع قال الأصمعى وأبو عبيدة وحازم المكى لهذا الخبر وأما ما كان من عنتر فإنه سار ذلك اليوم والثانى بلا تطويل ولا توانى حتى قامت الشمس فى قبة الفلك وكاد كل واحد منهم من شدة التعب أن يهلك ونظر شيبوب يميناً وشمال وإذا هو قد ضل عن طريق تلك الأرض والرحال وقد وقع فى برية قليلة النبات والهندام يقال لها برية الأصنام لا يسمع فيها غير زمجرة الجان ونباتها شجر الغيلان وتظهر النار من حجارتها الصوان قال فلما نظر شيبوب ذلك الأمر المنكر وقف وهو فى أموره متحير ثم أنه صاح بعنتر وقال له نحن ضللنا عن الطريق لأن هذه الأرض لى عنها مدة سنين وأعوام ما جزت فيها ولا لى فيها رفيق فقال عنتر فلم لا تخرج بنا إلى أرض غيرها فقال شيبوب اعلم أننا إن سرنا يميناً وقعنا فى أرض يقال لها أرض الذباب وبقربها واد يقال له وادى صارخ تخاف منه سائر الخلق أجمعين لأنه مسكن الجان والشياطين قال فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك قال له سر ولا تخف لا من إنس ولا من جان فسر إلى الطريق المستقيم (قال الراوى) فعند ذلك عدل بهم شيبوب عن يمينه فى الوقت والساعة على أثر الطريق ولا خاف من تعويق وقد تبعه أخوه عنتر الفارس القسور وهو مثل النسر المعمر ولا عنده خوف ولا حذر وقد جاش الشعر فى خاطره فباح بما كانت عليه ضمائره فأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

أبدت قبائل العربان حتى ذل لى كل جبار جثوم
ولو أنى لقيت الجن يوما تولت من سوادى فى التخوم
لو جاءت من المردة جنود طعنت القلب منهم فى الزروم
ولو ملت على الجن يوماً بأسياف وسهم من سموم
لقاتلت الجميع ولا أبالى ولو كانوا كأعداد النجوم
فكم من ليلة قد سرت وحدى بغير الفتيان مختلق هضوم
وتنظر بى شخوص الجن تخفى وتهرب من حسامى فى التخوم
وأصوات لهم كالرعد تبدو وتقمقع فى دجى الليل الزهوم
أنا يوم الحروب فلا أبالى ولا الغضبان وإخوته نجوم
أيا شيبوب لا تخشى فنحن لهم كأمثال الخصوم

فلما سمع شيبوب تلك الأبيات تقدم قدامهم وتبعته السادات حتى وصلوا إلى أرض صارخ وهم يقطعون تلك الأرض والفراسخ وإذا هم بخمس فوارس كأنهم النخل اليوابس طوال الأبدان والأجساد كأنهم من قوم عاد أو من السبع الشداد غلاظ الشكام صغار الأكام وتحتهم خيول سود الألوان مشققين المناخر والأذان يضرب سوادهم إلى الحمرة والصفرة والخمس فوارس مستوون فى طول القامات عريضى الهامات مشققين الأحداق كبار الأشداق بأرجل كالصوارى وأيدى كالمدارى وهم يهمهمون همهمة الرعود وتارة همهمة الأسود وهم متقلدون بالصفاح معتقلون بالرماح لابسون الخوذ والزرد والسلاح فلما رآهم عنتر ومن معه من البشر وهم سائرون التفت عنتر إلى غصوب وقال له اخرج إلى هؤلاء الأشخاص الذين هيآتهم عجب وانظرهم من أى العرب فامتثل غصوب كلامه وتقدم بالحصان فسبقه الغضبان وأطاق العنان حتى صار مع تلك الفرسان ونادى ياويلكم من أى العرب أو من أى الناس أنتم يا وجوه العرب وأى شىء جاء بكم إلى هذه الأرض وما السبب أخبرونى عن الحسب والنسب وارموا الدموع والسلب قبل أن تشربوا شراب العطب وإن كنتم أصدقاء فابشروا بالسلامة وإن كنتم أعداء فابشروا بالندامة فلم يتم كلامه حتى انقض عليه فارس من الخمس فوارس كأنه جذع النخيل اليابس وطعنه بالرمح فى صدره طلع يلمع من ظهره وشاله على الرمح بالعرض وحذفه بقى على وجه الأرض فلما نظرت بنو عبس إلى ذلك الحال اندهشت عقولهم وأبصارهم وأما عنتر صاح صيحة كاد قلبه أن ينفطر واسودت الدنيا فى عينيه واتكأ على رمحه وغشى عليه ولا بقى يعرف ما وراءه ولا ما بين يديه وحمل عروة بن الورد وحملت معه أبطاله ورجاله فتلقوهم تلك الفوارس

بطعنات هائلات نفذت من أجسادهم وقتل جواد عروة فرجع إلى عنتر وهو غائب عن الوجود وصاح انجدنا يا أبا الفوارس وانظر حالنا وما تم علينا وماجرى لنا فلم يرد عليه ورأى عروة جواداً شارداً من خيول أصحابه فركبه ورجع إلى أصحابه فرأى نصفهم على التراب فصادف جواد شهاب فوقع قتيل فرجع ثاني مرة إلى عنتر ودمعه على خده يسيل فوجده غائب فى غشوته لا يعرف بحال رفقته ولا ماجرى على أبطال عشيرته فصاح عليه إفتح عينك يا أبا الفوارس فقد وقعنا فى المهالك وما بقى لنا خلاص من ذلك فلم يجبه بجواب ولا أبدى له خطاب فرجع عروة إلى أصحابه فوجد الثمانين بقى منهم عشرين والباقى طائرين على براق السيوف كأنهم الندوف فتحير عروة من ذلك وعلم أنه هالك فولى هارباً يركض على رجليه حتى وقف عند عنتر ونادى بصوت مزعج أفق يا حامى عبس من سكرتك فقد قتلت أولادك ورفقتك فعند ذلك فتح عنتر عينيه وهم مثل كاسات الدم الأحمر من شدة فجعته وقد تنعنعت جوارحه ومهجته ودموعه نازلة على لحيته قال له يا أبا الأبيض هل تعلم قاتل ولدى دلنى عليه حتى أشفى فؤادى بأخذ روحه من بين جنبيه قال أنظر ما بين يديك وانظر أولادك ومن بقى من أجنادك فالذى قتل الغضبان الذى فى أولهم فلما سمع عنتر ذلك الكلام استلب الرمح الأسمر وعينيه تقدح الشرر وحمل وأقام يده بالرمح وطعنه فى صدره فانكسر وأرماه وجذب الحسام وضربه فانثنى والتوى فزاغت عينيه والوى عنان الجواد وقال النجاة يا ابن عمى النجاة فصاح عروة ماهذا الحال يا أبا الفوارس فقال ما هذا يوم قتال يا أبا الأبيض فقال عروة فى هذا اليوم يفوت الصديق صديقه ويتخلى عن رفيقه وأنا راجل بغير جواد فجذبه عنتر بقى على كفل جواده فطلب أهله وبلاده وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

أشرب الذياب ذياب الفلا ترى الوحش من خيفته جفلا
يقول صحبى فماذا الذى تجد وما كان أصل البلا
تولى وأنت شجاع الحروب وأنزلت بالعرب شر الملا
فقلت أرى جنساً غير جنسنا وتفزع منهم أسود الفلا
نظر إبنى وقد رآهموا . فوارس فى الحرب لا تصطلى
طعنه طعنة قد تجندل بها وصار طريحاً بها مقتلا
يشكى وحش الفلا لأجله وتندب عليه طيور العلا
تعايرنى وصحتى بالهروب وأنا قد وصلت لأبراج العلا
وقهرت للفرس من صولتى وأنزلت بالاسد ضيم البلا
وقالوا تولى فناديتهم أعاير بهذا ولا ابتلا

(قال الراوى) فانعقدت عليهم الصيحات والزعقات والصرخات وتنازلت عليهم النار

والأحجار وهم مولون الأدبار حتى بقوا خارج الوادى فرآهم عنتر وهم خمس فوارس فولى عنتر وعروة وميسرة وغصوب ومازن فهذا ما كان منهم وأما شيبوب والخذروف فإنهما لما نظرا إلى الغضبان وقد قتل الفرسان طائرة مثل المطر فألقى رجليه للريح وطلب البر الفسيح فتبعه الخذروف وجد بالمسير حتى وصلوا إلى أرض الشربة وأطلق الصياح بموت الجميع فانعقد الصياح ولطمت عبلة على رأسها وقطعت شعرها ومزقت ثيابها وعلا بكاها وانتحابها وكذلك نسوان أولاد عنتر والفرسان وبلغ الخبر إلى قيس فأحضر شيبوب وسأله عن ذلك الخبر فأخبره بما تم عليهم من الفرسان والبنات والنسوان وانقامت فى بنى عبس الأحزان والبكاء والنواح بالمساء والصياح فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد ومن معه من الفرسان الأجواد فإنهم لما بعدوا عن الوادى واطمأنت نفوسهم وهدأ روعهم ورأى روحه بعين النقصان لما انهزم فى تلك القيعان وكيف هلكت أصحابه الأقران وكيف يرجع إلى الأوطان بغير ولده الغضبان فبكى وأن واشتكى وأشار ينشد ويقول :

ألا أيها الغادى لحى بنى عبس ... تخبرهم بالتعس عنى وبالنعس
عشية قد رحنا ثمانين فارس ... ومن حينا طير يطير بلا حس
إلى أن أتينا نجود واد قد سمى ... بواد صارخ عج القلب والنفس
إذا نحن عارضنا فوارس خمسة ... كل منهما كالرعد فى ظلمة الغلس
فعارضهم غضبان بالحرب عاجلا ... تخلوه مطروحاً بلا دفن فى الرمس
وكنا ثمانين فعدنا خمسة ... من الموت أفراد تحت بناء خمس
لقينا أبا شاس وشاسا ومالكا ... وعمر فشاجت من لقاهم خمس
لقد أوقعوا فى جانبنا كلامهم ... يطعن كوع النار فى الحطب اليبس
لقيت رجالا ليس من نسل آدم ... ولا خاتقهم خلقتى ولا جنسهم جنسى
فما قطعت أسيافنا حين أقبلوا ... ولكنهم انثنوا من الضرب واللمس
فقلت لأصحابى وقد حان موتهم ... أقيموا صدوراً للفرار بلا حس
فليس للفرار يوماً عيباً على الفتى ... وقد جربت منه الشجاعة بالأمس
ولا بد لى من مغارة فى ديارهم ... ولو هربوا منى إلى مطالع الشمس
لأنهم قد أفجعونى بسيد ... قتيلا بلا حد حواه ولا رمس
أيا ولدى يا غضبان يا غاية المنى ... لقد كان بدر ثم طلعة الشمس
فوا أسفا فى من بعد مصرع جثته ... وواحزناه من سيد كان لى أنس

لقد كان سيفاً لى يصول على العدى ... فأرماه سيف الدهر بالتعس
فلا زلت أبكيه وأندب شخصه ... إلى أن ترمينى الحوادث رمس
لقد كنت ليثاً من ليوث بغابة ... تعدت لهات العدا كا الدرسى
سقى الوابل الوسمى قبرك والندا ... ولا طلعت من فوقه أبداً شمس
أيا ولدى الغضبان ذوبت مهجتى ... وخليتنى أبكى صباحى مع أمس
فلا بد ما أبكى عليك بحرقة ... وأجرى دموع العين كالدم فى الطوس

(قال الراوى) فوالله ما فرغ عنتر من هذه الأبيات حتى انهملت العبرات وتقطعت القلوب من الزفرات ونادى غصوب وأخاه وأسفا عليك يا غضبان وأنشد يقول :

أخى من يكون لى الآن بعد مسعد ... ومن ذا ويكون لى مؤنساً ومواسيا
أخى اليوم قد أصبحت مجندلا ... فياليتنى من قبل فقدك ساويا
أخى من يرد الخيل عنا إذا أقبلت ... فوارسها تهوى بسمر عواليا
فلا كان يوماً صرت فيه مجندلا ... على الارض مكبوتاً من الرماح عاريا
حرام على بعد فقدك لذة ... ولا نظرت عينى لفرخ زهيا
ولا ضاجعتنى فى الليالى خريدة ... ولو أنها كالبدر عند الكماليا
ولا حملت يدى لكأس مدامة ... ولا قمت بالحظى بين المواليا
وقصانها ما عدت ألبس جديدها ... ولا أحضر الراحات طول زمانيا
ولا أحلق لشعر الرأس فى العيد عامدا ... إلى أن أوسد فى الثرى وأبقى فانيا
لا منح قبرك الغيث المطول عشيه ... من المزن سلسبيلا لها ثم للشح جاريا

فلما فرغ غصوب من هذه الاشعار جدوا المسير فى البرارى والقفار حتى أنهم أشرفوا على الديار فوجدوا الحى منقلب بالنوح والبكا والصياح فالتقتهم عند ذلك النسوان بالبكا والاحزان وهم مثل الغربان لبس السواد وكثرة النوح والتعداد ونظرت دعا إلى ابن زوجها عنتر والغضبان ما هو معه ففاض دمعها وتحدر ونزل على خدودها وأنشدت تقول :

ألا يا عين جودى بالبكا ... وفيضى بالدموع وبالدماء
على الغضبان والبطل المكنى ... قتلا فى السباسب والفلاه
ورأيت بناظرى أقصى مرادى ... وقد أدهم بقتلته قواه
شامت به العداة بشجو قلب ... يقاسى الهم من عظم القلاه
فديتك من قتيل هد ركنى ... وألبسنى الهموم مع الشقاء
ففى كبدى لفقدك حر نار ... وفى الاحشاء داء أى داء

وهل ترى يطيب العيش يوماً غريبة أهلهـا بين الملاء
سأبكى ما حييت بطول عمرى على الغضبان إن عز البكاء
وأبكى فى الصباح وكل فجر وأبكى فى الظلام وفى المساء
منحك الله يا غضبان غيثاً غزير الورود عليك كل مساء

(قال الراوى) فلما فرغت دعدا من كلامها وهذا النظام تقدمت عبلة إلى عنتر وقالت له طول ماتعيش لنا وتبقى فإننا مانرى بؤساً ولا شقا وكلنا ياابن العم هذا المصير مصيرنا ولا يبقى غير مصير النجوم والحى القيوم فبكى عنتر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا عبلة قلى العذل لا تعذلى فالنار جوى القلب منك تشعلى
لا تعذلى فالقلب فيه جمر فإن شئت هجرى فالهجرى لا توصلى
ياواحدى الغضبان بعدك لم أذق نوماً وفقدك عن طعامى مشغل
آه عليك إذا النفوس تجرعت كأس المنون وكل دمع مهطل
آه عليك إذا النفوس تطايرت والروح تنهب بالرماح الذبل
آه عليك وأنت فى يوم الوغا أمل النفوس ونزهه المتأمل
آه عليك فكم همـام فاضل جندلته فى يوم صحرا سحبل
آه عليك وجمع آل مزينه غاروا عليك فكنت لاجمعهم كـلى
آه عليك وقـد بقيت مجندلا رهناً عفيراً فى الثرى والجندل
آه عليك ورعد سيفك سابق سحب السيول ورمحك شغل
آه عليك وأنت فى يوم اللقـا تسقى فوارسها بقيع الحنظل
آه عليك وأنت فى يوم الوغا تحمى حمانا بالرماح الديل
سيفك حامى بريقهـا وسنانها ورمحك جلاها بكل جو قسطل
وإذا تراكب الغمام سماؤها فتثير أفواه الدماء المطل
وترى الرؤس لذى الهياج كأنها برد متناثر من سحاب مقبل
قد كنت تخطف للنفوس مبادراً وتخوض فى نهار اللقا والقسطل
وإذا الفقير أتى لجوادك قاصداً تبغيه ما يرجوه من خير آمل
يا دهر لست بجازع الملة تجرى فكم يوم كصرفك مقتل
يا نفس ما الدنيا لكى مطيعة كم قد دهتكى وأنتم كم تتأمل
يا عين جودى بالبكاء تأسفاً وإذا عزمتى على البكاء لا تبخل
لاطاب لى من بعد بعدك لذة حتى أموت وألحد فى منزل

وأبكى عليك دما إذا عز البكا   وأنوح ما ناح الحزين المبتل
فعليك يا ولدى التحية ما نشدت   قرية وشـــدا نسيم الشمال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات ودموعه على خده جاريات أقبل الملك قيس على الصرخات فرأى عنتر أولاده إلا الغضبان ما رآه بينهم وما نظر الذين بصحبته فعلم أن شيبوب ما قعد عندهم بعد موت الغضبان بل أنه طلب البرارى والقيعان فتقدم إليه وأعتقه وكذلك إخوته وعشيرته وهنوه بسلامته فبكى عنتر لما رآهم وعنده زوجة الغضبان وجميع النسوان وعبلة بينهم نافشة الشعر ظاهرة الأحزان وهى تقول الحمد لله على سلامتك يا حامية عبس وعدنان فهاجت بعنتر النيران وغلبته الدموع طوفان فصاح وناح بمكنون سره وأباح وأنشد يقول :

ترنم فى جنح الظلام حمائم   تهيج الأشواق تضمها صدر
وخبرتنى دون الأنام حمامة   ترفرف على الأغصان والورق الخضر
إذا ما الصبا أهدت نسيمها   طربن بلا إيصال عود ولا زمر
فهيجت أحزانى بقتلة واحدى   ومن ذكره قد سار فى البر والبحر
أيا عبلة نوحى واندبى ثم عددى   على ولدى المقتول بالمكر والغدر
أيا عبلة ابكى لى بوجد وحرقة   نوحى على الهجام بالبيض والسمر
أيا عبلة ابكى فارس الخيل واندبى   وابكى وأحدر الدمع فى السر والجهر
أيا عبلة صيحى فى الدجا وبلغى   صراخك للغضبان فى البدو والحضر
أيا عبل لو أبصرت غضبان هاويا   إلى الأرض مكبوبا على الوعر الصخر
أيا عبلة نوحى واندبى كل ساعة   على ولدى المقتول فى مهمة قفر
أيا عبلة إنى قـــد فجعت بقتله   وإنى وبيت الله منقسم الظهر
أيا عبلة خلى الدمع فى الخد جاريا   ونوحى على الغضبان ما بقى الدهر
فرا أسفى من بعد مقتل واحدى   فلا لذ لى عيش ولا طاب لى خمر
فلو كان هذا الموت يظهر لفارس   لقارعته بالبيض طورا وبالسمر
وجندلته فى الأرض ثاوى معفرا   والقيته فى البر بالكر والفر
ولما تجندل غصص عيشى لفقده   ويا دهر كم جرعتنى المر والصبر
غضبان ما أنساك ما هب الصبا   وطول الليالى تكمل ما غرد القمر
أوددتك يا غضبان تشد دلساعدى   وتبقى فى عبس إلى آخر الدهر
رجوتك يا غضبان حصنا محصنا   لعبس بطول الدهر ماهتف الغر

رجوتك يا غضبان تدفن قامتى ... قتلت وقد قطعت رجاى مع ظهر
رجوتك يا غضبان تخلف عنتراً ... وتساعده فى موقف الفر والكر
أيا ولدى ذوبت للقلب والحشا ... وحيرتنى والله فى أمر
أيا ولدى هيجتنى بعد هجعة ... أيا ولدى حيرت عقلى مع فكر
أيا ولدى أطلقت دمعى وفكرتى ... أيا ولدى أوقمت حالى بلا نكر
أيا ولدى قد شيب الشعر فى ... قتلت يا غضبان أحنا لى ظهر
أيا ولدى ما ترحم الشيخ عنتراً ... أيا ولدى لاجلك دموعى دما تجر
فإن كان قلبى صابراً متجلداً ... فنقدك يا غضبان اشتد بى ضر
فقد كنت نور العين والقلب والحشا ... فقد صرت أعمى لا أروح ولا أدر
فعينى قد غشت وأغرق دمعها ... وعميا فى التحديد والنوح والفكر
وكبدى باكياً لم يزل بحرقة ... وقلبى يقالب للهموم مع الضر
فمن كثر دمعى بالعزيمة قد بدا ... على سهلك لؤلؤ الدموع مع الدر
حرام على الخمر والزهر دائماً ... حرام على لذة العيش فى العمر
حرام على أن أضاجع عبلة ... حرام على أترك الخيل تكر
حرام على أحلق رأسى ومفرقى ... مع أهل الهنا والعيد مدام ذا الدهر
لا ألبس الثوب الجديد ولم أكن ... لذكراك ناسى أو تغيب عن فكر
ورجوتك يا ليث البرية كلها ... تحمى حمانا دائماً ما مر الدهر
تخطفك الموت المعجل بغتة ... فصرت رهين القلب ماقى على الهجر
سقا الله قبرك كل وقت وساعة ... من السحب مزن الغيث منهطلا يجر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات قصد إلى المضارب والابيات وحرم على نفسه الركوب وأجرى الدمع المسكوب ولا يحلق شعر رأسه ولا يحضر عيداً من الاعياد مع أهله وناسه ولا يركب حصان ولا يشرب خمر الدنان ولا يفارق لبس السواد ولا يخلع عن بدنه ثياب الحداد مالم يعرف قاتل ولده الغضبان وفرحت فيه أعداءه والحساد وكان أكثرهم فرحا عمارة بن زياد ولم يزل عنتر مواضباً على المضرب الذى ضربه وسماه بيت الاحزان مدة شهرين من الزمان فسمعت بذلك أصحابه وأصدقائه فقصدوه حتى أنهم يعزوه فكان أول ماقدم عليه دريد بن الصمة وعامر بن الطفيل وزيد الخيل وعمر بن معديكرب وحجار بن عامر وروضة بن منيع والملك عباد والملك بن نعمة الاشتر وحصن المازنى والعباس وحاتم الطائى وخناف وهانى بن مسعود وعتبة بن شهاب وجميع الأصدقاء وهم يدخلون عليه ويعزوه ولم يقدروا من بيت الاحزان يخرجوه

فأقاموا عنده واحد وتسعين يوماً فعند ذلك تقدم دريد إلى الملك قيس وقال له يا ملك عبس وعدنان إن تركنا هذا الرجل على عقله هلك فى بيت الأحزان فدبرلنا فى إخراجه من هذا المكان لأنك أنت المسمى بقيس الرأى بهذا الزمان نعرف هذا الأمر إلا منك كما تعلمون من الرأى عنك فأطرق رأسه الملك قيس إلى الأرض ساعة وقام إلى مضربه ودعا بعبلة بنت مالك إليه فأحضروها فقال لها اعلمى ياعبلة أن ابن عمك عصى علينا وعصى على جميع العربان وقدا نقطع فى بيت الأحزان فتسمع بذلك الأعداء والحساد فيطمعوا فينا ويقصدونا من كل شعب وواد وأنا لا أعرف إخراج عنتر من بيت الهم والغم إلا منك وقومى تسيرى وتقفى بين يديه وتقولى له ماهذا وكذا وكذا فأجابت عبلة بالسمع والطاعة وقامت من وقتها ودخلت على عنتر وقبلت رأسه وقالت له ويلك يا ابن العم أما لهذا الحزن أن يزول وقد أفرحت أعداءك وأزعجت قلوب أصدقاءك أكابر العربان مقيمين عندنا ومفارقين أهاليهم والأوطان فقال لها عنتر هل فرغ ما عندك من الأموال والنوق والجمال فقالت له عبلة حاشا أن يفرغ من عندك رزق يا ابن عم فقال لها سيرى إليهم وأكرميهم أنا لا بقيت أفارق هذا المكان فعند ذلك حنت عبلة عليه وقالت له حيث أن الأمر كذلك فقوم ردنى إلى أهلى ثم أنها بكت بتنهد ودلال وغازلته بطرفها الأدعج فقام على حيله مسلوب العقل ملجاج خرج من بيت الأحزان فتلقته جميع العربان وهو ماسك أحشاه وزعق آه واولداه فاعتنقه الملك قيس ودريد وجميع مقدمين العربان فقال عنتر يا ملك الزمان اعلم أن فى قلبى جمرة وفى فؤادى حسرة لا تبرد إلا بقاتل ولدى ومقلقل أحشائى وكبدى فقال له قيس ومن هو خصمك يا أبا الفوارس أعلمنا به ونحن نسير كلنا بين يديك ونلحق أثره ونقطع خبره فقال عنتر أنت أخبر بالذى جرى على ولدى فقال الملك قيس الذى أعلمه لى الفرسان أن الذى قتل ولدك الغضبان خمس فوارس ولا أحد يعلم لهم مكان فقال عنتر لا بد من المسير وآخذ بثار ولدى وأنت باختيارك وأما ما أغصبك على مسيرك لأنى ما بقى لى بعد الغضبان بالحياة حاجة فلا تكثر على اللجاجة لأنى أريد أركب على ظهر الحصان وأتجرد على قتل جميع العربان من جميع الجبال والوديان فأما أبلغ المراد بموت قاتل ولدى بجملة من أقتله من عرب المهاد أو أقتل وأصير عددعلى الآكام فهاجت العرب من ذلك الكلام فقال لهم دريد اصبروا يا وجوه العرب ولا تلوموه فإنه مسلوب العقل ولا تقدروا تعدلوه فلابد ما يرجع لعقله فأجابوه بما قال وأطاعوه فقالوا له جميع العربان ها نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ولو طالبت كسرى أنو شروان الذى هدت منه الأركان فقال عنتر إن كان الأمر على ماتقولون اركبوا خيولكم وتحصنوا بسلاحكم فعند ذلك عادت الرجال وركبت على الخيول العوال وصاح صائحهم بالارتحال فكانوا اسبعين ألف فارس بديبال وركبت بنى عبس الأبطال وخلفوا ألف فارس مع الأمير ورقة الربيع لحفظ الأطلال

وتقدم وأولاده فى مقدمة الفرسان وانجرت من خلفه السبعين ألف عنان الاظلال فتقدم شيبوب وقال لاخيه أين تقصد فى الاول من الاراضى والمنازل فقال له اطوى بر الحجاز إلى أعلا النسر السماك فإذا وصلت إلى تلك الدمن اعطف على مطالع الفرقدين وبلاد اليمن فإذا محقنا ما فيها من الكبار والصغار انزل إلى سواحل البحار ثم ارجع إلى تحت بنات نعس وديارهم وناخذ فى أرض الحجاز فى آثارهم فلعل قاتل ولدى يقتل فيمن أقتله من الفرسان فلما سمع قيس كلام عنتر إلى أخيه شيبوب التفت إلى دريد شيخ عرب الجاهلية وقال له ما تقول يا شيخ العرب فى هذه القضية فقال له دريد قدام ملوك العربان يا قيس أنت أمها وأبوها رأيك المعول أنت الذى دبرت على إخراجه فى الاول فلا تعرف هذا الامر إلا منك فقال قيس أنا قد خطر لى خاطر ينجى جميع العربان أهل وآخر من سيف عنتر الباتر فقال دريد أعلمنى بما خطر فى بالك بحج الله جميع أعمالك فقال قيس أنا على رأى أنت عليك تعرفنى باسم كل قبيلة تقدم وذلك أننا قبل ما نقدم عليها نكتب كتاب ونرسله مع رسول ونجاب ونكتب فيه إن ساعة وصول هذا الكتاب إليكم وقبل وضعه فى يدكم تخرجوا الحريم والنسوان وهم مكشفين الرؤس والوجوه بين كل إنسان ويكون لبسهم السواد ورجال القبيلة حفاة مشاة على الاقدام معلقين السيوف فى رقابهم فإذا التقوا يبادروا عنتر بالسلام والإكرام ويعزوه فى ولده الغضبان ويبكوا قدامه ويظهروا الاحزان ويحلفوا له بأجل الاقسام أنهم لا يعلمون من قتل ولده الغضبان فإذا فعلوا ذلك الامر والشأن فتقول أنت افتح عينيك يا أبا الفوارس وانظر ما بين يديك فوحق ذمة العرب لو كانوا هؤلاء قتلوا ولدك وطلعوا لك على هذه الحالة كنت عفوت عنهم ولا تكلمهم وأساعدك أنا ومن معنا من العربان فقال دريد لله درك من ملك همام وصاحب رأى ثم جدوا فى المسير حتى قاربوا بنى ضهيه فأرسلوا لها نجاب بما تقدم من الكلام وهم يقولون نحن ما فعلنا هذه الفعال الاخوفا من النساء والرجال لان عنتر اليوم فى سبعين ألف من الابطال فما وصل إليهم الكتاب حتى أتت النساء والبنات والمشايخ والشبان وتقدم دريد إلى عنتر وتكلم بما قال له قيس وساعدوه العربان وعنتر ساكت ساعة من الزمان وقام قامته وقال والله أنا أفاكر يا أبا النظر فى هذا الكلام فقبل عنتر عذرهم وقال لعبيدهم قوموا لهم خيولهم يركبوها وردوا نساءكم وبناتكم إلى خدورها ثم أنهم ركبوا فى صحبته وساروا إلى غيرها ولم يزالوا من قبيلة إلى قبيلة حتى اكتمل صحبته خمسمائة قبيلة وها أنا أعدهم: بنى صعصعة وبنى الهزل وبنى يربوع وبنى مرة وبنى ذهل وبنى شيبان وبنى عدون وبنى السكاسك وبنى السكون وبنى زغبة وبنى رياح وبنى قشير وبنى الطماح وبنى كنانة وبنى قحطان وبنى تميم وبنى قيان وبنى حنظلة وبنى طى وبنى عدى وبنى تيم وبنى ثقيف وبنى النظيم وبنى فقيم وبنى حمزة وبنى أمية وبنى حمير وبنى كندة وبنى سعد وبنى وهران وبنى زهران وبنى رهط وبنى بكر بن وبنى وائل وبنى شكر

وبنى مروان وبنى ثعلبة وبنى النمر بن ساقط وبنى خزاعة وبنى غنيم وبنى حرب وبنى عجل وبنى لجيم وبنى مالك وبنى الصعبة وبنى العران وبنى حنيفة وبنى العنير وبنى الجهنى وبنى عكاظ وبنى عطيه وبنى السدويس وبنى تيم وبنى جندب وبنى محكم وبنى ربيعة وبنى برجم وبنى الريان وبنى سعيد وبنى مفقر وبنى خصم وبنى الهادم وبنى قناعس وبنى وبورة وبنى مازن وبنى دارم وبنى نهتل وبنى قشمسر وبنى دودان وبنى الجون وبنى اللهوب وبنى دراج وبنى أشجع وبنى خميس وبنى عروانه وبنى منصور وبنى قيس وبنى عيلان وبنى معاوية وبنى كعب وبنى نمير وبنى جنبل وبنى عقيل وبنى عجدة وبنى جعفر وبنى جعدان وبنى دريد وبنى سبا وبنى مدجج وبنى الفيدان وبنى الجاورة وبنى مدلج وبنى يعدب وبنى حتر وبنى العطبول وبنى غطفان وبنى سرورة وبنى حافظ وبنى حذيفة وبنى حريقه وبنى عافية وبنى فراس وبنى اشتر وبنى غزية وبنى النهاش وبنى خالد وبنى باغض وبنى عبد شمس وبنى الريان وبنى كليب وبنى كردم وبنى حسان وبنى حدمان وبنى مشاجع وبنى جشعم وبنى حتام وبنى اليمامة وبنى غسان وبنى تنوح وبنى بارق وبنى طارق وبنى المنطلق وبنى بجيلة وكانت كل هؤلاء القبائل سائرة بالأمير عنتر حتى وصلوا إلى بنى كندة هذا وامرؤ القيس ابن مسعود فطلع إليه ولاقاه وسلم عليه وقال يا أبا الفوارس قد نلت حظاً عظيماً وقد وصلت إلى مقام ما ناله أحد من ملوك الأرض والأقاليم وهذا شىء أقوى من تعاليق القصيدة ولا وصل أحد إلى ما قد وصلت إليه ولاسيما هذه العربان وطاعتها إليك وقدومها وما بقيت تعود إلا أن تقر بالوحدانية وتفوز بمعرفة خير البرية المبعوث من تهامة صاحب التاج والكرامة والسلامة المظلل بالغمامة عليه أفضل الصلاة والسلام إلى يوم القيامة فقال له عنتر وما يكون هذا الرجل الهمام يا مولاى الذى تقول عليه هذا الكلام فقال رجل إسمه محمد وهو نبى آخر الزمان ورسول الله الملك العلام ومصباح الظلام والشفيع يوم الزحام الصوام القوام فقال له عنتر أريد أنه ترشدنى إليه حتى إننى أدخل فى دينه وأكون من جملة أعوانه وأنصاره فقال له امرؤ القيس إنه أردت أن تعرف ذلك فانهض بعزمك وقم بنا واترك عنك المعاندة حتى تسير إلى بين أيادى القيس بن ساعدة لأنه كاهن من كهان هذا الزمان وعنده معرفة بسائر الأنبياء وسائر الأديان فهذا الذى يخبرك بهذا الأمر والشأن ويخبرك بقاتل ولدك الغضبان فلما سمع عنتر ذلك الكلام قام واقفاً على الأقدام وركب معه امرؤ القيس وركبت جميع العربان والفرسان وجدوا المسير فى تلك البرراى والمهاد حتى إنهم وصلوا إلى بنى أياد ونزلوا وساروا إلى حضرة القيس بن ساعدة لأن الله سبحانه وتعالى قد ألقى عليه الهيبة والقبول وفصاحة اللسان وجعل له جاهاً بين العباد حتى أن السباع تقبل عليه وتقبل يديه ورجليه وإذا نام تدور من حواليه وكان عارفاً بجميع الحوادث فلما دخل عليه عنتر قام على قدميه وأخذه على جانبه وسلم عليه وسأله عن مجيئه فشرح له موت

الغضبان وما جرى عليه فقال له القس بن ساعدة اعلم يا أبا الفوارس أن الجان هم الذى أفجعوك فى ولدك الغضبان لأنك قتلت منهم واحد وإبنك الغضبان قتل قريبتهم سهم النزال ومن ذكرلهم فى أشعارك وجميع أقوالك فلا عدت تخاطر بنفسك وتدخل فى أرض لا تعرفها فارتدع بهذا الأمر لا تعاند رب الأرض والسماء الذى أنبت النبات وأخرج من الحجر للخلق أقوات الذى قمع الجبابرة قمعاً وأخرج من الاحشاء نسمة تسعى وأخلف بين الظلام والضيا الذى جعل بالنهار حركة وجعل الليل سكناً الذى علا فاقتدر وعلى العاصى فاستتر وذل كل شىء لهيبته وتواضع كل شىء لعظمته وماجت السموات والأرض من خيفته وتاهت جميع الخلائق إلى مصنوعات قدرته ورفع السموات بغير دعائم وزينها بالشمس والقمر والنجوم لعوالم وسطح الارض وأبدعها بالأشجار ورشق فيها الأنهار من صميم الأحجار وأنبع العيون وفجرها وأنطق الأطيار على منابر الأشجار وهو الذى يميتنا ويحيينا ويسعدنا ويشقينا الذى علا فاقتدر خالق جميع الخلق والبشر فلما سمع عنتر هذا الكلام فارتدع وارتدم وقصر عن ما كان عليه عازم ورجع وخاف قلبه من هذا الكلام وخشع ودمع طرفه من الخوف وقال عنتر والله يا مولاى إننا كنا على الضلال والآثام من ميلنا إلى هذه الأصنام الذى هم منحوتين من الحجر التى لا تضر ولا تنفع ولا عن أنفسها تدفع وكان عنتر أزكى أهل زمانه وفريد عصره وأوانه فقال الكاهن اعلم يا عنتر أن ليس لهذه القبائل نفع ولا ضر وما ثم شىء يدوم فى الكون غير الله خالق الخلق والبشر فهو باسط الرزق ومنزل الأمطار وخالق الخلق ومدور الفلك الدوار ومكور الليل على النهار فقال له عنتر أيها السيد فما بقى ربنا يرسل إلينا رسولا تستنظره فى هذا الزمن حتى أنه يردنا عن عبادة الأوثان ويعرفنا الحلال من الحرام ويخرجنا من الضيا إلى الظلام فقال قس نعم يا أبا الفوارس وهو أنه عن قريب يبعث الله نبينا رسولا صاحب جاه وقبول مقبول زهى بهى سنى عربى هاشمى زمزمى أبطحى تهامى فهو يظهر بدين الخليل إبراهيم ويعرف الناس التحليل والتحريم ويهدى الخلق إلى الصراط المستقيم ويحذر من نار الجحيم إسمه فى السماء أحمد وفى الأرض محمد وفى القرآن طه وياسين وهو صفوة الله تعالى من الخلق والعالمين وخلقه الله تعالى قبل خلق الخلق والسموات والارضين بخمسة آلاف عام وحجبه فى حجاب القدرة سبعة آلاف عام وهو يقول سبحان العلى الأعلى الذى لا يضعف ولا يبلى ثم أن الله تعالى نقله بعد ذلك إلى حجاب الرحمة فقام فيه ثلاثة آلاف عام ثم نقله إلى حجاب المنة فأقام فيه ستة آلاف عام ثم نقله جزاء خلق من الأول العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث اللوح ومن الرابع القلم ومن الخامس الشمس ومن السادس القمر ومن هنا قال الله تعالى للقلم اكتب فقال القلم وما أكتب يا رباه

فقال أكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمع القلم ذلك الخطاب من الملك الوهاب خر ساجداً لله تعالى أربعة آلاف سنة ثم انشق نصفين من حلاوة ذلك الإسم الشريف وكتب فقال له البارى أكتب قضائى وقدرى الجارى فى خلق أمة آدم من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار أمة نوح من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار ولم يزل القلم يكتب أمة بعد أمة حتى أتى إلى أمة نبينا محمد ﷺ فقال له البارى أكتب أمة مذنبة ورب غفور فكتب جميع ما أمره البارى وجف القلم وسعد من سعد وشقى من شقى من القدم اللهم اجعلنى وإياكم من سعداء الدارين وشفع فينا وفيكم سيد المرسلين وتوفنا مؤمنين لامغيرين ولامبدلين يارب العالمين ثم أن البارى تجلى على ذلك النور المحمدى فلبسه عرق التجلى فنزل منه مائة ألف قطرة وأربعة وعشرين ألف قطرة فجعل من كل قطرة نبياً ثم أنه قال لذلك النور من أنا فقال أنت الله رب العالمين لا إله سواك ولا معبود حقاً إلا إياك فقال صدقت يا محمد أنت حبيبى وأنت خير الأنبياء وأمتك خير الأمم إن الله تعالى أظهر نوره على ساق العرش فنوره ومازال ينور مقدار ألف سنة ثم نقله إلى صلب آدم عليه الصلاة والسلام ثم إلى صلب شيث ثم إلى صلب أنوش ثم إلى صلب نوح ثم إلى صلب قنار ثم إلى مهلائيل ثم إلى ادريس ثم المرتسلح ثم إلى نوح ثم إلى سام ثم إلى أرخشد ثم إلى صالح ثم إلى غابر ثم إلى ناروخ ثم إلى آزر وقيل أنه خور ثم إلى إبراهيم ثم إلى إسماعيل ثم إلى قيدار ثم إلى شالح ثم إلى يامين ثم إلى معزوم ثم إلى أرد ثم إلى مضر ثم إلى يرد ثم إلى مدركة ثم إلى جندية ثم إلى كنانة ثم إلى مالك ثم إلى غالب ثم إلى لؤى ثم إلى قصى ثم إلى كعب ثم إلى مرة ثم إلى كلاب ثم إلى عدنان ثم إلى هاشم ثم إلى شيبة الحمد وهو عبد المطلب ثم إلى عبد الله والد رسول الله ﷺ وخرج إلى دار الدنيا ويعيش فيها ثلاثاً وستين سنة وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ورسوله الذى اختاره من جميع العالمين لانه خلق من الرحمة قلبه ومن الوفاء جسمه ومن النسيم نفته ومن التوكل خلقه ومن الزهد شعره ومن اليقين وجهه ومن الشكر لسانه ومن التواضع حسنه ومن الحياء عينيه ومن الخلق أذنيه ومن السخاء يديه ومن الشفقة عضديه ومن الرضا وجنتيه ومن الإخلاص بدنه ومن الصحة صرته ومن الخوف ركبتيه ومن الاستقامة رجليه ومن الثبات قدميه فهو الشفيع المشفع فيمن يصلى عليه اللهم صلى وسلم عليه إسمه فى السماء أحمد وفى الارض محمد وعند الملائكة عبد الرحيم وعبد الخالق وعبد الكريم وفى القرآن طه ويس وفى الإنجيل الصادق الامين خاشع خاضع حبيب لبيب نسيب حسيب طبيب خليل فضيل عديل وفى عنى وصى رضى هنى غنى شجاع شريف عفيف نظيف رؤف عطوف جليل القدر عزيز الاهل جزيل العقل لطيف كريم الاصل ناصر صالح ناجح فاتح فاتح كاشف الهم دافع الغم

عالى الهمة كاشف الغمة ناصح الامة منور الظلمة عزيز النفس والانفاس شديد العزم والبأس حبيب رب الناس فصيح اللسان قوى الجنان تالى القرآن سيد ولد العدنان عين الاعيان مهلك أهل الطغيان رسول الثقلين نبي الحرمين شفيع الدارين جد الحسين أسرى به فى ليلة الإثنين إسمه فى التوراة المقدهليا وفى الإنجيل طابا وفى الزبور القار قليطا وفى صحف آدم مشيطا وفى صحف شعيب إلياء وفى صحف شيث بر وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد القهار وفى الجبال عبد الظاهر وعند الخالق عبد الرحمن وعند الشياطين النجمة وعند البهائم عبد الجبار وعند الطير عبد الغفار وعند السباع عبد القاهر وعند الوحوش عبد الباعث إسمه فى السماء الاولى عبد القائم وفى السماء الثانية عبد الخالق وفى السماء الثالثة نبي الرحمة وفى الرابعة المصطفى وفى الخامسة المرتضى وفى السادسة المجتبى وفى السابعة المرتجى وعند الملائكة المقربون محمد ﷺ وهو صاحب البهاء والنور والقلب الجسور واللسان الشكور والطرف النيور والولدان والحور أو المراهبة والعزة وخاتم النبوة ذو الشرف والشجاعة والقوة والبراعة والقبول والقضاء والخاتمة والامانة والجمعة والجماعة والحوض والشفاعة والعزة والناقة والنجيب والبردة والقضيب والقرآن والتلاوة وشرف القبلة ولواء الحمد والكرامة فهو إمام المتقين والرائد اليقين محب الفقراء والمساكين ذو المجد الرفيع والحسن البديع والمقام المحمود والحوض المورود كاف الاذى ودافع الردى الباذل العطاء صاحب المعراج إلى السماء شجرة طوبى سدرة المنتهى ذو الحور الكرام والولدان الحسان والعبادة للرحمن والحسب الشريف والنسب المنيف والخلق الحسن والجود الفاخر والنور الظاهر والوجه النضير والسراج المنير والآيات البينات والسور المنزلات والازواج الطاهرات والحجج والدلالات والصلاة والبركات والصوم والذكوات والرحمة والقناعة والصراط وشرف يوم القيامة وصوم رمضان صاحب مكة والمقام والبيت الحرام والمشاعر العظام والحرم والمنبر المكرم والركن المعظم ومنى والحطيم وزمزم وصاحب المقام الجليل مجدد ملة إبراهيم الخليل صاحب التحليل والتحريم مظهر الإسلام ومحى الايام صاحب الدعوة المستجابة والطاعة المهابة الطويل القامة والعمامة المدور العمامة المظلال بالغمامة الشفيع فى يوم القيامه هادى الناس إلى طريق السلامة بين كتفيه خاتم النبوة وهو له علامة الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر صاحب الطرف الكحيل والاصل الاصيل والخد الاسيل والشعر الطويل والبيان والتأويل والتنزيل الذى لا حلم ولا علم ولا رحم ولا وضع وطىء الحصى ولا نشأ ولا مشى أكثر من محمد المصطفى الذى قال الله تعالى فى حقه عن لسان جبرائيل أمينه ولولا النبي محمد ما خلقت

جنة ولا نار ولا براراً ولابحاراً ولا ليلاولا نهاراً ولانباتاً ولاأشجاراًولاشمساً ولاأقمار ولا جبالا راسيات ولا أفلاك دائرة ولا فضاء ولا هوى ولا وسع ولادوى ولا حيل ولا قوى وعزتى وجلالى لا أدخل النار عبد يحبه ويريد قربه وأبر قسمه وسمع ذكره ومن صلى عليه غفرت له ولوالديه وأنه يا عنتر قد آن أوانه واقترب يا أبا الفوارس زمانه ويكون معه ابن عمه الفارس الاروع والبطل الأنزع والليث البطين مهلك الكفرة والمشركين المؤيد بالروح الأمين المبين الحلال من الحرام والهدى من الضلال المظهر الحق من المحال الذى تذل له العرب أماجيدها وتخضع له صناديدها صاحب السيف القاطع والنور اللامع والعزم البارع واللفظ البديع لا يعلو سيفه صدا ولا يلوثه ندا ولا يبالى بجموع العدا الفارس البهلول والليث المصول بالفصاحة بجبول بعل البتول وسيف الله المسلول من تذل له الأبطال الفحول الصادق فى كل ما يقول الذى ماكان قط جهول ولا من الحرب مهول جرثومة العرب قد عجزت الأقلام عن إحصاء مناقبه ومكارمه وكبرت الملائكة عند وقع مضاربه لا يؤنس قط صحيفته الخطأ ولا يقصر من المعروف ولا يبدى غنه بطلا البرى من النسيان والفساد الإمام الواضح شديد العماد الرفيع السواد صاحب الفخر والإرشاد القادح الزناد الطيب الميلاد فارس الحرب والجلاد معتق الكفار بالسيوف الحداد والرماح المداد الذى هو زينة الفرسان الملاح وقد أرضعته ثدى الشيخاء والمكارم وثبتت قواعده عندسائر العوالم وقدتباشرت بمولده الأنبياء والملائكة والأتقياء سيد الأولياء يسمى يزيد وحيدر والأنزع وفارس الغبرة بحبه يرجع الميزان وتنجلى عن المؤمنين الأحزان وإذا ذكر فى مكان فر من إسمه كل شيطان فهو البلد الجامع لمن دخلها وسفينة النجاة لمن طلبها وركبها ومدينة العلم لمن دخلها وقصدها وبحيرة الحياة لمن وردها الإمام الكرار أبو الأئمة الأطهار نسل السادة الأخيار وآية الملك الغفار ومهلك أهل الشرك والإضرار الممدوح على حروف المعجم الألف إلى الياء آناء الليل وأطراف النهار الألف ألف القلوب إلى الإيمان الباء بادر إلى طاعة الرحمن التالى سورة القرآن الثابت لحرب الشيطان الجامع العلوم والأحكام والإتقان الحاكم بين الناس والجان الخارج عن عبادة الأصنام والانصاب والازلام والاوثان دليل المؤمنين إلى طريق الجنان الذاكر لله فى السر والاعلان الراحم الضعفاء والايتام الزائد الشكر والإحسان والإيمان ساتر عورة النسوان فى كل مكان الشاكر نعمة الرحيم الرحمن الصابر على الحرب والضرب والطعان الضارب إلى رقاب أهل الكفر

والطغيان عالم علوم القرآن غاية جميع المؤمنين فى كل مكان فالق جماجم الشجعان والفرسان فى ميدان قوى الأركان كافل الأرامل والأيتام وكل فقير عيال الليث الأروع الوافى العزم عند احتباك الرماح والبيض اليمان لا يغفل عن عبادة الملك الديان فياسعادة فرسان العرب إذا ظهر هذا الشجاع المنتخب صاحب الحسب والنسب فواعجباه يا أبا الفوارس كل العجب مما يحل بأبطال العرب من الويل والحرب والقتل والعطب إذا أشهر عليهم ذا الفقار المصنوع من النار وهو الفارس المنتخب فارس العجب والعرب الليث الهمام والأسد الضرغام والفارس القمقام والهزبر المقدام والشجاع الهجام والبأس الذى لا يرام بحربه لا يضام مسقى أعاديه كؤس الحمام مجندل الأقران ومبيد الشجعان شديد الصولة عظيم الحملة والجولان القوى الطعن والضرب جسور القلب فارس الشرق لا يأخذه رعب جسيم أروع بطين صميدع لا يفزع ولا يعجز ولا يجزع ولا يهلع إسمه فى كبير المواسم كثير الذكر فى الملاحم فلاق الجماجم منعوت بالعزائم مهشم القمم مقدم بكونه لمحمد وزيراً ويدعى الأمير ويسقى محبة من حوض البشير النذير يدعيه فى الحسب ويقاربه فى النسب له أسماء مختلفة فى جميع الكتب مذكور إسمه فى التوراة إلياء وفى الانجيل بريا وفى الفرقان على فهو ساقى الناس يوم العطش الأكبر من نهر الكوثر لأهل الولاية شراب النسيم وذلك هبة من الله العزيز العليم لأنه يا أبا الفوارس ما أعطى هذه العطايا إلا لأجل ابن عمه محمد ﷺ حبيب رب الأرض والسماء لأنه سبحانه وتعالى لم يخلق فى الأولين ولا فى الآخرين إلى يوم الدين أحسن ولا أزين ولا أتقن ولا أمكن ولا أعدل ولا أفضل ولا أجزل ولا أجمل ولا أشمل ولا أكرم ولا أحلم ولا أحكم ولا أفهم ولا أعلم ولا أقوم ولا أبهى ولا أزهى ولا أهنى ولا انهى ولا أمتى ولا أثنى ولا أعنى ولا أوفى ولا أغنى ولا أكفى ولا أصفى ولا أقضى ولا أمضى ولا أحظى ولا أرضى ولا أزكى ولا أتقى ولا أنقى ولا أرقى ولا أشرف ولا أظرف ولا ألطف ولا أعرف ولا أسعد ولا أصبح ولا أرجح ولا أفلح ولا أوضح ولا أنجح ولا أسمع ولا أفصح ولا أشرج ولا أصلح ولا أصدق ولا أحدق ولا أرفق ولا ازهد ولا اعبد ولا ارشد ولا اجد ولا اقصد ولا اسجد ولا اسعد ولا انجد ولا اصبر ولا اخر ولا انور ولا اشكر ولا اظهر ولا ازهر ولا اخشع ولا اجمع ولا اسمع ولا ارفع من هذا الرسول العربى القرشى سيد الأنام ومصباح الظلام ثم اشار ينشد ويقول بعد الف صلاة على طه الرسول :

أحمـــد المصطفى بدر التمام مطهر الحل للورى والحرام
ويرد الشيطان عن سرقد السمع شهوب النجوم عند الظلام
إن هذا محمداً ولدته أمه اليوم مرسل لكل الأنام
قال كسرى قد آن ما أخبرته عن ظهور النبى من ألف عام
حان والله قلعنا عن قريب بسيوف الأعراب أهل الخيام
وبهذا النبي يفتخر الكون ويزهو الزمان بالإسلام
وتحيى يثرب عن قريب عند ظهور النبي الهمام
وسمت خيله وافتخر الكون وراقت الايام والاعوام
قد جلى الظلام بعد سواد منذ نهاهم عن طاعة الاصنام
وترى أهل يثرب مقصصين على طه الرسول خير الانام
وأجلت للغيوم أنوار وجهه لرسول الملك المهيمن العلام
وارتمى من مكانه هبلا أعلا بعد ذاك العلا والاعلام
يهزم لكسرى والجيش جمعاً بعد كسر الرايات والاعلام
ثم سار أقوام كل ينادى بادروا لحب ليث همـــام
كل هذا قد كان من بركات المشفع فى الخلق يوم الزحام
وأضاءت أنواره كل قطر فى جميع الورى وأهل الشام
صافى اللون صادق القول حقاً لم يزل قط من جميع الانام
أبيض اللون كحيل الطرف أقنى يلتقى الايام بالانعـــام
وشفيع الانام فى يوم كرب إذا تزيد الجحيم بالاضرام
والنبيون كل شخص ينادى رب سلم وأحمد إلينا بحام
هو الرؤف الرحيم الطاهر المطهر عليه صلاتنا والسلام
السراج المنير للناس جمعاً البشير النـــذير بدر التمام
قريشى وزمزمى فصيح خير من قد مشى على الاقدام
قائماً ساجداً صبوراً شكوراً بين الحـــل للورى والحرام
وجهه بالضياء يجلى كل ليل فاق بدر الكمال عند التمام
خاتم الانبياء والرسل جمعاً حسن الخلق معدن الإكرام
دينه قد علا على كل دين وغمر فضله جميع الانام

وله الكوثر الذى فاق عرضاً ثم طولا على البحار القوام
وله المنبر المكلل بالنور عليه يشير للعابدين بالاكام
قصده الأنام من كل فج ويصلوا عليه عند المقام
وداس فوق البساط حقاً بنعليه أعاد لبساط بالوطء سام
خدمته الملائكة أيضا وجبرائيل خدمته بجملة الخدام
أنزل الله عليه طه ويس ولثانى وسورة الانعام
فهو للكون والزمان عروس صاحب لصدق والوفا والذمام
وهو ذخر للعصا يوم كرب لا سبيل إلى الازهام
فاز من حبه وصلى عليه وقد برىء من سائر الأنام
حظه بالإمام أعنى علياً صاحب المكرمات والاحتشام
من نصره بقوة واقتدار وأقام الايمان والإسلام
الهزبر الكرار فى يوم حرب وهو ليث وقت الحروب لصدام
من أعان الرسول فى كل كرب وسقى للعدا كؤس الحمام
وأستغفر الله الإله دوما فهو يغفر لنا مدى الايام
ونصلى على نبينا التهامى أحمد المصطفى خير الانام
فعليه صلاتنا كل وقت ماغنت على الغصون حمام
وكذا الآل والصحب جمعاً هم ليوث الحروب وقت الصدام

(قال الراوى) فلما فرغ لقيس من هذا الكلام هام عنتر من هذا النظام وغاب عن الوجود وكذلك العربان الكرام وسكروا من غير شرب مدام وفيهم من رق قلبه للإيمان والإسلام وأفاق عنتر من غشوته وقال ياليتنى أعيش حتى يظهر هذا النبى المشمع حتى كنت ملته أتبع فعسى أنه يوم القيامة فينا يشفع وكنت أعين ابن عمه الاروع وأجاهد بين أيديهما ولا أبخل بروحى عليهما فقال له القس أن كانت سبقت لك السعادة فزت معه بالشهادة ثم أنه نهاه عن ذكر الجان وبشره ببلوغ الهنا والامان فعند ذلك ودعه عنتر وجميع العربان ورحلوا طالبين ديارهم والاوطان وشكر عنتر فضل جميع القبائل وصرفهم إلى بلادهم ورجع عنتر والملك قيس وبنى عبس إلى الاوطان وهم فى أمان وعنتر لا يعطى صبراً ولا جلدا من بعد فقده ولده الغضبان وهو مشغول القلب والجسمان بل أنه فى قلبه نار لا يستقر له قرار (قال الراوى) وأعجب مافى هذه السيرة الحجازية العجيبة البهية التى رواها الاصمعى صاحب خير البرية عن أحاديث العربان التى تؤرخ فى هذا الديوان من حديث وزر بن جابر فارس بنى نبهان وهو

العقاب الكاسر والنمر الجاسر الملقب بالأسد الرهيص وهو الذى يترك بنى عبس بعد موت عنتر فى حزن وتنغيص وهو من بنى نبهان وكان طاع فارس كرار وليث مغوار وأسد هصور لا يصطلى له بنار ولا يعدى له على جار إلا أنه كان مع هذه الآثار ذميم الصورة والمنظر تفزع من رؤيته الخلق والبشر وكان قد علا فى بنى نبهان قبابه ومد مضاربه وأطنابه وبعد ذلك شن الغارات فى البرارى والقفار وكبس أحياء العرب وقهرهم بالمرهف البتار حتى خافته جميع العربان ومد باعه فى الميدان وصار له محبين واخوان حتى اشتهر بين سائر الخلق والبشر وقد تحدثت به الناس إلى يوم من بعض الأيام طلب الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص إلى آخر النهار ورجع وهو طالب الحلة وإذا هو نظر إلى جارية من بنات العرب وقد خرجت من مضرب إلى مضرب وهى مليحة القوام واضحة الابتسام لطيفة ظريفة عفيفة عاقلة وقد فاقت بحسنها على العرب والعجم بحاجبين أزجين وعينين كحيلتين وخدين موردين وعنق كأنه كور الياسمين وقد رجيح ولسان فصيح فنظر اليها الأسد الرهيص ساعة من الزمان وعاين ما فيها من الحسن والإحسان فالت جميع جوارحه اليها لما شاهد جمالها وكمالها ودلالها فوقع فى أشراك حبالها فعاد وهو مشغول من شدة وجده وغرامه وهو طالب خيامه وهو لا يدرى ما أمامه وزاد عليه هيامه ودمعه مهطول وجسمه معلول حتى نزل فى خيمة ودعا من وقته بدايته لأنها كانت ربته وكانت عجوز فطنة وزكية وكانت هجومة على الأمور العظام كأنها النسر الهائم فلما حضرت قدام الأسد الرهيص سلمت عليه وقبلت يديه وقالت له ما الذى تريد أزال الله عنك التنكيد فحدثها بحديث الجارية المليحة الإبتسام المعتدلة القوام وكيف ملكت منه القوى فقالت له طب نفساً وقر عيناً ثم انها قامت من عنده وقد تركته بوجده وغابت عنه ساعة وعادت اليه والنار تلعب بين جنبيه فقالت له اعلم أيها الأمير أن هذه الجارية يقال لها كبشة بنت كبشان وهو سيد من سادات العربان وليس له نظير فى بنى نبهان فلما سمع الأسد الرهيص من دايته هذا المقال وسمع ما قالته فيها من الحسن والجمال فقال لها يا دايتى هى ذات خدر مخدور أو ذات بعل مذكور فقالت إنها ذات خدور وهى خلية من الرجال ولكن لها ابن عم يقال له مبادر كأنه الغصن الزاهر وخطبها من عمه كبشان بين جماعة من الفرسان من سادات بنى نبهان فلم يرض به لأنه جبان لا يحضر حرب ولا طعان وإذا نظر إلى معركة الأقران هرب بين الحريم والنسوان فلما سمع الأسد الرهيص كلام دايته قام من وقته وساعته وجمع أكابر قبيلته وسادات عشيرته وأعلمهم بقصته وسألهم المعاونة على بليته وإنهم يسيرون معه إلى الأمير كبشان ويخطبون له كبشة ابنته فاجابوه إلى إرادته وركبوا من وقتهم وساعتهم لقضاء حاجته حتى وصلوا إلى بيت كبشان أبو

الجارية فتلقاهم بالرحب والسعة والكرامة والرعاية وأنزلهم فى أعز مكان وروح لهم الطعام فقالوا له ياأمير كبشان نحن أتيناك خاطبين وفى كريمتك راغبين فقال لهم هى لكم أمة وأنا لكم عبد مع جملة الخدمة فشكروه على هذا المنال أعلموه إنها الأسد الرهيص ففرح وزال عنه التنغيص فقال كبشان والله ياأخوان أن لسانى يكل أن يوصف مافى الإنسان لأن مثل البحر عطاء ومثل السحاب سخاء فهو الأسد الضارى عند مجاله وقد رضيته أن يكون لبنتى بعلا وهى له أهلا فشكروه الحاضرين على كلامه وبلغ زرزين جابر مرامه وقال الكبشان ياعماه أنا لك غلام ولابنتك من جملة الأحباب فاطلب منى المهر ماتريد حتى يأتوك به العبيد (قال الراوى) فقال كبشان ياأمير وزر أن الذى يريد يصاهر فلا يصادر وأنا والله لعظيم رب زمزم والحطيم لاأقطع عليك قولى ولكن كلما أتيت به مقبول واشهدوا ياسادات العرب إنى زوجته ابنتى وصار الأسد الرهيص أعز أحبتى فلما سمع وزر من أبى الجارية هذا الكلام استحى من جلوسه ولم يكن معه شىء إلا فرسه وعدته ولباسه وكان عنده من الإبل ثلاث نياق لأنه كلما ملك شىء يهبه لأصحابه والرفاق وله عبد يسمى نجم وهو أسر من القضاة فأمره أن يشد له جواده ويأتيه بعدة جلاده فأحضر له ماطلب وقام وزر فى الحال ولبس سلاحه وركب جواده وسار طالب يأتى بمهر زوجته وعبده فى صحبته ماشى فى ركابه على الآثار وقد تبطن فى البرارى والقفار وهو مثل الثعلب حتى نزلوا على مراعى بنى جندب فساق منها خمسمائة ناقة مثل القباب وقد أسر مقدم القبيلة الامير عقاب وأخذ عشرين عبداً وعشرين أمة كلهم أنجاب ورجع على الاعقاب سالم وهو فرحان بما وصل اليه من الغنائم (قال الراوى) فلما وصل إلى الديار وقربه القرار أرسل النوق إلى كبشان أبى الجاريه فى مهر ابنته وأرسل معها جواد سابق ورمح خارق وسيف ماحق ودرق ودروع ومغفر فأثنى عليه ومدحه وله شكر ثم التفت إلى الاسير الذى فى قبضته وطلب منه فديته فأجابه إلى ذلك واشترى نفسه من الموت والعطب بمائة ناقة وأربعمائة رأس من الغنم فلما أحضرهم اليه ذبحهم فى وليمته وأحضر أهله وعشيرته وأطعمهم من ذلك الطعام وأسقاهم من صافى المدام وطلب صهره بزوجته بعد مافرغ من وليمته عند ذلك زفت عليه فى عاجل الحال وتملى بحسنها والجمال فسلبت بجمالها قلبه ورشف بها لبه وظن أنه فى منام أو أضغاث أحلام وأما الجارية من حين نظرت إلى وجهه وتميزته فزادت حسرتها وظهرت فيه بغضتها وتمنت موتها من وقتها وساعتها لأنها رأته قد أقبل فى هيكل قبيح وجه كليح قصير القامة صغير الهامة غائر العينين أفلج الرجلين فلما نظرته على تلك الحالة نفرت منه وفزعت من رؤيته وجنت أعضائها من مشاهدته وقد جمع الله كل بغضة فى الدنيا والقاها إلى قلبها فانها تحب ابن عمها واسمه مبادر وتكره وزرين

جابر لأنه ربى معها وأكثر الأوقات يصاحبها ولما سمعت علمت بأن وزر بن جابر صار بعلها ضاق صدرها واشتغل سرها وحارت فى أمرها ولما خلا بها الأسد الرهيص صار يلاعبها ويطلب منها المزاح قبل ما يحصل بينهما نكاح فمد يده اليها وقبض عليها وأراد أن يقضى منها وطر فامتنعت من ذلك وحل بها الكدر فلاطفها فى الأمور فما ازدادت إلا تمنعاً ونفور فحصل له اضرار لأنه رجل جبار فقام اليها وهجم بكليته عليها وفتح فخذيها وافتضها وأزال بكارتها رغماً عن أنفها وشغف بها وتولعت جوارحه بحبها وأما هى فما بقى عندها إلا بغضة وعناد وكراهة وكياد فصار كل حين يتقرب اليها ويقبل أياديها فازدادت فيه طمعاً وعليه قست وصار كلما لاعبها عبست وكلما ضاجعها قطبت وكلما دنا منها تمنعت فقال لها فى يوم من بعض الايام يا كبشة مالى أراكى كلما ازددت فيكى رغبة وعشق ومحبة ما تزدادى إلا نفاراً وزهداً وتريدى البعد عنى فقالت له أعلم يا ابن العم إنى ما أفعل هذه الفعال إلا لعلمى بأنى أحسن منك وأنور وأتحف وأظرف وأرشق وألطف وأنا ما أريد إلا من يضاهينى فى الحسن والجمال وأنت بالضد من ذلك الحال لأنك أسود اللون ووجهك أسود شنيع وصورتك تربع وجمالك غير بديع فتباً لأبى دون الرجال كيف هانت عليه ربات الحجال راخيين الدلال أن يفرط فيها إلى وحش الرجال (قال الراوى) فلما سمع وزر كلامها وكثرة ملامها أجابها بالمقال يا كبشة اعلمى أن جمال الرجال لا يكون إلا فى ثلاث خصال وهم الذين يزينوا الرجال فقالت كبشة وما هم الثلاث خصال الذين ذكرتهم أوضح لى إياهم أفهم معناهم فقال لها يا بنت العم أولهم الشجاعة والكرم والثانى القيام على حفظ الذمام والثالث إطعام الطعام للفقراء والايتام وأنا إذا لم يكن لى حسن رائق فلى كرم صادق وطعن خارق وضرب ماحق وكفى من السخاء والرضا غامر وصبرى على الحروب وقت اللقاء ظاهر هم ثم فعلى حميد ورأيى سديد وعزمى شديد وقولى مفيد وما الذى تذكريه من الوجه الجميل إذا كان بين الانام صاحبه ذليل له قدرة يحميكى ولا يذل أعاديكى وما الفخر إلا لمن يحمى حماك ويعلى قدرك ويرعاكى ثم أشار اليها يقول صلوا على طه الرسول

تقولين بالسواد يلمنى جهلا يقال الاسد ما يصنع ... فإن فقدت لى فى الجمال ملابس

فانى بحر العطايا مسرع ... يعيبونى أنى عبوس بحماص ... وليس بوجهى حسن باه مبرع

وماذا يعيب السيف إلا غمده إذا كان ... فى يوم الكريهة يقطع

(قال الراوى) فتعجبت كبشة من فصاحته وسرعة جوابه فى الشعر والاوزان فقالت له صدقت فى هذا البرهان ومكثت معه مدة طويلة من الزمان وهى فى هم وأحزان وهو فى تحير وأغبان ولكن فؤاده بحبها ولهان (قال الراوى) وما زالوا على ذلك المرام إلى أن كان يوم من بعض الايام خرج الاسد الرهيص من الخيام وسار فى البر والآكام فطلبت نفسه الغارات على بعض أحياء

العرب وأما كبشة فقد زاد غمها وزاد الشوق إلى ابن عمها فلما علمت بغياب وزر بن جابر أرسلت عاجلا خلف ابن عمها مبادر ولما صار بين يديها بكت من عظم وجدها وما تجده فيه من حبها ولما رأى مبادر إلى بكاها وذلها وشكواها فساعدها بالبكاء وأن اليها الآخر واشتكا وأظهر ماعنده من فراقها وما يجسده من نار احتراقه فقالت له والله يا ابن العم ويا مزيل عنى الهم مارمت أحدا سواك ولا فى قلبى إلا هواك ويوم أراك يحل بى الذل والارتباك ولكن من أين لى من يقيلنى من هذا المنحوس ويريحنى وجهه العبوس لأنه فى ناظرى من بعض العيار وما أريد له إلا البلية وحلول الرزية والدمار حتى كنت أتزوج بك فى عاجل الحال وتبلغ من بعضنا الآمال وها أنا منتظرة العرضيات فلعله يهلك فى بعض الكرات ثم بكت وقالت له يا مبادر لو كنت تقدر على وزر بن جابر وتحمل عليه أو تدبر له مكيدة وتوصلها اليه أو يوصى فارسا يكون من الشجعان يقضى عليه لكننا نستريح من طلعته ونفرح بقتلته

(قال الراوى) فلما سمع مبادر كلام بنت عمه زاد همه وغمه وارتبك فى أمره وزاغ بصره وذهل عقله وتاه فى بحر فكره فعند ذلك قالت له يا ابن العم ما بالك غبت عن الصواب وصرت باهت لا ترد لى جواب ولا تبدى لى خطاب فقال لها بالله عليكى يا بنت العم من هو الذى أشار عليكى فى هلاكى والعدم حتى توقعينى فى أشد الندم والهلاك سوى الارتباك فقالت له معاذ الله أن أطلب فناك بل أطلب أن أجعل روحى فداك فقال لها ولماذا تأمرينى أن أتعرض إلى هذا الجبار الذى ماعليه عيار لأنه يا بنت العم بطل شديد ماعليه من مزيد أنا جبان بليه أشار يقوله

كيف السبيل إلى قتال غضنفر … سرش أقوى من ذوى الأقران
يفرى الرقاب بصارم ذا رونق … ويجندل الأقران فى الميدان
سأكون مجندلا إن قاتلته … وأصير ملق أحسن مكان
فلا أكن للموت الفجاءة معاند … أهوى الحياة بذلة وهوان
وأنا الجبان لكل يوم كريهة … وهو المفاق رأس كل جبان
ولو أن عينك فى القتال تنظرنى … عند الفرار كأننى سرحان

(قال الراوى) فلما سمعت كبشة من ابن عمها مبادر ذلك الكلام زاد بها الضحك والابتسام وقالت له إذا ما كنت تقدر بقتال فدبر لنا حيلة من الاحتيال عسى نسقيه كاس الوبال فقال لها أن عاونتينى على ذلك أوقعته بالمهالك فقالت له أعلمنى بما ببالك حتى أساعدك على بلوغ آمالك فقال لها إذا كنت تعلمى أنه يحبك محبة عظيمة ولك عنده قدر وقيمة فاذا قدم من سفره وأراد القرب منك فاظهرى له الحب والوداد وقولى له يا ابن العم أنت نور عينى وروحى التى بين جنبى أعلمك أن نساء الحلة حضرن عندى جملة وذكرلى أنه ليس لى عليهن تفضيل بحال من الأحوال فقلت لهن أى شىء يكون الفضل وأنا زوجى سيد الأبطال وليس له مقاوم فى محل

الجمال فقالوا لى أى شيء نابك من شجاعته وقوته وبراعته إن كان عنده مال ونوق وجمال فكلنا على هذا الحال وما أحد خالى من الأموال وإن كان عندك عبيد فكلنا لنا مثل هذه النعم وإنما الفخر وارتفاع المنازل والرتب إذا أتاكى بحرة من بعض الحرائر وجاءلك بجارية من أبناء الأكابر ويجعلها تخدمك وأنت فى خبائك فبذلك يرتفع قدرك وعلاكى وإلا كثرة الأموال ما تزين أنذال الرجال وأنت يابن العم تدعى أنك تحبنى وتحلف أنى روحك التى داخل مهجتك فان كان كلامك صحيح فارفع قدرى على نساء فرسان العرب لأجل افتخارى بهذا السبب وإن قال لك زوراً طلبى ما تريدى من النساء الأحرار فقولى له من أحد الخمس قبائل المشهورين بين العربان أما أن تكون من بنى زبيد أو من بنى عامر أو من بنى شيبان أو من بنى بربوع الفرسان أو من عبس وعدنان فانه يا كبشة إن سلك تلك المسالك فلا شك أنه هالك لم تنظر له وجه بعد ذلك لأن هذه الخمسة قبائل هم أسود الجحافل فأما بنى زبيد ففيها الأسد الصنديد والبطل المنتخب عمرو بن معد يكرب وأما بنى عامر فان فيها فارس الخيل وخائض الوقائع فى النهار والليل الأمير عامر بن الطفيل وأما بنى شيبان فيها الفارس القمقام والليث الهجام الأمير بسطام وكذلك بنى يربوع فيها البطل المهاب أسد الوقائع والضراب الأمير عتيبة بنى شهاب وأما بنى عبس وعدنان فيها أسد الأساد وعروس الطراد مذل الفراعنة الشداد أبو الفوارس عنتر بن شداد ولكل واحد من هؤلاء الخمسة فرسان أصحاب وخلان ومضايف ودوان ومجالس وميدان فإن سار وزر بن جابر إلى واحد من هذه القبائل فاعلمى أنه مفقود وإلى هذه الأرض لا يعود (قال الراوى) فلما سمعت كبشة من ابن عمها مبادر ذلك الكلام زاد بها الفرح والابتسام وأيقنت ببلوغ المرام واعتمدت على تلك الاحكام وأقامت مدة من الأيام إلى أن قدم الاسد الرهيص جاعل له مكان للإقامة إسمه العرش والاصل فيه شجرة طالح قديمة أزلية واقفة فى البرية ونصب من حولها أخشاب وأغصان وجعله مكان ثابت الاركان وغطاه بأنواع الكتان المصبوغ ألوان شيء بالجنزار وشيء بالزعفران لأجل الزينة والمهرجان وقصده بذلك الافتخار حتى أنه لا يصيبه برد بالليل ولا شمس بالنهار وهو محل متسع يسع كل أهل الديار (قال الراوى) ولما قدم الاسد الرهيص من سفرته وهو كسبان فى غزوته أرسل عبده نجم يبشر بقدومه أهل حلته ولما رأت كبشة وزر دخلت عرشها ودخل الأسد الرهيص عليها ليتمتع بها فلما قر قراره واتصل بها وبردت ناره استقام حتى أتاه الطعام فأكل حتى اكتفى وأراد الانضاغ للمنام فاعادت عليه ماقدمنا من الكلام فلما سمع كلامها وما بدته من مرامها مع ماهو فيه من حبها وغرامها فتبسم فى وجهها وقال لها يا بنت العم أنا أجلى من على قلبك الهم والغم فوحق بهجة جمالك وما نلته من وصالك وهو قسم لا بد لى من دخولى فى ذلك الخطب

الجسيم ولاتركن لكى من بنات العرب الاجواد يخدموكى فى الديار بالليل والنهار وتكونى من ذوى الاقتدار فقالت له كانى بك وقد ركبت جوادك ولبست عدة جلادك وطلعت إلى البر واتيت لى ببنت من بنات صعاليك العرب وتقول لى هاقد بلغت الارب وارجع للمعيرة والنصب ويقولوا لى بئس بعلك ماجلب فهذه من بنات العرب أهل الحسب وارجع أسمع لكلام الحساد ولا أفرح صديق ولا أكيد حاسد فقال لها وأى شىء الذى تريديه يابنت الاماجد بطلبتك حتى اكون لها قاصد فقالت له أنت سيد الفرسان ورقيت بفروسيتك إلى أعلى مكان وقصدى منك يامنى الاعيان أن تبلغنى غايتى على أى وجه وما أريد منك إلا ان تأتينى بريحانة أخت عمرو فارس زبيد وإلا غمرة أخت وثبة ابن شهاب اليربوع وإلا ليلة أخت بسطام بن قيس الشيبانى وإلا كبشة أم عامر بن الطفيل فإنه من بنى عامر الاجواد وأن كنت لم تقدر على هؤلاء الفرسان فى مقام الطراد فأتنى بعبلة بنت مالك بن قراد زوجة عنتر بن شداد فقال لها وأى من تريد من هؤلاء الخمسة بلا ضرر ولا تنكيد حتى أحضرها لكى وعنها لا أحيد فقالت له أريد فى الأول ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب فارس بنى زبيد لأن يدى ان حكمت على أخت عمرو بن معد يكرب افتخر على نساء جميع العرب من بعد منها ومن اقترب (قال الراوى) فلما سمع وزر بن جابر هذا الكلام عرف قصدها والمرام وأطرق برأسه وتفكر فى هذه الاحكام وما يجرى فيها من النقض والإبرام وتذكر فى تلك الدلائل ومن الذى أعلمها بتلك القبائل وأسماء هذه الجوار وهم فى حكم الفرسان الاخيار الذى مافيهم إلا كل بطل جبار وليث مغوار وصار يدبر فى عقله كيف الدخول إلى تلك الإخطار وقال فى نفسه أما الذى دبر لها هذا التدبير ماهو إلا عدو كبير وماقصده إلا هلاكى والتدمير وإن وقع فى الاسر والإشراك فلم يجد له من ذلك مكان وان تأخر عن ذلك الشأن يبقى عندها بمنزلة النقصان إن لم يجبها إلى طلبها ويبلغها أربها لان النساء كيدهن عظيم (قال الراوى) فعند ذلك رفع رأسه اليها فى الساعة وقال لها ياكبشة لكى السمع والطاعة وفى غداة غد أركب وأبذل همتى وآتيكى بما طلبت وهى ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب ولو اشرب فى بنى زبيد شراب العطب ثم انه لاعبها ومازحها وطيب قلبها فضحكت ولعبت ومكنته من نفسها وباتت معه تلك الليلة فى لعب وانشراح إلى أن اصبح الله بالصباح (قال الراوى) وكان الأسد الرهيص فى قصته محتار وعنده أسير من اكابر العرب الكبار كان جاء به من السفرة التى تقدم ذكرها فاحضره فى ذلك الوقت وطلب منه الفداء ليطلقه من الوثاق وضيق الخناق وكرر عليه الضرب بالسياط حتى قوى منه العياط وقال له الاسير يامولاى اعلم ان الذى عندى من الأموال هو الذى أخذته بهمتك وقد صار فى حوزتك وما بقى لى شىء

وأمين خوفك لأني والله قد آلمني الضرب الشديد الذي ما يصلح إلا للعبيد فقال له الأسد الرهيص لا تطل في المقال فما ينجيك مني إلا النوق والجمال وإلا أرسل إلى أهلك وقرابتك يأتوني بأموال وإلا ضربت رقبتك وأتلفت مهجتك (قال الراوي) فبينما وزر مع الأسير في مثل هذا الكلام وإذ قد تقدم عليهما غلام وهو لوزر من بني الأعمام يقال له سلام بن حابش وأبو هذا الغلام فارس شديد وبطل صنديد ولما قدم هذا الغلام على ذلك الأسير ورآه في حالة الذل والتعتير فرحه عند ما رآه ونظر دماه سائل من أعضائه وهو يصيح من شدة جواده حتى خفت صوته من العياط فأخذ ذلك الغلام لقمة من الزاد في يده وتقدم اليه ووضعها في فاه وقال لوزر أطلق سراح هذا الأسير يا ابن جابر ولا تكن في الحي معتدي وجابر وكان أبو ذلك الغلام حاضر في ذلك المقام فقال يا ابن جابر كف يدك عن هذا الإسير فانه صارفي ذمامي وأكل طعامي فقال له وزر اذهب يا ويلك ثكلتك أمك وعدموك قومك وأهلك كيف تعاندني في أسيري يا ابن اللئام وتعطيه أنت الذمام فقال له الغلام بلى يا وزر أنا أعطيته الذمام فاطلقه أنت بسلام فانغاظ وزر أيضا من الغلام وضربه بالسياط على أكتافه فانطرد من بين يديه وقد استغاث بأبيه فقال له أبو الغلام يا وزر لماذا ضربت ولدي وأخرقت حرمته ولم تخش غائلته فقال له الأسد الرهيص أنت رجل غير عاقل وولدك مثلك جاهل أنا غزوت الحلل والقبائل وملكت هذا الأسير بحد هذا الحسام الفاصل هل كان ولدك معي يقاتل القبائل أو يساعدني إذا كان وقع الطعن بيننا بالرماح الدوابل ومن بعد ما ملكت الإسير وبقي عندي في الذل والتعتير طلبت منه الفدا وهي النوق والجمال فكيف يعارضني ولدك في الكلام ويقول أعطاه الزمام هذا ما هو سنة العرب والكرام وأنت ما تستحي ثم تركه ودخل إلى عرشه فدخل حابس خلفه بشدة عزيمته وقال له يا ابن جابر ولا عشت ولا أفلحت ولا كنت كيف ضربت ولدي وأشمت فية الحواسد فقال له وزر أسكت رض الله فاك ولا أماتك ولا أحياك فكيف ولدك أن يتعرض لأسيري ويجيره دوني ثم تلاحجا في المقال وزاد بهما الحال فتصايحا على بعضهما بعض حتى ارتجت من تحتهما الأرض وفي عاجل الحال وصل خبرهما إلى الملك المهلهل فياض النيل أبو الإمير زيد الخيل فلما بلغه ذلك الخبر وسمع الصياح من بينهما قد ظهر فقال والله ما هي إلا كائنة يا بني الأعمام ما سبب هذه الملاججة والخصام فقالوا يا ملك الزمان وزر بن جابر والأمير حابس وقع بينهما خصام فقال ائتوني بهما من غير توان فلما حضروا بين يديه وقصوا قصتهما عليه فأمر المشايخ الكبار أن يصلحوا بينهما ومن اليوم يلزموا أدبهما ولا يكثرون جهلهما فقال حابس فلا أصبر على ضرب ولدي ولا عن أخذ ثاري ولا أضيع حرمة من استجار بولدي وأجاره فقال له وزر وأنا الآخر لا أجير لك جار

ولأنفى عليك العار لأن عدوى مذلول ودمه مهطول مادام سيفى فى يدى مسلول ثم عاد الاثنان إلى المشاجرة والمقال فقال حابس هيادونك والقيال والمناصفة فى المقال فقال وزر ما الذى تريد فقال تبارزنى فى الميدان قدام هؤلاء الشجعان وتشهد علينا الأبطال الأعيان فاذا قهرتك عفوت عنك وأطلقت هذا الأسير من يدك وإن أنت أسرتنى قدام هؤلاء الأماجد فذلك الوقت شأنك وما تريد فلما سمع وزر ذلك الكلام قال لقد أنصفت يا ابن الكرام ونظر الملك المهلهل إلى هذا فعلم أنهم ما بقوا ينفصلوا بالقتال فبقى خائف على هذين البطلين لأنهما فرسانه على كل حال فقام وزر من وقته وساعته ودخل عرشه وأمر جاريته بإحضار لامته فجاءت بدرع داودى فافرغه ووضع المغفر على رأسه واعتقل برمحه وركب جواده وبرز إلى الميدان (قال الراوى) ونظرت كبشة إلى ذلك ففرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد وظنت أن حابس قهر بعلها ويحمله قتيلا على وجه الصعيد هذا وحابس أيضا قد دخل إلى بيته وتدرع بدرعه وركب البيضة على رأسه وركب فرسه وتقلد بسيفه ورمحه وبقت أهل الحى ينظرون اليهما وهما كالأسدين الضاربين والنساء من حول البيوت وجاءت أم كبشة إلى بنتها وقالت لها انظرى يا كبشة ما يظهر من زوجك فى الميدان من الفروسية عند الضرب والطعان حتى تعلمى أننا زوجناكى بتاج مكلل وعممناكى باكليل من ذهب أحمر وأنت غير شاكرة له ولا عارفة قدره فانظرى إلى حابس هو كأنه شامخ وسوف ترى ما يجرى عليه من بعلك لأجل ما تعلمى أن ما أحد نال محلك هذا والفارسان قد انطبقا كل منهما إلى خصمه وأخذ يطاعنه ويضاربه وأطلقا لخيلهما الأعنة ولاما الأسنة وهما مثل الأسدين الضاربين هذا ووزر أراد أن يجعل عند زوجته ويوريها فروسيته ليرغبها بمحبته فأخر وزر ودق جنب الجواد برجليه ودمدم بين أذنيه فسار الحصان كأنه الشيطان وأقبل حابس وقوم اليه السنان وأراد أن يطعنه فى صدره ولكنه رمى الرمح من يده فى جلباب درعه وصاح فى وجهه أدهشه وجذبه فاقتلعه من سرجه وأخذه أسيراً هذا والعربان تنادى والله هذه الفروسية التى تذكر مادامت الشمس والقمر (قال الراوى) هذا وأم كبشة تقول لبنتها كيف رأيتى بعلك الأسد الأدرع والبطل الصميدع فقالت لها يا أماه ماهو فى عينى إلا أفلج الرجلين غائر العينين يتخطى الآفات وهو بلية من أشد البليات فقالت لها أمها اعلمى يا كبشة ما أنت وحق اللات والعزى إلا أنك عليه باغية وان داومت على هذا اللجاج يغدر بك ولولا سيف زوجك وقوته على أقرابه ما أقام واحدمنا هاهنا ولانام على فراشه فى هنا ولابد أن تندمى على فعلك (قال الراوى) هذا ما كان من كبشة وأمها وأما ما كان من وزر بن جابر فانه قال وحق اللات والعزى لقد كنت ناوى على قتلك فاذهب إلى أهلك وتعلم الفروسية والصدام وعد إلى وزر بن جابر بارزه فى هذا المقام وأنا لولا قدوم هؤلاء السادات الكرام لنثرت رأسك

بالحسام وما كان قصدى إلا واحد غيرك يقول مثل ما قلت وتحدثه نفسه مما حدثتك به نفسك حتى كنت أعرفه من أنا وأذيقه طعم الهلاك والفنا ثم وزر أنشد يقول :

إنى تعجبت من جارى ومحترى   أن يبتغى أن يعادينى ويختصم
كيف السبيل إذا جاء يعاندنى   حتى يرانى أبادى قطع ذى رحم
ماساعة أن يرى أبدا نواجزه   إلا رأفتى حلما لذى خصم
ماحابس بعد هذا الفعل أذكره   ولا الذى قد تراه جيد الشيم
أما علمت أنى فارس شرس   أصول فى حومة اللقا على القوم
وطعنتى يوم نار الحرب خارقة   التى السنان بصدر وافى الحكم
ماكان غناك عن هذا المقام ولم   تسمع مقالة ابن جاهل صدم
رأى الأسير وقد أفدى لمهجته   بعد العذاب وماقاسى من النعم
أتاه بالعيش صار العيش علقمة   وراح يسحب ثوب الذل والندم

(قال الراوى) فلما سمعوا الحاضرين شعره ونظامه تعجبوا كلهم من فصاحته وقوة جنانه ثم أنه بعد ذلك أطلق حابس من يده وأجاد زمام ولده وأطلق الأسير لأجله ثم قال يا ابن العم من اليوم ما بقيت ترجع تذم لأسير العرب إلا أن يكون فى ذلك تدبير وتفكير فشكروه الناس على ذلك الكلام ورجعوا يثنون عليه ويشكروه هذا والأسد الرهيص قد دخل إلى عرشه وترفق بزوجته وقال لها كيف رأيت بعلك ياستاه فقالت له ان كنت تريد أن أثنى عليك ا فعلت وأشكرك فيما صنعت فاقض حاجتى وبلغنى تمنيتى

(قال الراوى) فانسر قلب وزر بذلك الكلام وقبلها بين عينيها وهو مستهام وقال لها والله لأجعلن هذا الجواب فى إلى أمانة حتى أرده عليك بريحانة وهى أخت عمر بن معديكرب حتى تفتخرى على سائر العرب وتعلمى أن أباك ما اختارنى لك وجعلك لى أهلا إلا وأنا أجل العرب قدروشأن وأرفعهم مكانا فى مقام الضرب والطعان ثم قام عندها ثلاثة أيام بفرح وسرور هذا وحابس أبو سلام عمل وليمة عظيمة وجمع سادات العشيرة وتصالح هو وولده وزر بن جابر وزالت الأحقاد من قلوبهما باطن وظاهر وخلع على بعضهما الخلع الحسان ولما عاد من الوليمة دخل وزر على زوجته فتلقته ضاحكة مستبشرة ولاعبته ومازحته فوعدها بقضاء حاجتها وبلوغ تمنيتها فشكرته وقبلته وباتا تلك الليلة وهما فى سرور وأفراح إلى ان طلع الصباح ولما كان تانى الأيام عند طلوع الشمس قام الأسد الرهيص من عندها وقبلها بين عينيها وودعها وهى تبكى على فراقه وهو يقول لها يا كبشة ها أنا سائر إلى الليث القسور والبطل الغضنفر عمرو بن معد يكرب الزبيدى وانتزع منه أخته ريحانة فان أنا نصرت عليه

وأتيت بها فيالها من نعمة ما أحسنها وإن عارضتني المنية فبالله عليكي لا تتزوجي غيري بالكلية ثم أنه ضمها إلى صدره وقبلها قبلة الوداع فباست كبشة يده وركب جواده وخرج من عندها وأخذ فى صحبته عبده نجم وسار يقطع البراري والقفار والسهول والأعار وفى قلبه من كبشة لهيب النار فقال له عبده نجم يوما من ذات الأيام وهو سائر يقطع الآكام ياسيدى وقيت كل هم وضير اعلمني إلى أين قاصدفى ذلك القفر والبيد فقال لهجبال طويلع ووادى زياله ومنازل بنى زبيد فقال له عبده نجم ياسيدى أبشر بقرب الطريق والسعادة والتوفيق وكان العبد خبيراً بالطرقات وهو آفة من الآفات وبليه من البليات فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من كبشة فانها لما علمت أن زوجها قد أبعد عن الديار وانقطعت عنه الاخبار أنفذت إلى ابن عمها مبادر وأحضرته إلى عندها وأخبرته بأن وزر قد مضى إلى وادى زياله وجبال طويلع وديار بنى زبيد يأتى بريحانة أخت عمرو بن معديكرب الزبيدى فلما سمع مبادر هذا الكلام فرح فرحا شديداً ما عليه من مزيد وقال لها وحق اللات والعزى مابقيت أبدا تنظريه لأنه قد تعرض للأسد الهدار والليث المغوار فقالت له كبشة لا نجح الله له مقصداً وأنت أولى منه ومن سائر الخلق جميعاً فقال لها ابشرى يا بنت العم فانه ما بقى لنا معاند (قال الراوى) وكان لوزر بن جابر جارية مقيمة فى الحى فسمعت كلما جرى بينهما من الحديث فذهبت إلى عند زملده وهى أم كبشة وقالت لها ياأم كبشة بنتك كل ليلة ترسل إلى ابن عمها مبادر ويتحدثون إلى بعضهما فى الفحشاء والكبائر وإن لم تمنعيه وإلا أنا أعلم مولاى وزر بن جابر فان هذا عارفى حق الأكابر فلما سمعت أم كبشة من الجارية ذلك الكلام نهضت قائمة على الأقدام وجاءت لبنتها فرأت مبادر جالس عندها من داخل الخباء وأخرجته وضربت بنتها وشتمتها وقالت لها يا كبشة أراك تفضلى مبادر على وزر بن جابر والله ان علم بهذه القصة ليقطع رؤسكما ويعدمكما نفوسكما ويهلكنا بعدكما (قال الراوى) هذا وقد بلغ الخبر إلى داية الأسد الرهيص فاغتاظت من كبشة ووبختها وقالت لها تعدى نفسك وتسكنى رمسك وشاع الخبر بين أهل الحلة ومادر لما علم بذلك الايراد أتى إلى أم كبشة وخاف على نفسه أن يدرى بهذا البروزر فيسكنه رمسه فدخل على أم كبشة وحلف لها بالأقسام وزمة العرب العرباء أن ما بينى وبين كبشة إلا المحبة الصافية وأنهم بريئون من الفساد والخنا فقالت له أعلم ذلك ولكن مابقيت تتعرض لها وإلا تشرب كاس المهالك هذا ماجرى وأما ما كان من وزر فانه سار وعبده نجم معه وهم يقطعون الفيافى والبيد حتى وصلا إلى جبال طويلع وبنى زبيد فكان دخولهما اليها فى الليل وقد ألجم فرسه حتى لا يصهل ثم أنه طلع إلى سطح الجبل فرأى هناك كهفاً فدخل فيه وقعد يتفكر فيما يفعل فبينما هو متفكر فى أمره ورفع رأسه وصار

يتأمل إلى ذاك الوادى وإذا فيه ضجيج وزعيق من الإبل والغنم والخيل والدواب والأنعام وصهيل الخيل وذلك الحى كأنه البحر الزاخر وزعقات العبيد ونبيح الكلاب وضوء النار فى الظلام والضباب والمضارب والسرادقات فى المكان منصوبة (قال الراوى) فبينما هو يتفكر فى نفسه يقيم أو يرجع أو يحتال فى أخذ ريحانة أخت عمرو بن معديكرب من الحى وقد شد عزمه على كبس الحلة وحده وإذا هو بضوء مصباح قد ظهر من البيوت وجاء إلى مغارة كانت هناك وإذا هو بجوار نهر أبكار بينهن جارية مليحة القوام كأنها بدر التمام فلما رأى الأسد الرهيص اليهم تقدم يسمع قولهم فقالت تلك الجارية لاترابها وهم واقفين قدامها على كل عال قريب من ذلك المغار أما ترون يا بنى عمى أن ذلك الوادى وهذه الأرض والله أن ما أجد غيرنا ملك فيها من الهيبة التى عليها فقالوا لها البنات اعلمى يا ستاه أن ذلك لم يكن إلا بسبب حاميك الزاهر وتاجك الفاخر أخوك عمرو بن معد يكرب الأسد الكاسر (قال الراوى) وكانت هذه الجارية هى ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب فلما سمعت وصف أخوها من فرسان العرب تمرح فيها وتلعب ثم انها دخلت المغارة لقضاء حاجة عرضت لها فلما سمع الأسد الرهيص كلامها وعلم انها أخت عمرو بن معيد يكرب الذى أتى من أجلها فنهض أسرع من البرق الخاطف طالب ذلك المغارة وهجم على ريحانة وقبض على يدها ونشلها باجتهاد قواه فاردفها إلى كفل الجواد ونزل طالب الطريق فزعقوا عليه الجوار وأعلنوا بالويل والدمار وسمعوا الرجال وسألوا عن الحال فقالوا سبيت ريحانة من بيننا من دون البنات فارتفعت الضجات إلى العنان وتبادرت الفرسان وتلاحقت الشجعان فلحقوا الأسد الرهيص وهو فى أقرب مكان فلما رآهم طابوه فالوى عنان جواده وعاد اليهم وقد استقبل اوائل الخيل ونزل عليهم نزول السيل ومال عليهم بهمته كل الميل وطعن الأول بالسنان فى صدره اطلعه يلمع من ظهره والثانى ضربه بالسيف على وريديه اطاح رأسه من على كتفيه والثالث والرابع جعلهم لهم توابع هذا وريحانة طائرة اللب مرتاعة القلب لانه شدها خلف ظهره بحبل شديد حتى لا ينفضها من خلفه الجواد وهو فى مقام الطراد وبعدها تكاثرت عليه الأعداء ودارت حواليه الأبطال فصار يطعن فى نحورهم برمحه الكعوب العسال وكلما أبصرهم أبعدوا عنه وان قربوا منه فرقهم كما يفرق الذئب الغنم ولم يزل كذلك حتى تعالى النهار وقوى سرادق الغبار وقدمت حوافر الخيل السرار وبان الشجاع الكرار من الجبان الفرار وتساوت العبيد والاحرار وبلغ الأسد الرهيص منهم ما يختار وأرمى منهم عشرين فارس كرار وسقاهم كاس البوار هذا وريحانة ايقنت بالدمار فبينما هى كذلك وإذ لحقها أخوها عبدالله بن معد يكرب لأنه كان تلك الليلة سكران فاعلموه بسبى أخته فأفاق من الخمر

العقار والسكر من رأسه طار وفي الحال ركب جواده وطلب خلفها الآثار كانه من بعض العمار ولم يزل سائراً يكد بالجواد حتى لحقه وأخته معه في البر والمهاد وكان أخوه عمر غائب في بعض الاقطار وأما عبدالله فلحق الأسد الرهيص وزعق عليه وقال له ويلك خل عن الحرة المخدرة يا ابن الانذال وإلا أسقيتك كاس الوبال فقال يزر الويل لك ولقومك أن هذا اليوم آخر عمرك ولو كنت أخليها ما كنت أخذتها ولكن انتزعها أنت واحذر على نفسك وخلصها فوحق اللات والعزى أن بينك وبينها طعن يقد وضرب يهد شامخات الجبال ويقصر الأعمار الطوال (قال الراوي) فلما سمع عبدالله ابن معديكرب هذا الكلام حمل عليه ومال بكليته اليه وطعنه واصلة وظن أنه يهلكه بطعنته ويقرب بها موتته فامهله وزور بن جابر حتى قرب اليه وقبض عليه من تحت ابطيه واتكأ عليه وحذفه من يده رماه على أم رأسه وتركه وضرب بالسيف في باقي بني زبيد وشتتهم في القفر والبيد فكان عبدالله تعلق بجواد من خيول المعمعة وعينه على أخته متطلعة فعارض الأسد الرهيص ثانياً وحمل عليه وأراد أن يخلص أخته من يديه فلما رآه الأسد الرهيص عاد إليه شكه بركيز الرمح بين ثدييه كاد أن يقضي عليه ولو كان عنه بعيد لجعله معفر على وجه الصعيد فولى عبد الله هارب وتبعته بني زبيد وهو يقول قتلني هذا الجبار العنيد فلا كان ولا كانت ساعته فلقدسبي أختي وجعلها غنيمه هذا كله جرى وريحانة مردوفة خلف وزر على ظهر الحصان قابضة على وسطه بيديها خوفا أن يقع إلى الأرض فيقضى عليها (قال الراوى) وأما المهزومين فإنهم عادوا على أعقابهم راجعين منقطعين من عشرة ومن عشرين ولم يزالوا مطرودين في القفار حتى وصلوا إلى الديار وأخبروا بما جرى لهم مع ذلك الفارس الجبار وسمعوا المختلفين من بني زبيد بما فعل هذا الجبار العنيد من ذلك الأمر الشديد وسمعت أيضاً أم ريحانة بما جرى على بنتها وجرح ولدها عبد الله فأصابها ما أصابها وعلا بكاها وانتحابها وشقت ثيابها وكان عمرو غائب فأتى كما ذكرنا لانه كان قد دعاه يزيد بن عبد الله وأخوه قيس وعبد المسيح ملوك نجران لانهم كانوا لا يفترون من الغزوات والاكل وشرب الخمور والمسرات وكانت تقصدهم الشعراء من كل جانب ومكان وبعض الشعراء قد مدحهم لاجل انتفاعه منهم وتقربه اليهم فقال فيهم هذين البيتين

زيارة نجران حتما لكم الحين تناجوا بأبوابها
أما تعلمون بأني امرؤ أتيت المكارم من أبوابها

(قال الراوى) وكان لعمرو بن معديكرب من ناماه يزيد وأخوته وهما يحبوا مجالسته فلما سبيت أخته ريحانة وجرى عليها ما جرى وكان عندهم في أرضهم على غدير نجران فانفذت اليه أمه كبشة تخبره بما جرى فمضى الرسول اليه فالتقاه عائداً من عند الملك عبد المدان طالب

أهله والأوطان فاخبره الرسول بسبى أخته ريحانه وماوقع عليها من الاهانة وجرح أخوه فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسار حتى وصل إلى الديار فتلقوه مشايخ بنى زبيد الكبار وأعلموه بما أصابهم من الاضرار فقال لهم أخبرونى من هجم على حينا وفاز بنفسه وسبا الحريم لأنه لولم يكن قلبه أقوى من صم الجبال مافعل تلك الفعال فقالوا والله ماهجم على حينا وسبا ريحانة إلا الفارس الكرار والبطل المغوار الذى ماله مماثل فى الحرب والطعان وزربن جابر النبهانى (قال الراوى) فلما سمع عمرو هذا الكلام صار الضيا فى عينه ظلام وحلت به البلية وشدة السقام لعلمه أن الأسد الرهيص بطل صدام وفى حربه لا يرام فلما أستقر به المقام أكل شيأ من الطعام وطلب جواده وركب من وقته وطلب آثار الأسد الرهيص وهو معول على قتله وخلاص أخته ريحانه وجرح أخوها وسار بها وهو فرحان كيف يداه احتوت عليها ولم يزل سائر بها يقطع البرارى والقفار حتى وصل بها إلى الديار وعلموا أهل الحى والجوار وأنزل ريحانة على باب خباه. كانت كما ذكرنا راكبة وراه فخرجت زوجته كبشة حتى تراه فلما رأته على ذلك الحال لحقها منه الحيرة والأنذهال وصارت باهتة ومشت حتى وقفت بين يديه لأجل السلام عليه فسمعته يقول هذه الأبيات

أنا البطل الندب يوم الهياج ... آتيــك الظن على الكاتب
أغدى الرماح بطعن النحور ... وأغمد فى الهامة بيض القضب
لحميت الملاح بيت الصباح ... وأبذلت بالسمر شوس العرب
سبيت فى الحى ريحانة ... شقيقة عمرو بن معد يكرب
أتنكر فعلى سراة الرجال ... وقد صرت فيهم كثير الحسب

(قال الراوى) ولما رأته زوجته كبشة وقد عادسالم فقالت فى نفسها قبح الله لهذا الوجه العبوس تخطى الآفات والمقادير ولاتصفه ولاتصيبه النائبات وأنه لما أنزل ريحانه من على الجواد والدم قد صبغ ثيابه مما لقى من الفرسان فى ضربه فلما نظرته كبشة تقدمت اليه وأستقبلته ووقفت قدامه فقال يا كبشة خذى جاريتك وأفتخرى بها على أهلك وقرابتك فقالت من عظم مادخل على قلبها من الهم من أجل سلامته أعلم يا ابن العم أنى والله العظيم رب موسى وإبراهيم كنت أظن ريحانه امرأة كاملة العقل كبيرة السن تصلح لخدمتى والأشفاق على من بين القرائب والأهل ولم أعلم أنها طفلة صغيرة ذات خدر وخبا وربة ستر حما وإنى وجدتها لاتصلح لخدمة ولاتربد فى نعمة وأنا مابقيت أريد إلا كبشة أم عامر ابن الطفيل حتى أنها تقوم بخدمتى فى النهار والليل لأنها هى امرأة كاملة العقل تدرى الصواب وتعرف الخبرة وقد بلغنى أنها زادت فصاحة وأدب تصلح لخدمتى وتزيد نعمة فلما سمع هذا الكلام

قال لها أنت إلى الآن يا كبشة لازلت على بقية الغدر ومقيمة على اللجاج والمكر ثم أن جلس واستقر وجعل يتفكر فيما يكون من ذلك الأمر والأخبار وما سمع من زوجته فزاد همه من عظم تجبرها عليه فبينما هو كذلك وإذا بعبد من عبد الملك المهلهل سيد القبيلة قد أقبل ودخل عليه وقبل يديه قال ياسيدي أجب الملك فانه طالبك فى حاجة عرضت عليه فقال الأسد الرهيص السمع والطاعة أنا ماض اليه فى هذه الساعة ثم أنه صار بلا مهل طالب أبيات الملك المهلهل وإذا قد عرضه فى الطريق دايته فاخذته وإلى بعض المضارب أدخلته وقالت زوجتك تريد قتلك وما تريد إلا ابن عمها مبادر وأنت إذا أتيتها أيضا بكبشة أم عامر بن الطفيل وبلغتها المراد تقول لك أنا ما أريد إلا عبلة ابنة مالك بن قراد زوجة عنتر بن شداد لأن ما قصدها منك إلا أن تموت وتقبر فاحذرها غاية الحذر ولا تأمن القضاء والقدر (قال الراوى) فلما سمع وزر من دايته ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وشكر دايته على هذا الافهام وفارقها وسار طالب أبيات المهلهل أبى زيد الخيل فلما استقر به الجلوس أخذ يسأله عن سفرته وما جرى له فى غيبته وقال له ياأمير وزر قد سمعت أنك ثور ما فعلت به وتقومه من الجور فاحكى له على ما فعل وعن الذى جرى فى أخذ ريحانة وجرح أخوها عمرو وكان غائب عند عبد الله المدان وأتيت بريحانة تكون لزوجتى من الخدام وهذا ما عندى والسلام فلما سمع الملك المهلهل من وزر ذلك الكلام زام كما زوم أسد الدحال وقال له ياوزر كيف طاوعتك نفسك أن تسبي ابنة معديكرب وهذه سنة قبيحة بين سادات العرب ويقال أن روسيا البنات المخدرات من ذوى الرتب ويروم يجعلهم إلى حريمه خدم وأنا لا أرضى بهذه الفعال والصواب أن تكرم الجارية غاية الإكرام وإلا أرسلها لى لتكون بين قومى وأهلى وهذا ما عندى من الرأى السديد وإلا افعل أنت بخاطرك كما تريد واعلم أنك جلبت لك ولقومك الشر والتنكيد وكأنك بعمرو بن معديكرب وقد أشرف علينا وزحفت وإلى قتالنا طلبت (قال الراوى) فلما سمع الأسد الرهيص ذلك الكلام قال له صدقت يا ملك الزمان وأنا ثبت عندى أن زوجتى ما أرسلتنى إلا للهلاك وأما ما ذكرت من أمر ريحانة وحق الملك العلام لأكرمها غاية الإكرام وافعل معها كلما اقدر عليه من الإحسان وأما زوجتى كبشة فلأذلها غاية الذل وأما قولك عن عمرو بن معديكرب ومن معه من الفرسان العظام فما أنا إلا كفؤا لهم والتقيهم بالحسام واشتتهم فى البرارى والآكام (قال الراوى) فلما سمع المهلهل من وزر ذلك الكلام شكره على ما قاله وخرج الأسد الرهيص طالب أبياته وهو متغاظ من كلام دايته ولم يزل سائر حتى دخل خيمته ودعا بدايته واستعاد منها الحديث ثانياً الذى قالته فاعلمته بكل ما جرى فى غيبته

من أفعال كبشة وابن عمها مبادر ثم إن الاسد الرهيص أمر أن يضرب لريحانة خيمة من الأطلس الأحمر وأحبالها من الابريسم الأخضر وأن تكون إلى جانب أبياته وأوصى دايته باكرامها وقال لها ياأماه أكرميها وأكثرى لها من الطعام وزيدى لها فى الإنعام فقالت له سمعاً وطاعة وتكفلت باكرامها من تلك الساعة فلما رأت ريحانة مافعل وزر فى حقها حتى هدأ روعها وعلى ذلك الصنيع شكرته وأقامت عنده فى أرغد عيش وبعد ذلك أحضر الاسد الرهيص زوجته كبشة وقال لها اعلمى أنك أرميتنى فى الموت الاحمر ولكن قد حفظنى ربى سبحانه وتعالى بقدرته وأراك باغية على كيدك ورجعتى مضرة على أذيتى إلى المنهاج الاول والجاجك الفاجر وتقولى أريد كبشة أم عامر وتريدى أن تحلى بى البلاء وذلك لأجل أن تبلغى غرضك وذمة العرب لولا معيرة الناس وقولهم الاسد الرهيص قتل زوجته لأذيقك فى هذه الساعة كاس المنية ولكن من اليوم لاحاجة لى بك فقومى والحقى بأهلك يابنت الفواجر ثم أنه دفعها فى صدرها فوقعت على ظهرها فقامت وهى تتعثر فى أذيال الهوان وخرجت من مضربها إلى أن أتت إلى أمها وحكت لها على ماجرى بينها وبين زوجها فلما سمعت أمها ذلك قالت لها لاأهلا ولاأعزاز ولا أكرام بمن طرحت رداء المجد وقلعت عن جسدها ثياب العز والحمد ثم أنها مضت إلى أبيها وأعلمته بذلك الحال فقام اليها ولم يأخذ فى ذلك الأمر أمهال وهم أن يقتلها ويسقيها كاس الوبال فلم تمكنه أمها منه بل قالت له أعلم أن ذلك الرأى الذى تريد تفعله ما هو صواب وأنا منعتك عن قتلها شفقة اليها وأنا خائفة يقولوا زوجها طردها وراحت إلى أبيها قتلها ولو أنهم سمعوا أنها فعلت فاحشة ماقتلاها (قال الراوى) فلما سمع أبوها من أمها ذلك الكلام مضى إلى حاله ولما مضى أبوها إلى أشغاله أرسلت أمها خلف ابن عمها مبادر وأحضرته عندها فى المضرب وقالت والله ياإبن العواهر أن رأيتك نحو أبياتنا قطعت رأسك بالحسام وعجلت لك الانتقام لأنك أنت الذى كنت السبب فى فراق ابنتى من بعلها ياإبن اللئام وإلا أعلمت بك الاسد الرهيص فيقتلك قتلة وها أنا قد حذرتك وبهذا الامر أعلمتك (قال الراوى) فلما سمع مبادر الكلام خرج من عندها وقد علاه الذل والارغام فهذا ما كان منه وأما ما كان من الاسد الرهيص فإنه جلس يوما من بعض الايام على باب خباه الذى يأوى اليه وإذا برجل بدوى من البرية أقبل عليه وهو يبكى بين يديه فنظر اليه الاسد الرهيص فوجده ملطخاً بالدماء وهو لايجد ما فيه ناصراً ولا حاميا فتقدم بعد ماسلم عليه وشد أذياله بأطناب خيمة وزر وفعل فعل المستجير من العدو الجائر وبذلك كانت عادات العربان فى ذلك الزمان أن الضعيف كان يرمى روحه على من يكون من الشجعان

(تم الجزء الثانى والأربعون ويليه الثالث والأربعون)

الجزء الثالث والأربعون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) فلما نظر وزو بن جابر إلى ذلك الرجل وقد فعل تلك الفعال قال له ياأخا العرب أخبرنى بما أنت فيه من الحال ولا تحمل هم ولا غم وأبشر فلك الذمام من كل من ركب على ظهر الحصان أو تقلد بسيف أو أعتقل بسنان فاهدىء روعك وأعلمنى بأمرك فقال له ذلك الرجل أعلم يامولاى أنى رجل من بنى لجيان ولى فيهم مال جزيل ولى بنت عم فى القبيلة تسمى جميلة وأنا وإياها متولفين من زمن الصباء بينى وبينها صحبة الأهل والأقرباء لأنى منعت من النظر اليها لما كبرت وجمعت وجوه قبيلتى وأكابر عشيرتى ومضيت إلى أبيها وعجلت فى أمر خطبتى فزوجنى فى عاجل الحال وقطع على المهر من أجلها وباشرافى إصلاحها وما يكون من قضاء أشغالها فلما كان فى يوم من بعض الأيام ونحن مطمئنين وإذا قد أشرف علينا ملك من الملوك وهو شاب صغير ولكن معه جيش كثير وأوصافه بين العباد تدل على أنه من أهل البغى والفساد وهو يسمى عائد بن حسان بن مسعود مصاد صاحب مياه عراعر وهو يركض بجواده وحوله أبطاله وكأنه ركضت منه غزالة إلى بعض البيوت فركض خلفها مخافة لاتفوته وإذ قد لاحت منه التفاته فنظر إلى ابنة عمى بالاتفاق وهى واقفة بين أترابها والرفاق فنظرها نظرة أعقبته الف حسرة فعند ذلك قصد المضارب ومن ورائه الأبطال من كل جانب ونزل عندنا فى جانب الخيام وقدمنا له ماراج من الطعام والمدام وأقام عندنا فى أكرام ثلاثة أيام وبعدها سأل بعض الرجال عن ابنة عمى ومالها من الأحوال فاخبروه باسمها واسم أبيها وأعلموه بجميع أحوالها وشأنها فأمر عند ذلك باحضار عمى إلى بين يديه فلما وصل عمى اليه كلمه كلاما غليظاً وهدده بالقتل وقال له أن لم تزوجنى ابنتك وإلا أخذتها أناقوة واقتدار فقمت أنا إليه وعارضته فى الكلام وتذللت بين يديه وسألته التخفيف فى هذا الأمر فقهرنى وسبنى وقال لى قم فقمت وأنا مطرود وما بلغت من ابنة عمى مقصود وصرت أبكى فارأيت من يعيننى على مصيبتى ولا من يفرج عنى كربتى فلما رأى عمى منه ذلك أقفل عليه وكلمه بكلام لين وقبل يديه ورجليه وسأله أن يدعنى أرجع إلى الأحياء فحلف أن هذا لا يكون أبدا مادام هو فى الحى حتى أنه يأخذها ويمضى بها وتنقضى له هذه الأشياء وبعدها يأذن لى بالدخول إلى الحى وإذا جرى ذلك أكون أنا فى

صورة حى لأجل ابنة عمى وتعديته على (قال الراوى) فبينما أنا فى ذلك الأحكام ومابى من الأوهام ولا أعلم مافعل من الاهتمام وإذا قدمر بى رجل من أهل الحى كنت أدعوه لى من الأصحاب فرأى دمعى هاطل مثل السحاب فسألنى عن قصتى فأخبرته بما كان من ذلك الجبار وكيف أخذ ابنة عمى هذا الجبار قوة واقتدار فقال له أدلك على من يأخذ لك بالثار ويزيل عن قلبك العار فقلت له سألتك بالله وبالبيت الحرام من هو البطل الهمام فقال لى عليك بالكريم المجد الواسع الرفد الكثير المناقب الشريف العجائب الأسد الرهيص وزر بن جابر فارس بنى نبهان الشائع ذكره فى كل مكان فاقصده وهو ينصرك على عدوك ويخلص لك ابنة عمك واعلم أن مالك فى هذه أحد غيره ينصرك وإلا إن أطلت مع هذا الجبار الكلام قتلك ودمرك وهذا أيها السيد ماجرى وقد أتيت اليك قاصد والتجأت بحماك ياابن الأكرمين والأطايب فلا تردنى خائب أيها البطل الهمام (قال الراوى) فلما سمع الأسد الرهيص من الأعرابى هذا الكلام ورأى ماهو فيه من الاحتراق قال له ياوجه العرب طب نفساً وقر عيناً فسوف يزول عنك ما أنت فيه من الضجر ولا يكون هذا الذى جرى يقطع مابينك وبين عمك وسوف ترى ما يسرك ويدفع عنك مايضرك ولابد أن اقتل هذا الجبار واقلع منه الآثار وأدع النوائب تندب عليه آناء الليل وأطراف النهار (قال الراوى) فلما سمع الأعرابى هذا الكلام شكره وأثنى عليه وقبل يديه ورجليه وكان وزر أمره بالجلوس بين يديه وأتاه بشىء من الزاد فأكل حتى اكتفى وحصل له غاية الصفى وبعد ذلك قام الأسد الرهيص وركب جواده من وقته وساعته فى جماعة من فرسان قومه وعشيرته وسار وعبده نجم سائر فى ركابه يسعى بين يديه إلى خلاص ابنة عم الرجل من ذلك الجبان ويوصلها اليه ثم أنهم ساروا وقد تبطنوا فى تلك القيعان إلى أن وصلوا إلى الحى التى لبنى الحيان وكان عدتهن ثلاثين فارساً أعيان فاكمن بهم وزر فى ذلك البر الأقفر وأرسل عبده نجم يكشف له الخبر فغاب قليل وعاد على الأثر وهو مارأى حيران وذلك أنه لما وصل إلى الحيان وأشرف على الحلل والمضارب فرأى خيل وجنائب وقناة وقواضب ونظر إلى مضارب مضروبة وخيام منصوبة والأماء تضرب بالدفوف والعبيد يلعبون بالسيوف فخلع عليهم عائد بن حسان وأبذل لهم فى الإحسان وكانت تلك الخلع من الثياب الفاخرة وأكثر لهم من الطيب والعنبر وأطلقوا البخور وجزروا الجزور افرغوا بواطىء المدام وصارت الكاسات عليهم تدور وهم ماهم عليه مطمئين وعن حوادث الدهر غافلين وقد ضربت للملك عائدقبة الزفاف وانتجز الأمر ولا

بقى خلاف والجارية أجلسوها فى هودج وأركبوها على ناقة كثيرة الوبر وقد وضع ذلك الهودج على ظهرها وهو مرصع بالذهب الأحمر ومعادن الدر والجوهر وقد ألبسوها الثياب الملونة الأطلس الاحمر والاصفر والأخضر فصار ذلك المكان يرهج غاية الارتهاج والخلائق قدام ذلك الهودج فى ازدحام وانزعاج وقد عولوا أن يدوروا بالعروس حول الحى والأطلال وتزف على بعلها وقد تباشرت بالأفراح جميع الرجال وأهلها لما رأوا من تلك الخيرات فى افراح زائدات فلما رأى العبد تجم ماهم فيه من الاهتمام عاد على عقبه كأنه ذكر النعام ولم يزل سائرا إلى أن وصل إلى مولاه وأعلمه بأمر العروس وأن الامر قد انتجز ولا بقى كلام فلما سمع الاسد الرهيص من عبده تلك الاحكام قام كأنه الأسد وأيقظ رجاله وقد تدرعوا بالدروع والزرد وقاموا على الأقدام ليقضوا ماهم طالبين من المرام (قال الراوى) فلما سمع ابن عم الجارية بزفافها كاد أن يتفتت كبده مما حل به من الهم والنكد وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الحلة وعاينوا الهودج دائرين به رجال الحى جملة فلما أقبل الأسد الرهيص هو ورجاله وعاين فى ذلك الوقت الزفاف وقد رأى الجارية فى الهودج وضياء الجواهر يكاد البر من نوره أن يرهج فعند ذلك صاح وزعق على العبد القائد بزمام الناقة وعليه انبطق وضربه بالسيف على وريديه أطاح رأسه من على كتفيه وصاح فى العبيد ونادى يا أبناء العواهر أما تعلموا أننى الاسد الرهيص وزر بن جابر فتنافرت العبيد من بين يديه عندما رأت العبيد ماجرى عليه ثم أنه حمل حملات منكرة فصارت الرجال من بين يديه فتقدم الاسد الرهيص إلى ذمام الناقة التى عليها الهودج والعروس ومسكه بيده بيده وسلمه لابن عمها وقال له هذا زمام الهودج وقد زال الله عنك الهم والبؤس تسلم زوجتك وأزيل عن قلبك الغم والعكوس ولما أن روا رجال الحى ذلك الحال تقربوا اليه كأنهم أسود الدحال وهو ينثرهم نثرا ويبرهم هبرا والقوم على الارض خمسة خمسة وعشرة عشرة وانقلب الحى بما فيه وزاد الصياح فى أطرافه ونواحيه (قال الراوى) فلما سمع الملك عائذ ذلك الضجات التى قد علت ورأى تلك العبيد والرجال التى تتنافر فقال لمن حوله يا ويلكم اكشفوا لنا عن هذا الامر المنكر فقالوا له يا ملك وحق اللات والعزى ماعندنا من ذلك الامر خبرا نفا نرى عفريت من ذلك البر قد ظهر وقد بطش بالرجال والعبيد وأحل بهم حل البر وحمل حتى قارب الناقة التى للهودج وأخذ بزمامها وساروا هذا ماعندنا من الاخبار ولما لحقته الرجال فعاد اليهم وقد حل بهم النكال وماقدر أن يصل اليه أحد من الفرسان إلا ويضربه بالسيف أو يطعنه بالسيف فلما سمع عائذ بن حسان بأخذ الهودج قام على حيله من وقته وغاص فى لامته وركب فى الحال على ظهر حجرته وصاح فى أصحابه ورفقته وهو متقلد بسيف ابتر مهتمل

برمح أسمر وحمل وصاح ولم يزل فى حملته حتى قرب من الهودج وصاح على الأسد الرهيص ويلك يا نذل العرب خلى على الضعينة والعروس وإلا حل بك الهم والبؤس وتقع فى الأمر المنحوس وانجو بنفسك سالم وإلا تقع فى الأمر العظائم وتصبح بعد ذلك الفعل نادم (قال الراوى) فلما سمع الأسد الرهيص كلامه ورأى ماهو فيه من اهتمامه عاد اليه عودة الأسد بقلب قوى وجنان جرىء وزعقة منكرة وقال له ثكلتك أمك وعدموك قومك ياويلك من تكون من العربان حتى تجارأت على هذه العروس من ذلك المكان فقال ياويلك أنا الملك عائذ بن حسان صاحب مياه عراعر وتلك البلدان فقال له وزر ابن جابر فارس بنى نبهان واليك أتيت قاصد لانى قد استجار بى زوجها فدع عنك المطامع وإلا قتلتك وأكون لرأسك من على جثتك قاطع ثم انه بعد ذلك أمر بعل العروس أن يقود زمام الناقة عاد وإلى عائذ عودة الاسد الضرغام وحمل عليه حملة الليث الهمام فتلقاه عائذ بعزم منكر وضرب لايبقى ولا يذر وهم أن يضربه بسيفه على هامته بقدرة فرآه محترزا على روحه وهو جيد الخبرة فى مقام الطعان بالسمهريات حتى جاز امرهما عن حد الصفات وعبر نصف النهار فتهاجما مهاجمة الأسود الضوارى فى الغابات وكان عائذ بن حسان قد احتقر خصمه فى القتال لما رآه قصير بين الرجال فما زال معه إلى أن بان منه ما بان وكان عائذ على صفرسته عريض الاكتاف والأوصال عديم المثال فلما رأى الاسد الرهيص منه ذلك الجال أخذ معه فى ميدان الحرب والقتال وقد كثر على الحنق فصاح الاسد الرهيص فيه وزعق وضربه ضربة جبار لايشفق فنزلت الضربة على رأسه فقدت البيضة والرفادة ونزل السيف فى الحلقوم فوقع إلى الأرض صريع يمج علقما ونجيع وصار يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه (قال الراوى) فلما رأوا أصحابه ماحل به من تلك الأمور وماجرى عليه فصاحوا على الأسد الرهيص وحملوا عليه فعند ذلك تلقاهم وغاص فى أوساطهم وقد أباد فرسانهم وأفنى شجعانهم وقهر كانهم وقد أعانه على ذلك رجاله لأنهم فعلوا فى الحرب مثل فعاله فلما رأت فرسان عائذ ماحل بهم من الأسد الرهيص وليس لهم به طاقة ولاقوة ولا استطاقة فولوا منهزمين وإلى النجاة طالبين فتبعهم الاسد الرهيص هو ورجاله ساعة من النهار حتى شتتوهم فى البر والقفار وعادوا عنهم وقد أخذوا الجاريه ورجعوا بها إلى أهلها والديار وبعلها أفراح الخلق بهذا الاقدام وصار يشكر الاسد الرهيص ويثنى عليه من أجل تلك الفعال التى قرت بها عينيه وخرج أبو الجارية ولم يعلم بتلك القصة وما معناها فعند ذلك تقدم اليه الغلام وبداه بالسلام واجزل له من التحية والإكرام وايضاً أبو الجارية تقدم اليه وسأله عن الحال فاعله بما جرى وما كان من تلك الأمور الحسان وأخذ منهم جماعة من الفرسان وعاد التى بالأسد الرهيص وسلم عليه هو ومن معه من الرجال.

واستقبله بحسن استقبال وشكره وأثنى عليه على ماأوصلهم من تلك الأعمال فقال الأسد الرهيص إن كنت ترعى مافعلت معك من الاكرام فاغتنم الفرصة ودبر زفاف ابنتك على ابن أخيك ودعنى أتنى أنا عليك فقال له السمع والطاعة ويكون ذلك من أول النهار وتلك الساعة ثم أن أبا الجارية نحر النحائر واجتمعت الرجال وأهل العشائر وأقاموا على أكل الطعام وشرب المدام وخبروا نعام إلى أن انقضت أيام الأفراح سبعة أيام وبعد ذلك جلس ابن عم الجارية والأسد الرهيص فى المكان الذى فيه عائد بن حسان وزفت الجارية عليه من غير ملام وصار القوم يثنون على وزر بن جابر بما أوصل اليهم من الجميل والاحسان ولما تم الزفاف وفرغ على تلك الأوصاف دخل الغلام على ابنة عمه وقد انفرج عنه ما كان اعتراه من همه وغمه واجتمع شمله وفرحت به جميع أهله وأقاربه وأقام وزر عندهم بعد الزفاف ثلاثة أيام وبعد ذلك ودعهم الاسد الرهيص وطلب المسير إلى الأوطان لما رأى الغلام قد قر قراره بين أهله وأنصاره فخرج معه الغلام هو وعمه وكل من فى الحى لوداعه وسار طالب أرضه وأطلاله هذا ما كان من الاسد الرهيص وأما ما كان من معد يكرب وأحواله فانه لما قدم من غيبته وأراد الدخول على أمه رأى أهل الحى فى بكاء ونواح وأمور تدل على عدم الفلاح فسأل الخبر فاخبروه بما فعل بهم وزر الظالم الغاشم وقالوا له أنه وصل إلى الحى وسبى أختك ريحانه وقد خرج اليه أخوك عبد الله فى جماعة من أصحابه والرجال الاقيال فجرحه وأحل به الإهانة والاذلال فلما سمع عمرو ذلك الكلام عند ذلك صدق كلام الرسول لأنه ما كان مصدقا ان أحدا يسطوا على حلته من همته وهيبته فلما سمع ماحل بقومه من الانتقام قامت قيامته وزادت بليته ونزل فى الخيام كما ذكرنا ثم قدم ونادى فى قبيلته بعد أن لبس لامته فاجتمعوا عليه فاختار منهم الف فارس أسود عوابس وفى الحديد غواطس لايبان منهم على تداوير مقل الحدق وركبوا على الخيول العربية واعتقلوا بالرماح الخطية وتقلدوا بالسيوف الهندية وساروا فى حمية وأى حمية ولم يزالوا سايرين يطلبون ديار بنى نبهان وهم يقطعون القيعان والأودية والغدران إلى أن أشرفوا على ديار القوم فرأتهم الرعيان من أبعد مكان وهم مقبلون كأنهم الغمام فرجعوا إلى الحى والقوا فيه النفير وقد اعلموا الصغير منهم والكبير وقد انزعج الحى وركبوا وكان وزر حاضر فى حلته وقد أتى من سفرته فركب هو وفرسان قومه وأعوانه وخرجوا إلى استقباله وكان عمرو أغار على المراعى وساق مافيها من الاموال والنوق والجمال وسلمها لبعض فرسانه وتأخر هو ليرد من يتبعه من

خصامه فلم تكن إلا ساعة حتى لحقت بهم الفرسان فرجع اليهم عمر فرأى فى أوائلهم وزر بن جابر المكنى بالأسد الرهيص وهو يصيح ياويلكم تهجموا علينا فى ديارنا والاوطان وتأخذون شيئاً ماتقدرون عليه لاأنتم ولاملوك الزمان فتلقاه عمر وقد حملا على بعضهما بعض وارتجت من ركض خيلهما الارض وتقاتلا حتى اندهشت منهما الابصار وتعجبت من فعالهما الحضار وما كانت غير ساعة حتى سطا وزر على عمرو وضايقه وسدعليه طرائقه ثم طعنه بعقب الرمح أرماه من على ظهر الجواد على الصعيد وكاد أن يرض عظامه ومن ثم أنه نزل اليه وأوثق منه أطرافه وسلمه إلى بنى عمه ثم انه حمل على باقى قومه وغاص فيهم ساعة من النهار ففرقهم فى البرارى والقفار وشتتهم فى السهول والأوعار وقد استظهر عليهم ورد المال منهم وبعدها عاد إلى الحى ودخل مضربه فلما نزل فى داره وجلس فى أبياته أحضر بعد ذلك عمرو وقال له ياويلك عجل بالفدا وإلا نزلت بك الردا ثم أكثر عليه فى طلب المال وبعدذلك قال له ياعمرو اعلم أن صدق الكلام حسنه وأنا أريد أن اتخذك لى صديقاً عند كل شده وضيق وإنى أكون لك عبداً فى كل ماتطلب لانك رجل مذكور وأريد أن تزوجنى بأختك ريحانة وتأخذ منى مهما أردت من الأموال فلما سمع عمرو كلام وزر فرح به فرحا شديداً وأجابه إلى مايريد فعندها قام وزر قائماً على قدميه وحل وثاقه وقال له اعلم ياأمير عمرو أنى جئتك خاطباً وفى أختك راغباً وأريد من فضلك أن تزوجنى بأختك ريحانة ثم أن وزر جمع أقرانه وخطب منه أخته على رؤس الاشهاد فانعم عليه عمرو وأجاب وتمت تلك الامور وقد أعطاه يده على الزواج ومابقى احتجاج وقطع عليه المهر والصداق فساق اليه وزر النوق والجمال والخيل الغوال وكما وقع عليه من أهله وقرابته وقد أخبرهم بزواج أخته ريحانة بالأسد الرهيص المصان ففرحوا باتصالهم ببنى نبهان واجتمعوا فرسان القبيلتين وقدعقروا ونحروا وأقامت الولايم سبعة أيام وبعد ذلك زفت ريحانة على الأسد الرهيص فى الليلة الثامنة ونصبت له قبة الزفاف وتكامل الأمر ولابقى خلاف ودخل وزر تلك الليلة على ريحانه فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فبات عندها بقية تلك الليلة ومن الغد خلع على أخيها عمرو وعلى أمها وأمراء قومها وأخوتها وعلى جميع بنى زبيد وسار عمرو بعدانفضاض العرس من حى بنى نبهان إلى أهله ودياره وقر قراره بين أهله وأنصاره فهذا ماكان من هؤلاء قال الراوى وأما ما كان من وزر فانه مازال يغزو الحلل ويقهر الفرسان إلى أن علا شأنه وارتفع مكانه ودلت له العربان وأكل غفارة الفرسان فرأى نفسه بعدذلك فى أعلى مكان فتجبر وطغى على سائر

للشجعان ومن عظم تجبره وتكبره عمد إلى الغنم التى له واشرف عليها فرأى فيها كبش أملح أقرن فاخذه ولبس قرونه بالذهب وحط فى يده أساور من ذهب والبس رجليه خلاخل من فضة وغطى ظهره من الديباج المدثر وصنع له مقوداً من الابريسم الأخضر وعقد فيه اللؤلؤ والجواهر وجعله فى رقبته بشريط من الفضة البيضاء وعمل له هودجا من خشب العرعر وصفحه من الذهب وجعل عليه ثوبا من الأطلس الأخضر والأحمر والأصفر طرزه بالذهب المدثر ولماخلص الاسد الرهيص من تلك الأشغال ركب الهودج على جمل من البزال وأخذه وسار يأخذ الغارات من سائر العربان ويقول لهم هذا غفير العربان وسائر القرى والبلدان فاتوا لها الجزية بامكان واعلموا إننى قد جعلته غفيراً على سائر العربان هذا وقد تجبر وتمرد وصار يأخذ الجزية من ساير العرب من بعد منها ومن قرب فكانت العرب إذا سارت تجازهم تحمل للكبش الجزية ثم انهم يترجلون اليه ويسلمون عليه ويذلون له ويقبلون الأرض بين يديه وكان ذلك الكبش يطعم من أفخر المأكول ولا يسقوه إلا من لبن الإبل المبرد فى نسيم الأرياح وقد ذلت له بنو رياح وبنو قحطان وجزعت من بأسه الأبطال والشجعان ولكن ماقام الأسد الرهيص على ذلك إلا أيام قلائل حتى مالت جوارحه إلى زوجته كبشة وكبشة ما يريد قلبها إلا ابن عمها مبادر لأنها تحبه محبة عظيمة وكانت فرحت لما تركها وزر ولما عاد إلى محبتها القديمة التى كانت فيها فى الأول فصارت تهنيه وتبالغ فى هوائه وهو يبالغ فى اكرامها قال لما كان يوم من بعض الأيام قبل وزر على دايته وقال لها ياماأه أما تنظرى إلى كبشة وكيف انها عادت إلى المنهاج الأول فقالت له أعلم ياولدى أن قلبها مايميل إلا لابن عمها أكثر من ميلها إليك وإلى غيرك وإنها ياولدى فى غيبتك ترسل اليه وتحضره إلى عندها ثم يتحدثون ويجتمعون على كل مكروه ومايفعلون إلا مايشتهوه فلما سمع وزر من دايته ذلك الكلام قامت عيناه فى أم رأسه وهم أن يقول اليها فى ذلك الوقت والساعة ويقتلها فقالت له دايته أعلم ياولدى أن هذا ليس بصواب ولا تفعل فعلا تلومك الناس عليه واسمع الخطاب ولا تفعل إلا بعد تحقيق الخبر والرأى عندى أنك تدخل اليها وتعلمها أنك مسافر إلى بعض احياء العرب واخرج من عندها واختف فى بعض الاماكن فانها تنفذ اليه وتحضره إلى عندها فاذا أحضرته وقعد بجانبها فتأتى ذلك الوقت وتدخل عليهما ولما تحقق ذلك الأمر العنيد افعل ذلك الوقت ماتريد فقال لها والله لقد أشرته بالصواب الذى لايعاب ثم أنه قام من عند دايته ودخل على كبشة زوجته وقال لها مالى أراك على هذا الحال وقد رجعت إلى المنهاج الأول فقالت له اعلم أن كنت تحبنى

فامض إلى كبشك وخذه إلى الحلل والقبائل جميعها وتضم لى أغناما كثيرة وخيل وإبل وغير ذلك لأنه فى خاطرى ان اعمل وليمة عظيمة إلى نساء الحى الاحرار لأنى وعدتهن ألا تكون الوليمة إلا من غفارات الكبش شاطر الشطار فلما سمع الأسد الرهيص منها ذلك الكلام قال لها هذا شىء هين ولكن بعد عودتى تكون الوليمة واعلمى أن هذه الوليمة يبقى لها قدر وقيمة ولكن أعلمى أن بنى طى قد أبعدت عن أرضنا وهم نازلون اليوم بين أجا وسلما وأما قبائل بنى نبهان وغيرها قد أخذت غفارتها ولكن أنا أمضى إلى غيرها وها أنا سائر فى هذه الساعة فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها وأتته بعدة حربه وجلاده وخرج من عندها وركب جواده وسار إلى البر وما زال غائب إلى آخر النهار ورجع أكمن فى المغارة التى فيها الكبش (قال الراوى) فهذا ما كان من الأسد الرهيص وماجرى له وأما ما كان من كبشة زوجته فانها لما رأته قدركب وخرج ظنت أنه مابقى يعود فى تلك الأيام فقامت من وقتها وسارت إلى ابن عمها بنفسها ودخلت عليه فى مضربه وقالت له قم يامبادر معى إلى الخيام وقد أرسلت وزر إلى شرب كاس الحمام ثم أنها أخبرته بما جرى لها معه من أول الامر إلى آخره وسحبته بيدها وأتت به إلى الخيام فهذا ماكان من كبشة وابن عمها قال وأما ماكان من الأسد الرهيص ودايته فإنهما ما زالا إلى أن اجتمعا الإثنين وبقيا على فراش الأسد الرهيص جالسين وسارت اليه وأعلمته بما فعلت زوجته فسار معها وأخذ سيفه تحت أبطه ثم أنه تخفى واليهما أقبل وكان قد مضى من الليل الثلث الأول فلما قارب من المضرب خرج جانبه فرأى مبادر جالس على مرتبته وقد نظرهما وهما يتعانقان فوقف الأسد يسمع كلامهما وينظرهما فرآه وهو يقبلها وهى تقول لهوأى شىء أعمل فيمن قهر عمرو بن معديكرب الزبيدى وقد أذل الأبطال فقال لها يا كبشة فانى دبرت عليه حيلة وهو أنى قد اطلعت على حشيشة فى البرارى والقفار وأريد أن أحضرها اليك وأنت أوضعيها فى اللبن المبرد فى الهواء ثم أسقيها له فانه لم يقدر ان يقوم من مكانه

(قال الراوى) فلما سمع الأسد الرهيص من كبشة ذلك الكلام ومن ابن عمها مبادر لم يتمالك عقله دون ان هجم على الإثنين وسيفه فى يده مشهور وضربه بالسيف صفحاً على رقبته شقابه ودار كتافه ورفس كبشة شقابها وأمر عبيده بجمع الأحطاب فاتوه بما طلب فاطلق النار فى الحطب وعندما سمعت أهل الحلة بذلك الخبر فاجتمعوا لما علموا ذلك ولم يقدر واحد يسأله عن ذلك خوفا من شره ولما علم ان النار اضرمت وارتفع لهيبها ودخانها دخل عليهما وأمر العبيد أن يسحبوهما إلى خارج المضرب ويأتوا بهما

عند النار وتقدم وزر اليهما وضربهما بحسامه قسمهما نصفين وأمر العبيد برفعهما وأن يلقوهما فى النار ثم أنه أنفذ فى عاجل الحال إلى أمها وأبيها وأخيها فلم يرهما

(قال الراوى) والسبب فى ذلك أنهما لما سمعا الخبر هربا من الفزع خوفا من نقمته ودخلا على الملك المهلهل وقد استجاروا به فاجارهم وأطاهم الذمام فلما علم بهم وزر تركهما وبات ليله ولما أصبح الصباح أنفذ اليه زيد الخيل فقال له يافارس بنى نبهان وأوحد الشجعان أى شىء هذا الذى فعلته فقال له ولمن حضر ياسادات العرب ووجوه القادات من ذوى الرتب أننى قد وجدت مع زوجتى فحلا من الفحول فقتلتهما جميعاً وسأقتل أباها وأخاها وكل من لها وأقتل سائر أعمامها فقال وكان أبوها وأخوها حاضرين فى ذلك المجلس فاقسم أبوها وأخوها أنهما لو علما بهما كانوا قتلوهما ثم قال أبوها بيض الله وجهك يافارس العرب الذى رفعت العار وكشفت عنا الشنار فقال له زيد الخيل ياوزر اعلم أنهما قد دخلا بيتى وأكلا طعامى وصار فى ذمامى فقال له الأسد الرهيص أنهما مرهبان لك ولأبيك دعهما يخرجان ولهما الذمام من أجلك ولهم أيضا منى الإحسان فعند ذلك أصلح زيد الخيل بينهما وقد وهبوا له دم ابنتهم وبعدها ذهب الأسد الرهيص إلى ريحانة أخت عمرو ودخل عليها فوثبت قايمة اليه فاخذها بملء الأحضان وترحب بها وأنساها تصاريف الزمان وقال لها اعلمى ياريحانة انى قد وهبت ذلك جميع غنارات الكبش من الاموال والرجال هذا وقد انقلبت محبة كبشة لريحانة بما رأى من حسنها وجمالها هذا وريحانة صارت تتجلى قدام الاسد الرهيص وتعظم قدره هذا ماجرى هنا لوزر وأما ما كان من أسد الأساد وليث الطراد عنتر بن شداد فانه لما رجع من عند القدين ساعدة ووصل إلى ديارة وقر فيها قراره وهو زائد البكا على ولده الغضبان ولايعطى صبرا ولا سلوان فبينما عنتر جالس يوم من الايام على باب مضربه ومن حوله أولاده وفرسانه وأجناده وعروة والجميع جالسون حواليه وهم يسلوه بالكلام وإذا قد دخل عليهم شيبوب ومعه عبد من بعض أحياء العرب وكان ذلك العبد من بنى نبهان وكان سائر فى بعض الاشغال فامسى عليه المساء فنزل فى مضارب شيبوب واكرمه وقربه وادناه وقدم له الطعام وقعدهو وإياه للحديث والكلام فقال له شيبوب ياابن الخالة أنت من أى الاماكن اتيت وإلى اين انت قاصد اخبرنى بخبرك فقال له ياابن الخالة اعلم انى من نبهان أصحاب الضرب والطعان فسأله شيبوب عن الامير زيد الخيل وعن بنى نبهان وفرسانها وشجعانها فحدثه بحديث وزربن جابر وسبب منشئه من أول الأمر إلى آخره وماجرى مع ريحانة أخت عمرو بن معديكرب وسببها

وزواجه بها وأخبره أيضا بخبر الكبش الذى جعله غفير على سائر العربان كيف أخذ منهم الغفارة وكل من عصى عليه من العرب أنزل به الذل والعطب وسائر الناس من أكابر وغيرهم أن يزيل عنهم هذا الكبش فلم يفعل وإن أمره قد علا وفخره قد نما وذكره قد سما وقد استغنى غنى لا فقر بعده أبدا وزاد شره على الفرسان وتجبر على العربان قال فلما سمع شيبوب من العبد فعل الاسد الرهيص تعجب وزاد عجبه ولما تحقق شيبوب ذلك الكلام أخذ العبد وسار به إلى أخيه وأوقفه بين الخيام ودخل على عنتر وأخبر بما سمع من العبد وبما فعل الاسد وخبر كبشة وماجرى له مع زوجته وكيف قتلها وخبر ريحانة وخبر الكبش الذى يأخذ به الغفارات ثم قال شيبوب لا يصعب عليك ياابن الام لانك مابقيت تدرى فى الحرب ولا لك خبرة بالطعن والضرب فقال عنتر أى شيء هذا الكلام ياولد الحرام فقال شيبوب قولى صادق وحق الملك العلام وأنت لو كنت عنتر بن شداد البطل الهمام ما كان وغد خسيس مثل هذا يقال الاسد الرهيص يتعدى على عربان بنى قحطان وبنى عدنان بالشر والانتقام ويعيش سالماً بين الانام واشتغلت بموت ولدك الغضبان ونسيت ماشيدته من قديم الزمان فلما سمع عنتر هذا الكلام قال أئتنى بهذا العبد الذى أخبرك بهذه الامور حتى أسمع منه مايقول فمضى شيبوب وغاب ساعة ومعه ذلك العبد حتى أوقفه قدام الامير عنتر فعند ذلك سأله عنتر عن هذا الخبر وقال اخبرنى ياابن الخالة بالقول الصحيح ودع عنك التلويح فاخبره بما كان من أول الامر إلى آخره وقال له يا أبا الفوارس وزين المجالس فوحق رب المشارق والمغارب إن أنت رفعت عن العرب ماقددهاهم من هذا الكبش صاحبه فزت بالذكر الجميل فى مشرق الكون ومغاربه واخبرك أيضا يا أبا الفوارس أنه بالامس توقفت عليه قبيلة من العرب فى إعطاء الجزية فغار عليهم وأهلك فرسانهم وأباشجعانهم وهتك النسوان وسبى البنات والصبيان لاجل أنهم عصوه وذلك لكونهم قد تأخروا عن حمل الغفارة والمال وهو والله ياأبا الفوارس وحق ذمة العرب وماهو إلا بلية لا ترد ونقمة لا تصد قال فلما سمع الامير عنتر من العبد ذلك الكلام غضب غضباً شديداً ماعليه من مزيد وقال والله ليكونن هذا الكبش موسوما على وزر ولكن وحق ذمة العرب وشهر وجب لاقتل هذا الكبش وآكل من لحمه رغماً عن أنفه هذا وقد بات العبد عند عنتر تلك الليلة وعنتر زائد الوساوس والفكر من هذا القول الذى سمعه والخبر ثم دخل ابنة عمه عبلة فرآها ضيقة الصدر متفكرة فى أمرها مطرقة إلى الارض برأسها فصعب عليه أمرها ولم يعلم

ماجرى على قلبها فقال لها عنتر أى شيء هذا التعليق والفكر والغضب وقد أذللت ملوك الشرق والغرب وسادات العرب وما أحضرت لك تاج الملك كسرى أنو شروان ومال القيصر ملك الشام وذلك الأمر كله فهمتيه وعرفتيه معرفة تمام وأيضاً عرفت تعليق قصيدتى على البيت الحرام وأذللت قدامك الملوك وقهرت كل ملك وصعلوك وقهرت وملكت كل فارس فتوك وقد أزعجت العرب غربا وشرقا وحميت لكى ولقومكى وأنت تعلمى أن العرب كلهم يحسدوك على ما أنتى فيه وبعد هذا كله فانى بخير وعافية فاعليمنى الآن بما جرى على قلبك فانى أراكى منكسرة القلب والبال ثم عرفينى بالصدق وماعندك من السؤال فان الصدق أجمل وأحسن وأكمل حتى أوريكى ما أفعل (قال الراوى) فقالت له عند ذلك عبلة لما سمعت منه ذلك الكلام ياابن العم حقيقة أنك أذللت الرجال وأسرت الأبطال وخافت منك ومن شجاعتك وسطوتك الأقيال ولكن أنت بالضد من ذلك الحال ولقد أعجبك ياعنتر كلامك وعظم الجنان وليس لك فيما تقول أساس

(قال الراوى)فلما سمع عنترا ماأبدته عبلة من غليظ المقال صعب عليه هذا الحال ولكن كتم وجده البلبال وقال لها أعلم ياعبلة أنك تريد مكايدتى وغيظى اجبار ولكن سوف اخايلك تشهدى لى بالشجاعة لانك قد احتقرتنى غاية الاحتقار فقالت له نعم ياابن العم لأنك اشتغلت عن طلب المعالى بشرب كاسات فى الليل والنهار وافرس منك والحر يأخذ الاموال العرب والغفارة من بعد منها ومن أقترب ولكن ياأبا الفوارس قد نفذ السهم بما فيه وانت تعلم اننى مارضيت بك ان تكون لى بعلا وأنا لك أهلا لما اجتمعوا الناس وشهدوا لك بالفروسية والشجاعة والقوة والبراعة انا الآن مابقى لى فيك حاجة فلا تكثر معى اللجاجة فما أنا لك أهل ولا أنت لى بعل فقال لها وانى ماغمكى هذا الأمر ياعبلة فقالت له نعم لأجل وغد خسيس نشأت فى العرب وقد جعل له كبشاً من الغنم يأخذ به لزوجته الغفارة من العرب وانت ياعنتر صاحب الاموال والخيول والجياد فلما سمع عنتر منها ذلك الكلام قال لها اعلمى يابنت العم أن البغى له مصرع من الذباب أوقع وهذا الرجل علمت أنه قد طغى وبغى واستكبر على العرب فلا بد أن يحيط به بغيه وغدره ويرد عليه مكره وشره فقالت له عبلة والله ياابن العم أن لم تقطعنى من لحم هذا الكبش المذكور وتأخذ صاحبه أسير ذليل مقهور وإلا أنا لا أكون لك أهلا ولا أنت تكون لى بعلا فقال لها عنتر يابدر التمام أحسنى ظنك فى ابن عمك وأنا أبلغك مرادك فى هذا الأمر لانى علمت أنك

ماتريدى فوق فوق فحرك فخر فقالت له عبلة هكذا أريد أن أكون فعند ذلك طيب عنتر قلبها وأجابها إلى ذلك ونهض من وقته وساعته ودخل على الملك قيس وأخبره بذلك الخبر وأعلمه بالاسد الرهيص وكبشة فقال له الملك يا حامية عبس وعدنان هذا شيء ما يصيبنا منه ضرر ومابيننا وبينه معاملة ولامعاندة وماهو منا ولانحن منه وإن طلب منا غفارة تركناه معفر بدماه ولكن الرأى عندى أن لاتتعرض له لأن هذا الرجل نبهانى وأنت حجازى عدنانى فقال عنتر لاوالله يامالك الزمان فانا لابدلى أن آكل من لحم هذا الكبش رغماً عن أنف صاحبه وأنهب ماله وأسبى حريمه وعياله فلما سمع الملك قيس من عنتر ذلك الكلام سكت وعلم انه لايرجع عن هذا المرام فقال له افعل ماتريد أيها البطل الهمام فعند ذلك عاد عنتر إلى عبلة وأعلمها بما قال قيس من الكلام ثم قال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق الخليل إبراهيم والملك العلام لافصلت هذا الامر إلا شاهدانك وأعلق رأس هذا الكبش فى عنق جمل يشيل هوادجك وافتخر بذلك الفعل بين العرب من بعد منها ومن اقترب ويحصل لك الفخر على سائر نساء بنى عدنان وفزازة وذبيان وسائر العربان وان أتى هذا الرجل إلى هنا يابنت العم آخذه اسير واجعله ذليل حقير ولكن ياعبلة اعلمى انه هاهنا شيء آخر وأمر من الامور قدخطر لى على بالى فقالت له اعلمنى أيها البطل الجسور فقال لها إذا مضيت وحدى اخشى من شيء وهو إنى إذا اتيت برأس الكبش ولحمه تقولى ان هذا من الغنم السارحات فى القيعان فلما سمعت عبلة هذا الكلام طلعت إلى الهودج وقال لها تسيرى معى وتنظرى بعينك فى وزو وزوجته وكبشة فقالت له وهذا اقصى مرامى لله درك من أسد ضارى ثم انها اجابته إلى مقاله لما علمت بأحواله (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك المرام إلى يوم من بعض الايام طلب الملك قيس رجاله واخوته وبعض أقاربه وجنده وأراد المسير للصيد والقنص وانتهاب اللهو واللذات والفرص وأرسل خلف عنتر ليركب معه لأجل منادمته فلم وجد له خبر ولاجليلة اثر فارسل سأل عنه من مالك عمه فقال له والله ما اصبح للرجل فى الاخباء خبر ولاأخيه شيبوب ولاابنتى عبلة ولا اعلم ابن مضوا بالجملة فلما سمع الملك قيس من مالك ذلك القول علم ان عنتر مضى لأجل الإسد الرهيص والسبب فى ذلك الربيع ابن زياد صاحب المكر والكياد لأنه لما رأى عنتر علق قصيدته على البيت الحرام وبلغه اقه كلما يريده من المرام فضاقت على الربيع المسالك وكاد من شدة حسده ان يصبح هالك وبقى حيران فيما يفعل فى حق عنتر من الكياد والامور والفساد فما كان له إلا انه احضر ابنته وقال لها هل تقدرين على ان تعاونينى على هلاك عنتر بكلمة واحدة فقالت له يا ابتاه وماهى الكلمة

اخبرنى بها حتى أننى أفعلها ولو كان فيها اتلاف روحى بذلتها فقال لها تدخلين على عبلة وتجلسى عندها وتحدثى معها وتمدحى عنتر وتصفين كثرة أمواله وخيله وجماله وخدمه ورجاله ثم قولى لها ماأعطى أحد من السعد والحظ الإوفر مثل ماأعطى ابن عمنا عنتر ولكنه ما لحق منزلة الاسد الرهيص لأنه اصطنع كبش من الغنم وصار بأخذ به الغفارة من العرب والسادات القادات وهذا شيء لا يناله عنتر من الامم السالفات قال الراوى فلما سمعت ابنة الربيع من أبيها ذلك المقال قالت له السمع والطاعة وأنا أسير اليها فى هذه الساعة واعلمها بهذه الاحوال ثم أنها نهضت فى وقتها وساعتها وسارت من عند أبيها ودخلت على عبلة وسلمت عليها وجلست عندها وتحدثت معها وأخبرتها بما قال أبوها الربيع فلما سمعت ذلك الكلام من ابنة الربيع بن اللئام حصل عندها هم عظيم وخطب جسيم ولم تزل كذلك حتى دخل عليها عنتر فرآها على غير الاستوى وهى على غير ما يعهد منها عن حالها فحدثته بما سمعت من ابنة الربيع وقالت له فى آخر الكلام يا ابن العم أنا وحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم خالق موسى وعيسى وإبراهيم لاعدت من اليوم أكون لك ضجيعة ولا لأمرك سامعة ولا مطيعة حتى أنك تسير إلى هذا الفارس الذى لك ذكرته وتقتله وتذبح كبشه وتطعمنى من لحمه فقال عنتر لشيبوب أن يشد لعبلة هودجا على جمل بازل وبعدها شد له على جواده الابجر فركبه وركبت عبلة فى هودجها وســـار عنتر وشيبوب بين يديه كما ذكرنا ولما تمادى بهم المسير لحقهم عروة ورجاله وأولاده وهم ميسرة وغصوب وأرادوا المسير صحبته فأبى عن ذلك وردهم وحلف عليهم أن لا سار معى فى هذه المرة إلا أخى شيبوب فرجع أولاده وسار شيبوب فى ركابه وقال له يا ابن الام إلى أين تريد أن تسير فقال له إلى ديار بنى نبهان فقال له مرادك تسير إلى ذلك المكان بدون أولادك وفرسانك واجنادك فقال له ويلك سيروأنا أوريك العجب لإنى أعلم أن زيد الخيل ما يجرد فى وجهى حسام لأنى صاحبته من الهلاك أطلقته فساروا حتى انهم قاربوا ديار بنى نبهان فنزل عنتر واكمن فى الوديان وارسل شيبوب حتى اشرف على حلة زيد الخيل فالتقاه عبد من عبيده فقال له حييت يا ابن الخالة فقال له حياك الله يا وجه العرب فسأله شيبوب عن الملك تلجم ابن حنظلة الطائى فقال شيبوب وأى شيء حال وزر وكبشة فقال له أما الكبش فهو فى مغارة فى الجبل وما زالوا سايرين إلى أن وصلوا إلى المكان الذى فيه الكبش فلما نظرك العبيد إلى عنتر تسابقوا اليه وهم يقولون انزل يا وجه العرب من على جوادك وقبل الارض بين يدى الغفير لان غفير العرب من بعد منه ومن اقترب .

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامهم ماردعليهم جواب ولااعتنى بهم بل انه استلب لرمح وطعن المتكلم فى صدره أطلعه يلمع من ظهره فتبددت أمعاءه وصار عبرة لمن يره وبعد ذلك حمل على العبيد وأطبق عليهم وصاح فيهم أجمعين فما كان أقل من ساعة حتى قتل أكثرهم وهربوا الباقين إلى الحلة طالبين رهم ينادون بأعلى صوتهم قتل الغفير وحل الويل والتعتير (قال الراوى) هذا وعنتر بن شداد قدهجم عليهم وأخذ الكبش وصار بعدذلك إلى الحلة وكان أهل الحلة أكثرهم غياب مع الاسد الرهيص وزيد الخيل لانه الآخر كان سار إلى بعض الغزوات فصرخ عنتر صرخة عظيمة فلماسمعوا المتخلفين فى الحى ذلك الضجة ركبوا وخرجوا إلى لقاء عنتر بن شداد وتبادرت اليه جميع الرجال وكان عنتر أمر أخيه شيبوب أن يتابع ما كان الكبش من خلاخل وأساور وقلايد وجملها فى مخلاة الابجر وعلقها فى عنقه وقصد بعد ذلك إلى أحياء بنى نبهان حتى قاربوا البيوت فلما قاربها رأى الفرسان متنافرة واليه متبادره وكانت ثلثمائة فارس وهى اليه عالية فلم تكن إلا ساعة حتى أهلك عنتر منهم جماعة وهرب الباقون طالبين المضارب والخيام فلمارأوا عنتر بهتوا اليه واندهشوا وصاحوا عليه ماحاجتك ياحامية عبس وعدنان أعلمنا بها حتى نبادر إلى قضائها فقال لهم ياقوم أريد وزر بن جابر فقالوا له ولم ذلك الطلب فقال أقتله وأحل به العطب أوآسره وأقتل كبشه الذى يأخذ به الغارة فقالوا له أماوزر فهو غائب فى بعض أسفاره وأما الكبش فهو حاضر فى قاب المغارة التى فى الجبل فقال عنتر أما الكبش فقد اخذته وقاصد به إلى مضربه حتى انحره فى يده فقالوا ماهو بين يديك فسار عنتر اليه حتى وصل إلى بيت وزر فرأى زوجته ريحانة باكية نائحة فدخلت عبلة إلى ذلك المضرب وجلست على فراش الاسد الرهيص وكان عنتر واقفا عندالشجرة التى فوقها العريشة وكان سرير الاسد الرهيص تحتها ثم ان عنتر أمر شيبوب ان يذبح الكبش على حافة السرير فذبحه وسلخه ثم أمر أن يقسم لحم الكبش نصفين ويملح النصف الآخر فلما قسمه وملحه قال له شيبوب هذا قسم الملك قيس وبنى عمه ثم انه زعق على جميع ماأمرها به عنتر وهى تبكى بدموع غزار وتنحسر قال الراوى فلما اكتفت عبلة وعنتر من الاكل أمرها ان تصب على يدى عبلة ففعلت وبعد ذلك ركب عنتر وركبت عبلة ثم ان عنتر أمر شيبوب أن يعلق رأس الكبش فى رقبة جمل عبلة وأمر أن يسوق من أموال الاسد الرهيب الف ناقة ونهب أمواله وسبى زوجته ريحانة فقالت له ريحانة ياأبا الفوارس تسبينى وأنا أخت صديقك عمرو بن معديكرب الزبيدى فقال لها عنتر واخيك زوجك

بالاسد الرهيص فاعلمته بالامر من أوله إلى آخره فقال لها ياريحانة حيث انك أخت عمر ابن معد يكرب الزبيدى فعليك السلامة ممن يأكل البر ويشرب الماء وقد أوهبتك جميع أموال الاسد الرهيص أكثر مالأخيك عمرو أبا ثور وها أنا راحل عن الحلة ولكن إذ أتى بعلك قولى له يقول لك عنتر بن شداد ان كنت جعلت لك كبش تأخذ الغفارة ثانياً من العربان فعلت به مثل مافعلت بالكبش وذبحته مثل الخرفان ثم قال لها اعلمى ياريحانة اننى وحق ذمة العرب لولا الصداقة التى بينى وبين أخيك عمر أبا ثور لسقتك ماشية حافية قدام ابنة عمى عبلة إلى ديار بنى عبس مسبية ثم أنهم ساروا وسار شيبوب فى ركابه وهو قائد بزمام جمل عبلة فلما تمادى بهم المسير أنشد يقول

اسمعانى الصياح عند الصباح ... وند الافراح عند الرواح
قدمى صوت الوغا عند شربى ... ووقع السيوف بين الرماح
يضحك السيف فى كفى لعلمى ... اننى المندوب فى وقت الصياح
كم همام فى الحروب تركته ... عابسا الوجه من هول الكفاح
قلت قولا وكنت وافى بقولى ... ليس كان القول منى مزاح
لا بد أن انحر الغفير بسيفى ... لو أنت مهجتى سمر الرماح
وتركت الكبش اضحى ثاويا ... فيه القدور بواطىء صحاح
سوف وزر يخبرك بأننى ... قد صنت ريحانة من الافتضاح
فعل ليث يكف عن كل هيفا ... ويراعى مراعاة أهل السماح
وأنا عنتر المعروف يوم الوغا ... كنيتى ليثاً وقت الجراح
لا يكن من قال قوله صادقا ... بل يكن قوله كما هب الرياح
من عرفنى ما يريد خيراً ... عنى فاننى قابض الارواح
وصلاة وسلامى على النبى ... خاتم الرسل صفوة الفتاح

قال الراوى ثم انعنتر وشيبوب مازالا سائرين يقطعان البرارى والقفار مجدين إلى أن وصلا إلى مرج على شاطىء القرى لانه قريب من أرض اليمن فنزلا فيه لكثرة أشجاره وأنهاره لانها أرض مخضبة وهى بالاشجار مشبعة كافورة بيضة نقية ترهج فى أبوابها المسجدية وحللها الزبرجدية وهى نزهة للأحداق بحسن الحدائق منظومة بحلل الزهور وهى ملانة من الافراح والسرور والحمام والقمرى والبلابل والسمان وفاخت وكيروان والثمار على اشجارها تحت أوراق الريحان وعيون النرجس مفتحة وزانت الاغصان وهى تمايل

كأنها النشوان والارض قد فرشت بالآس والابلسان وطيب المسك وبان هي نزهة للأعيان وقدلبست ملابس من أحمر وأخضر وأصفر والسمر حسان وقد تتوجت بالالوان وقامت بأمر مكون الاكوان والسحاب يبكي بدمع كدمع العاشق لفقد الخلان كما قيل فيه فصيح اللسان هذه الابيات .

منزل قد حفت به الازهار — وترنمت فى روضة الاطيار
قد حوى الوحش والطيور جميعا — وكسته الازهار حللا من نوار
وإذا مابكى عليه الفؤاد — بدموع على الخدود غزار
تنثني به الغصون اختيالا — اقنى يظل طيره على الاحذار
فكان العقيق فيها خدود — لطمتها الكواعب الابكار
وكان الفاح فيها ثغورا — كأنما عيناه فى حرفى الاحجار

(قال الراوى) فنزلوا فيه لأجل حسن أزهاره وكثرة مائه وأشجاره وضربت فيه القبة السعدية ونزلت فيها عبلة واستقر بهم القرار واضطجع من داخلها عنتر كما جرى عادة العربان وانطرح شيبوب من كثرة التعب وجلست عبلة وصارت تتفرج على تلك البرارى والقفار والاطيار والماء الدوار وإذ قد لاح لها من قطرة ذاك الوادى شخص مقبل نحوها من صدر تلك البرية وأراد يأخذ عبلة مسبية فلما أن رأته عبلة فزعت وخافت وزعقت على عنتر فاستيقظ وقال لها ماخبرك كفانا الله شر صوتك فقالت له اعلم ياابن العم أنى أرى فارس مقبل وقدامه رجل والفارس على جواد أشهب وقدامه شيء يلوح كأنه كوكب فقال لها يا ابنة العم لا بأس عليك هذا إبن شراجيل الاصهب فارس اليمن فقالت له ياابن العم هذا قاصدالينا فقال لها لاتفزعى ولا تفكرى فيه فانا لو كنت نايم فلا اعتنيت به ولا التفت اليه (قال الراوى) فبينما فى الكلام وإذا بالاصهب قد هجم عليهم وهو لايعرف أنه عنتر بن شداد فزعق الأصهب زعقة ارتج لها البر والوهاد فلم يلتفت اليه عنتر ولاجاوبه بخطاب فزعق الاصهب ثانياً ياصاحب الظعينة انج بنفسك قبل أن تسكن رمسك فلم يجبه عنتر فزعق فيه وقال له ويلك قم واركب جوادك واعتد بعدة جلادك وإلافسلم نفسك فلما سمع عنتر ذلك الجواب احمرت عيناه وثار كأنه الاسد وركب الابجر وخطف الرمح بيده وهزه حتى طرقت أطرافه على بعضه وصاح به ويلك ياابن شراجيل مثلى أنا من يسلم الظعينة فلما سمعه ذلك الفارس أرمى روحه من على ظهر الحصان وقبل رجله فى الركاب وقال له انعمت صباحا ولقيت خيراً ونجاحا ياحامية عبس وعدنان

وفزارة وذبيان وكاشف الضر والبأس عن كل إنسان فقال له عنتر وأنت حييت وأنعم الله صباحك ما تروم وأى شىء تريد وما الذى أتى بك فى هذا القفر والبيد فقال له اعلم يا أبا الفوارس ويا زين المجالس إننى قد خرجت فى طلب المكسب والمعاش فرأيت القبة والفراش فقلت لعل تكون هذه غنيمة أفوز بها وماعلمت أن دونها الموت الاحمر فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم فقال له الاصهب يا أبا الفوارس وذمة العرب وعلمت أنك نازل فى هذا المكان لارسلت لك الجزور والخيام والخمور إئذن لى حتى أعود إلى الديار وآتى بالخمور فأذن له عند ذلك ركب الاصهب وعاد إلى حال سبيله فلما سار قال عنتر لعبلة كيف رأيت فعلى أنا ما قلت لك لو كنت نائم لما قدر أن يوقظنى ولو عرف أنى ها هنا مقيم ماكان دخل بجواده إلى هذا المكان فقالت عبلة والله لقد فزعت من رؤيته فقال لها عنتر أنا أريك حال الذى فزعت منه ثم قام وزعق عليه وقال له ويلك يا ابن شراجيل لا بد أن أضع هذا السنان فى نحرك فقال له يا أباالفوارس غدرت فأنت ما شيمتك الغدر وأنت حامية بنى عبس وعدنان بعد ما أعطيتنى الأمان فقال معاذالله أن أغدر بك وما ذلك إلا لما أشرفت علينا قالت لى إبنة عمى إنها خافت منك وأنا وهبتك دمك ولكن انزع عنك السراويل فقال له لا تفعل يا حامية عبس فتكون معيرة بين العرب فقال عنتر لا بد أن أصلب هذا السنان فى نحرك فقلع الاصهب السراويل قدام عبلة فشالهم عنتر على سن الرمح ورماهم قدام عبلة وقال لها انظرى فنظرتهم وإذا فيهم روايح كريهة قال الراوى وكان الاصهب من فزعه من عنتر عمل العملة فى ثيابه فضحكت عبلة عليه هذا ماكان من عنتر وأما ماكان من الاسد الرهيص فارس بنى نبهان وما كان من ريحانة زوجته فإنه لما ذبح الكبش الذى لوزر وما اختشى من العار فصبرت بنى نبهان إلى أن عاد المهلهل وأعلموه بالاخبار وكيف أن عنتر أتى إلى هنا وما اختشى العار وذبح الكبش الذى لوزر وطبخه على النار فى وسط أبياته والديار فقال الملك ياويلكم ماأحد منكم يتكلم بكلام ولا يبدى خطاب لعله يقنع بما فعل فى هذه الاوصاب ويمضى عنا ونحن سالمين بين أهلنا فى الديار فأنا أعلم أن عنتر لا يسبى إلا نساء العرب الاحرار فإنه بذلك شاعت الاخبار وذكر ذلك فى القصائد والأشعار قال الراوى هذا ماكان من وزر الفارس الهمام فإنه لما غزى بنى همدان ونال المرتبة الرفيعة وعلو الشأن والثناء والاقتدار على الأقران وعاد وهو بذلك فرحان وكيف كانت نصرة القوم على يديه وقد

شكره ملوك بنى طى وأثنوا عليه ثم أنه بعد ذلك الحال ودع ملوك بنى طى وسار طالب دياره والاطلال فلما قرب إلى الديار وتأمل إلى تلك المعالم والآثار فنظر إلى الدخان والشرار فوق التل الذى كان للعريشة فقال وز لمن معه من الفرسان إنى أرى حس نشيش وآثار هشيش فبينما هو فى تلك الأمور وإذا بالعبيد قد أقبلت عليه وهم يصيحون بالويل والثبور ويقولون واذلاه واغفيراه لقد حل بنا المصاب من أجل كبشنا الذى كان لنا غفير وكان يهابه كل فارس خطير فانزعج لذلك الأسد الرهيص وسألهم عن هذه الاخبار وما جرى فى غيبته بالديار فقالوا له اعلم بأنه فارس مغوار يقال له عنتر فارس بنى عبس ومعه أخوه شيبوب وولده الخذروف وعبلة وأخذ منا الكبش وسار إلى مضربك وأوقف زوجتك مشدودة الوسط فى خدمة زوجته وما قدر أحد أن يرده فى غيبتك خوفاً من شجاعته وقوته وبراعته وسار بعد ذلك طالب قومه وحلته وقد صرنا حيارى فى هذه الآثار فانهض وخذ لنا بالثار فعندها قال وزر إذا كان جرى من هذا الإسد تلك الاخطار فأينما سار أسير إليه وآخذ منه بالثار وإلا ما أكون وزر ثم أنه من شدة الغيظ الذى نزل على قلبه قدم من العبيد التى كانت تحرس الكبش وضرب رقاب عشرين منهم ليطفىء غضبه فما ازداد بذلك إلا لهيب واشتعل قلبه بالنار وازداد وقيده وندم على ما فعل بعبيده لأنهم كانوا فرسان شجعان ثم أنه قام وقعد وأرغى وأزبد وهاج وماج كما تهيج فحول الجمال ومن شدة ما جرى عليه ما بقى يعرف ما بين يديه وبينما هو على هذا الحال وإذا بالأمير زيد الخيل قد أقبل إليه وسلم عليه قال الراوى ومن أعجب ما جرى من هذا الحال أن وزر من يوم ما نشأ بين الفرسان وهو يسمع بأسر زيد الخيل على يد عنتر فارس بنى عبس وعدنان فبقى يعاير الأمير زيد الخيل بذلك الشأن وزيد الخيل يطاوله فى المقال ويأخذ كلامه بإقبال ويقول له يا وزر لابد أن الدهر يتغير من حال إلى حال وما زالوا على ذلك الشأن إلى أن جرى لوزر ما جرى مع عنتر من هذا الإمكان ولما أقبل على وزر ذلك اليوم وسلم عليه قال له طالما عايرتنى يا وزر بهذا الفارس الذى ما له فى هذا الزمان مقاييس أما تعلم أن الزمان تارة لك وتارة عليك والذى كان جرى على أوصله الدهر إليك فإن كنت كما زعمت فارس شديد وبطل صنديد قم الآن واتبعه وخذ زوجتك معك مثل ما أتى لك بزوجته معه وائت بها إلى حلتك وافعل أنت الآخر مثل ما فعل معنا فلما سمع وزر من زيد الخيل ذلك الكلام قام من وقته وساعته ولبس عدة جلاده وآلة حربه وركب جواده بغاية الاهتمام

وأركب زوجته على جمل مهول وأمر عبده أن يقود لها الزمام وخرج في عاجل الحال طلب البر الأقفر فصارت الدنيا في عينيه ظلام وتبعوه الفرسان من كل جانب ومكان فردهم وقال كل من تبعني غلوت رأسه بهذا الحسام ثم سار في البوادي والقفار وطالباً آثار عنتر بن شداد ولم يزل يجد المسير ثلاثة أيام وحط هودج زوجته وبعد ذلك سار إلى أن لحق بعنتر وزوجته وقد رأى مشيهم في القفار لجد في المسير إلى أن لحقهم عنتر ومن معه قال الراوي فبينما عنتر سائر وإذ قد رأى من خلفه غبار قد ثار فقال عنتر قف يا شيبوب حتى تنظر ما تحت الغبار فلم يزالا واقفين ساعة من النهار وإذا بها انكشفت وبان من تحتها فارس في الحديد غاطس وهو ينادي ويلك يا عبد السوء أنت الذي دخلت حلتي في غيبتي وفعلت في قومي ما فعلت ما الذي حملك على دخول منزلي وهجومك داري وفعلت هذا الفعل الذميم وقد أركبتني العار وذبحت كبشي الغفير وطبخته وأكلته بعد ما سلخته وأخذت ما عليه من الأموال الكثيرة يا قرنان وابن ألف قرنان فقال له عنتر حملني على ذلك شجاعتي وقوتي وجناني بين الفرسان وأيضاً أنت تجريت وتعديت وافتخرت بشيء ما سبقك به أحد في القرون الخاليات وهجومك على السادات فعندها أشار وزر إليه يقول :

كبش بني نبهان استمر ضريحه	خطراً تقاصر دونه الأخطار
نفضت بك الأحلاس نفض إقامة	واسترجعت عربانه الأمصار
وإن ذهبت كما ذهبت عودي عبس	أثنى عليها السهل والأوعار
وملكت بكبشي العرب إلى العلا	حتى تسابقت لدى الأخيار
أجول على مهر أصيل الجدود	رقيق المسح خائض الأبطار
وإذا هاج انقض يوم الحروب	كبار حط بالأكوار
إلى حامي بني نبهان إذ خمدت	نيران قومي وفيهم شبت الأجمار
قد ترى الرجل النحيف فتزدريه	وفي أثوابه أسد الأمزار
ويعجبك الطرير فتبتليه	فيخلف ظنك الرجل الأحقار
فلي قلب على الأعداء	مخلوقاً من صميم الأصخار
أنا المعروف في يوم الهياج	بأني أهتك ستر الأخدار

قال الراوي فلما فرغ وزر من كلامه قال له عنتر يا جبان يا ذليل يا مهان أي شيء هذا الهذيان الذي تقوله الصبيان ثم أن عنتر أجابه يقول صلوا على طه الرسول :

قد هربت الظبا وسمر الرماح　　واقتناص الأبطال عند الصباح
ادن منى ترى هماماً شجاعاً　　ذو طعان وقوة وفلاح
مثل شام كذاك هند وسند　　وكذا ديلمى وروى مباح
وحجازى ومغربى ثم شامى　　شىء قتيل وشىء رماه الجراح
ووحوش الفلا إذا نظرتنى　　ترتعد هيبة وتركض بالبطاح
ملك كسرى أدخلته تحت سيفى　　وحميت الإيوان بعد الرواح
مثل قيصر أخذت منه الرهاين　　من كبارة قومه وكان فلاح
زاد غيظى لما سمعت بأنك　　عاد باغ قليل النجاح
وتجبرت على الآنام بكبش　　ليس يصلح إلا إلى الذباح
فأتيته وقلت آكل لحمه　　وإذا فرغت أنوى الرواح
ومعى زوجتى ومنية قلبى　　وغرامى عند المسا والصباح
سوف أجعلك ثاوياً عفيراً　　وقتيلا فى الربا والبطاح

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره حمل عليه حملة تهد الجبال فلقاه وزر بقلبه مثل الحديد المستعمل وما أفرسهما من بطلين سمحا بالأرواح والنفوس والأبدان وبقى لهم همزات مثل الأسود الضاريات وتهامرا مهامرات الأسود وصارت الوجوه من شدة الغضب سود واندرس من تحت أرجلهما الحصى والجلمود فلا شاهدت العين مثل ما جرى بين الإثنين من المسابقة والمطابقة والمدافعة وكان لهما وقعة تحير فيها كل شجاع وكان حديثهما قد شاع ولكن ما حضرهما أحد من الفرسان فى تلك البقاع ولكن وصلت أخبارهما إلى سائر العربان (قال الراوى) ولم يزالا على ذلك الحال إلى أنه مالت الشمس إلى الزوال وقد وقف كل منهما قبال صاحبه ولا بلغ من صاحبه غرض بل ذاق كل واحد من صاحبه طعم المرض وصار كل منهما ينظر إلى صاحبه شذرويرمقه حذراً فعندها قال وزر هل لك فى الراحة ونعود بعد ذلك إلى الجولان والحرب فى هذا البر والساحة فقال عنتر اعلم يا وزر أنه ما بقى بيننا انفصال إلا ببلوغ الآمال فلا تطمع نفسك بالمحال واعلم أن ما لك إلى ذلك من سبيل ولا أدعك من بين يدى تسير ولا بقيت الراحة بك مباحة ثم عاد إلى ما كانا عليه من الحرب والكفاح وقد جاء الجد وذهب المزاح وهم فى صدام ولزام وملاصقة تحت الظلام وشرب كاسات الحمام وما بقى يعرف كل منهما ما خلفه وما أمامه وما زالا كذلك حتى ثار غبارهما وهما فى

كر وفر حتى ابيضت أقطار البيدا من بيع الحسام الأبتر وطلعت غرة الفجر ومضى سواد الليل وكلت من تحتها الخيل ومالت من فوقها الفرسان ميل وأى ميل كل ذلك يجرى وريحانه تنظر إلى المعمعة ودموعها تنحدر وهى متطلعة وترجو أن يكون لها النصر وأما عبلة فإنها أرادت أن تهزىء بعنتر وتحرضه على القتال لما رأت منها تلك الحالات وتقول له ويلك يا ابن زبيبة ما هذه الفعال وما وقوفك بين يدى هذا الوغد ابن اللئام كم تقول أنا أبا الفوارس وما رأيت اليوم منك حركة فما هذا التأنى والتطاول وتترك هذا النذل بين يديك يطاعن أما تهجم على خصمك وتقبض عليه بيدك وتنزعه من سرجه وتضرب به الأرض قال الراوى فلما سمع عنتر من عبلة ذلك الكلام كان عليه أمر من ضرب الحسام وهجم على خصمه وضايقه ومد يده إليه وقبض على بطنه وشاله على زنده وضرب به الأرض كاد أن يرض عظامه فانقض شيبوب عليه مثل المدفد وفى عاجل الحال شده كتاف وقال له قم يا ابن اللخنا وامش قدامى فلا بد ما تشرب اليوم كاس التلاف ثم أن عنتر عندما أخذ الأسد الرهيص أسير وفعل به الأمر الخطير قال لأخيه سر وجر هذا الكلب المكاوب بالحبال ثم ساروا فى تلك الأرض وهم يقطعوها رفعاً وخفض وعنتر سائر وهو يسب وزر ثم قال لأخيه قف فوقف وتقدم هو إلى وزر وصاح فيه وقال اقعد فوقع على الأرض وظن أن عنتر نوى ذبحه فمن شدة خوفه وقع على ظهره فترجل عنتر إليه ووضع السيف على وريديه وقال له تمن على أى موتة فقال يا أبا الفوارس تأن على وسالت دموعه على خديه تجرى كالغدران كيف أنه لم يجد له مجيراً فى البلاء والهوان فعند ذلك عفى عنه وقال له وحق البيت الحرام لا فعلت فيك اليوم فعلا يا ابن الأندال حتى إننى أصل إلى ديارى وأدخل بك على أهلى والأطلال وأنت ذليل مهان ثم أن عنتر قام من عليه ورفع السيف من على وريديه وقال له قم يا وزر فقام ومشى بين يديه وهو يرتعد مثل السفينة من شدة الذل ثم أن عنتر لما رأى ما حصل له من النصرة وذلك بحضرة إبنة عمه عبلة ففرح واستبشر وأشار يتمثل بهذه الأبيات يقول :

يا عبلة لا تنسى ودادى فإننى	أبيد الأعادى بالسيوف الصوارم
أسرت لوزر بعد ما رام مصرعى	وما كنت رعيداً بوقت التلاحم
أحارب فى البيد بمقترع القنا	وضرب سيوف فوق أعلا الجماجم
فلو نظرت عيناك يا إبنة مالك	وحولى كماة من ليوث هواجم
وأنا شجاع قاهر الضد ضارى	ومالك قهل عربها والأعاجم

بأنى همـــام ماجد منفصل وفعلى فعال الطيبين الأكارم
وإن رامنى يا عبلة قرم قهرته بحد حسام فيـــه سم الأرقم

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه وقد رأى ما حل بوزر من النكبات صاح بشيبوب وساقه قدامه ثم أن عنتر بعد ذلك الأمر التفت إلى ريحانة أخت عمرو ابن معديكرب وقال لها يا ريحانة وحق الإله المعبود لولا الذى بينى وبين أخيك عمرو من الوداد لكنت أخذتك مسبية وسقتك بين يدى ذليلة مدهية مثل ما قدت بعلك قود الكلاب وجعلتك فى خدمة إبنة عمى من غير ارتياب حتى تتعجب من أمرك سائر الأصحاب ولكن مالى يد تمتد إليك بأمر من الأمور كرامة لأخيك عمر أبو ثور ولكن من هنا ارجعى إلى أهلك من غير ضرر فلما سمعت ريحانة ذلك المقال من عنتر شكرته على مقاله وأثنت عليه الثناء الجميل على فعاله وما كان ظنها إلا يسبيها أو يقتلها فما صدقت أن عنتر يأمرها بالعود حتى عادت والعبد نجم معها وساروا من وقتهما وساعتها ونجم قائد بزمام جملها وما زال سائر يطلب ديار الأسد الرهيص وعشيرته فقالت له ريحانة اعلم يا نجم أن العار أعظم من الحرق بالنار لأن الأقدمين قالوا النار ولا العار وإن رجعنا إلى الديار ونعينا وزر هو غاية العار والذل لأن الخبر الميشوم لم ينكتم وأنا قلبى لم يطاوعنى أن أكون فى العز والسرور وبعلى فى الشدايد مأسور فقال العبد يا مولاتى كلما أردتيه فاذكريه واعلمى أن لحديثك سامع وإليه تابع فقالت له اقطع بنا هذه البرارى والبيد واقصد بنا وادى طويلع ومنازل بنى زبيد ثم أوصلنى إلى عند الخطر ولا آمن إليه من نوايب الدهر لأن الزمان غدور فلما سمع العبد نجم مقالها استصوب رأيها وما أبدت من خطابها وقال فى نفسه أطيعها لعلها أن تبلغ مرامها فأجابها ولا قدر أن يخالف مقالها وسار بها يقطع البرارى والبيد وهو يطلب ديار بنى زبيد فهذا ما كان من العبد وسار من وقته وساعته وهو فرحان مسرور وقد عزم على قتل وزر بن جابر وإتلاف مهجته وقد وكل به شيبوب المحتال وأمر عنتر بجره فى الحبال ففعل ما أمره به أخوه من المقال هذا وعبلة قد فرحت الفرح الأكبر وقد نظرت من عنتر كل أمر عجيب كيف أنه نصر ذلك الفارس النجيب الذى شاع ذكره عند البعيد والقريب ثم أن عنتر يقطع البر الأقفر إلى من وصل إلى بنى عبس وفى قبضته وزر بن جابر فوقعت عندهم بقدومه البشائر وفرحت به أصحابه وماج الحى بكل من فيه وخرج إلى لقائه جميع أحبابه واغتم حساده فتلقاه عروة خليله وأولاده وصاروا يعانقوه أما عمارة بن زياد فكادت روحه أن تفارق جسده وكذلك الربيع أخيه

ولا كان مرادهم أن يعود عنتر سالم فعاد كل واحد منهما مخزى فما نال كل منهما بغيته ونزل على كل واحد منهما ألف مصيبة فى جسمه وخرج إليه الملك قيس فى إخوته واستقبل عنتر وسلم عليه فنظر إلى ذلك المربوط فى الحبال ولم يكن عند الملك قيس خبر من هذا الحال ونظر أيضاً إلى رأس الكبش وهى معلقة فى رقبة البعير فتعجب من هذا الأمر النكير فقال له يا حامية عبس أى شىء تكون هذه المعلقة فى رقبة البعير ومن هو هذا الأسير فأخبره عنتر وقال له إعلم يا ملك أن هذا الأسير وزر بن جابر فارس بنى نبهان وهذا الرأس هى رأس الكبش الذى كان جاعله غفير العرب ويأخذ به الجزية من الملوك فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا المقال تعجب غاية العجب وكذلك جميع الفرسان وقد زاد عنتر فى أعينهم رفعة وعلو مكان لأجل ما وصل إليه من شجاعته وعلو قدره وزيادة الاهتمام وعلموا أن عز العشيرة مقرون بسعادته ما دام فيها موجود فقال له الملك قيس وقد تقدم عنده من بين فرسانه وأجناده يا عنتر يحق لك أن تسمى حامية عبس وعدنان والحامى عن من فيها من الرجال والعيال والنسوان فلا أحرمنا الله طلعتك ولا غيب الله عنا همتك ومروءتك يا حلو اللسان وفصيح هذا الزمان فشكره عنتر وأثنى عليه وقبل يديه ودعا له وتقدمت إليه سائر العربان وسلموا عليه وسارت فرسان بنى عبس كلها من حواليه وبعد ذلك سار عنتر إلى أن دخل الابيات واستقبلته سائر النساء والبنات والصبيان وسلموا عليه وأنزل عبلة من الهودج ودخلت أبياتها ثم أن عنتر سجن الاسد الرهيص فى مضربه وقيد رجليه وكان المضرب مقطع تدخل إليه الشمس من سائر نواحيه وفى عاجل الحال أمر أخيه شيبوب أن يضرب له أربع سكك من الحديد ويشبحه بينهم ويعذبه العذاب الشديد ففعل شيبوب ذلك وأيقن وزر بجميع المهالك ولما استقرت عبلة وعنتر فى أبياتهما وطابت لهما الاوقات ودامت المسرات فأتوا إليها نساء الحى وهنوها بالسلامة وهى بما فعل ابن عمها نالت المنزلة العالية على جميع نساء الحلة والكرامة وعنتر وهب وأعطى ثم أنه بات إلى أن أصبح الله بالصباح وأراح روحه من التعب واستراح قام وطلب مضرب الامير قيس ليسلم عليه فلما علم به الملك قيس خرج لاستقباله وهناه بما وصل إليه وأخذ بيده ودخل مضربه وجلس هو وأياه فلما جلسوا واستقر بهما المقام أخذوا يتعايدون فى الكلام وصاروا يسألونه عن ما جرى ويسألونه أحواله وكان بجملة من حضر الربيع بن زياد وأخوه عمارة فأحكى لهم على ما جرى وما كان منه ومن الاسد الرهيص وعن ذلك الامر الذى فعله وكيف أمر شيبوب بذبح الكبش فى بيت وزر

وطبخوه وأكلوه فقال الربيع وأين قسمنا من هذا اللحم وكان قوله استهزاء فى حق عنتر فعند ذلك صاح يا شيبوب هات ما عندك وما وصيتك به أن تكون عليه حريص فعند ذلك أحضر شيبوب اللحم الذى ملحه من لحم كبش الأسد الرهيص فلما رأوه تعجبوا فعند ذلك قال الامير عمارة القرنان ربما يكون حاميتنا التقى فى طريقه ببعض الرعيان فأخذ منه هذا الرأس من الغنم وذبحه وقال لنا هذا رأس كبش وزر بن جابر ثم أن عمارة لم كان نظر عنتر عند قدومه من السفر ودخول الحلة

ولاخرج أحد من بنى زيادة لما سمع عنتر من عمارة ذلك الخطاب فلم يرد عليه إلا أنه قال يا ابن زياد يا قليل المروءة بين العباد هذا ما هو كا تفعل أنت من الفشار أنا ما فعلت تلك الفعال إلا عيان بيان ثم أن عنتر بعد هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وزعق على شيبوب فى الحال وقال له احضر مخلاة الابجر فعندها نهض شيبوب وأحضر المخلة إلى بين يدى الملك قيس وأمره أن يقلب ما فيها بين أيديهم فأفرغها بشدة فتبينها كل من كان حاضراً من الناس وإذا فيها القلائد والجواهر واليواقيت والخلاخل التى كانت فى رجلين الكبش والأساور التى من الفضة والذهب فلما تحقق الحاضرون ذلك الشأن صاح عمارة الويل لكم يا بنى عبس من دون العربان ما يكون حالكم إذا أتت بنى نبهان والأسد الرهيص للحرب والطعان فصاح عنتر وقال له اسكت يا جبان إن كان خوفكم من الأسد الرهيص وبنى نبهان وذلك الجمع الكثير فهاهو وزر أصبح فى يدى أسير ثم أن عنتر نهض من بينهم حردان وقد ترك فى قلوب بنى زياد حرارات ونيران وسار إلى مضربه وجلس عند إبنة عمه عبلة وحدثها بما سمع من عمارة القواد وقام الأسد الرهيص فى ذل أسر عنتر يقاسى الذل والهوان وبعد ذلك أولم عنتر الولائم الحسان وقد اجتمع فيها الصغار والرجال والنسوان وأقام يأكل ويشرب ويلتذ ويطرب مع السادات وليس على باله من طوارق الحدثان فهذا ما كان لعنتر من الأمر والشأن وأما ما كان من نجم عبد الأسد الرهيص وزوجته ريحانة فإنهم لم يزالوا سائرين فى البرارى والقفار يقطعون السهول والأوعار إلى أن أوصلها إلى أهلها وتلك الديار فلما وصلت دخلت على أخيها عمرو سيد بنى زبيد وقد أكثرت من النوح والتعديد وحكت له ما جرى لها بالتمام والكمال وكيف عفى عنتر عنها ولم يفعل بها شيئاً فقالت ما أعيش لأخون له عهد ولا أخلف له ميعاد فقال عمرو هل كنت فى عز أو إهانة فقالت ياأخى إعلم أن الكلام يحتاج للأمانة وإعلم أن عنتر ما هو ظالم على وزر فى شيء من الأشياء وما فعل شيء إلا رحمة منه على جميع العربان مما وصل إليها من الإذلال والهوان لأن

الذى فعله وزر ما فعله أحد قبله من الرجال ثم أنها حكت له على الكبش الذى كان اتخذه من غنيمة وألبسه الحلى والحلل والحرير والذهب والفضة كيف جعله على العرب غفير وسار يأخذ به الغفارات وقد فعل ذلك الفعل النكير فقال لها بلغنى ذلك كله وأن هذا الأمر ما يرضاه أحد من قبله ولا من بعده فعند ذلك لحت عليه ريحانة وقالت له يا أخى لا بد لك أن تساعدنى على هذا الأمر فإنى أريد من إحسانك أن تسير معى إلى عنتر وتسعى فى إطلاقه من شدة وثاقه من عدوه واعلم أن هذا شىء لا بد لنا منه فقال لها أما تعلمى يا ريحانة ما جرى علينا من فعاله وكيف جرح أخى وما أحل بنا من الإهانة وكيف أخذك من وسط الحى والله أن وزر يستحق العطب ويستاهل أكثر من هذا السبب وأنه ظلم بعلاقاته لعنتر ومسيره خلفه وأنا ما أقدر أسطو عليه ولا أجرد سلاحاً فى وجهه لما بينى وبينه من الوداد ولا ألقى نفسى إلى المهالك ولا أعمل فى حق عنتر شيئاً لأن له على جميل ما أنساه على مدى الأزمان ولا سيما خلاصى من سليك بن سلكة على يديه لما أخذنى أسير وأراد أن يحل بى المعاطب وبعد ذلك من على بروحى وعتقنى فقالت ريحانة بالله عليك يا أخى اترك هوى النفس وارجع إلى المعروف واعلم أنه لا بد من خلاص هذا الرجل لأنه قد صار بيننا وبينه عيش ومودة وقلبى عليه ملهوف فقال لها لما رأى ما هى فيه إن كان ولا بد لك من فعل هذا الأمر فأنا أرسل إليه هدية وأسأله فى خلاصه وأتوسل إليه لعله يعفو عنه وإن امتنع فلا يكون له سبيل إلى خلاصه ثم أنه عمرو أحضر من الجمال والخيل والمتاع شيئاً كثيراً وأراد أن يرسلها إلى عنتر فقالت ريحانة يا أخى لا تفعل ذلك وسر أنت بنفسك مع الهدايا فأجابها وركب جواده وسار إلى أن وصل إلى ديار بنى عبس فالتقى بالأسد الرهيص وهو خارج من الحلة وقد أمن من التعس والنكس فتلقاه وترحب به وحياه وسأله كيف كان خلاصه من يد قناصه وكان السبب فى خلاص وزر هو أنه لما أسره عنتر أنزل به العبر وسلمه إلى أخيه شيبوب وربطه وأنزل به الكروب وما زال مربوطاً إلى يوم من بعض الايام وقد كان عنتر عزم على صلبه ليجازيه بذلك على ما فعل من ذنبه فكان مما وقع من الاتفاق وما قدره الملك الخلاق ولأجل أمر يجرى ويسطر فى الأوراق ولأجل شىء يريده الله من تلك المهلة خرجت فى تلك الليلة عبلة وكان فى صحبتها جماعة من أقرانها وبنى عمها وأحبابها وهى تريد الفرجة على غدير ذات الأرصاد وهى بينهم كضوء القمر فى ليلة الأعياد وكان القمر قد انبسط فى الصحراء فحكم مرورها على الأسد الرهيص وهو فى أشد النكال وما هو فيه من الإذلال وقد تغير حاله ولما رآها وزر وهى تمشى بين الصبايا كأنها بدر التمام قال لبعض العبيد

الموكلين به يا أولاد حام من تكون هذه المرأة التي بين النساء لأني أرى عليها هيبة ووقار وأنا أظن أنها من نساء قومكم السادات أو زوجة رجل من أمرائكم القادات أو تكون هذه زوجة الملك قيس بن زهير لأني أرى عليها من الحلي والحلل شيء كثير فقالوا له ويلك يا وزر اعلم أن هذه عبلة بنت مالك ابن قراد زوجة عنتر فلما سمع الأسد الرهيص من العبيد ذلك الكلام صاح على عبلة صياحاً شديداً وقال لها يا بنت الكرام أنا في جيرتك والحسب يا ابنت مالك جيرة العرب الذي هم أصحاب الحسب والنسب فلما سمعت ذلك الكلام تقدمت إلى العبيد وقالت لهم يا ويلكم من هذا الذي يقول هذا الكلام فقالوا لها يا ستاه ما أسرع ما نسيتيه هذا وزر بن جابر الذي فعل معكم ما فعل من تلك الأفعال أسره سيدنا عنتر فلما سمعت كلامهم قالت لهم يا ويلكم حلوه من عقاله واطلقوا سبيله واتركوه يذهب إلى حاله فقالوا لها يا ستاه أنت تعلمي أن ابن عمك قد وكلنا به فما يكون جوابنا إذا طلبه منا ولا وجده فهو يغضب علينا فقالت لهم حلوه واطلقوا سبيله ودعوه يمضي إلى حاله فإنه قد استجار بي من دون كل أحد فما بقي فينا له بؤس ولا نكد ثم أنها زعقت فيهم فخافوا منها وحلوه من عقاله فلما أطلقوه نهض قائماً على قدميه ونسي من فرحه كل ما جرى عليه وأراد أن يطلب ديار قومه من ساعته فكان وصل الخبر إلى عنتر بأن الأسد الرهيص قد انطلق من وثاقه فسأل عن الخبر وما سبب إطلاقه فقالوا له إعلم أنه قد اتفق خروج ستنا عبلة فلما رآها استجار بها فأطلقته فلما سمع عنتر هذا الكلام أجاز ذمامها ثم أنه دعا به إليه فأحضروه بين يديه في ساعة الحال أمر له بخلعة فأفرغت عليه وزوده وأحسن إليه كل ذلك لأجل ذمام عبلة ثم دفع له ناقة فركبها وزر وسار في البراري والقفار فالتقاه عمرو بن معديكرب وأخته ريحانة وهما قاصدين إلى عنتر ليسعوا في خلاصه ومعهم تلك الخيرات فسلم عليه وهناه بالسلامة وسأله عن حاله فأخبره بأن عنتر أطلقه ولم يذكر له عبلة فقال عمرو لا بد لنا من الدخول إلى عنتر ونسلم عليه ونشكره على ما فعل معك من ذلك الإكرام ثم أن عمرو أرسل أخبر عنتر بقدومه فخرج إلى لقائه وفرح به غاية الفرح لما التقاه وسلم عليه وحياه وأكرم مثواه فشكره عمرو وأثنى عليه بما فعل في حق الأسد الرهيص من العمل ثم أن عنتر أخذ عمرو ودخل به إلى أبياته وقد أخذ هديته وشكره على حسن وداده ثم قام عمرو ووزر عند عنتر ثلاثة أيام وكذلك ريحانة عند عبلة في غاية الإكرام وبعد ذلك تودعوا من عنتر وطلبوا الرواح فركب عنتر ورجاله وساروا مع عمرو للوداع نهاراً كاملاً وحلف عليهم عنتر وردهم فرجع عنتر ورجاله وسار عمرو وريحانة ووزر يقطعون الربا والبطاح فلما تمادى

بهم المسير أقبل عمرو على وزر وقال له أيها الامير ما أضمرت لعنتر فى سرك من الخير فقال له أضمرت له السيف الماحق والرمح الخارق والبلاء المتلاحق فوالله لا غفلت عنه أخذ ثارى ولا نمت عن كشف عارى فلما سمع عمرو من وزر ذلك الخطاب غاب عن الصواب وقال وحق الرب القديم ما أنت يا وزر إلا لئيم يا ويلك يفعل معك الرجال هذه الفعال ورجع عن مرافقته وسار وحده يطلب دياره وسار وزر وزوجته وعبده نجم يطلبون ديار بنى نبهان ثم سار يجد المسير فى البر الأقفر إلى أن وصل إلى أهله وعشيرته ودخل على حلته ولكن لم يدخلها إلا فى ظلام الليل وذلك خوفاً من شماتة الأعداء لاسيما زيد الخيل ولما دخل وزر على حلته لم يخف على أهل عشيرته وقد وقع الفرح بقدومه فى الحى فضت الفرسان إليه وتوجهوا له وسلموا عليه فقال له زيد الخيل يا وزر كل عاير ابتلى والعيب آخره البلاء كيف رأيت ما صنع الله بك وكيف أصابك دون أهلك وقرابتك هكذا يا وزر الدهر إقبال وإدبار فقال وزر عندما سمع كلامه وذلك لشدة تهجمه وسرعة أقدامه ما هذه المعيرة والملامة ولكن رد الآن كلامك عليك واعلم إن الحرب لك وعليك وليس الدهر كله لعنتر فلا بد مايغلب معى ويقهر وإن أنا نمت عن أخذ ثارى فأكون قد تجللت بعارى وبحق لك ذلك الوقت أن تعايرنى وبالأسر والآفات تهددنى لانى وحق البيت الحرام لا بد لى ما أسقيه كاس الحمام وأقلع شافته وأبيد عابرته وأسبى زوجته وأحق آثار بنى عبس محقاً وأشتتهم غرباً وشرقاً وأترك ديارهم قفاراً تتحدث بها السفار فى سائر الاقطار فقال له زيد الخيل وقد ازداد غيظه عليه وأنت الآخر يا وزر لا بد أن تقع فى يديه ويفعل بك فى الثانى مثل ما فعل فى الاول ثم أن زيد الخيل قام من عنده هو وأبوه وتركوه فى همه ووجده وكاد قلبه أن ينفطر مما حل به من الغيظ والكدر قال الراوى وما زال على تلك الاحكام إلى أن كان يوم من بعض الايام وركب وزر وطلب بعض الغدران وتبعته جماعة من بنى نبهان فأقبل عليهم وزر بالكلام وقال لهم يابنى عمى ويا من بهم يتفرج همى وغمى أنتم تعلمون الخبر وما حل بى وما جرى على من هذا العبد الاسود ابن الامة اللخنا وقد سارت بأخبارى وأخباره الركبان من سائر النواحى والبلدان وإن أنا نمت عن أخذ ثارى وكشف عارى فأموت قهراً وينقطع من الدنيا آثارى فهل أنتم لى سامعين ولنصرتى عليه مساعدين ومعاونين وإلا انقطع نسبى منكم وأقصد حى غيركم فقالوا له لما سمعوا كلامه وفهموا مرامه أيها الامير إعلم أننا كلنا بأرواحنا نفديك وبأنفسنا من كل شر نقيك ومن الاعداء نحميك فلما سمع وزر كلامهم فرح بذلك وشكرهم على مقالهم وحمدهم على إجابتهم وفعالهم وقال لهم يا بنى الاعمام

أنا لا أطير إلا بجناحكم وأنا ما أقاتل إلا بحد سيوفكم وبهم أضرب وبعزائمكم أغلب ثم أنه من وقته وساعته أرسل إلى بنى وائل الرجال الاوقاح وكان ملكهم يقال له المنهال بن ناقد الجلاح وهو الذى يستدعيه إلى قتال عنتر وحربه والكفاح وكان ناقد هذا هو الذى يستدعيه إلى قتال عنتر وحربه والكفاح وكان ناقد هذا هو الذى قتل عنتر أباه فى أول منشاه ومبتداه لما كان اشتر الابجرى بالغنيمة فى نوبة مرافقته لعياض بن ناشب وسبى زوجته أمينة بنت يزيد بن حنظلة وكانت سائرة إلى بعلها وهو هذا ناقد بن الجلاح كما ذكرنا فى مبتدأ السيرة قتله عنتر وأحل به العبر وجرى ما جرى من الخبر الذى قد مضى واندثر فعندها كتب وزر إلى المنهال كتاب وختمه وأنفذه إليه مع نجاب وهو يذكر فيه هذا الخطاب من الاسد الرهيص وزر بن جابر بعد السلام عليك وعلى من عندك من الاكابر أما بعد فا آن لك ياابن العم أن تنهض إلى أخذ ثارك وتقوم إلى كشف عارك من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم الذى أعلمك به إننى أنا الآخر قد صار لى معه مطالبة ونقامة وبينى وبينه المحاربة وقد عولت أنى من أجله وأجل حربه وقتاله أستنجد بالملك الكريم أمثاله واستنجد بالملوك الذين على رؤسهم الاعلام وأنت أولهم فأسرع للتأهب والحضور ففى عاجل الحال جرد عساكره وجمع مراكبه ودساكره وركب جواده وسار قدام أصحابه كأنه الليث العابس وقد صحبه من العسكر خمسة آلاف فارس مامنهم إلا كل مدرع ولابس والجميع غائصين فى الحديد والزرد النضيد ومقدمهم المنهال ابن ناقد بن الجلاح وهو سائر قدامهم كأنه ليث البطاح وهو غائص لامته متسربل بعدته كأنه الاسد المهول وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الابيات :

تأخرت أن أبغى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثلما أن تقدما
فسرت على الأعقاب يوم يجمعنا ولكن على أعقابنا أثر الدما
سآخذ ثارى من غريمى عنتر وأتركه فى البقاع يشكو التألما
وأتركه للوحش والطير مغنما يقسم وحش البر لحماً ومعصما

(قال الراوى) ولما فرغ المنهال من شعره والنظام مازال سائراً بقومه وهم يجدون للحرب سائرون يقطعون المناهل والغدران إلى أن وصلوا إلى ديار بنى نبهان ولما قاربوا إلى الأطلال وصل الخبر إلى الأسد الرهيص فخرج إليهم فى عاجل الحال واستقبلهم أحسن استقبال ونحر لهم فى ذلك الوقت النوق والجمال وزاد لهم فى الإكرام والإفضال واتكل عليهم فى أخذ الثار وكشف العار وقد أملوا كلهم إنهم ينالون ما أملوه من المراد من قتل فارس عبس عنتر بن شداد وقد أقاموا فى ضيافة الأسد الرهيص هؤلاء الأقوام مدة ثلاثة أيام وهو

فى نحر النحور وجزر الجزور فلما كان فى اليوم الرابع عرض عساكره الفرسان ومن اجتمع عنده من العربان الذين هم خلفاء بنى نبهان فكان عدد الجميع سبعة آلاف فارس ورتبهم فى مسيرهم ميامن ومياسر وساروا الجميع المناهل فى أوائلهم والخيل والعسكر تتدفق من خلفه كأنها السيل فى ظلام الليل ووزر بن جابر إلى جانبه وقد فضله لأجل حاجته على أهله وأقاربه وهو أمامهم كأنه النار المشتعلة ولكن أشياء مهملة لأنهم من جملة سعد عنتر حتى يكسر دولتهم ويبدد غزوتهم ويشتت عنتر شملهم ويقلع سبالهم ويلعن أبا أجدادهم والذى جلبهم ويقهر من كان فى ذلك الطريق جاء بهم ولما تمادى بوزر المسير وهو مقروح الفؤاد وقد تعاظمت عليه الأحقاد من أجل ما فعل به عنتر بن شداد وهو سائر بهذا الجيش إليه على عجل ويأكل كفيه على ما به عنتر قد فعل من الفعال فأنشد وزر وقال هذه الأبيات

أسير لأخذ الثار من وغد قومه ... واكشف عنى العار بين العوالم
فإن لم أكن آخذ بثارى فإننى ... أعد حقيقاً من عداد البهائم
أنا الفارس الكرار فى حومة الوغا ... أبيد الأعادى بالسيوف الصوارم
أيا عنتر الفرسان إن لم تمت فمت ... فقد جاءك وزر بالرماح القوايم
يخوض أرض عبس بالجياد لثاره ... ويسبى نساء أبطالكم والأكارم
غداً تصبح الأبطال فى أطلالكم ... عليكم تجول وكل ليث مهاجم
وتصبح الأطلال منكم خالية ... إذا أقبلت أبطالنا بالصوارم
فأما أسير قد جعلته مكدراً ... وأما قتيلا بالرماح القوايم
إنى أنا المقدم سيد قومه ... تسير المنايا حتى صارت دعائم
قومى بنو نبهان ذو البأس والندى ... وقد توجوا بالفخر دون العوالم

قال الراوى ولم يزالوا سائرين وجدين وإلى بنى عبس قاصدين وهم فرحون بهذا الشأن فهذا ما جرى لهؤلاء من الاحوال وأما ما كان من عنتر السامى على جميع العربان فإنه أبطل غزاته واستغنم لذاته وواظب على الاكل والشرب كعادته ونهل الراح ومصاحبة الفرسان الاوقاح ويلتذ بالنظر إلى وجه عبلة فى المساء والصباح كل ملوك العرب تهابه وتهاديه وتقضى حوايجه فى حضوره وغيابه وهو مع ذلك يهب ويتكرم وكل من سأله عن شيء أعطاه بالمزيد إلى أن قل ما عنده من كثرة تردد الرجال عليه فضاق صدره وقل صبره ولم يجد له توانى عن طلب المال والمكسب والنوق والجمال فتجهز هو وأولاده ميسرة وغصوب ومازن وعروة ورجاله الذين يدخرهم لشدته وأحواله وأمرهم بأخذ الاهبة وتجهزهم معه لاجل المودة والصحبة فعند ذلك تجهزوا ولبسوا الحديد وغاصوا

فى الزرد النضيد وخرجوا من الخيام تحت ستور الظلام وكان أكثر الفرسان نيام ثم أنهم ساروا إلى أن بعدوا عن المضارب والخيام وعنتر فى أوائلهم كأنه الاسد الضرغام فعند ذلك قال لعروة بن الورد يا أبا الفوارس مرادى أن أسألك فى سؤال فقال قل ما بدالك من المقال فقال له إلى أين قاصدفى هذه النوبة فقال له إلى ديار بنى حمير وكهلان وإن لم يحصل لنا شىء من هناك قصدنا بعد ذلك إلى بنى قحطان وأجعل هذه السفرة مذكورة على ألسنة الفرسان ويتحدثوا بأخبارها الركبان فى سائر النواحى والبلدان فقال له عروة افعل ما بدالك فكلنا تابعين لافعالك فمن هو الذى يمنعك عن هذا الطلب وهيبتك قد وقفت فى قلوب العرب من بعد منها ومن اقترب ونحن أسود الغابات وفرسان الطعان والضراب فشكره عنتر على كلامه وحمده على حسن مودته واهتمامه ثم أمر شيبوب أن يأخذ بهم فى عرض البر ويسير إلى ديار بنى حمير وكهلان فسار شيبوب أمامهم وهو كأنه النمر الحردان لانه كان يعرف سائر الطرقات التى تؤدى إلى سائر الجهات من قرى وبلدان شرقاً وغرباً وكان فى المسير لا يعيا له ركب كذلك ولده الخزروف سائر فى ركاب عنتر كأنه النمر المعروف قال الراوى فهذا ما كان من بنى عبس الاوقاح فإنهم لما اصبح عليهم الصباح افتقدوا عنتر ورجاله وأولاده فلم يجدوا لهم خبر ولا وقعوا لهم على جلية أثر فأعلموا الملك قيس بذلك فصعب عليه غياب عنتر لانه لما سار ما علم أحد بما عزم عليه من الاخطار وذلك المعاش والمكسب من سائر الاقطار وبنى عبس ما أقاموا بعد مسيرة عنتر غير يومين وهم فى غاية ما يكون من الامان وأعجب ما وقع فى هذا الديوان أن الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد كانوا فى هذه الايام مستقيمين فى موضع أبيه لما قتل حذيفة أبيه على جعفر الهباء وكبر حصن فا كان له فى بنى عبس صديق إلا الربيع بن زياد ولما كان فى هذه الايام صنع حصن وليمة ودعا فيها الربيع بن زياد وإخوته لاجل المودة والإكرام لاجل أحقادهم فلما وصل الرسول أعلمه بما أتى به بعد أن سلم عليه فأجابه الربيع إلى مراده ثم سار فى جميع رفقته من يلوذ به من أكابر عشيرته وكانوا مائة وخمسين فارس لما قدموا على حصن خرج إلى لقائهم بأبطاله القناعس وأكرمهم غايه الإكرام بواطى المدام والخمور وسارت الكاسات عليهم تدور وكانه ذلك بحضرة مشايخ بنى فزارة وكان لهم ساعة عظيمة فى ذلك الوقت جرى بينهم ذكر عنتر وما كان أحد فى هذه الوليمة يحبه بوداد إلا الجميع له أعداء وحساد فلما ذكر بينهم قال لهم الربيع بن زياد أما أنا وحق ذمة العرب ومنى والحطيم إن فى قلبى حسرة من ذلك العبد الزنيم ولو وجدت إلى قتله من سبيل لكنت أشفيت ما بقلبى من الغليل لا

قد أبغضته بغضة شديدة وأبغضت من أجله الملك قيس صهرى لاجل ميله معه فلما سمع ذلك حصن من الربيع تذكر فى الوقت ما صنع أبيه وأعمامه وقتلهم على حفر الهباء وكان حصن بوقتها حاضراً مع أبيه فى وقت الوفاة فقال يا ربيع إن فى قلبك لعنتر بغضة وتبغض ما هو فيه فكيف حال من لا ينام الليل من قتل أبيه والذى بقلبى يكفيه ولكن أبشر يا ربيع فأنا أبشرك ببشارة فقال له الربيع وإخوته ما هذه البشارة أبدها لنا يا فارس قبيلته وسيد عشيرته فقال لهم حصن اعلموا يا أصحاب الحسب والنسب أنه قد أتانى بالامس ثلاث رجال من شياطين العرب وهم مثل الابالس وأخبرونى بأن الاسد الرهيص قد سار إلى قتال عنتر فى سبعة آلاف فارس وأنا أعلم أن فى هذه الكرة يقلع آثاره وآثار بنى عبس وينقطع دابرهم إلى مطلع الشمس فإن أردت أن تشفى فؤادك وفؤادنا قم فى غداة غد نركب فى أكابر فرساننا ورجالنا ونسير إلى عند الاسد الرهيص ونشكو له حالنا وإذا اتفقنا معه ورأينا ما هو فيه من أمره سرنا معه ونكون من جملة عساكره ونتركه فى هذه النوبة قتيل ونسبى عبلة ونشفى منه الغليل فقال له الربيع والله يا حصن لقد أصبت فى هذه العبارة وأنا الآخر أبشرك ببشارة فقال حصن وماهى تلك البشارة فقال الربيع اعلم يا حصن أن عنتر اليوم ما هو حاضر فى بنى عبس إلا أنه سار إلى أرض اليمن ونحن إذا أشرفنا على الحلة نزلنا بمن فيها المصايب والمحن وإذا وقع بنا الصايح تحضر رجالنا أن يشيلوا فى الهودج حريمنا وعيالنا ويطلبوا أرضكم وبعد ذلك تنزل بنى عبس الرزية فقال حصن وهو أمر سديد وعاقبته نجاح ثم أنهم مازالوا سائرين حتى خرجوا من مياه بنى عدنان وإذا بعساكر الاسد الرهيص قد طلعت وأسنة رماحهم لمعت والبيض شعشعت والدنيا قد اظلمت والإسنة كالنجوم إذا أشرقت والارض قد تزلزلت والرجال كالسباع من فوق الجراد قد هدرت والربيع بن زياد وحصن بن اللئام قد سلموا على وزر وعرفوه بأنفسهم وقد أعلموه أنهم يكونوا من بعض أجناده ويعاونوا على بلوغ مراده ففرح الاسد الرهيص بقولهم واستقبلهم أحسن استقبال ووعدهم ببلوغ الآمال وترجل هو وكامل الرجال عن خيولهم وذلك إجلالا لهم وأخذ يسألهم عن حالهم فقال حصن للملك يا سيدى قد سمعت بما جرى علينا من بنى عبس وكيف قتلوا أبى وأعمامى على حفر الهباء وكيف ألبسنا عنتر العار وتركنا مثلا عند العرب فى سائر الاقطار ومع ذلك أنا صابر على سائر الضرورة لان يدى كانت عن أخذ الثار قصيرة فلما سمعت بمسيرك فى هذا العسكر الجرار كأنه البحر الزخار أقبلنا لاجل أن نتعاون نحن وإياك على قتل عنتر بن شداد عسى نبلغ المراد لما رأيت من

شدة عزمك وها أنا قد صرت إليك أرجو أخذ الثار على يديك وأعلمك أيضاً أن الحى خال من الرجال وعنتر غايب فى سفرته بفرسانه والابطال وما فى الحى من يصد ولا يرد وها معى مائتين فارس أجاد ومعى أيضاً الامير الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد لعله يحضر قتل عنتر ويشرب من دمه وانهب أنت الاموال كما نهب أموال الملوك العوال وأسبى عبلة زوجته وإذا رجع من سفرته بادر إلينا بقومه يطلب خلاص زوجته وقد دبرنا كلنا على إتلاف مهجته فلما سمع الاسد الرهيص من حصن ذلك الكلام فرح وطاب قلبه وأيقن ببلوغ المراد وبأخذ الثار وكشف العار ثم أنه سار على ظهر جواده إلى أن قارب أرض الشربة والعلم السعدى فالتفت فى ذلك الوقت إلى المنهال وقال له خذ أنت معك ألفين فارس من هؤلاء الابطال وسر إلى نحو الاموال وسق منها ما قدرت عليه من النوق والجمال وإذا رأيت الصياح من خلفك قد أتى والفرسان إلى نحوك قاتلهم إلى أن أقبل أنا من خلف ظهورهم وأملك البيوت والإطلال وأسبى نساءهم والاطفال فلما سمع المنهال من الاسد الرهيص ذلك الكلام استصوب رأيه ثم أنه أخذ معه نصف الجيش وسار طالباً أموال بنى عبس وكان ذلك عند طلوع الشمس وسار معه حصن والمنهال وهم قاصدين إلى المراعى والاطلال كما أمرهم الاسد الرهيص الريبال وسار معهم الربيع بن زياد وكذلك عمارة القواد ثم أن المنهال شن الغارات على الاموال وساق كل مافى المراعى من النوق العشار والابكار فكانت ستة آلاف ناقة غير رعاتها وأولادها وقد وقع الصائح وارتفعت الصيحات فسأل الملك قيس عن ذلك الحال فقال له يا ملك قد هجمت على المراعى خيل أكثر من مائتى فارس أبطال وقد ساقت العبيد والأموال وأخذت الرعاة والجمال فلما سمع الملك قيس بذلك الشأن قام وهو مندهش حيران وقال يا ويلكم أما عرفتم من هم هؤلاء العربان فقالوا له بلى يا ملك الزمان سمعنا ينادون يا آل قحطان يقدمهم البطل الجحجاح وليث الحرب والكفاح المنهال ابن ناقد الجلاح وقد ساق أكثر من ستة آلاف ناقة وجمل وهو فى جيش قد سد السهل والجبل فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام انذهل ونادى الخيل يا بنى عبس الكرام ثم لبس درعاً من الزرد ما له فى هذا مقايس وركب على ظهر جواده داحس وتقلد بسيفه ذى النون وسار بعد ما ضاقت عليه الأمور وركبت لركوبه إخوته وفرسان قومه وعشيرته بعد ما غاصوا فى الحديد والزرد النضيد ونفرت خلفه بنو عبس نفور القطا واستوى عندهم الصواب

والخطا وساقوا خيلهم حتى قاربوا من الأعداء وقد لحقهم الغلمان والعبيد والرعيان وهم ينادون يالعبس يالعدنان ورماحهم فى أيديهم مشهورة تضوى وخيلهم تركض كأنها النسورة .

(قال الراوى) فلما رأى المنهال إلى فرسان بنى عبس قد حملت وشجعانها أقبلت سلم الأموال التى ساقها إلى رجل من بنى عمه يقال له قضاعة بن فياض وكان فى الحرب بحراً لا يخاض وقد ضم إليه مائة فارس أسود عوابس وقال له امض بهذه الأموال إلى الموضع الذى كنا فيه وعلى أجسادهم الدروع المانعة وفى أيديهم الصوارم القاطعة وقد تواصلت عند ذلك الفرسان واختلط الجمعان وعلا الصياح وكلت السيوف والرماح وكثرت فى الأبدان الجراح وسارت بنو عبس وهى تنادى الابراح وانباعت الافراس بيع السماح .

(قال الراوى) فبينما هم فى ذلك الأمر العظيم يتفكرون فيما نزل بهم وإذا بالأسد الرهيص قد كبس الحى على الحريم وهجم عليهم من الشمال واليمين وقد أذاقوا بنو عبس العذاب الأليم وسبوا النسوان وملكوا الأطفال والأولاد والبنات وارتفع الضجيج من كل جانب ومكان وانعقد الغبار وذل العزيز فيها وهان وارتفع صياح النسوان فالتفت الملك قيس إلى وراءه وهو حيران فرأى بين البيوت هذا الأسد الرهيص بين الابيات شبه المجنون وقد قلع هو ورجال الحى بما فيه وسلم الربيع على خلاص حريمه وحريم إخوته من المنهال فلم يقدر على ذلك الحال لأن الأخ ما بقى يعقل على أخيه ولا الولد يلتفت إلى أبيه هذا وبنو عبس قد أتاها البلاء من بين أيديها ومن خلفها وقد انطبقت عليها العساكر وقد هاج بين البيوت وهو داير كأنه الأسد الكاسر وهو يقول أنا وزر بن جابر وما من بنى عبس إلا من تحير وحلت به الفكر وعلموا أنهم قد بلوا بالأسد الرهيص فى غيبة حاميتهم عنتر وما بقى لهم من الموت مخلص ولا مفر فعند ذلك صبروا للقتال وصبروا وما قصروا وقد انفرد من إخوة الملك قيس ثلاثة فى فرقة من بنى عبس للأسد الرهيص وحمل الملك قيس فى باقى الفرسان لقتال المنهال وقد اشتدت الأهوال وعظم النزال وانهرق الدم وسال وانطرحت الرجال بأجسادها على الرمال فاستقبل وزر وجندله أخو الملك وحمل عليه وصرخ فى وجهه فارتعد منه وتخبل من تلك الصرخة واندهش فعندها دنا منه وزر ومد يده إليه

ومسكه من أطواقه وجذبه وزعق عليه أخذه أسير وقاده ذليل حقير يتخبط فى أزياله وسلمه إلى عبده

هذا وتقدم الملك قيس لخلاصه من يده فلم يقدر على ذلك وكاد أن يورثه المهالك ومازالوا كذلك حتى قتل من بنى عبس ثلثمائة من الابطال الشداد وأسر منهم جماعة من السادات الأمجاد وطلبت أخوة الملك قيس الهرب وقد افتضحوا بين سادات العرب وسبيت حريمهم والعيال ونهبت أموالهم والاطلال وبقوا يسمعوا على صياح النسوان وما لهم سبيل على خلاصهم من الهوان وعبلة وأمها والتلال فنادت واقضيحتاه واسيياه وابن عماه وأين عيناك يا عنتر ترانى وأنا مسبية مهتوكة وفى أيدى الاعداء ممسوكة فلما سمع المنهال منها ندبها أقبل نحوها لما رآها وقد انذهل من حسنها وجمالها وبهاها ورق ابن عمها التى تنادى عليه وهى من أجله حائرة فقالوا له أيها الفارس الجواد اعلم أن هذه عبلة إبنة مالك ابن قراد وابن عمها عنتر ابن شداد فلما سمع منه ذلك المقال التفت إليها وقد رأى حزنها والتهابها وقال أنا أحق بها وأولى من غيرى لأن ثارى عند عنتر وهو الذى قتل أبى من قديم وسبى زوجته أميمة وقد ربيت أنا يتيم ثم أنه التفت إلى عبلة وقال لها يا إبنة البهيم الذى زوج إبنته بعبد لئيم صاحب الوجه الاسود الزنيم ولكن سوف أذيقه العذاب الاليم فلما سمعت عبلة كلامه قالت يا وغد قومه ولئيم عشيرته لو كان ذلك العبد حاضراً فى الحى عندنا لقصرت يدك عن الهجوم علينا فلما سمع المنهال ذلك الكلام داخله الغيظ والاغتمام وقال لها سوف أذيقك الذل والهوان وأتركك بعده تقاسى البلاء والحرمان .

(قال الراوى) هذا وقد نظر الربيع إلى حريمه وحريم إخوته الجميع مشدودين على الجمال وقد أحاط بهم البلاء وقال أيها السيد اعلم أن هذا ما كان لنا فى حساب ولا قلت أنه يجرى علينا هذا المصاب فلما سمع حصن من الربيع ذلك الكلام لام نفسه وزادت به الهموم وقال والله لو فعل أحد غيرنا هذه الفعال لكنت ألومه على هذه الاعمال ولو أعلمت بنى عبس بأننا كنا مع الاعداء فما كان يبقى منا عنتر لا صغير ولا كبير والصواب من هذه الوقاحة ونصير إلى أن ينزلوا لطلب الراحة ونطالبهم بقسمة الاموال وإذا رفعت القسمة بين الرجال نقول لهم اعطونا حريمنا والعيال ثم نأخذ حريمنا وحريم من قد نرى من الخطاب فقال له الربيع المرتاب هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب .

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروه من الهذيان وأما ما كان من الأسد الرهيص فانه التفت إلى المنهال وقال له أعلم أننا قد قدمنا على أمر عظيم وخطب جسيم وعنتر بن شداد مايضيع له ثار وقيس بن زهير أيضاً ملك جليل المقدار ولا بد له أن يجمع العرب من سائر الاقطار ولا يترك لنا هدواً ولا قرارا وهذا حصن والربيع فهم أولاد عم القوم ولا نعلم مافى قلوبهم من التعب واللوم ولا نأمن لهم من المكر والغدر لئلا يرجعوا يغدرونا بالخديعة والشر ومثل مافعلنا معهم يفعلوا معنا وقد فعلنا شيء ونريد أن نتمه والرأى عندى إننا إذا نزلنا ونزل هؤلاء الاثنين معنا فذلك الوقت أقول لكم اقسموا الأموال ولا تدعوا لأحد علينا ملام وأعطوا الربيع وحصن حقوقهما حتى يمضيان مصطحبان بالسلامة فقال أنت والله ياوزر ما نفعل هذه الفعال ولا نعطى هذه الأموال والاعقال ويبقى علينا نحن المطالبة من الفرسان والأبطال ولأى شيء ندفع لهؤلاء غنيمة قد كسبناها بقوائم سيوفنا وهم أيضا من جملة اعدائنا فعند ذلك أمر بالقبض عليهما فى عاجل الحال هما ومن معهما من الرجال الذين من بنى فزاره الأندال لأنى قد دبرت هذا التدبير بمعرفتى لعلمى إن هذا الرأى لنا به ربح بغير خسارة

(قال الراوى) فلما سمع المنهال كلامه قال له ياوزر أعلم انى كنت عازم على أمر وأريد الآن أفعله فان أنت رأيت هذا الصواب فلا نهمله والربيع وحصن بن حذيفة ومن معهم من الرجال اصحاب اعقول الحصيفة فانهم مافعلوا هذا الأمر ودبروا هذا التدبير مع قومهم إلا من حسدهم لبعضهم ومافى قلوبهم من الزفير وأى شيء الفائدة فى الصبر عنهما إلى وقت قسمة الأموال وفى الساعة ما يكون أحسن من القبض عليهما ومن معهما من الرجال ونرجع بعساكرنا والأبطال ونشهر بأيدينا السلاح ونطلب أرض بنى فزارة تلك البطاح ونهجم عليهم عند الصباح ونصنع بهم كما صنعنا ببنى عبس الفرسان الاوقاح حتى تكون المطالبة واحدة وأيدينا على الاعداء مساعدة واعلم أنه متى جاءنا عنتر البطل الكرار وقامت بنو عبس مطالبة لأخذ الثار تأتى اليهم بنو فزاره وتساعدهم فاذا قطعنا آثارهم ضاعت مطالبهم (قال الراوى) فلما سمع الأسد الرهيص من المنهال ذلك الكلام استصوب رأيه وعلم أن هذا رأى تمام وقال وحق الملك العلام لقد كنت أهدى منى إلى الصواب وأتيت معه من الفرسان مجدين فى عرض البر والصحصحان وهما يتحدثان فى أمر خلاص العيال والنسوان فبادر لكل منهما فارس من بنى نبهان وكان أول من زعق فيهما وكان على قبضهما حريص كان الأسد الرهيص وطعن الربيع بن زياد بعقب الرمح أرداه وعن جواده كركبه وأمر عبده نجم أن يشده كتاف وأيقن

الربيع بالتلاف ثم إن الأسد الرهيص زعق فى عاجل الحال على حصن وأخذه أسير وأما أصحابه فما منهم من مانع عن نفسه ولا دافع لأن الجمع عليهم كثير والعدد واف غزير لأن الاسد الرهيص يريد لرأسه الف إنسان من الرجال الشجعان ثم انهم شدوا الجميع بالحبال وقد نادى بهم منادى الحبال وأتى بهم الاسد الرهيص إلى بين يدى المنهال فأمر أن يضيفهم مع تلك الاسارى والرجال والسبى الذى قدامهم من النساء والاطفال فعندها التفت الاسد الرهيص إلى المنهال وقال له أيها السيد المفضال ماالذى تشير به علينا من الفعال فقال له تجعل مع السبى والاموال أربعمائة فارس من الابطـــال وتسيرهم قدامنا إلى الديار وتسير بنا نحن بباقى الجيش فيمن معنا من الأبطال ونقلع آثار بنى فزارة وإذا فعلنا نحن هذه الفعلة نكون قطعنا ذنب الحية الباقية فعند ذلك استصوب وزر رأيه ومشورته ونهض فى ساعة الحال وعزل الأموال والغنائم من وقته وساعته وفى عاجل الحال قدم عليهم مقدم من تلك الابطال الذى يسمعون مقاله واسمه قضاعة وهو من الأبطال المذكورة يعد بألف فارس من فرسان الجاهلية المشهورة وهو معروف بين العرب والعساكر ويسمى بالعقاب الكاسر فاضاف اليه ثلثمائة فارس من كل ليث ممارس وقال له ياابن العم سر واحفظ ما معك من السبى والأموال وجميع الرجال فى كل وقت وحين افتقدهم وقو رباطهم بالحبال وتقدم بين أيدينا بهذا السبى والأموال وسر على مهل حتى اننا نلحقك ببلوغ الآمل واعلم أن اجتماعنا على مياه بنى هلال نلحقك فسر وخليك على يقظة من أمرك فقال له السمع والطاعة سر ياسيدى وأنت قوى القلب على هؤلاء الجماعة ثم انهم لما فرغوا من هذا الحديث والمقال أخذ قضاعة بن طاعن السبى والاموال وقد سار وفرق من حولهم العبيد والابطال ودارت بهم الاربعمائة فارس فى عاجل الحال ولما فرغ المنهال والاسد الرهيص من هذه الاشغال أخذوا ما بقى معهم من العساكر وساروا طالبين أرض بنى فزارة وقد تبعوا أمرهم حتى انهم وصلوا اليهم وهجموا عليهم فى أرضهم وديارهم وأسروا الرجال وأسقوه كاس الوبال وقد قلعوا الحلة بمضاربها بعد ما أحاطوا بها من ورائها ومن قدامها وساقوا النساء وربطوا الرجال وسبوا الحريم ونهبوا الاموال وتركوا أرضهم بلقع خــــراب وطلبوا البر والهضاب بعد ما فعلوا فى حقهم من السبى والفضيحة مالا يكاد يوصف ولا تركوا لهم رسم يعرف وقد رحلوا من وقتهم وساعتهم والسبايا من النساء والرجال بين أيديهم وهم سائرون إلى ما سباه من بنى عبس طالبين إلى أن وصلوا اليهم وقد طابت منهم بما فعلوا النفس ولما وصلوا إلى أصحابهم

خلطوا السبي على السبي فعندذلك وقعدت عبلة عينها فرأت الربيع بن زياد وهو مشدود مع جملة السبي وأكتافه موثوقة شداد وكذلك أخيه عمار القواد وحصن بن حذيفة ومن معه من بني فزارة الأوغاد (قال الراوي) فقالت له ياربيع نحن قد أتانا خبركم إنكم مع القوم ترافقتم والله ياربيع كل مانحن فيه من بلاك عجل الله لك الهلاك لأنك ياقرنان ماوقعت أنت إلا بما قدمت يداك فقال الربيع لا والله يابنت العم ماعندي مما تقوليه خبر وحياة حاميتنا عنتر وما كنا إلا في الوليمة نشرب الخمر فما ندري إلا والخيل حطت علينا وكبستنا من البر فركبنا وقاتلنا حتى عدمنا الجلد وكثر علينا العدد وزاد المدد وقد أخذونا بعد ذلك أسارى وما ندري ماتم على بني فزارة ولو كانت هذه من فعلي ماكنت على هذه الحالة مربوط أنا وأخوتي وحريمنا في هذا السبي كالري والساعة يابنة العم فما بقي لنا من هذا الضيق الذي نحن فيه فرج إلا أن أتانا الفارس الأبلج وبطلنا المتوج

(قال الراوي) فلما سمعت عبلة بذكر ابن عمها عنتر تحسرت من شوقها اليه وعلمت أن مالها خلاص إلا أن كان على يديه وبعد ذلك أشرفت نساء بني فزارة وسبيها وأموالها وخالط الاسد الرهيص نساءها ورجالها بسبي بني عبس فملؤا الأرض طولا وعرض وساروا طالبين الديار ولم يأخذهم هدو ولا فرار (قال الراوي) هذا والمنهال قد اشتد به الغرام إلى عبلة فشكا حاله إلى ابن عم يقال له واقد بن فياض وقال له ياابن العم أنا ماوجدت لكشف سري غيرك وأريك تصنع معي ماأشكرك عليه وأنت إذا فعلت معي ماأقول لك عليه تجيتني من الهلاك ثم انه شرح له قصته وأعلمه أنه قد زاد به الشوق إلى عبلة فقال له طب نفساً وقر عيناً واعلم أننا إذا وصلنا إلى الحلل أخذناها من وزر من غير مهل ونزوجك بها طائعة أو كارهة فقال له المنهال ياابن العم أنت اخطبها لي من نفسها فان أنعمت اليك بقضاء الحاجات أحسنت اليها (قال الراوي) فعند ذلك ساق واقد بن فياض جواده وسار إلى أن وصل إلى عبلة فلما أن حاذاها أقبل عليها وقال لها يا ابنة السادات الأمجاد اعلمي أنني قد أتيتك في أمر لك فيه اصلاح فقالت وماهو أيها البطل الجحجاح فقال ان الملك المنهال بن ناقد من وقت ماراك هام بك ومايدري ما يكون عمله معك لانه مايريد أن يأخذك مسبية وإنما يريد أخذك بعقد النكاح وهو أحب اليك من ذلك العبد الأسود الادهم راعي الجمال والغنم (قال الراوي) فلما سمعت عبلة ذلك المقال أطرقت رأسها وفي نفسها تفكرت وكانت ذات عقل وافر من دون النسوان وقد جرت عليها تصاريف الزمان وعاركتها نوائب الحدثان وقاست من نوائب الدهر عجايب وألوان فرفعت رأسها لترد الجواب عليه وقالت له أيها السيد الأمجد انني ماأشتهي أن أنظر لذلك العبد الأسود وأن

أبي مازوجني به إلا غصباً عني وكان ذلك بإرادتي وكنت أطلب وصوله إلى لعامي انه كان فارساً لايطاق وعلقما مر المذاق ولكن إذا كان الأمر كذلك وقد جاءني من ينقذني من المهالك ويريحني من هذا العبد الاسود الفاتك فهو خير منه وحق مالك المهالك ولكن على شرط يتركني حتى نصل إلى الديار ويقر بي القرار وينفذ إلى أبي ويخطبني منه على رؤس الاشهاد وبعد مايرسل يخطبني وبه أبي يزوجني يضمن لنا قتل العبد الاسود ومنه يريحني من الذي بكل وقت لسبي يحوجني وبعد ذلك نرحل بأهلنا كلنا ويكون معولنا عليه ولا نعود نبرح من أرضه ولا من بين يديه وهذه يدي اليك على هذا الحال وماذكرته لك من المقال

(قال الراوي) ثم انها أعطته يدها وهي لاتصدق أنه يرضى بهذه الاقوال فطاب قلبه لما سمع منها هذا المقال ورجع إلى المنهال في عاجل الحال ولما وصل اليه أعلمه بما جرى له مع عبلة وقال وحق البيت الحرام والركن والمقام لادخلت عليها ولا وصلت اليها حتى تضع رأس ذلك العبد الاسود في حجرها ويطمئن بقتلته قلبها ثم انهم ساروا حتى لحقوا بأهلها وسائر الفرسان فرحا بما وصل اليهم من تلك الغنايم وكان المنهال قد أحسن إلى عبلة غاية الإحسان وسار يدور من حواليها فهذا ما كان من بني نبهان .

(قال الراوي) وأما ما كان من بني عبس وعدنان الذين انهزموا من أطلالهم والاوطان فانهم لما رحل الاعداء من أرضهم عادوا إلى أطلالهم وما فيهم من يملك غير فرسه التي تحته وماوجدوا في الديار آثار بيت قديم ولا وسد مضرب يأووا اليه وكذلك الملك قيس قد فقد أهله وأقاربه وافتقد اخوته فوجدهم قد فقد منهم ثلاثة وقد نهبت اموالهم وخربت ديارهم وحلت بهم الشماتة فجعلوا يبكون على هذه المصيبة التي أصابت عساكرهم وأجنادهم وهم مذكورون بين العرب بفرسان المنايا والموت الزؤام

(قال الراوي) فبينما هم كذلك وإذ قد أشرفت عليهم المنهزمين من بني فزارة وأكثرهم مجروحين وقد زادت بهم الحرارة وهم ينادون بالويل والثبور ثم أن الملك قيس جمع العرب حوله والأقران ومن بقي من الفرسان وقد عولوا على مكاتبة بني غطفان وكذلك بني مرة وبني ذبيان والملك قيس يتحسر على هذا الفعل المنكر وينظر في عسى ولعل ويتفكر في أمر عنتر وغيابه عنهم في ذلك الأمر فهذا ماجرى له من الأمر النفيس وأما ما كان من الاسد الرهيص فانه لما سار طالباً دياره وقد ظن أنه أخذ ثاره وكشف عاره فجعل يوبخ بني عبس ويكثر في توبيخهم وهو ينشد ويقول :

لحا الله عربا حامي القوم عبدهم   وتخدمه في كل جائحة أمرا

يسود عليهم راعياً من رعاتهم　　وسيدهم ينقاد فى أمره صغرا
فكاثر بنى عبس إن أردت تكاثرا　　ولاتبق من عبس وقارا ولانصرا
ولا تدع عبسا للقراع فانها　　إذا دعيت اتبعت البلد الفقرا
يروعك من عبس غلاظ جرومها　　وتزهد فيها حين تعاينها خبرا
فها شربت عبس بكاس منية　　عشية قد أضحت بذلتهم قهرا

(قال الراوى) ولما فرغ الاسدالرهيص من أشعاره سار طالباً دياره إلى أن وصل وفيها نزل وقر قراره وهوفرحان بما فعل من ذلك الشأن هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه لما أخذ رجاله ومازن أخوه وعروة بن الورد وسائر أجناده وكانوا خمسمائة فارس أعيان ولما جاوزوا أرض بنى عدنان قال عنتر لأخيه شيبوب نحن فى أى النواحى ياأبا رياح فقال له نحن بالقرب من بلاد اليمن ولكن مرادى أنزل بكم على أرض كثيرة المال والارباح فقال عنتر هذا هو الرأى السداد ثم انهم جدوا فى قطع البر والمهاد إلى أن وصلوا إلى حلة فى آخر بلاد اليمن وهى من حلل بنى حمير وملكها يقال له الملك وهب بن موهوب الحميرى وهو ملك عظيم وجبار جسيم تهابه العرب الآكام وتلقيه الفرسان بفلاق الجماجم وهو من جملة التابعة والملوك أصحاب التيجان وحوله عشرة آلاف فارس من بنى حمير وكهلان وبنى الطماح وبنى عسقلان ويتبعها مثلها عبيد وغلمان وإذا ركب هو بنفسه إلى الميدان يرد لرأسه ألف فارس من جبابرة الشجعان ومع ذلك الوصف عظيم السطوة والتعبير شديد القوة عالى الهمة وكانت تنعقد على رأسه الرايات والبنود والامراء وكان هو وقومه منعكفين على عبادة كوكب فى مدينتهم يقال له الشعرا وكان هذا الملك بن عم سبيع بن الحارث الملقب بذى الخمار .

(قال الراوى) ولما وصل عنتر إلى ديارهم وتلك الآثار قال لعروة بن الورد ياابن العم هذه الارض بعيدة ومسالك طرقها صعبة شديدة وهذا الملك الذى دخلنا دياره أظنه ملك جبار وليث مغوار وربما يكون خلفه عسكر جرار ونحن فى قلة من الرجال الانجاب فاالذى عندك من الرأى الصائب واعلم أنى ماقلت لكم هذا الكلام فزعا من الموت ولاخوفا من الفوت إلا حتى تكونوا على أهبة من أمركم فإنى أريد الهجوم على اقليمه وأخذ أمواله وأسبى حريمه ولو أنه فى عسكر وجنود بعدد قوم عاد وثمود فقال شيبوب اعلم أن مامعك غير خمسمائة فارس من الفرسان والرأى عندى شىء غير هذا البيان فقال عنتر ماهو يا أبارياح أخبرنا بأقوالك الصحاح فقال شيبوب الرأى عندنا نتخذ لنا موضعاً من بعض المواضع الحصينة ونحتمى به ونقيم بالبعد عن ديارهم ونشن عليهم الغارات

ونقطع عليهم الطرقات ونقيم الحرب والعويل ونخرب البلاد وننهب أموال العباد حتى تملك أيدينا من أموالهم مانرجع به فرحين إلى بلادنا وقدنلنا غرضنا ومرادنا وان علم بنا ملك هذه البلاد وأرسل لنا عسكراً كسرناه وأخذنا سلبه ونهبناه وهذا الرأى أحسن لنا من دخولنا اليهم وهجومنا عليهم فاننا إذا فعلنا تلك الفعال آمنا على أنفسنا وعلى أصحابنا من القتل والوبال لأننا إذا قتل أحد من رجالنا كان يسوى آل قحطان وماعندهم من الملوك والفرسان فاستصوبوا الجماعة رأى شيبوب ثم انهم ساروا وقد اكمن بهم عنتر فى الاماكن التى انتخبها لهم شيبوب وقعدلهم ديدبان على فم الوادى وهو خائف عليهم أن يقع بهم أحد من الأعادى وسار يأخذ لهم أخبار القوافل التى ترد عليهم من القرى والبلدان وصار عنتر كل حين يخرج بهم ويقطع الطريق ويعدم عرب اليمن السعادة والتوفيق فعند ذلك انغاظ الملك وهب وزاد به الهموم والكرب فما علم بهذه الامور التى جرت على بلاده وأوجبت شكوى عساكره وأجناده فعند ذلك دعا بوزيره اليه فلما حضر أعاد هذه الأمور الذى جرت عليه وقال أماعلمت المحنة التى أصابتنا وتلك الرزية التى طرقتنا فى أرضنا وبلادنا أما من هو الذى تجاسر على الفعال وقطع عنا الطرقات وقتل المسافرين وأصحاب التجرات فقال له الوزير أيها الملك وحق النجم إذا ظهر أنى ماعلمت بهذا الخبر ولكن قدوصل إلى طرف من الخبر وأخبرنى من أثق به أن الذى تجاسر علينا عبد أسود من بنى عبس يسمى بعنتر الذى علق قصيدته على البيت الحرام وبقيت مع جملة القصائد التى للشعراء أرباب الافهام وقد قهر من رجاله أبطال الانام وأسر كل فارس همام وبطل ضرغام فهو الذى أخذ الاموال وقطع الطرقات ونهب حلل العربان وأبطال الرجال (قال الراوى) فقال له الملك فى كم يكون هذا الرجل من العساكر والابطال الذى تنقاد تحت حكمه من الجنود والرجال فقال الوزير أيها الملك المفضال قد سمعت من الرجال انه خمسمائة فارس أبطال مائتين منهم يقاتل بهم من يلحقه من الابطال وثلثمائة فارس يتأخروا خلفه تحمى ماينهبه من الاموال ولكن قيل أن الخمسمائة كل واحد منهم يحمل على الف شجاع ولايخاف منهم ولا يرتاع وأنا أقول أيها الملك هذا الفارس عنتر لوحمل بالخمسمائة فارس على عشرين الف بطل مقاتل وليث ممارس لكسرهم وأنزل بهم الذل والوساوس لأنهم لوما كانوا رجال كرام لما سمتهم العربان بفرسان المنايا والموت الزؤام وذلك لأجل ما فيهم من الشجاعة والقوة والبراعة فقال الملك وهب وضحت عن هؤلاء الفرسان وعن أصلهم وفروعهم والوقوع فى

هذه الوسواس كل هذا فزعا من خمسماية فارس فكأنما هؤلاء الناس ماهم ناس فقال له الوزير أيها الملك لا تحتقرهم ولا يأخذك توان عنهم لأنهم أذلوا كسرى وقيصر المرار العديدة وملكوا بنى الأصفر وقد سمعت أيضا عن عنتر بأنه قد أذل الملك يكسوم وأسر عساكره والأجناد وكانوا عدد النجوم وقتلوا الملك طود الأطواد وأفنى جيوشه والأجناد فقال الملك أيها الوزير فإذا كان الأمر ينتهى إلى هذا الحساب نعول من هذا الوقت على الذهاب قال فلما رأى الوزير أن الملك قد حقد وداخله الغضب صار يمسح أعطافه ويتلطف به حتى سكن غيظه وقال له ياملك أنا ماوصفت لك هذا الوصف إلا حتى يثبت عندك ماهم عليه من المعرفة ولا تهمل أمرهم فيصل اليك شرهم فقال له الوزير دبر لنا فى هذا الرأى كيف تشتهى وتريد وتحكم فى العسكر حتى تنظر مايكون من هؤلاء الفرسان فلعل أن ينفتح لك باب تستدل به على قتل هذا الشيطان المرتاب وترسل له من الفرسان من يرده عما يفعل فى هذه البلاد قال فعندها نهض الوزير كما أمره الملك من تلك الساعة وأمر فى الحال بإحضار الف فارس ليوث عوابس فى الحديد غواطس وقدم عليهم فارساً شديد وقرم عنيد يقال له طارق بن غاسق وكان حامية بلاد بنى حمير وابن عم الملك وهب بن موهوب وكان فارساً عبوس وليثاً شروس وتلقبه العرب بخاطف النفوس وكان طوله سبعة أذرع بالهاشمى لايبالى بالرجال ولا يخاف من لقاء الأهوال فعندذلك قدمه الوزير على الف فارس وكانوا أبطال صناديد وهم غائصون فى الحديد والزرد النضيد لايبان منهم غير تداوير الحدق ولما تكاملت الرجال والفرسان عرضهم على الملك وهب ففرح بتلك الأعمال وخلع على طارق خلعة من الخلع الغوال ووعده بكل خير وإحسان إن هو أتى بعنتر اليه منقاد أسير فى حبال الذل والتعبير فعندها خرج طارق من عند الملك وهب وهو فرحان وأخذ معه الألف فارس وسار وهو فى البرارى والقفار وهو سائر بعزم واجتهاد طالب المكان الذى فيه عنتر بن شداد (قال الراوى) وكان عنتر أنزله شيبوب فى مكان معشب بين جبلين عاليين وكان فى تلك الأرض التى نزلوا فيها عين ماء جارية وهى أرض خضرة مخصبة النبات وذلك الوادى منيع الجنبات مايقدر يدخل اليه أحد ولا يسلكه أحد فبقى عنتر مختفياً فى هذه الوديان وقد طاب له ذلك المكان وهو يأكل ويشرب ويلذ ويطرب مع الاخوان ولا على باله هم من الزمان وهو قد نسى طوارق الحدثان

(قال الراوى) فبينما هم على ذلك الشأن والحال وإذا بالزعقة قد علت فى ذلك الوادى والمكان ورفع صياح الفرسان وضجات الأقران وفى عاجل الحال نزل شيبوب من على رأس الجبل ودخل على أخيه عنتر مثل لمح البصر وهو مسلوب الفؤاد مكروب وزعق على

أخيه عنتر وأمره بالركوب وقال له اركب يا ابن الأم فقد أتاك القوم فى عسكر جرار وهم فى ألف فارس كرار وسيوفهم فى أيديهم تلمع مثل وقيد النار هيا قم يا ابن السوداء وخذ لنفسك الحذر فانت اليوم تكون على مقام الخطر فلما سمع عنتر من أخيه ذلك الكلام وثب كأنه الأسد الضرغام وأمر من معه من الفرسان بالركوب فركبوا فى عاجل الحال وانحدر ميسرة وعروة وغصوب كأنهم البلاء المصبوب وقد صاروا الجميع على ظهر الخيل واعتدوا برماحهم واعتقلوا بصوارمهم وفى مقدمتهم حاميتهم عنتر وهو راكب على جواده الابجر معتقل برمحه الاسمر متقلد بسيفه الضامى الابتر ثم انهم تبادروا إلى هذا الصياح وقوموا فى أيديهم عوامل الرماح وكل منهم أطلق لجواده العنان وخرجوا من الوادى كأنهم فروخ الجان وأمر عنتر إلى أخيه مازن بالتخلف فى جماعة من الفرسان ليحفظوا ما جمعوا من الأموال من تلك البلدان قال هذا وقد خرج عنتر فى ثلثمائة فارس وهم مثل الأسود العوابس وركب على يمينه ولده غصوب الاسد القسور وعروة بن الورد إلى جانبه الايسر وسار فى مقدمة القوم ولده ميسرة وهو مثل النار المسعرة وقد خرجوا إلى ساحة الفضا هذا وطارق لما رآهم فى هذه الشرذمة اليسيرة أخذته البهتة والحيرة وقال لمن معه من ترى ان الملك ما يكفنى إلا بهذا الحال ويرسلنى إلى قتال هؤلاء الاندال وقد ظن أنه عليهم قد احتوى فهنالك حمل عليهم من شدة غيظه ولا التوى لما علم أنه ما بقى يفيق الفريقين عن القتال فعند ذلك تسارعت الفرسان والخلائق وتحققت الحقائق هـذا والابطال تسارعت والفرسان تقدمت والغبار قد ارتفعت والسيوف قد لمعت والاصوات قد اختلفت والطيور الكواسر قد نزلت وسهام المنايا عليهم قد أرسلت هذا وطارق قد حمل كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو يقول يا ماخوذين يا مذلولين سوف تعودوا من هذه الأرض نادمين فلقد سعت بكم أرجلكم إلى دماركم وفراغ آمالكم وقطع أعماركم وتيتم أولادكم فلم يجيبوه بنى عبس بجواب ولم يردوا عليه خطاب بل انهم ركبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على الالف فارس كالجن الابالس واستقبلوا بصدورهم تلك الخيل ومالوا عليهم كل الميل وقد اكتالوهم كيلا وأى كيل وانحطوا عليهم انحطاط السيل وانطبقت عليهم الالف فارس فى وسيع تلك البر وعمل فيهم الصارم والذكر وفاض كاس الموت بينهم وزجر ولحق الجبان الكرب والضجر وصاح الشجاع وافتخر وأخذ الذليل فى الهرب ونادى المنادى على قسر الاعمار يقبض الآجل (قال الراوى) ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبلت جيوش الظلام بالاغساق وقد بلوا بنى حمير بما لا يطاق إلى أن انسدل الظلام وخفيت عن الجميع مراضع

الأقدام فافترقوا الطائفتين من ضيق الخناق والزحام وقتل من الالف مائتا فارس أجواد وجرح من بنى عبس عشرة رجال فأخرج عنتر عشرة رجال غيرهم من المستريحين وباتوا على ذلك الايضاح إلى أن أصبح الصباح فعندذلك تواثبوا على ظهور الخيل الجرد القداح ونزلوا للحرب والكفاح وجردوا فى أيديهم عوامل الرماح ولم يزالوا فى قتال ونزال إلى أن انتصف النهار وهج البر واشتد عليهم صهيد الحر فعندذلك افترقوا عن ضرب البتار وكانت بنى حمير بما قاست من الطعن والضرب عولت على الفرار لأنه وقع فيهم الفناء والبوار وقد عولت تطلب الديار فعندذلك زعق زعقة أرجف بها القلوب ودوت لها البرارى والقفار وقال لهم ياويلكم ما الذى دهاكم وحل بكم من الدمار حتى إنكم عن القتال تخليتم وركنتم إلى حمل العار فقال له فارس من قومه يقال له بكار والله يافارس البيد لقد بلينا من هؤلاء القوم بالهلاك وقاسينا نار البلاء من هذا الفارس الاسود الذى ما مثله فى هذه الديار يوجد فلما سمع طارق كلام بكار حار ولحقه الانبهار وقال له أين فارسهم الاسود فقال له بكار اعلم أيها الامير أن الفارس الذى فى الميمنة هو ابن عنتر غصوب الذى أنزل بنا الكروب والبلاء المصبوب والذى على الشمال ولده ميسرة وأما الذى فى القلب فهو عنتر النار المسعرة وأما الذى وراءه وقدامه فهم رجاله وأقاربه وبنو أعمامه (قال الراوى) فلما سمع طارق باقى هذا الكلام وعاين ما رأى من بنى عبس فى الطعان والصدام فما أجابه بجواب إلا أنه وثب وثبة الأسد المهاب وقال لمن حوله امهلوا على قليل وأبقوا خلفى فى تلك الآكام واعلموا أنى أفديكم بروحى من هؤلاء القوم اللئام وأنا أبارز أبطالهم وأبيد أقيالهم فان نصرت عليهم وأوردتهم الوبال والتدمير فهو الغرض وهان الأمر العسير وان نصروا على وأخذونى من بينكم أسير فدبروا بعدذلك ما ترون من التدبير ثم انهم صبروا حتى برد الهوى واستهاد وبعد ذلك قفز بالجواد إلى موقف الطعان والطراد ونادى بأعلى صوته حتى سمعه جميع العباد وصاح وقال يابنى عبس من عرفنى فقد اكتفى ولم يعرفنى فابى خفا وها أنا أعرفكم بنفسى أنا من المشهورين بين أبناء جنسى أنا يقال لى طارق بن غاسق الأسد الوثوب وأنا ابن عم الملك وهب ابن الموهوب وابن عمى سبيع بن الحارث الذى ماله فى هذا الزمان مقايس وهو الذى يعد فى الحرب بسبعة آلاف فارس والآن قد طلبت منكم الانصاف وقد تركت الجور والاسراف فلا يبرز إلا فارسكم عنتر العبد الزنيم حتى أعرفه وبال أمره وأورد كيده فى نحره ثم انه جال بجواده بين الصفين ولعب رمحه بين العسكرين (قال الراوى) فلم يتركه غصوب أن يتم كلامه حتى قفز اليه وسار قدامه وفى يده سيفه مشهور بجنان أجرى من تيار البحور وكان

عنتر أراد أن يبرز إليه فسبقهم غصوب وحلف عليه وقال ياأبتاه من يكون هذا الوغد اللئيم حتى يخرج إليه مثلك فى هذا اليوم الجسيم فوحق الرب القديم لايبرز إليه إلا ولدك غصوب وأفديك بروحى من جميع الكروب وفى عاجل الحال برز غصوب إلى المجال وحمل على طارق وناداه ابشر ياابن اللئام بالحمام وأنت من تكون يا كلب يالئيم حتى يبرز اليك حامية عبس فها أنا ولده وقطعة من كبده وقد خرجت إلى قتالك فلا بد ما أسقيك كاس وبالك ثم أن غصوب جال عليه وصال فعندها أشار اليه طارق يقول

ياذا الذى يبغى الفساد سفاهة ابشر بطعنة ذابل عسال
ياوغد عبس يالئيم عشيرته ياابن العواهر من ذوى الارذال
اليوم تلقى كاس حتفك عاجلا بمهند ماضى الضيا فصال
فادنوا إلى بطل يريك بكفه ضرباً يقد جماجم الأبطال

قال فلما سمع غصوب كلامه وفهم شعره ونظامه قال له أى شىء هذا الكلام الذى ماله معنى ولا إفهام ولكن أنت من تكون من فرسان بنى حمير لان عمرى ماسمعت لك ذكراً يذكر فقال له طارق أنا الريح العاصف والبرق الخاطف المسمى بطارق الحميرى ولابد ما أجعلك فى هذه الساعة مقتول ومن طعنة رمحى مجدول فلما سمع غصوب هذا الكلام زعق فيه زعقة أوقفه عن الصـــدام وأشار يقول صلوا على طه الرسول :

يامن أتانا بالوعيد سفاهة يبغى قتال الأسد الريبال
أسد وثوب ماجد مامثله مردى الفوارس فى الوغا مفضال
ابشر بضربة فارس متقشعم ما مثله بين الورى أشكال
اليوم أفنى جمعكم بمهند وسنان رمحى أسمر عتال
أنا المنية وابن كل منية والطعن منى يسبق الآجال

قال فعند ذلك حمل غصوب على طارق حملة الليث الوثوب واخذ فى الطعن والضرب وأدام بينهما الطراد هذا والاحداق اليهما ناظرة والعقول من أجلهم حايرة وطريق الحياة عليهم صارت مسدودة والاعناق اليهما ممدودة والغبار عليهم معقودة (قال الراوى) ولما رأى غصوب إلى ثبات خصمه بين يديه خاف من أبيه أن يستعجزه فحمل عليه وزعق فى وجهه زعقة بها خبله وارجف أعضاءه واقلب سنان الرمح إلى وراه وكان أراد بذلك أسره ولم يردفناه فطعنه بعقب الرمح القاه على ظهره فما لحق أن يصل إلى الأرض إلا وشيبوب عليه قد انقض هو وولده الخذروف وفى عاجل الحال شدوا وثاقه وساقوه إلى بين يدى عنترا أسيرا ومنقادة

فى حبال الذل والتعتير (قال الراوى) ونظرت فرسان بنى حمير إلى مقدمها وقد أسر فى حومة الميدان وتسربل بثياب الذل والهوان فعند ذلك حملوا واركبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا حملة رجل واحد قاسى الأهوال والشدايد فعند ذلك زعق عنتر فى رجاله وحمل هو وأبطاله وقـــد ظهر عجائبه وأهواله وزاد حنقه وخاف على غصوب ولده وأشفق قلبه من العدا بفعالهوخطف أرواح العدا فى مجاله وأنصب على الأعداء انصباب الشباب الثاقب والموت الصايب فلم يأت آخر النهار حتى سالت الدما مثل الامطار وقاتل عروة بن الورد كل فارس جبار هذا وغصوب قد طعن فى العدا حتى ترك الدما مسكوب وأماميسره فانه ترك الاجساد معفرة قال ولما فرغ النهار واقبل الظلام حتى تساوى الأمير بمقام الغلام وشربت الألف فارس كاس الحمام ولم يبق منهم غير مائة مهشمين العظام ومابقى فيهم من يقدر يرد الكلام وولوا الادبار وركنوا للفرار وطلبوا أهلهم والديار وقد جرت عليهم الأحكام وانسلوا فى ظلام الليل هاربين ومن طعنات بنى عبس متحيرين وقد تعجبوا من طعنات عنتر وشدته ومامنهم إلا من اندهش وتحير من قوته وهم يقولون له تبا لك من أسود فنعس فما أقوى طعناتك لعن الله وجهك الأغبر يا إبن الزوانى والذى جاء بك هذا المكان هذا وعنتر تابع آثارهم هو وأولاده غصوب وميسره إلى أن أبعدوهم عن تلك الأرض وهم يتكردسوا على بعضهم البعض وما رجع عنتر وأولاده ورجاله من خلفهم على هذا الحال حتى أسروا منهم خمسين فارس وربطوهم بالحبال وأحلوا بهم الذل والخبال وأضافهم إلى مقدمهم بعد ماقاسوا الذل والهوان وعاد عنتر وأولاده إلى تلك الوديان ولما استقر بهم الجلوس أمر عنتر أخاه شيبوب أن يحضر طارق فلما حضر وبقى واقفاً قدامه قبل الأرض ودموعه سائلة من اجفانه فقال له عنتر أنت تشترى نفسك وإلا أقطع رقبتك وأعدمك روحك يا إبن الأندال فقال له طارق ودمعه على الأرض ناقط أعلم أيها السيد المفضال أنا أسهل ماعلى القتل وأنت تضرب عنقى بحسامك الفصال ولا تسمع العرب إنى فديت روحى بالمال أو بشىء من النوق والجمال فقال له عنتر أن كان قولك المقول أنا أخليك تفدى نفسك فى عاجل الحال ثم أمر شيبوب أن يشبحه بين أربع سكك من حديد ويضربه بالسياط حتى يزرق جلده (قال الراوى) فقام شيبوب اليه ودق له أربع سكك وسحبه بين يديه ورجليه وضربه حتى غشى عليه من الضرب وقد عدم صبره وغاب رشاده وقال ياحامية عبس ارفع عنى هذا الضرب والعذاب وأشترى منك روحى بالمال والثياب الغوال فاقطع على مهما أردت من

المال والنوق والجمال والذى تطلبه يحضر لك فى عاجل الحال فقال عنتر أريد منك الف ناقة برعاتها وعبيدها وعشرين رأسا من الخيل الجياد بعددها ولاماتها والف دينار ذهب والفين رأس من الغنم فإذا حضرت ذلك سلمت نفسك من المهالك فقال لك على كلما تريد ولكن أرفع عنى العذاب الشديد وابعد عنى هذا الرجل البليد فقال شيبوب ويلك يابن اللئام أنت ماأدعيت أنك ماتفدى نفسك بشىء من الحطام فقال له طارق أبعد عنى أنت بعيد بحق الملك العلام ثم قال لعنتر يامولاى اطلق سراح واحد من بنى عمى يمضى وهاأنا تحت يديك مرهون حتى يأتيك بالمال فى عاجل الحال فرضى عنتر بقوله واطلق له رجلا من بنى عمه وأطلق معه عشر فوارس من بنى حمير وبعد ذلك كتب طارق إلى الملك وهب بن موهوب كتاب يعلمه بماجرى عليه من الأسباب وماقاسى من العذاب وهو يقول: بسم الرب القديم إله موسى وإبراهيم أما بعد الذى نعلم به الملك الكبير السيد الخطير أعلم أننا نحن فى خدمتك وسرنا إلى ملتقى هذا الرجل الذى يقال له عنتر وكان فى ظنى أن القى مثلى ناس من البشر فلما قابلناهم حملنا عليهم حملة رجل واحد وقلنا أن كلا منهم مربوط فى الوثاق عندنا والشدايد رأيناهم شياطين الفلا وجن الأرض السفلى وكل واحد منهم يرد لرأسه الف شجاع يكون عليهم رابحاً غير مرتاح والآن فقد أسرونى وانزلوا بى الضرر وأريد منك يابن العم أن تشترينى من يد هذا الجبار عنتر وإلا تتركنى على الأرض مقتول ودفنتنى فى القبر والجفور وأعلم إنك إذا قعدت وأرسلت له كل يوم الفاً بعد الف فعنتر وحده لهم كفؤ لأن له ولداً يقال له غصوب أشد من البلاء المصبوب وهو الذى أفنى الرجال وأباد الأبطال وأنا الذى اغتررت بروحى وبرزت إلى الميدان فخرج إلى ولده غصوب الشيطان فرأيته فارس لايطاق وعلقم المذاق فخطفنى من بحر سرجى خطف النسور ولما ملكنى طلب منى الفداء فى عاجل الحال فما رضيت أنا بذلك الشأن فما كان من عنتر إلا أن سلمنى لرجل له وجه أشنع من وجه الجان وضربنى بالسياط حتى شرح جلدى ولم يرحمنى فعندها اشتريت روحى منه بكذا وكذا وإذا قرأت هذا الكتاب فلا يكن لى عندك وصية إلا إرسال الفداء جواب فبالله عليك يابن عمى لاتتوان عنى فاننى فى ضيق الخناق وشدة الوثاق لأنه قال إذا أنت أتيت فى طلبى يقتلنى من ساعتى ويعدمنى مهجتى ثم أن بعد ذلك أطوى الكتاب وختمه وسلمه إلى ابن عم له يقال له قتاب وقال له يابن العم من ساعة ماتصل إلى قومك ماأعرف خلاصى منك قال هذا ماجرى لهؤلاء من الأخبار وأما ماكان من الملك وهب بن

موهوب فانه كان مطمئن القلب بابن عمه طارق أن يجلى عن قلبه الكروب ويربحه من أمر الحروب لأنه ماأنفذه فى أمر قط إلا وأنجزه ولاحال صعب إلاوجهزه فبينماهوجالس بين أكابر دولته وقد دار بينهم الكلام وهم منتظرون طارق أن يأتيهم بعنتر ومن معه فى حالة الإرغام وإذا هم بالمنهزمين الذين سلموا من الف فارس ونجوا من القتل والأسر قد وصلوا اليه وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور وقــد أعلنوا بالصياح وقوموا الصراخ والنواح فعند ذلك مال الملك وهب عن سريره وقام وقعد وأرغد وأزبد وسأل عن الخبر وجلية الأثر فقيل له أن جماعة من الألف فارس الذين كانوا مع ابن عمك طارق وقد أتوا وهم الذين كان سار بهم إلى قتال عنتر فقال لهم الملك وهب وماالذى جرى لهم فقالوا له أنهم أتوا حفاة عراة الأبدان مشاة وهم منقطعين وفى الأرض مشتتين فلما سمع الملك وهب ذلك الكلام أمر باحضار المنهزمين وقد نزلت من على سريره وهو باكى العين فلما أحضروهم بين يديه سألهم عن القصة وعن ابن عمه طارق فارس بنى حمير وعن الأمور التى جرت بيقين فقالوا له اعلم أيها الملك إننا سرنا على أننا نلقى مثلنا بنى آدم فما لقينا إلا شياطين من سكان الفلا وجن الأرض السفلى ورأينا منهم رجالا لا يبالون بالموت ولا يخشون الفوت وأسيافهم تعمل فى أجسادنا بخلاف ماتعمل أسيافنا فى أجسادهم والمقدم عليهم فارس أسود ولكن مثله فى هذا الزمان لم يوجد وله رمح للقلوب خارق وسيفه للأعمار خاطف وخانق وما كنا بين يديه إلا مثل الغنم (قال الراوى) فلما سمع الملك وهب منهم ذلك الكلام زاد به الحنق والآلام وأراد أن يجمع العساكر ومن عنده من العشائر ويسير بهم إلى عنتر وإذا قد وصل اليه الكتاب الذى أرسله طارق مع ابن عمه قتاب وقدشق ثيابه وأكثر البكا والانتحاب وهو يقول واذلاه من هذا العبد الأسود ومازال كذلك حتى دخل على الملك وهب ابن موهوب وهو فى تلك الحالة فاندهش الملك فى عقله وخار وقال حدثنى عليكم وماهذه المحنة قد وصلت اليكم فقال له هذا بلاء عظيم وعفريتاً من عفاريت بنى منقر وهو فارس وعلقم مر المذاق وهو مثل النار الحارقة أو الصاعقة المبرقة وأنت أيها الملك تعلم أن الامتحان يكرم المرء أو يهان وما فى الأمر إلا أن تريح ابن عمك وتخلصه من الأسر والعذاب ولولا ماكان أوعد هذا الأسود بالفداء والله ماكان أبقاه ولو كان يتركه قتيلا وتبقى شهرته عند الحبايب قال له أبقينى عشرة أيام فلم يقبل وقال له أنا أبقيك خمسة إن لم يحصل الفدا وإلا أسقيك كاس الحمام قال ثم أنه بعد ذلك الكلام سلم

اليه الكتاب فاخذه منه وقرأه وفك رموزه ومعناه ثم قال للوزير ما تقول أيها الوزير في هذا الامر العسير الذى قد حل بنا من التدمير وهذا الحال المنكر وماجرى علينا من هذا الذى يسمى بعنتر الذى ما كان على بالنا ولا بيننا وبينه معاملة فقال له الوزير أيها الملك أنا ما عندى تدبير إلا خلاص ابن عمك وقومك الذين قد ساروا فى خدمتك وإن لم ترسل لهم الفداء من يومك فقال له ماني الامر إلا ندى نلت عليه لانى أعلم إذا أردت أن أسير إلى ابن عمى وأطلقه من يديه فربما إذا غاب منى يقتله ويحل به الرداء ولكن هاأنا أرسل اليه الفدا وأدبر فى فناء هؤلاء الرجال وأنزل بهم الردا وأسير من خلفهم بعساكرى وأجنادى وأشفى منهم الغليل وأقطع منهم الاثر وما أبقى منهم بشر ثم أمر الوزر أن يخرج له الفداء هدية غالية الاثمان فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر فبينما هو جالس مع قومه وأقاربه ومن يعز عليه فما شعر إلا والمال مقبل اليه والفدية والهديه قد وردت عليه فلما رآها عنتر ازداد فرحه لانه قد رأى نوقا وجمال وخيل وبغال وخز وديباج شيء زايد عن طلبه وقد صاروا الجميع بين يديه فقال لعروة بن الورد والآن قد استراحت خواطرنا وزاد سرورنا ولو علمت أنهم يسارعون الينا بالفداء فى عاجل الحال لكنت طلبت قدر هؤلاء مرتين على ذلك المثال فقال له عروة يا ابن العم قد فات الامر وقد شربت كل أرض ماؤها والآن ما بقينا نقدر نقيم بأرض هؤلاء القوم ولا نسفك دماءهم فانت قد عرفت بالوفاء واعلم أنه قد صار عندنا من المال أكثر ما طلبنا ثم ان عنتر بعد ذلك تسلم المال وأطلق طارق ومن معه من الرجال ورحل من وقته وساعته وبين يديه أموال تسد الفضاء وهو على جواده وهم فرحون بما وصل ليهم من المال وتلك الغنايم وكل شيء لا يقدر عليه أحد من الملوك والاكارم ولم يزل سائر وفرسان القبائل تفزع منه ومن بين يديه تتجابد إلى أن قربوا من أرضهم وبقى بينهم وبين الديار يوم واحد فقال عنتر لاخيه شيبوب يا ابن الامم اسبقنا إلى أهلنا وبشرهم بقدومنا حتى تخرج المحبين الينا يلاقوا ويفرحوا بما معنا كذلك بنى زياد حتى تنفطر مرارتهم والاكباد فقبل شيبوب ما أمره أخيه عنتر وفى ساعة الحال طلب البر الاقفر وغاص فى الهواجر القفار ولم يزل يجد المسير حتى وصل إلى الديار فوجدها خالية قفار كانه ما كان بها سكان ولا عمار وهى قاع صفصف ليس بها بيت يعرف ولا مضرب يوصف ولا فيها حس حسيس ولا أنس أنيس

(تم الجزء الثالث والاربعون ويليه الرابع والاربعون)

الجزء الرابع والأربعون

(من سيرة عنترة بن شداد)

(قال الراوى) فاندهش شيبوب وحار وانطلق فى قلبه لهيب النار وتقدم إلى مكان الأبيات وإذا به قد رأى بعض الرجال وهم حفاة عراة فقال شيبوب يا ويلكم ما الذى جرى عليكم ونالكم فقالوا له يا أمير شيبوب قتلت الرجال وهلكت الأبطال وأخذت الأموال وسبيت العيال وأخذت عبلة وجميع النسوان والبنات والأطفال والولدان فقال شيبوب وأين كان الملك قيس وعشيرته فقالوا له والله يا أمير شيبوب لو رأيت الملك قيس ما عرفته وما بقى له شىء بحده لا ناقة ولا جمل غير فرسه الذى تحته لأنه أطلق له العنان وطلب البر هارباً فى القيعان وما نجا غيره بصورته وكل ذلك من الأسد الرهيص لأنه كان على مهجته حريص فعندها سار شيبوب على ماهو عليه ودخل على الملك قيس وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه فبكى قيس حين رآه فقال له شيبوب يامولاى ماهذا الحال الذى جرى عليك فى غيبة أخى عنتر فقال له ودموعه جارية من عينيه وقد حلت به الوساوس اعلم أن الأسد الرهيص النبهانى دهمنا على غفلة منا وغزانا فى سبعة آلاف فارس ولم يعلم به أحد منا واغتنم أموالنا وكنت أنا غائب فى الصيد والقنص ففعل بنا هذه الفعال وترك كلا منا على حريمه وعياله يتغصص وهذا ما جرى يا شيبوب علينا وما وصل من الأذية إلينا وسبب هذا أنه كما تعلم بأن أخوك عنتر فى خمسمائة فارس من الأبطال وباقى بنى عبس وفرسانها الأقيال كانوا مشتغلين فيما هم فيه من الأشغال ومتفرقين فى الروابى والتلال فأتى إلينا هذا الشيطان واغتنم الغفلة وليس بالحلة أحد سوى النساء والعيال وساق الأموال والنوق والجمال وفى عاجل الحال طالب البر والفضاء وتركنا كأمس مضى ولا ترك بنا بيتاً نأوى إليه ولا فرس نحويه ولا ثوب نلبسه ولا شىء نأكله ولنا هذين اليومين لا نأكل ولا نشرب إلا من نبات الأرض وإذا نمنا نحرس أنفسنا بالنوبة لبعضنا بعض فلما سمع شيبوب منه هذا المقال ورأى ماحل به من الآلام قال له أبشر أيها الملك الهمام فقد أتاك أخى عنتر الأسد الضرغام وهو سالم غانم ومعه أموال وغنائم يضيق منها المستوى وتسد منافس الهوى وأبشر بخلاص أموالكم وحريمكم وعيالكم ورجوعكم إلى أحسن ما كنتم عليه من النعم وسوف يسق أخى الأسد الرهيص ومن معه كأساً أمر من العلقم فقال الملك قيس يا شيبوب امض إلى أخيك عنتر وأعلمه بذلك الخبر وتلك الأحوال التى صارت أحوالنا بها عبر فسار شيبوب من ساعته ليعلم أخيه عنتر بما جرى للملك قيس

عشيرته ومازال سائراً حتى وصل إليه وبقى بين يديه وهو ينادى بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقول يا ابن الأم أزيل عنا هذا العنا والعار ومانزل من الذل والشنار فإن الحلة قلعت من أساسها وسبيت حريمها وأولادها وقتلت رجالنا وأبطالنا وسبيت نساءنا وعيالنا وانساقت أموالنا برعاتها ولم يبق لبنى عبس عقال من متاعها وقد سارت الديار بلا مانع عنها يمنع وسبيت إبنة عمك عبلة ونساء الحلة أجمع ما بقى الكلام ينفع وكان عنتر يسمع كلام شيبوب وبكاءه فتحير وزاغ منه البصر من كثرة ما دهاه ثم أنه ركز الجواد حتى قرب إليه وكذلك شيبوب أقبل بتلك الحالة عليه فقال له ويلك من الذى فعل بقومنا هذه الفعال ونهب متاعنا والذخائر وسبى العيال فقال شيبوب اعلم يا ابن الأم أن حلتنا والله رميت بالمصائب والأهوال والسبب فى ذلك الأسد الرهيص ابن الأندال ودهموا قومنا على غفلة منهم وأنزلوا بهم الذل والنكال وقتلوا الرجال ونهبوا الأموال وسبوا العيال فلما سمع عنتر من شيبوب هذا المقال قال له يحق أن يفعل هذه الفعال ويكافئنا على مافعلنا فى حقه من الفعال والآن من كفر بالنعمة قد استحق المكافأة ثم أنه عض من غيظه على أطراف الكفوف ونادى واحرباه يا ابن الملعونة ياقليل المعروف إن لم أكافئك على مافعلت فى حقى من هذا الأمر الموصوف وأدع أهلك من أجلك يكثرون عليك النوائح واخليك مثلا فى سائر البطاح فلا أكون أنا عنتر ولا أبى شداد البطل الجحجاح (قال الراوى) هذا وقلبه قد اشتعل على عبلة بلهيب النار فعندها سار حتى أشرف على الديار والتقى بالملك قيس بن زهير ونزل إليه وعانقه ودموعه تجرى على خديه ورأى الملك قيس إلى تلك الأموال التى أتت معه وقد ملأت الفضاء وسدت المستوى فقال عنتر يا ملك الزمان يهون عليك هذا الأمر فإن هذه الأموال كلها بحكمك وبين يديك وأمرها كلها مردود إليك هذا وعنتر ينظر إلى الديار وما فيها ديار ولا نافخ نار فقال له الملك قيس وأعرفك أن بنى فزارة وبنى زياد فى الأسر والاعتقال وقد نزل بهم الذل والنكال فقال عنتر يا ملك اعلم أن الدهر لا يبقى على حال وحيث سلمت أنت لنا يا ملك فما يصيبنا بؤس ولا عنا وقد أتيتك بأموال بنى حمير وسقت بين يديك أموال البدو والحضر وأما الذى أخذه الأسد الرهيص فما هو إلا عارية عنده وسوف أرغم أنفه وأعود أسترده فلا يضيق صدرك فسوف يا ملك ترى من ابن زبيبة مايسرك ويفرح قلبك ويشرح صدرك وإن عدت تركت الرهيص يركب جواد فما أكون حامية عبس عنتر بن شداد ثم أن عنتر أخذ فى تفريق الأموال على من حضر من الرجال الأبطال من بنى عبس وعدنان حتى غنى كبيرهم صغيرهم وشجاعهم وأميرهم فطاب بذلك قلب الملك قيس وفرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأزال ما كان

بجده من الهم والترح وبعدها جلسوا للمشورة والكلام وما يفعلوا فى تلك الأمور والأحكام فصار كل واحد منهم يقول كلام وكل أحد يبدى ماعنده من المرام فقال الحارث بن زهير الرأى عندى أننا نكاتب ماجم بن حنظلة وأخيه شارب الدما ونعلمه بما فعل الأسد الرهيص معنا من الفعال ونسأله فى رد الحريم والمال والعيال فقال الملك قيس يا حارث أى شىء هذا المقال الهذيان ونحن أشد ماعلى هذا الملك وأخيه عداوتنا من دون العربان وما الذى فعل معنا من الجميل والإحسان حتى نكاتبه ونطلب إعانته فوالله من غاية النقص لنا وعدم البرهان (قال الراوى) هذا ولم يبق أحد ممن كان حاضراً فى هذا المقام إلا وتكلم بما يقتضيه رأيه من المرام وكان كل هذا يجرى بين القريب والبعيد وعنتر ساكت لايبدى ولا يرد عليهم جواب ولا يبدى لهم خطاب إلا مطاطىء الرأس بادىء الأنفاس فقال له الملك قيس ياحامية عبس أراك ساكت ولا تتكلم والحكم فى ذلك إليك وأنت الحاكم فينا والآمر علينا فقال عنتر أنا ماعندى رأى ولا كلام غير أننا نخلص أموالنا بأسنة رماحنا ولا نتكل على أحد من الأنام وهذا ماعندى من الرأى والسلام ثم أن عنتر قام من المجلس وتفرقت الناس من عنده وقد استصوبوا كلهم رأيه وقوله وأما عنتر فإنه اختلى بعروة بن الورد صديقه وقال له ياأبا الأبيض أنت تعلم أنى دخلت ديار بنى نبهان وحدى ولم يكن معى غير عبلة إبنة عمى وأخى شيبوب ولم أصحب غيرهم من بنى عبس ودخلت الحى وأخذت الكبش وكنت على أخذه حريص وقد استخدمت زوجته وذلك استهزاء به وبحرمته وأوقفت ريحانه على رأس عبلة مشدودة الوسط فى خدمتها استهزاء به فلما اتبعنى ليأخذ بثاره منى أسرته ثم ربحته وبعد ذلك أعتقته وأنا ماأحتاج لأحد من بنى عبس ينجدنى بل إنى أسير أنا وأنت وأخى شيبوب وأولادى ومن يعز على من عساكرى وأجنادى وأغير على القوم وأفعل معهم كما فعلوا معنا وأخلص أموالنا وحريمنا من أيديهم ولو كانوا بعدد الرمل والحصى وأنزل بهم الفناء وأنهب أرواحهم وجميع أموالهم ونحن على ظهور خيولنا بقوائم سيوفنا فقال له عروة بن الورد يا أبا الفوارس افعل ما بدالك نجح الله أعمالك ومافينا من يخالف مقالك فعندها أمر أعمامه وأولاده بأخذ الأهبة والتجهيز إلى المسير لديار بنى نبهان وبعد ذلك سار إلى الملك قيس بن زهير وقال له اعلم أيها الملك أنا ماأحوجك إلى التعب والمشقة فى ذلك وأنا أتحمل عنك طرق المهالك فأنا ورجال عروة بن الورد وأولادى والسودان ابطال فقال له الملك قيس وأنا والله ما أدعك ترمى روحك فى تلك المصائب ولا آمن عليك من كثرة الجيوش والمواكب فقال له عنتر يا ملك الزمان لاتخف على من ذلك فالأمر لله فإن العبد إذا كان أجله مديد فما يقطع فى جسده نصل الحديد واعلم

أن السيوف لا تقطع إلا بإذن الله ولو اجتمعت عليه من سكن القفار والبيد ثم أنه ودعه وسار فى خمسمائة فارس من كل ليث ممارس وأسد مدارس وبين يديه أبو الموت وسودانه وعروة ورجاله وهم كأنهم العقبان وأولاده سائرة تطلب خلاص حريمها والنسوان وعنتر بينهم كأنه ملك الجان هذا والشوق قد هيجه إلى عبلة محبوبته ولما تمادى به المسير وهو زائد الوجد والزفير فجاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وأنشد هذه الأبيات

أيا عبلة قد أضنى فراقك مهجتى ... مرائر إن جاذبتها لم تقطع
فإن ترجع الأيام بينى وبينها ... بذى الأسد صيفاً مثل صيفى ومربع
فما راعنى إلا حياتك منيتى ... وهمت بروحى شاكياً بمدامع
فقلت مالك الموت يطلب مهجتى ... تقود به حيث استمرت وأتبع
أسائل عنك الدار والدمع مزلف ... وأطلالكم من بعد سكانها بلقع
وإن سارت الأرياح نحو دياركم ... منعها اشتياقى أو عظيم توجعى
ولما طرقنا الدار لم أر لى مخبر ... سوى أهلك يبغون بعدك موجع
لئن حالت الأيام بينى وبينها ... فأضحى رهين الجسم دوماً موجع
وأشفى فؤادى من لئيم عشيرته ... وأورده ضرباً يروم الفجائع

(قال الراوى) وسار عنتر وأصحابه وهم مجدون إلى أن بقى بينهم وبين بنى نبهان يومين فقال لأخيه شيبوب يا ابن الأم أنت أخبر منا بهذه الديار وبها دروب وأريد لا تنزل بنا إلا فوقهم فى مكان يكون لنا حماة حتى أنهم لا يحتمو منا فى الجبلين أجا وسلما أو يعلموا الملك ملجم بن حنظلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدما ويجتمعوا علينا من قريب وبعيد ويطول أمرنا بعد التقريب لاننا نريد إنجاز حالنا عن قريب فقال شيبوب سمعاً وطاعة فها أنا سائر فى تلك الساعه (قال الراوى) وكان الاسد الرهيص من عظم فرحه بما جمع من الاموال والنوق والجمال وسبى الحريم والعيال وكان أيقن بأخذ ثاره وكشف عاره فما كان له همة إلا نحر النحور وسكب الخمور ودام له الفرح والسرور والكاسات عليهم تدور إلا أنه ما حسب حساب بنى عبس وفرسانهم وحاميتهم وأما عنتر فإنه لما قرب من الديار قال له أخية شيبوب انزل أنت يا أخى فى هذه البرارى والقفار حتى أمضى أنا وآتيك بالاخبار فنزلوا هناك بوادى يقال له وادى الاراك ثم أن شيبوب أطلع من جربندیته خلعة زردية ولبسها وعصب ساقيه وصار يرجف ويرتعش وصار كأنه ابن مائة عام وتوكأ على عصاة حتى وصل إلى الخيام وهو كأنه شيخ ضعيف كثير الآلام أشرف على الحلة وهو فى ذلك الزى فرآها تموج كأنها البحر الزخار لما فيها من تلك الطوائف المختلفة والالغاز

ونظر إلى القباب المرتفعة ومضارب ممتعة والحرير والإبريسم وصهيل الخيل وقعقعة اللجم ورغاء الإبل وصياح الغنم وهم فى خيرات كثيرة ومسرات غير قليلة ونعم وافرة ورأى الاسد الرهيص جالس وإلى جانبه المنهال وحوله جماعة من الرجال عندهم ولية عظيمة لها قدر وقيمة وهم فى أكل وشرب ولعب وطرب والجوار تلعب وتضرب بالدفوف وهم بين أيديهم وقوف وكاسات المدام عليهم تدور وقد نسوا عواقب الأمور وصاروا يتناشدون الاشعار وقد اضطربت سائر الحضار وكانت خيولهم مسومة مسرحة وهى فى نعم لاتحصى ولا تعد فلما نظر ذلك الحال عاد كأنه صقر خرج من وكره إلى أن بقى بين يدى أخيه عنتر وأعاد عليه القصة والخبر وأخبره بخبر القوم وكثرتهم وما رأى منهم فى ذلك اليوم وقال له شيبوب نصبح القوم صباحاً أو ندهمهم رواحاً فقال غصوب وتربة أبى الغضبان لا دهمناهم صباحاً برأس السنان ونلتقيهم بمن معنا من الفرسان ونخلص حريمنا من الذل والهوان فقال عنتر الأمر إليك يا ولدى فأنا أقول أنهم عند الصباح تخمد حركات القوم من شرب الراح ومن الرأى أن نصبح القوم وينتصب بيننا وبينهم الحرب والكفاح ثم باتوا وهم معولين على ماهم عليه وكل منهم جواده بين يديه إلى أن أذن الله لليل بالارتحال وأقبل النهار بالابتهال فعندها سرحت الاموال وخرج خلفها الرعاة وبعض الرجال ونظر عنتر إلى رعاته وأمواله وقد تفرقت فى عرض البر وسارت قباله وكذلك أموال بنى عبس وبنى فزارة وهم مما جرى عليهم حلت بهم الخسارة ومعهم أموال بنى زياد وكانت أكثر أصحاب الاموال معهم فى الاسر والاعتقال وكان من جملتهم حصن بن حذيفة والربيع ابن زياد وثمانين أسير من بنى عبس الاجواد ومائة أسير من بنى فزارة الاوغاد وكلهم ملطخين بالجراح وقد أيقنوا بعدم الارواح وكانت عبلة كما ذكرنا عند المنهال وقد علق بزواجه منها الآمال وأراد أن يصالح بنى عبس على زواجها ويترضاها ويسكن انزعاجها (قال الراوى) ولما وصل عنتر كما ذكرنا ودبر مادبر أضاف إلى عروة مائة فارس من الرجال القناعس وقال له احمل على السراح وسق الاموال عن بكرة أبيها من المراح ودعنى من يتبعها من الرجال والابطال فاجابه عروة بالسمع والطاعة كما أمره عنتر فى تلك الساعة وانحط على الاموال وقد ساق الخيل والجمال وضرب فى أقفية العبيد ضرباً مثل فتوق الاعدال وهو ينادى يالعبس يالعدنان وسمعت رعاة بنى عبس وبنى فزارة بذلك النداء فعرفت المعنى وأن سيدهم عنتر قد أتى ودهم العدا فعطفوا على عبيد بنى نبهان بالعصى والحجارة وعادوا منهم جماعة وهم ينادوا بالويل والثبور وعظائم الامور هذا وعنتر قد هدر وزمجر وركب على ظهر جواده الابجر وبرز فى مقدمة بنى عبس الغرر واعتمد

للحرب والطعن والضرب وكان الخبر قد وصل إلى الأسد الرهيص فانذعر وزعق في رجاله وقال لهم ياويلكم ما الخبر فقالوا لا علم أنه قد طرقنا عنتر والساعة ينزل بنا العبر ولا يترك منا بشر فلما سمع وزر ذلك المقال ركب جواده في عاجل الحال ونادى الخيل يا أرباب الخيل اركبوا يابني عمي فقد أخذت الأموال وقتلت الرجال فعندها تبادرت الفرسان وركبت أبطال بني معن وبني نبهان وكانوا سبعة آلاف فارس وفي أوائلها الأسد الرهيص وهو يهدر مثل الجمل وزاد حنقه على بني عبس الغرر وأطلق عنان فرسه وعلم أن عنتر قد أتى ليسكنه رمسه ولما سار في رجاله وهو قاصد إلى عنتر وأولاده فرأى مائة فارس ظاهرة قباله فاحتقرها بالكلية وصار ينادي يا مأخوذين قد حلت بكم المنية وأحاطت بكم الرزية انجوا بأنفسكم سالمين وأرواحكم غانمين أنا وزر بن جابر صاحب المناقب والمفاخر لصديقي النيل ولعدوي الويل ثم أنه حمل وهو ينشد ويقول :

أنا الأسد الندب في يوم الهياج … إذا الطعن هاج بنار اللهب
وقد تراني أطفي نار الوغا … نيران الحروب بضرب الغضب
ترى القلب يرجف من سطوتي … إذا القرم أضحى كالجذع المشذب
سآخذ بثاري لا أنثني … من عبد عبس قليل الأدب

(قال الراوي) فلما فرغ الأسد الرهيص من شعره صاح يا آل نبهان دونكم هذا الشيطان قطعوه بالسيف اليمان فلما سمع عنتر كلامه ونظر إلى الخيل وقد أتته والأبطال وقد دهمته فعطف عليهم وقد ترك العبيد مع الغنيمة وحمل عليهم بالأربعمائة فارس وهم من خلفه كأنهم الاسود العوابس وصياحهم قد أقلب القيعان وهو ينادي يالعبس يالعدنان أنا عنتر بن شداد فارس هذا الزمان أنا عالي النجاة أنا رفيع العماد أنا حمية بطن الواد ثم أخرج يده من جلباب درعه وهو مثل الاسد إذا فقد شبله وهجم عليهم عنتر بقلب أقوى من الصخر وحمل سبيع اليمين وميسرة وطعن في العدا والرماح وهم ينادون أين وزر الكلب السفاح حتى نتركه ممدداً على وجه البطاح هذا وقد انهزمت بني نبهان وعمل فيهم السيف والسنان وقد تزلزلت الارض والكثبان وبان الشجاع من الجبان وغنى السيف اليمان وطارت الجماجم من على قامات الشجعان وهطل الدم من الابدان وصارت الارض مثل شقائق الارجوان ودمدمت أسود الحرب وزعقت طيور المنايا والغربان وقد بلغ العرق إلى الأذنان واتباعت النفوس بيع الهوان ونفذت الأسنة في الصدور والأندان وتغيرت من الفزع الألوان وعادت زيادتهم إلى نقصان هذا وعنتر ينثر الرؤوس من على قامات الابدان وهو يجول على الفرسان ويهلك الأقران ويجندل الشجعان ولم يزالوا في صدام ولزام حتى ردت بني عبس أعداءها إلى الخيام عند إقبال الظلام وافترقوا عن

بعضهم البعض بعد ما امتلأت بالقتلى جنبات تلك الأرض وعادت بنى عبس وسيف النصر إليهم مسلول وفى أوائلهم عنتر بن شداد وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

تنسى دفاعى عنك إذا أنت مسلم وقد سأل من ذل عليك قرار
ونساؤنا فى الروع باد وجوهها وذلك عار يا ابن جابر ظاهر
أطل حمل الشماتة لى وبغضى وعش ما شئت فانظر حرائر
ألم ترى أن شعرى صارعنى وشعرك حول بيتك لم هو سائر
وقد كان قلبى يا عبيلة صابراً فلما سرى طيف الهوى كنت صابر
بالله يا ذات الوشاح تعطفى وإلا تتركى قلبى يتقلب فى جائر
أيا عبلة ما أنساك ما هب الصبا فلا تتركين قلبى فى الهوى فاكر
ولا تهجرى صبا إذا غبت ساعة يقيناً أن الموت أحلى من هاجر
أيا وزر قد أتاك ليث صميدع يخوض لظى الهيجا بأبيض وسمائر
ليوردوكوا طعناً بأسمر باسل ولو أشبعكموا ضرباً بمهند باتر
ترى الخيل فى الهيجاء من وقع سيفه شردت وسط المعامع نفائر
سأمحق بنى نبهان بكل مهند وأتركهموا صرعا فى مهمة قفائر
وهذا حسام النصر قد لاح بيننا ولا أحد غير فارس مقامر
ولى سطوة لا يستطيعوا بلوغها ونجمى مسعود بعز فاخر
أجود وأهب ما استطعت تكرماً وأفنى العدا بضرباً أحر من جمائر
سأفنى بنى نبهان مع سادات جميعهم وأقطعهموا بماضيات بواتر
أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى أموت ويبقى لى حديث بين عشائر

(قال الراوى) هذا وقد باتت بنى عبس وعدنان فى العز والنصر والأمان وأما بنى نبهان وأحلافهم فإنهم باتوا بالذل والهوان ورويت الأرض بدماء الفرسان ولما أصبح الصباح برزت الأبطال الأوقاح إلى مقام الحرب والكفاح وقد وقف الأسد الرهيص وإلى جانبه المنهال واصطفت الصفوف واشتهر كل بطل موصوف وحملت بعد ذلك الفرسان على الفرسان ومالت الأقران على الأقران هذا وعنتر قد صرخ على رجاله الأعيان وحمل وجندل بسيفه الشجعان فاقشعرت من هيبته الأبدان هذا وانطبقت عليه السبعة آلاف عنان وعظم الحرب والطعان وضاق الحال ونفذت الرماح من ظهور الرجال هذا وبنى عبس قدموا أعداءهم على الرماح يميناً وشمال واصطدمت الطائفة العبسية بالطائفة النبهانية ودارت عليهم دوائر الزمان وظهر الحق وبان الكتمان وتحير الجبان وندمت على ذلك بنى نبهان وعلى الحقيقة انقلب البر وغابت

جوانبه وضاق على الهارب مذاهبه وشاب رأس الجبان وابيضت ذوائبه وانعدم اللسان عن رد الجواب لمن يخاطبه ولعب الجواد برأس راكبه وكان الغبار مثل الليل وأسنة الرماح كواكبه والقتام مثل الغمام والرجال سحائبه هذا وعنتر بن شداد قد أظهر عجائبه وفزعت الأنفس من طعناته ومضاربه وكذلك من طعن أولاده ومن صحبه ومن رجاله وأجناده ولم تزل الرجال متلازمة والحروب قائمة إلى نصف النهار وقد زاد الحرب شرار النار وأخذت الطائفتين راحة من كرب الجدال إلى أن برد الهوى وعادت بالجملة الفرسان وصرخت الشجعان (قال الراوى) فبينما هم على ذلك الشأن وإذا بمواكب بنى نبهان تمخضت وكتائبها تزعزعت وخرج منها فارس كأنه العلم وهو راكب على جواد أدهم وساق جواده إلى أن توسط الميدان ورفع صوته بالكلام ونادى يا بنى عبس الكرام اعلموا أننى أنا المقدم ابن حسان فارس الصدام لا يبرز لى إلا كل بطل همام فلم يتم كلامه حتى برز من بنى عبس اليه فارس وصار قدامه ونادى يا بنى نبهان من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا فارس الزمان المسمى بسبيع اليمن بن مقرى الوحش البطل المعان ثم أن سبيع اليمن قرب من الميدان وهجم على كتفيه وبرز إليه فارس قتله والثانى جندله والثالث فما أمهله ولم يزل سبيع اليمن على هذا الشأن حتى قتل من بنى نبهان خمسين فارس أعيان فلما نظرت بنى نبهان إلى ذلك الفارس وهو على قتلهم لحريص أقبلوا على الأسد الرهيص وقالوا له أما ترى إلى بنى عبس وقد أفنتنا وأنت واقف تتشاغل عنا فوالله لقد جلبت حرب عوان لتعرضك لبنى عبس وعدنان وأخذ أموالهم بالجور والعدوان فلما سمع وزر منهم ذلك الكلام قال يا بنو عمى إن كنتم عجزتم عن قتالهم فأنا لهم ولأمثالهم وفى غداة أبرز إلى ساحة الميدان وأنزل ببنى عبس الذل والهوان وأترك عنتر على وجه الأرض قتيل وإلا أسره وأقوده ذليل حقير فعندها رجعت بنى نبهان من ساحة الميدان وقد أبطلوا فى اليوم الحرب والطعان وافترقوا عن بعضهم بعض وما قتل من بنى عبس لا أبيض ولا أسود هذا وقد رجع عنتر بن شداد وهو يشكر سبيع اليمن وأثنى عليه وقبل يديه وكذلك عنتر قبله فى وجهه وبين عينيه وقال له يا سبيع اليمن أنت لى نعم الولد وكيف وأنت خليفة الفارس الأمجد الذى ما كان مثله فى هذا الزمان يوجد وقد بات عنتر وهو يهمهم ويدمدم لأنه قد ملك عليهم فم الوادى ووكل به وأولاده غصوب وميسرة وسبيع اليمن الفارس القسور وعروة بن الورد فى خمسين فارس ممارس وبات تلك الليلة إلى الصباح وفؤاده يغلى على الأسد الرهيص الكلب التعيس لأن فى قلبه منه شىء أمر من ضرب الصفاح (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير عنتر وأصحابه لما أتوا إلى هذه الديار وما بقى لهم عودة إلا بأهلهم والعيال بعد ما أخذوا ما لهم من المال والرأى عندى أن تدبر على هلاكهم وهلاك من معهم وأن لا بد من عبدين يكونوا أشداء أجلاد من الذين هم معودين بخواص الجلاد وأنفذ

معهم عبدى نجم لينزلوا من خلف بنى عبس ويأخذون فى عرض البر ويطلبون الملكين ملجم بن حنظلة وأخيه شارب الدما ويعلموهما بما جرى لنا ويخبروهما بأن عنتر معه خمسمائة فارس قد دخلو إلى ديارنا وقد احتطنا بهم وما بينهما وبين هلاكهم إلا ليلة واحدة لاننا قد ملكنا عليهم الطريق وأريد أن يدهموهم من ورائهم وبين أيديهم حتى أننا نأخذهم وهذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنه أنفذ عبدين جليدين وسيرهم مع عبده نجم بهذه الرسالة فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى نبهان فإنهم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد أفرغوا على أجسادهم الزرد والسلاح وساروا إلى الميدان يطلبون الحرب والكفاح فقفز عنتر إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وركض بالجواد حتى قارب بنى نبهان وقال ويلك يا ابن وزر أما نفعت معك الصنيعة فلعن الله بطناً حملتك ومرضعتك لأنك رجعت إلى خساسة أصلك وفرعك لعنك الله ما أدرى طبعك ولكن من أعق مثلك ندموا هذه النوبة لا بد ما أخرب ديارك وأمحى من العرب آثارك وأحل بك العدم فلما سمع وزر كلام عنتر التفت إلى المنهال وقال له هل أتاك الأمر كما أردت لانى كنت عازم إلى أن أخرج إلى الميدان وأطلب عنتر إلى القتال وأطاوله إلى أن يأتى ملجم بن حنظلة وأخوه شارب الدما يحملون من ورائهم وأكون أنا وأنت بمن معنا من الفرسان من بين أيديهم وقد انقضى الشغل وهان ولكن اجعل بالك من الرجال حتى أوريك ما أفعل به من الفعال ثم حمل الاسد الرهيص على عنتر وتقدم إليه وسار عنده فى الميدان وقال له يا ولد الزنا أما علمت أن الحروب دول وما كل الايام لك تدوم حتى تفعل ما تفعل فقال له عنتر وقد اغتاظ وامتلأ قلبه وفاض ويلك يا وغد قومه ولئيم عشيرته والله لو كنت أنا حاضر عندما أتيت إلى بنى عبس وسبيت حريمهم لكنت أنزلت بك الذل والهوان ولكن يا ابن ألف قرنان أنت باغى غدار خوان اغتنمت الفرصة بغيبتى عن الديار وهجمت على قومى هجوم الكلب الغدار وها قد جمعنا الميدان والذى كان فدونك وضرب البتار وطعن الرمح الخطار فما لك غريم إلا أنا فأى منا قتل صاحبه فاز بالفخر والشرف وغاب عنه الهم والاسف فلما سمع وزر كلام عنتر وعليه أنطق فاستقبله عنتر وإليه لحق وصاح عليه وزعق وتقاربا وتباعدا والتحما حتى صار النهار فى أعينهما مثل الدجى ولم يزالا فى اصطدام ولزام وتجريع الموت الزؤام حتى علا عليهما الغبار وهما فى إقبال وإدبار وما بقى لهما حس يسمع وخاب منهما الطمع وخيم عليهما الغبار وارتفع وتضايقت عليهما الصفوف وتجاذبوا فى أيديهما السيوف وامتدت إليهما الاعين لينظروا ما يجرى من الحرب والجلاد بين الاسد الرهيص

وعنتر بن شداد هذا والفارسان ما زالا على مثل ذلك الحال حتى قامت الشمس فى قبة السماء زاد بهما العطش والظمأ فتعب الاسد الرهيص وتيقن بأسره على يد عنتر أو قتله فخاف على نفسه لما أن قل جهده وضعف حسه فأراد أن يتقهقر إلى وراء فعرف مرامه وهجم عليه وأراد أن يأخذه أسير وإذا بغبار بنى طى طلعت والضجة من تحت الاعلام قد ارتفعت وذلك الغبار قد حجب بر السماء والارض والمكبر فى أوائل الخيل وبنى طى من خلفهم مثل السيل والسيال أو الظل إذا مال وهم ينادون بأخذ التار البدار من هذا العبد الغدار وقد انطبقت الرجال بعضها على بعض وماجت جنبات الارض وعملت السيوف فى طولها والعرض ففى ذلك الوقت انفصل القتال بين الاسد الرهيص وعاد عنتر إلى بنى عبس إلى ملتقى القادمين وصاحت بنى عبس كأنها أسد العرين وكان قد حمل ميسرة وغصوب فى أوائل الجيوش وقد مزقوا الاعداء بطعن الرمح الكعوب هذا وقد حمل زخمة الجواد ومالك بن قراد حتى أشرفوا على الهلاك وحمل عروة ورجاله وزعق فى أبطاله وكانت بنى عبس قد ملت أن يأخذ الاسد الرهيص أسير ويحصلون الاموال والحريم والعيال وما كانت إلا ساعة قد قدمت عليهم هذه الجحافل وأسنة رماحها مثل الكواكب وهم شاهرين القواضب وقد دارت بهم الابطال وحملت عليهم بنو عبس الاقيال هذا وقد صاح الاسد الرهيص فى بنى نبهان يا ويلكم هذا الذى كنتم تريدونه فاطرحوا بنى عبس على الصعيد وبددوهم فى تلك القفر والبيد كل ذلك يجرى وعنتر لا يلتفت إلى من صاح بل صار يقبض الارواح وغصوب ينادى بأخيه ميسرة ياأخى فى مثل هذا اليوم تبان منازل الافتخار عند النزال ويبان الصبور وفى المواكب تتحاطم والسيوف تتلاطم وبنى عبس قد أشرفوا على الهلاك وقد وقعت فى ضيق الإشراك .

(قال الراوى) فبينما هم على ذلك الحال وإذا هم بغبار قد طلع وتقسطل فما كان غير ساعة حتى انقشع وبان من تحته بريق الصفاح وأسنة الرماح وهمت الابطال وزعقت الرجال ولمعان الحديد والزرد النضيد وفى أوائل الخيل الملك قيس بن زهير والبر من المعادن الحديد ظهرت لمعته والرجال تصيح خلفه من شوقها إلى القتال وصاحوا ياالعبس ياالعدنان وانطبقت على بنى طى انطباق العقبان فهنالك عظمت المصائب ووقع الطعن الصائب وظهر ومازالت فرسانها من على السروج وكان يومهم مثل يوم يأجوج ومأجوج وما زال القتال يعمل فى بعضهم البعض وجالت الفرسان طولا وعرضاً وسال الدما على الارض وعض الجبان على أصبعه وتحير فى أمره وفعل عنتر وعروة فعال تعجز عنها الاسود الضارية وثبتت إخوة الملك قيس لاسباب المنية ووقع الحديد على الحديد وبان

الشجاع من البليد وقطع الحسام والورد النضيد وقتل من قتل من قريب وبعيد وأشعل عنتر نار الحرب وأحماها وأوقدها واصطلاها وضرب بسيفه الرقاب وأبراها وأبذل الدما من النحور وأجراها وأطعم الوحوش لحومهم وأغداها ولم يزل السيف يعمل والدم يبذله والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وارتحل عندها اقترب الفرسان عن بعضها البعض وقد امتلأت بالقتلى جنبات الأرض ونزلت بنى عبس على وجه الأرض (قال الراوى) وكان السبب فى مجى الملك قيس ومن معه من الرجال هو أنه لما قام عنتر من عنده يطلب الأسد الرهيص وحربه فقال الملك قيس لإخوته وبنى عمه والله ما كان تخلفنا عن عنتر بصواب وكان الصواب أن نسير معه ونكون يداً واحدة وعلى خلاص حريمنا مساعدة لأن عنتر حامينا قد أرمى نفسه من أجلنا فى بحر زاخر ماله أول من آخر والرأى عندى أن نسير فى طلبه فإن وجدناه فى خير هنيناه وإن وجدناه فى شدة أنجدناه فعندها تجهزوا وساروا من وقتهم وساعتهم وقد ركبوا الخيول وقوموا النصول وقطعوا الأرض عرضاً وطول حتى وصلوا تلك الأرض والطلول ورأوا عنتر قد أحاطت به تلك الألوف وبرقت من حوله السيوف فحملوا وكشفوا عنه تلك الشدة وجلوا الظلمة بهذه النجدة وفرح عنتر بالملك قيس وشكره على حسن صنيعه وباتوا الفريقان تلك الليلة وقد أضرموا النيران وتحارسوا الفريقان هذا وبنى نبهان قد اندهلوا من فعل بنى عبس وطعنهم فى الرجال وصبرهم على القتال والأسد الرهيص يوعدهم أن يلتقى عنهم الأعداء ويسقيهم كاسات الرداء فعند ذلك سلم على الملك ملجم وأثنى عليه فقال له الملك ملجم والله ما أمر هذا العبد إلا عجيب فقال له الأسد الرهيص يا ملك طب نفساً وقر عيناً فى غداة غد أبرز ألى عنتر وآخذه أسير وأحل ببنى عبس التدمير وأنا أعلم أن اللات والعزى ما ساقت بنى عبس إلينا إلا وقد حان بوارهم وقرب دمارهم ثم إنهم باتوا إلى الصباح وقاموا يطلبون الحرب والكفاح وجردوا البيض الصفاح وزحفت الزحوف وجردت السيوف وكان أول من فتح باب الحرب والطعان كان الأسد الرهيص الخوان وهو على جواده الموصوف وهو غائص فى عدة حربه وجلاده ونادى بين الأنام يا بنى عبس الكرام والمناقب العظام، لا يبرز لى إلا عبدكم عنتر بن شداد حتى أتلاطم أنا وإياه فى مقام الصدام فلم يتم وزر كلامه حتى قفز إليه عنتر بالأبجر وصار قدامه وصرخ فيه وقال له ويلك يا ابن الخنا أى شىء هذا التطويل وإلى كم تمنى نفسك بالأقاويل والفشل والأباطيل ثم أنه انقض عليه انقضاض النسر القشعم وهجم عليه هجوم الأسد الضيغم وقبض على جلاليب درعه وعصر عليه كاد أن يطير حداقه وهزه بيده فاقتلعه من سرجه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير

فعندها كثرت الضجات وعلت من بنى عبس الصيحات الداويات وحملت بنى طى عن بكرة أبيها يريدون خلاص وزر بن جابر من قبضة عنتر الأسد الكاسر فانحطوا عليهم بنو عبس بطعن أمر من نيران السعير واحتبك الحرب وعمل الصارم العضب وفلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام فعندها التقى عروة بالمنهال وهو يجندل الأبطال ويلعب بمهج الرجال وقد قتل خمسة أقيال ولما رأى عروة إلى ذلك مال إليه وضايقه فعندها زعق المنهال على عروة زعقة دوت لها الجبال ومد إليه رأس السنان فأيس عروة من نفسه وأيقن بحلول رمسه فبينما هو على ما هو معول عليه وإذا بزعقة عن يمينه وفارس انقض على المنهال مثل النجم الثاقب والشهاب الصائب وطعن المنهال بعقب الرمح العسال وإذا به على جواده قد مال فترجل عروة إليه وشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وتأمل فيمن فعل هذه الفعال وإذا به غصوب بن عنتر ومن خلفه ميسرة وهم كأنهم النيران المسعرة فلم تسكن إلا ساعة حتى ولت بنى طى هزائم وطلبت البيوت وألووا الشكائم وإذا قد خرج من وسطهم ثلاثين فارس تتدفق مثل البحر العباب وهم ينادون يالعبس الأنجاب وفى أوائلهم الربيع بن زياد حصن بن حذيفة نسل الأوغاد (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم وهم على يد شيبوب لأنه دخل إلى الأطلال عند اشتغال الناس بالقتال وحل الأسارى من الاعتقال وأتاهم بخيول ركبوها وعدد لبسوها وأخرجهم من البيوت والأطناب فالتقوا المنهزمين فوقعوا فيهم بضربات قاطعات وطعنات نافذات فرأت بنى طى البلاء وقد أحاط بهم من خلفهم فطلبوا الجبلين أجا وسلما وهرب فى أوائلهم الملك ملجم بن حنظلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدما وهم لا يصدقون بالنجاة لأنهم عاينوا الموت الفجأة هذا وعنتر وبنى عبس فى أعقابهم يلتقطون منهم الفرسان ويجندلون الأبطال والشجعان وما زالوا على مثل ذلك الشأن إلى أن صار وقت الظهر وقد عادوا بالفرح والاستبشار واحتووا على أموال بنى نبهان وخلصوا أسرهم من الذل والهوان وخلصوا حريمهم والصبيان هذا وعنتر يدور على عبلة فما رأى لها خبر فضاق لذلك صدره وحار فى أمره وكثر ظنه وتار فكره وصار مثل المجنون (قال الراوى) فبينما هو كذلك وإذا بصوت يناديه فالتفت عنتر إليه وإذا هو شيبوب وبنت عمه عبلة من خلفه فزرفت الدموع من عينيه وترجل إليها وضمها إلى صدره وجعل يقبلها وأخذها ودخل بها إلى الخيام ونهبوا الحلة بما فيها وخرجت فرسان بنى عبس وقراد وأهاليها فاقتلعوا الحى ولم يتركوا فيه شىء ينفع من الحطام ورحلوا بعد ثلاثة أيام يطلبون الديار وقد حملوا الرجال على الجمال وشد عنتر وزر بن جابر على ظهر جواده عرضاً وكذلك فعل بالمنهال وهو يقول له ويلك ياوغد قومه ولئيم عشيرته

فأنت أردت تتزوج بعبلة زينة الأقمار وابشر بالموت والدمار وقطع الأعمار فقال له الملك قيس يا أبو الفوارس أى شىء انتظارك فى وزر بن جابر اقطع عنقه وأريحنا من شره فقال له عنتر أنا معول على ذلك ولكن حتى نصل أرضنا وأوطاننا ثم أن عنتر قال يا ملك أنا مرادى قبل أن أقتله أركبه على جمل عريان وأطوف حلل العربان من عدنان وقحطان وأشهره بين العربان وبعد ذلك أضرب عنقه وأعدمه مهجته (قال الراوى) فبينما عنتر والملك قيس فى هذا الكلام وإذا بعبلة قد تقدمت إليه وسألته فى أم المنهال وقالت له بحياتى عليك يا أبا الفوارس لا تؤاخذها بذنب ولدها وأنها قد أحسنت إلى لأجلك وكانت تحذر ولدها منك ليلا ونهاراً وهو جاهل مغرور لأنه طفل صغار وقد أتتنى بثيابى وحلفت على أن ألبسها بعد ما كان أخذهم منى ولدها فلما سمع عنتر منها ذلك أطلق المنهال لأجلها وقال لها يا إبنة العم لأجل عين تكرم لها ألف ثم أطلق ولدها من أجلها وأوهبها أسرى بنى نبهان وعفى عن السبى كرامة لعبلة (قال الراوى) وكان فى الجملة ريحانة زوجة وزر بن جابر أطلق لهم أموالهم وعادوا فرحين إلى منازلهم وأطلالهم وضربوا الأطناب وعلوا القباب وسرحوا أموالهم وقد عمرت بهم ديارهم وأطلالهم وعادوا كأنهم ما كانوا فى شدة ولا أتتهم نائبة ولا نكبة هذا وعنتر قد جد المسير فى الوديان إلى أن وصل إلى الأوطان ونزلت كل قوم فى مكانها واستبشرت الأوطان بسكانها وبعد ذلك ضرب للاسد الرهيص أربع سكك حديد وأمر شيبوب أن يواضبه بالضرب الشديد ففعل شيبوب ما أمره أخوه ووكل به جماعة من جبابرة العبيد فهذا ما كان من بنى عبس وعدنان وأما ما كان من بنى نبهان فإنهم لما رد عنتر أموالهم وأطلقهم من عقالهم ورجعوا واستقروا فى أطلالهم ثم أنهم مضوا إلى زيد الخيل وأعلموه بما حل بوزر بن جابر من الذل والويل وكيف جاد عليهم عنتر بأموالهم وأطلقهم من عقالهم فشكر زيد الخيل عنتر على هذه الفعال وفرح بما نزل على وزر من الذل والوبال لأنه كان أشار عليه أن لا يتعرض لعنتر فما سمع له كلام وأعرض عن نصيحته وأدبر ومازال يتعرض إليه حتى خمدت أنفاسه ووقع على أم رأسه فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر فإنه أقام يعذب وزر ليلا ونهاراً حتى أشرف على الديار فأقبل عليه الملك قيس فى بعض الأيام وقال له ما بقى فى حياته من فائدة الرأى عندى أن تقتله وتريحه من هذا العذاب الذى تعذبه فأمر عنتر شيبوب أن ينصب له خشبة حتى أنه يصلبه عليها ثم نادى فى الحلة أن لا يبقى صغير ولا كبير إلا ويحضر صلب الأسد الرهيص وينظر ما يحل به من التعثير فبينما هو على ذلك الحال وقد تجمعت النساء والرجال وإذا بخيل مقبلة وهى مسرعة وإلى

نحو الحلة واردة ولم تكن إلا ساعة حتى وصلت وإلى نحوهم حصلت فتبينوهم من قريب وبعيد وإذاهم من فرسان بنى زبيد وفى أوائلهم عمرو بن معديكرب الزبيدى ومعه مائة فارس من سادات العرب وكذلك عبدالله وأخته ريحانة وقد أتوا الخلاص وزر من تلك الإهانة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن ريحانة لما أطلقها عنتر ومن عليها بروحها وركبت ناقتها ومضت إلى أخوتها ولما رآها أخوها عمرو أعلمته بخبر بعلها وما جرى عليها ففرح بذلك الحال وقال لها ما الذى تريدى من الفعال فأنا ما أقدر أراجع عنتر بحال وقد فعل فى حقى كل جميل وهذا وزر فكم فعل مع عنتر من سوء الفعال فبكت ريحانة بين يديه وتذللت إليه فى المقال حتى أنه حن إليها ووعدها أن يسير معها ويسأل عنتر فى بعلها ثم أنه ركب فى جماعة من قومه وسار إلى أرض الشربة والعلم السعدى وتلك الديار فلما علم عنتر بقدوم عمرو وعلم أن أخته ريحانة هى التى أحوجته إلى ذلك الحال فخرج إلى لقاء عمرو وقد أبطلوا ما كانوا فيه من الأمر وسلموا على بعضهما بعض وترجلوا على وجه الأرض فقال عنتر لعمرو بن معديكرب لعلك آتى لخلاص صهرك لأنى أعلم بأنك من أجله قد زاد فكرك فقال له يا أبا الفوارس أنت أدرى بالأمر وأسبابه وما أتيت إلا أنى أشتفى من عذابه ولكن يا أبا الفوارس مثلك من قدر وعفى وتجاوز عن الخطأ والجفا وكل الناس تعلم أن ما فينا إلا من هو طليق سيفك وأمين خوفك لأنك أنت الغيث الهاطل والسحاب النازل فإن قتلته فيحق لك فإنه بحكمك وإن عفوت عنه فهو من طيبة أصلك ثم أن عمرو أشار إلى عنتر يمدحه بهذه الأبيات ويقول صلوا على طه الرسول:

أرى كبدى من زفرة الحب تحرق	وجسمى من نار الصبابة تمزق
فلا دمع جفنى طافياً نار مهجتى	فبينا قلب يهيم ويقلق
لحا الله من تلجىء محباً عن الهوى	فأجفانه من خفية العين تدفق
إلا من يطلب الشوق ويشكو الهوى	وأحشاؤه من حرقة الوجد تحرق
إلى عنتر العبسى فارس قومه	لله أرحام هناك تشقق
فأكرم به خلقاً وخلقاً وسؤدداً	فليس له شبه من الخلق يخلق
يهنيك يا حامى العشيرة مدحتى	لعل يكن وصفى إليك موافق
لسانى رطيب بالثنا وازيده	ومدحك فى فكرك بذكرك ناطق
فكم سلفت من جود كفك مزنه	يقصر عنها العارض المتدافق
فارحم أسيراً حائر بخطابه	واعف واصفح بالمكارم واطلق
فلا أوحشت منك المكارم فى الملا	مدى الدهر ما ناح الحمام المطوق
إذا اعتذر الجانى إليك قبلته	وتصفح عن ذنب المسىء وتعتق

(قال الراوى) فلما سمع عنتر شعر عمرو معديكرب فرح وتمايل من الطرب وقال والله يا عمرو لقد أحسنت فيما نطقت بخذ صهرك فإنى قد أطلقته إكراماً لأجلك ثم أنه أمر شيبوب أن يأتيه به فامتثل أمره وأتى به إليه فقال له عنتر يا وزر اعرف قدرك وهذه المنة الأخرى والزم قدرك بين الورى فوحق ذمة العرب لولا صهرك عمرو لما تركتك تشم نسيم الهوى ثم إنه أطلقه وأخلع عليه وأحسن إليه فلما نظر وزر إلى فعاله قال له لله درك يا أبا الفوارس والله مالك فى هذا الزمان مقايس فعندها أكرم عنتر لعمرو ووزر غاية الإكرام وكذلك ريحانة عند عبلة ثلاثة أيام ثم إنهم بعد ذلك طلبوا الرحيل والرواح وساروا يقطعون الربا والبطاح فلما تمادى بهم المسير أقبل عمرو على وزر وقال له ما الذى أضمرت أن تفعله فى عنتر يا وزر قال له يا عمرو أضمرت له النسيف الماحق والرمح الخارق فوالله لا غفلت عن ثارى، ولا نمت عن كشف عارى ولا بدلى من قتل عنتر وأولاده وهلاك عشيرته وأجناده (قال الراوى) فلما سمع عمرو منه هذا الخطاب أخذه الغضب وغاب عن الصواب وقال له وحق الرب العظيم ما أنت يا وزر بعد هذه الفعال إلا لئيم غير كريم يا ويلك يفعل عنتر فى حقك هذه الفعال ويطلقك من الأسر والاعتقال والصلب ولم يزل يخلع عليك وعلى زوجتك الخلع الغوالى، تضمر له هذا الضمير فهذا جزاء إحسانه عليك يا حقير ثم أنه بعد ذلك فارقه من شدة غيظه وحنقه وأما وزر فانه سار طالب ديار بنى نبهان وقومه وأطلاله وكانوا رجال وزر التجأوا إلى زيد الخيل حتى ينظروا ما يتم من أحواله فلما أقبل عليه تلقاه زيد الخيل وسلم عليه وقال له كيف رأيت حالك يا ابن جابر وكيف كان حالك مع عنتر الأسد الكاسر يا ويلك أظننت أن تكون به ظافر وقد جمعت عليه أكثر من عشرين الف فارس فرجعت وأنت خاسر لولا عمرو بن معديكرب الزبيدى لحقك وإلا كان عنتر قتلك وفى الأرض أقبرك (قال الراوى) فلما سمع وزر كلام زيد الخيل زاد به الذل والويل وقال أيها الملك ما أنا بأول من خانه زمانه فاصبر حتى ترى شأنى من شأنه وسوف ترى ما يعجز الواصف بلسانه وما يظهر منى ومنه وما يتحدثوا به عنى وعنه فقال له زيد الخيل صدقت يا غدار يتحدثون الناس بأى شىء مليح فى فعلك غير مكرك وغدرك ولكن أنا أقول أن عنتر فى هذه النوبة لا بد أن يعفر خدك ويضرم عمرك ولا بد أن يعود عليك بغيك ثم أن زيد الخيل تركه ومضى إلى أبياته وهو متعجب من خبثه ومكرياته وأقام وزر بن جابر فى هم وأحزان مدة من الزمان وقد انسدت فى وجهه جميع الابواب إلى أن كان فى يوم من بعض الأيام ركب فى مائة فارس من بنى نبهان وسار يطلب المعاش والمكسب كما جرت عادات العربان وما زال سائراً إلى أن خرج من مياه بنى قحطان وأتى إلى مياه بنى عدنان فوصل إلى حلة من الحلل كثيرة المال والنوق والجمال وأهلها فى عز واعتدال وهم فى فرح وسرور آمنين من نوائب الدهور، فلما أن رأى الأسد الرهيص إلى تلك النوق والجمال

قال لقومه يا بنى عمى احملوا بنا حتى نسوق هذه الاموال ثم أنه انحنى فى قربوص سرجه وصاح يا آل نبهان فحمات من خلفه جميع الفرسان وقطعوا الاموال وساقوها من غير عاقة وكانت ستة آلاف ناقة ثم سلم وزر الاموال إلى بعض الرجال وتخلف هو إلى من يأتيهم من الابطال فعند ذلك تبادرت إليهم الرجال وهم راكبين الخيول العوال وفى أوائلهم غلام مليح القوام كأنه البدر التمام وهو ينادى يآل ذهل وشيبان يآل عبس وعدنان أنا خصيمه ولد عنتر فارس الزمان (قال الراوى) وكان عنتر ربى هذا الغلام وعلمه الفروسية والثبات عند الحرب وعلمه الطعن والضرب والسبب فى ذلك أن عنتر كان أغار على حلة بنى ذهل وشيبان ونهب منها أموال ونوق حسان وقتل منها أبطال كرام وكان من جملتهم أبو هذا الغلام فأتت به أمه إلى عنتر وهى من الحزن كاد قلبها أن ينفطر وكان هذا الغلام طفل صغير على كتفها فقالت له يا حامية عبس وأميرها وأفرس من طلعت عليه الشمس ارحم ترحم واعف تسلم لأنك قتلت أبا هذا الغلام واخذت أمواله وما تركت عندى شيئاً أربيه بين أهله وأنصاره فلما سمع عنتر هذا الكلام دمعت عيناه لأنه كان شفيق على الحريم والأيتام وأطاق جميع ما فى يده من الأموال لأجلها وتكفل بهذا المولود الصغير من وقته وساعته وسار يتردد عليه إلى أن انتشى ودرج بين البيوت ومشى وهو يتقدم بالأموال إلى أن بلغ مبالغ الرجال وصار يعلمه أبواب الحرب والقتال إلى أن خرج منه ما خرج وسار فى هذا المنهج إلى أن كان فى هذه الأيام أغار عليه الأسد الرهيص ونهب أمواله وبدل عيشه بتنغيص فطلع هذا الغلام فى جماعة من فرسان الحى الكرام وجرى له مع الأسد الرهيص ما جرى (قال الراوى) فلما سمع وزر من الغلام ذلك النداء فرح وقال لأصحابه هل فيكم أحد يعرف هذا الغلام الذى انتسب لبنى عبس وعدنان فقال واحد من رفقاه نعم أنا أعرفه وأعرف من رباه فقال له أخبرنى بهذا الامر ومعناه لأنه لما انتسب إلى بنى عبس وعنتر فرح قلبى بذلك واستبشر فقال له رجل من قومه والله يا ابن الأجواد أن هذا الغلام روح عنتر بن شداد فإن أردت تأخذ بالثار فدونك هذا الغلام فلما سمع وزر هذا الخبر فرح به واستبشر ونادى أنا وزر بن جابر صاحب المفاخر وصار يطعن فيهم طعناً متواتر فردت الخيل على أعقابها وولت ركابها ولم يثبت بين يديه إلا ذلك الغلام ثبات الأسد الضرغام ثم حمل على وزر وقال له أيها الجانى الباغى على نفسه أنسيت ما فعل أبى عنتر معك من الجميل يا جبان يا ذليل ثم أنه أشار يقول صلوا على الرسول

بئس هذا الفعال بين الرجال ... يا زنيما تعد بين الموالى
سوف ألقيك ملقى ثاوياً ... معفر الخدين على أعلى الرمالى
ويبان الجبان إذا وهج الحرب ... وتزوبع الغبار للجو عالى
فلا بد ما أسقيك كأس المنايا ... بمرهف الحد ماضى الصقالى

(قال الراوى) فزعق عليه وزر وقال له اسمع جوابك ياابن اللئام ثم أنشد يقول :

أنا الاسد الرهيص حزت المعالى قليل المنـال فى يوم النزالى
لقد حزت الفخر بأبى وجدى وسعدى قد فاق ضوء الهلالى
سأهلك عنتر نهار الحروب ببيض الهند وسمر العوالى

(قال الراوى) فلما فرغ وزر من كلامه حلوا على بعضهما البعض حتى تدكدت من حوافر خيلهما الارض ولم يطل بينهما الامر حتى أخذه أسير وسلمه لعبده نجم ذليل حقير وصاح فى وجوه قومه فولوا منهزمين حتى وصلوا إلى حيهم مدبرين واعلموا أم حصيصه بأسر ولدها فى المجال فضاق صدرها من ذلك الحال ثم أنها من ساعتها ركبت فوق ناقتها وسارت إلى عنتر وأعلمته بما جرى على ولدها من الاسد الرهيص وكان عنتر وأولاده وفرسانه وأجناده والملك قيس وإخوته فى وليمة عظيمة وهم فى أكل وشرب ولعب وطرب وإذا بأم حصيصة نزلت عن المطية ومزقت أثوابها ولطمت على وجهها ونادت يا العبس الكرام والملوك العظام الضاربين بالحسام أما من مجير أما من نصير واوحداه واقلة ناصراه ثم شقت أثوابها وزاد بكاؤها وانتحابها فتبادرت اليها الرجال والنساء من كل جانب ومكان وسألوها عن حالها فاخبرتهم بجميع ماجرى لها فلما سمع عنتر هذا الكلام تحير وسأل بعض أخوته فقال له هذه أم حصيصة قد اقبلت وبصياحها ولولت وأعلنت فقام عنتر اليها وقال لها مادهاك ومن بشره قدرماك فقالت له ياحامية عبس أسر ولدى ونهبت أموالى وقتلت رجالى فقال لها عنتر ومن فعل معك هذه الفعال وكان عليك جائر فقالت له مافعل هذه الفعال إلا وزر بن جابر فلما سمع عنتر مافعل الاسد الرهيص تبدل صفو عيشه بتنغيص وانزعجت حواسه ونادى واحرباه عليك ياابن اللخنا وتربية الأمة الزانية ولكن لابدلى فى هذه النوبة من قتلك واقطع فرعك ويكون ذلك فى اليوم وليس على عقب ولالوم ثم أن عنتر مضى إلى الملك قيس وقص عليه ماجرى وأن الاسد الرهيص تعرض اليه مرة أخرى وأسر ولد حصيصة ونهب أمواله وقتل رجاله وهذه أمه قد أتت إلى شاكية ماجرى عليها باكية (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام زاد به الوجد والهيام ولم يبق أحد إلا وسبه ولعنه وشتمه فقال الملك قيس لعنتر ما الذى عولت أن تفعله من الفعال فقال له أسير اليه واخرب دياره واقلع آثاره فقال له ياأبا الفوارس أرسل اليه الساعة رسول واسمع منه مايقول فلعله يكون ماعرفه ولاعرف انه متعلق بك ولا ملتجىء اليك فاذا أعتذر اليك فاعف عنه لان العفو من شيم الكرام وإذا لم يسمع قال له اكتب لوزر كتاب واذكر فيه هذه الاسباب فكتب عروة يقول فى أول الكتاب باسمك اللهم رب الارباب ومعتق الرقاب وخلق آدم من تراب أما بعد فهذا عنتر بن شداد

حامية عبس وعدنان إلى بين أبادى الرهيص حامى بنى نبهان قد حضرت عندنا أم حصيصة وأخبرتنا أنك أسرت ولدها الذى هو مهجة كبدها بعدما نهبت أمواله وقتلت رجاله فما كان ظنى فيك أن تكافى بهذه المكافأة بعد ما أطلقتك من أسرك وجدت عليك بالحياة فان كنت فعلت هذه الفعال من غير علم ويقين فانا مسامحك من هذا الذنب وأكون لك معين طول السنين وإن كنت فعلت هذه الفعل من باب المكر والغدر فانا سوف أجازيك على فعالك وأنت تعرف من أنا عند الكر والفر والرأى الصواب إنك ترد على ولدى أمواله وتطلقه وتطلق رجاله حتى أعلم أنك صادق فى مودتك وصنت من القتل مهجتك وإن يقع منك مخالفة فيما ذكرته اليك فها أنا قادم عليك وآخذ روحك من جنبيك ثم أن عروة بعد ما كتب هذا الكتاب طواه بعد ما قرأه على عنتر وكتب على ظهره من عنتر بن شداد فارس بنى عبس يوم الجلاد وأيضا كتب كتاب إلى فارس بنى نبهان وهو زيد بن خليل الفارس المنصان ثم أن عنتر دعا بأخيه شيبوب وولده الخذروف وقال أمضيا بهذين الكتابين أحدهما إلى الأسد الرهيص والثانى إلى زيد الخيل واجتهدوا حتى تكونا على خلاص من حصيصة حريصين فأخذ شيبوب الكتابين هو وولده الخذروف وساروا يقطعون البرارى والقفار وهما طالبين بنى نبهان وتلك الديار (قال الراوى) وأما ما كان من الأسد الرهيص فانه سار طالب بنى نبهان بعد ما تفرقت الأعداء فى كل مكان وأعطى لكل من رجاله القسمة من الغنيمة ثم أن وزر ضرب لحصيصة أربع سكك من حديد وسار كل يوم يضربه ويعذبه العذاب الشديد فبلغ الخبر إلى زيد الخيل فسأله عن سبب غيبته فاخبره بما جرى فى توبته وقال بعد هذا الأمر العظيم لابد أن أهلك عنتر العبد الزنيم لأنه علم ان هذا ولده ولابد ما يأتى فى طلبه فاذا أتى سوف أبيد شفقته وأحق غابرته فلما سمع زيد الخيل هذا المقال انزعجت حواسه وطار عقله من رأسه وقال ما أخبث فعالك والله ان سمع عنتر أنى ههنا سوف يعجل حتفك ويرغم أنفك أما عليك عار يا وزر من فعالك المهملة لما عجزت عن خصمك تمضى إلى قوم ما بينك وبينهم معاملة ولكن والله أن أسر هذا الغلام إلا ما رأيته ينتسب إلى عنتر لعلى أنه ما يقعد عنه فان أتى وطلب خلاصه أسرته أو قتلته فقال له زيد الخيل أخاف أن ينقلب الفخ عليك ويأ كل الطير لحم حديد وأنت والله ما ترى هذا ولا فى المنام يا لئيم بين الأنام وأنا أعلم انه إذا أسرك فى هذه النوبة ما يعتقك ولابد له أن يضربك بسيفه البتار يقتلك أو يأخذك إلى حلته ويصلبك لأنك يا ابن جابر باغى وعلى عنتر ماكر وطاغى فقال وزر هيهات أن يكون الدهر كله لعنتر ولابد أن يظهر لك ما أنزل به من العبر فقال له زيد الخيل أطلق يا وزر هذا الأسير ورد عليه ما أخذته من ماله قليلا أو كثير فقال وزر هيهات أن أطلقه بل يكون عندى مقيد حتى أخذ بثارى من عنتر الأسود فقام من

عنده زيد الخيل وهو يدمدم ويقول لسوف تعلم من يندم إذا ذل به القدم (قال الراوى) وبعد ذلك بأيام قلائل وصل شيبوب اليه وكان وزر قاعدعلى باب مضربه وهو يشرب فضلة خمر كانت عنده وقد عملت فى رأسه السكرة ولما رأت العبيد إلى غبرة شيبوب أنزعجت وظنوا أنها سرية خيل عليهم طلعت من البرية فعندما وصل شيبوب وأتوا به العبيد اليه فلما وقف بين يديه قال له وزر ياوغد قومه فماذا أتيت من الخطاب فقال له شيبوب أخى أرسلنى اليك بكتاب وتقدم شيبوب وسلم الكتاب اليه فأخذه منه وقرأه وعند ما عرف معناه غاب عن الصواب وأمر الغلمان أن تقبض على شيبوب من غيرة مطال فتقدمت اليه وقبضوه وهو يقول له ياعبد السوء مثلى أن يقال هذا المقال ثم أمر العبيد فأداروا يداه إلى وراه وحطوا فى رجليه قيد ثقيل فلما رأى الخذروف مافعل الأسد الرهيص قفز من بين الصفوف وقصد الخذروف وأما ما كان من شيبوب البطل المعروف قد جعلوا يضربوه بالسياط وهو يستغيث ولا يغاث ومازالوا يضربوه حتى كادوا لروحه يعدموه وهو يقول ويلك ياابن الزانية أى شىء يصلح بينى وبين عنتر حتى يكاتبنى وأكاتبه ويهددنى بمسيره إلى وقدومه على وأنا غير ذلك أريد وقبل كل شىء أصب عليك العذاب الشديد حتى يعلم بذلك ويأتى فى خلاصك وأربط بجانب حصيصه ثم أمر عبده نجم أن ينصب له خشبة فعندها نهض العبد نجم ونصب الخشبة وقام وزر وقال له ياولد الزنا لابدلى أن أصلبك كما أراد أن يفعل بى أخيك وأراد أن يصلب شيبوب وأحضر له حبل وأراد أن يضعه فى رقبته (قال الراوى) فبينما عبده نجم مهتم بذلك الأمر والشأن وإذا بالضجة قد علت فى الحلة وقد خرج كل من فيها من النساء والصبيان والبنات والعبيد والمولدات وسائر الفرسان وكان الخبر قد وصل إلى زيد الخيل وأبيه المهلهل من عند عنتر بن شداد والرسول الخذروف ومعه كتاب وقد أخذه منه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وفى عاجل الحال لما سمع زيد الخيل بصلب شيبوب عند الأسد الرهيص ضاقت عليه الأرض وبقى يتنغص وركب هو وأبيه من وقته وساعته وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة والعبيد تتجارى من بين أيديهما إلى أن وصلوا إلى أرض الحبشة فرأوا شيبوب مكتوف اليدين والحبل فى عنقه والعبد نجم يريد أن يعلقه فزعق عليه وقال يا وغد العبيد أتريد أن تصلب السادات الأماجيد ثم أنه هجم عليه وفتح باعه ونزل عليه بالصوت على أكتافه بين عينيه ووجهه وأطرافه فأطلق الحبل العبد من بين يديه وثارت همة زيد الخيل وحل شيبوب من الرباط وسلمه إلى عبده وأنفذه إلى أبياته وسار زيد الخيل إلى عند وزر فوجده يشرب على باب بيته وقال له ياوزر ما حالك ما الذى جرى فى عقلك وبالك اما أن يهتدى وترجع عن غيك الجهل فوالله لاجاورناك بعد هذا أبدا إما ترحل عنا أو نرحل عنك لأنك تريد ان تقلع

حلت بنى نبهان إلى آخر الزمان ويلك ياقرنان أما كفاك أن تهلك نفسك بيدك حتى تريد تهلكنا معك وأنت إذا أهلكت هذه الرجال ماتقتع بني عبس ببنى نبهان جميعاً وأيضاً أتانى كتاب بخلاص حصيصة من عند عنتر فارس البدو والحضر فما رأيك فى ذلك يا أخس البشر فقال الأسد الرهيص لا أسلمه أبدا ولو شربت كاس الردا فقال زيد الخيل أرحل عنا غداً وبعد أبعدك الله وقتلك وإلى طريق المهالك أرسلك فلقد اضرمت علينا ناراً يعلوا قتامها ويزيد اضرامها لانك لاترحم الكبير لكبره ولا الصغير لصغره ونحن والله مالنا حاجة بقتال من أحسن الينا وعفى لما قدر علينا فلما سمع وزر من زيد الخيل ذلك الكلام قال أيها السيد أنا أرحل عن هذه الديار بسلام ودعنى أنا وغريمى وأن كان لى تار فلا بد أن أقبضه أودين استوفيه ثم انه أمر بهدم أبياته وشدر حالاته ورحل من وقته وساعته بعد أن غاص فى لامته وغرق فى عدته واستوى على ظهر جواده وسافر فسار لمسيره أربعمائة من بيت بني نبهان ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى بنى جديله ونزل عليهم ففرحوا بقدومه عندما رأوه وسألوه عن حاله فاخبرهم بمافعل زيد الخيل من الفعل المنكر مخافة من عنتر وبعد ذلك قالوا له لابأس عليك فها نحن كلنا بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء من الأمر المكتوب وأما ما كان من الأمير شيبوب فانه لما أطلقه زيد الخيل بعد أن كان أيقن بالذل والويل وقد خلع على شيبوب خلعة وكتب له رد الكتاب وذكر فيه جميع ماتم له مع وزر من الأمر ومعاينة وسار شيبوب كأنه الطير إذا سار ومازال يقطع البراري والقفار إلى أن بقى بينه وبين الحلة يومين وإذا بغبار من بين يديه قد ظهر وتزوبع فوقف حتى ينظر كاد أن يخط بأقدامه الأرض وهو كالغراب الأبقع فلما رآه شيبوب حن اليه كبده وإذا به الخذروف ومن وراءه عنتر عمه وهو طائر فؤاده ومن حوله أبطاله وأجناده وكان عنتر لما وصل اليه الخذروف وأعلمه أن أباه شيبوب قد صلب وحل به الويل ومازال سائر إلى أن التقى بأخيه شيبوب ففرح به عند ملتقاه وزال عنه ما قد أعتراه وسأله عن حاله فحدثه بماجري له وناله وأعطى له الكتاب حتى يعرف مافيه من الاسباب وهو يهمهم ويدمدمدم فقال له شيبوب يا ابن الام وماخفا كان أعظم فعندها سار يقطع البراري والقفار وهو طالب بنى نبهان وتلك الديار فهذا ما كان من عنتر بطل الزمان (قال الراوى) وأما ما كان من ملك بنى عبس وهو الملك قيس فانه لم يعلم بمسير عنتر إلى بني نبهان إلا ثانى الأيام فخاف على نفسه من العتب والملام فاقبل على بنى عمه وأخوته وفرسان عشيرته وقال لهم أنتم تعلموا أن عنتر بن عمنا وحاميتنا رحل إلى بنى نبهان فقوموا بنا حتى نتبعه ونساعده على ماأراد أن يصنعه فلما سمعوا مقاله أخوته فمامنهم الا من أطاع كلمته لانه قال لهم

انا خائف أن يحل به أمر منكر فقالوا له وما يكون العمل أيها الملك المفضل فقال لهم مرادى أن أرسل خلفه نجدة من فرسان بنى عبس الغرر ثم انه التفت إلى أخيه ورقة وقال له خذ معك أخيك نوفل وسيروا فى ستمائة فارس والحقوا بن عمنا عنتر لتكونوا معاونين له على العدا فاجابوه بالسمع والطاعة واستصوبوا رأيه وسار ورقة من تلك الساعة وجدوا فى قطع القفار وأوصلوا السير الليل بسير النهار وهم غائصون فى الحديد والزرد النضيد لايبان منهم غير تداوير الحدق وورقة فى مقدمتهم وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

سأطلب من بالجود فاق فخاره ... وانصره بين القنا والقواضب
وأشفى غليل القلب من أعدائه ... وأفديه بروحى من جميع النوائب
ونحن بنوا عبس الأسود غطارف ... تجود بما نملك ونعطى ونوهب
نسود بعنتر خير من مسك القنا ... هزبر ومقدام الردا الكتائب
يجود بما تحوى يداه شهامة ... وفى الحرب يردى كل ليث محارب
أنا ابن زهير كان سيد قومه ... سمعا بالعلا فى شرقها والمغارب

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الاسد الرهيص فانه لما جرى له ما جرى وعلم أن عنتر لابد له من المسير اليه فاخذ فى جمع العساكر والفرسان وكتب إلى المنهال بن ناقيد كتاب يستنجد به على عنتر وقتاله فلما قرأ المنهال الكتاب أرسل اليه رد الجواب يقول أما كفانى ما لقيت من عنتر فى المرة الأولى لما ملكنى بسيفه واطلقنى ومابقيت أضيع جميله ولا أنسى وداده فاستنجد بغيرى ولا تكثر على اللجاجة فلما سمع وزر بن جابر ذلك الكلام أرسل إلى ماجم بن حنظلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدما وطلب منهما نجدة فانفذوا له أربعة آلاف فارس وأرسل إلى قبيلة حاتم فانفذوا اليه بالطعن والحريم ونزلوا على بنى جديلة ثم انجذ إلى القبائل لتى يعرفها فاجابته عن ابيها حتى اجتمع عليها عشرون الف فارس ونزلوا فى وادى كثير الاشجار والانهار والازهار وكان بينهم وبين أجا وسلما خمسة أيام فيسار الاسد الرهيص فرحان ثم ارسل الطلائع من كل قبيلة عشرين فارس فسارت الطلائع تمضى الفرسخ والفرسخين وتعود كل يوم إلى قومهم وكان خوفاً من عنتر أن يدهمهم على غفلة منهم هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر فانه مازال سائراً يقطع الارض طولا وعرضا وهو قدام رجاله ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

سر ياخيلى نحو وزر فانه ... من الغدر اضحى فى علو مكان
ولا تقبل الغدر الذى يعتذر به ... فقلبى وحق الله عليه ملان
تنبه يا وزر ياوغد قومه ... انغدر بعد الصلح بالفرسان

(قال الراوى) ومازال عنتر سائر إلى ان اشرف على الجبلين أجا وسلما وهو يقطع الارض فى طولها والعرض وإذا بطلائع الاسد الرهيص قد ابصرته وهم ثلثمائة فارس وقد نظروا إلى مائتين فارس فظنوا أنها نجدة لوزر فعطفوا عليهم لينظروا من هم من الناس فلما نظر عنتر اليهم قال لعروة ابن الورد يا أبا الأبيض أعلم ان هذه الخيل طليعة وما عندهم خبر أننا من بنى عبس الغرر وما هم سائرين إلا الينا فامهلوهم حتى يسيروا معنا واحملوا عليهم حملة واحدة ويتعلق كل واحد منكم بواحد منهم يمتله فتكونوا أنتم قد ملكتم منهم مائة أسيراً كونه أنا وأولادى وأخى مازن وسبع اليمين نمسك مائتين غيرهم ونمكن منهم السيف الرقيق وأخى شيبوب وأخى وولده الخذروف يسكون عليهم الطريق فكل من نجا منهم وطلب الهرب تضربوه بالنبال تعدموه السعادة والتوفيق فقال له عروة بن الورد لله درك هذا والله فعل الرجال وعزمات الابطال (قال الراوى) ثم أنهم بنوا أمرهم على ذلك الحال وصبروا حتى قربت الخيل منهم وتبادرت إلى نحوهم وقالوا لهم من أى الناس انتم كنتم لنا اصدقاء فنجوتم وإن كنتم لنا اعداء فنمحقكم فبرز اليهم مازن أخو عنتر وقال لهم ياقوم اعلموا إننا نحن نجده إلى وزر بن جابر صاحب الجود والمفاخر فقالوا لهم اهلا بكم من قادمين ومرحباً من واردين ثم انهم اختلطوا بهم وعادوا معهم راجعين وقد اطمأنوا بهم وساروا يتحدثون معهم هنا زعق غصوب فى مقدم القوم وطعنه فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره فعند ذلك صاحت بنى عبس وقالوا يالعبس يالعدنان وحملوا فى القوم انزلوا بهم التعبير وكانوا يومهم يوم عسير وقد أخذوا مائة أسير لله در غصوب وميسرة ومازن فانهم قد لعبوا بمهج الرجال وعنتر يصيح يا أوغاد غير امجاد ترونى عنتر بن شداد ثم انه حمل على بقية القوم فزقها وغرق فى أوسطها ومحقها وقتل اكثرها وانهزم وايسرها وشيبوب والخذروف يضرب فى وجوههم بالنبال حتى طرحوا المنهزمين على الرمال وما نجى إلا من كان جواده سابق وكانت النبال فى ظهورهم خوارق هذا وقد شدوا الاسارى على خيولهم وقد هجوا الباقين فى البر على وجوههم وانقلبت الدنيا بالصياح وكانت العربان قربت منهم وسمعوا ضجة المنهزمين بالبطاح فبادرت الابطال وتقدم الاسد الرهيص اوائل الرجال حتى وصل إلى الطلائع والتقاهم فوجدهم منهزمين وللنجاة فهو عنتر بن شداد الذين قتل منا الرجال الاجواد لأنهم صبروا علينا حتى صرنا فى أوساطهم ولاحسبناهم إلا نجدة لكم فانحن إلا أن قد اختلطنا بهم حتى انطبقوا علينا وأخذوا منا مائة فارس وقد طلبنا الهزيمة فأدركونا مثل الجن الابالس وقتلوا منا مائة فارس فلما سمع الاسد الرهيص منهم ذلك فرح فرحا شديداً وقال ياويلكم لقد ظفر الآن بكل ما نريد لأن عنتر قد ظن عنا أن جميع الفرسان

غافلين فسار الينا مائتى فارس وفى هذه الكرة أقتل أولاده وأحرق عليهم فؤاده .
(قال الراوى) فعندها أطلقت الرجال الاعنة وقومت الاسنة وعلت منهم الضجة والرنة فبينما هم على ذلك الحال وإذا بالمائتين فارس وقد ساروا نحو الاعادى وعنتر بين أيديهم وأولاده أخوه مازن وعروة ابن الورد وسبيع اليمن كانهم أسد الضوارى وحوافر خيلهم قد زلزلت التلال والروابى وتقابلت الصفوف وبرقت السيوف ووقعت العين على العين وخان الحين زعق الفريقين وارتجت الاقطار من عظم الصياح ولمعت تحت غبار اسنة الرماح فعندها انطبقوا على بعضهم بعض ارتجت أقطار الارض وصاح عليهم عقاب المنايا وانقض وقد صاحت بنو عبس فى تلك الخلائق وضربوا فيهم ضرب واثق وطعن ماحق فلله درها من قبيلة ما أقل عددها وما أقوى جلدها فإنها هجمت على تلك المائة والالوف وحكمت فى رقاب أعدائها السيوف وقد فعل فيهم عنتر فعله الموصوف وهو يكشف الفرسان عن قومه ويلتقى عنهم أسنة الرماح بجلده وصبره وأولاده من حوليه ينادون لا براح وقد باعوا الانفس بيع السماح وهاجت فى تلك الامم وأذاقتها الاهوال وعنتر ينادى فى رجاله ومازن قد حير العقول بفعاله وكذلك غصوب أظهر هنا أهواله هذا والابطال قد غمروهم بكثرتهم وصدموهم بحملتهم وأما بنو عبس فصبروا على قتالهم بقلبهم فلله در بنى عبس ما كان أشدهم وأظهروا همتهم هذا والمنايا قد داوت عليهم بكاسات الراح وملك الموت وقد توكل بقبض الارواح والارض قد امتلأت بكثرة الاشباح والدم على الارض قد ساح والغبار قد أغشى المقل الصحاح والرجال تبذل مجهودها وقد كلت من* شدة الضرب مناكبها وزنودها ودارت طاحون الحرب جائمة ومحنة محكمة والقلوب موهمة والدروع بالدم مصبغه والاحقاد ظهرت بعد ما كانت متكتمة والمعمعة مظلمة معتمة ولم يزل السيف يعمل حتى ولى النهار وأقبل الليل بالظلام والاعتكار وبقيت القتلى وجه الارض مثل الاحجار (قال الراوى) وكانت بنى عبس قد كلت وملت من شدة الضرب والطعان وكثرت عليهم العربان ودارت بهم الاعداء من كل جانب ومكان وقد ضيقت عليهم المذاهب وكان عنتر ما عنده من الكثرة خبر بل يهدر مثل الاسد القسور ولا يتعب ولا يضجر وقد ضاقت على بنى عبس المذاهب وقد دارت بهم تلك الخلائق من كل جانب وقد أيقنوا بالبوار وقد آيسوا من أنفسهم فى ذلك النهار وكان عنتر قد تولى الحرس بنفسه تلك الليلة إلى أن أصبح الله بالصباح وبان ضوءه ولاح فصاح الاسد الرهيص فى العربان فركبت واعتدلت وعلى القتال عولت ونظر عنتر إلى اصحابه وقد قل نشاطهم وثباتهم وعنتر قد زعق بالابطال وقال ياويلكم هذا يوم القتال ماهو يوم الكسل والاذلال أى شىء هذا الوقوف حتى دارت بكم المئات والالوف

المتألقة وتلك الأجناد المتضاعفة أما علمتم إنكم إذا تكاسلتم هلكتم فإن النفس القوية والقلوب الحية من الرجال العبسية فكونوا أنتم خلف ظهرى وأنا التى عليكم هذه الغربان بصدرى وأفرجكم على كرى وفرى وأمزقهم بجلادى وصبرى (قال الراوى) فلما سمعت بنى عبس من عنتر هذا المقال ثارت إلى القتال بعزمات قوية وقددا حلهم من كلام عنتر الحية وركبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا حملة منكرة وعنتر فى أوائلهم وبجانبه ولده غصوب وأخيه ميسرة وقد كسروا حدة أعدائهم وأخروهم إلى وراثهم وهم يصيحون يالعدنان وقد لعبوا بمهج الفرسان هذا وقد حملت عليهم تلك العربان كأنهم البحر الزاخر وقد أبهتوهم بالصياح وأثخنوهم بالجراح هذا وعنتر يلتقى عنهم أسنة الرماح ويطعن فى الأعداء ميمنة وميسرة وقد هابته ولا أحد يقربه (قال الراوى) فبينما هو على هذا الحال وإذا بالأسد الرهيص قصد اليه فى سرية الخيل وهو ينادى يابنى عمى القصد منكم أن تحموا ظهرى وتكفونى مؤنة أولاده وأنا أكفيكم شره وأصرم لكم عمره وآخذ لكم الفخر على سائر العباد فاجابوه إلى طلبه وحمل عنتر وانطبق عليه هنالك صاح غصوب فى الخيل وقد فرقها وطعن فى صدرها ومزقها وجعل يبرى رماحها بحسامه وأما ميسرة فقد أظهر أهوالا الأبطال تفرقوا من قتاله وكان الأسد الرهيص قد انطبق على عنتر فى سرية خيل ومالوا عليه كل الميل وعاد النهار مثل الليل وعنتر لا يمل من الحرب ولا يضجر من الطعن والضرب هذا وبنى عبس قد ضايقهم هذا البحر العجاج وضاقت عليهم سبع العجاج وكان أكثرهم قد اثخن بالجراح وقد أيقنوا بعدم الأرواح (قال الراوى) فبينماهم فى أعظم ما يكون من القتال وإذا هم بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت إلى الجو تعلقت وبعد ساعة تمزقت وانقشعت وكان من تحتها ستمائة فارس كانهم الأغصان وتحتهم خيول كأنها العقبان وعلى أكتافهم عوامل الرماح وهم ينادون يالعبس يالعدنان وورقة بن الملك زهير وأخيه نوفل فى أوائلهم كأنهم السباع فلما سمعوا بنى عبس فرحوا هذا وقد مالت على الأعداء قريباً وبعيد وقد قويت بهم قلوب بنى عبس الصناديد وسلمت الفرسان على الفرسان وقد أشفى عنتر فى هذا اليوم الغليل وأرمى على الأرض أوفى من ألف ومائتين قتيل وكان قد ولى النهار وأقبل الليل فنزلت كل طائفة مكانها ثم استقبل عنتر إلى ورقة وأخيه نوفل وشكرهما على مجيئهما اليه هذا وبنى طي قد تخبلت فى أمورها واجتمعوا بالأسد الرهيص وقالوا له هذا ما جلبت لنا من البلاد والشر بتعرضك لعنتر وبنى عبس الغرور ونحن ما لنا بقتالهم طاقة وانت تعلم أن عنتر كم كسر من ملوك وأذل كل عتى وصعلوك وقد فعل بنا هذه الفعال وأبادنا فى القتال وهو فى خمسين فارس والآن قد صاروا فى ثمانمائة فارس من بنى عبس الأشاوس فكيف حالنا غدا

وقدحرنا فى أمورنا ومايكون التدبير فى هذا الأمر العسير فقال الأسد الرهيص والله يابنى عمى لولاهذه النجدة التى أنت وكانت لهم مساعدة وإلاما كان يقم لهم بقية ولكن فى غداة غدأنا ابرز اليه فان قتلته أوأسرته ذلت لنا بنى عبس من بعده لأنهم وحق مكون الاكوان ماهم عندى إلا مثل البهائم الرتع فى لقيعان ثم إنهم باتوا يتحارسون إلى الصباح حتى بان الضوء ولاح فعندها تواثبت الفرسان إلى خيولهم وركبوها إلى رماحهم اعتقلوها وكان قويت قلوب بنى طى بكلام الأسد الرهيص ولما تصففت الصفوف وتعدلت المئاة والألوف كان أول من برز إلى الصفين واشتهر بين الفريقين كان الاسد الرهيص وقد أخرج يده من جلباب درعه وجرد رمحه من خلفه وقد جال على الجواد وقلبه يغلى بنار الايقاد على ملتق عنتر بن شداد ثم صاح بالعبس يالعدنان من عرفنى فقد ا كتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا الاسد الرهيص المسمى بوزر بن جابر صاحب المناقب والمفاخر وأعلموا أننا ضجرنا من سفك دماء السادات وقتل الشجعان والقادات وأنتم تعلمون ما بينى وبين عنتر الغدار ومالى عليه من النار وأنا مطالبه بنارى وأرجو كشف عارى فدعوه يبرز إلى فى مقام الأنصاف حتى يشهدوا على وعليه من اجتمع هنا من السادات والاشراف فما تم الاسد الرهيص كلامه حتى برز اليه عنتر وسار قدامه فانشد الأسد الرهيص يقول :

ياوغد عبس جاءك اليوم ضيغم … بصارم معدود ليوم التصادم
سآخذ ثارى منك يا وغد قومه … بيد سنان عند وقع التلاحم
فوا أسفى إن لم أنل منك ضربة … واسقيك كاس الموت حقاً بصارم
فهذا أوان الحرب سلت سهامه … وتضحى قتيلا دامى الوجه عادم
بحسبك أن قد سدت احزم كلها … لكل أناس سادة ودعائم
وها قد برزت اليوم الحرب عنوة … وآخذ بثارى فهو غاية مغانم
أيا عبد عبس يالئيم عشيرته … فدونك حربى والتقى لعزائم
لقد شاب رأسى فى قتالك صدقا … وصرت حديثاً بين جالس وقائم
أنا الاسد المعروف وزر بن جابر … أبيد الأعادى عند وقع التصادم
فانى كشاف الكروب همامها … أنا الرهيص عند ضرب الصوارم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا المقال احتد حتى مابقى يعرف يمينه من الشمال وغضب وعبس وجهه وقطب واجابه على عروض شعره يقول

سوادى فخرى فى المجال لاننى … هزبر عفيف عند سبى المحارم
لاشيب رأسى فى الحروب يعيبنى … إذا كنت ليثاً عند وقع التصادم
إذا كان لونى أسود ففعائلى … قد جردت بيض الصفاح صارم

أيقظان فى بغضائنا وهجائنا ... وأنت عن المعروف والبغى دائم
وما أعترانى قبح المقال وفعله ... لأن سنانى فى الصدور محكم
تولى جميع الأبطال فى حومة الوغا ... وتعجب منى عند طعن الهادم
أما نظرت عيناك حربى وما جرى ... وأنت مقيد مثل قود البهائم
وكم مرة الحرب قدتك خاضعاً ... وتطلب عفوى وهو أقوى مكارم
وتطلب قتـــلى باغياً متعدياً ... فبغيك لا ينفعك والله عالم
وما حكمت أيامنا بلقائنا ... فسوف ترى حربى وقوة عزائم
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... مبيد الأعادى عربها والأعاجم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره و نظمه و نثره أنطبق على خصمه كأنه الأسد وقد امتلأ غيظاً وحرد هذا وقد حمل الاثنان وحلفا أن لا يفترقان إلا بذهاب الروحان ومازالا فى صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام إلى أن زاغت من الأسد الرهيص مقل عينيه وتحير فى نفسه لأنه كلما فتح فى الحرب باباً يسده خصمه عليه لأن عنتر أثقل عيارو راجح عليه الدرهم قنطار فالوى عنان جواده وأراد أن يهرب من بين يديه فضربه عنتر بالرمح بين كتفيه غيبه عن صوابه وأرتمى عن جواده فالحق أن يصل إلى الأرض إلا وجرير عليه قد أنقض ولحقه شيبوب كأنه البلاء المصبوب وشدوا يديه ورجليه وعنتر واقف بجانبه حتى شدوا كتافه وقووا أطرافه هذا وقد أرتفعت الصيحات من بنى عبس ونزل على أعداهم التعس والنكس فلما رأت بنوطى هذه الاهوال وكيف وقع وزر فى الاسر والنكال فولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار وقد غنمت بنو عبس أموالهم وخيامهم وجميع الذهاب والرجال وقلعوا البيوت بما فيها وخلصوا الأسارى وحصيصة بالجملة وعادوا طالبين الديار والأطلال

(قال الراوى) وأما نجم عبد الاسد الرهيص فانه لما رأى سيده أسر وبعد العز قهر قال مشتغلين بما هم فيه وسار بها يقطع البرارى والبيد طالب أحياء بنى زبيد (قال الراوى) وأما عنتر بن شداد فانه سار هو وبنو عبس من خلفه والاسد الرهيص قدامه مشدود على جواده وعنتر بن شداد ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

أيا عبلة لو عاينت مابى من الهوى ... رثيتى المحب بالوسواس يخفق
رثيتى لمن لا يطعن الرمح جسمه ... ولو كانت الاعداء ليل بهم مزرق
أيا عبلة أنى فيكى لآلف الكرى ... وقلبى بنـــار الصبابة يحرق
دعينى إذا ما الخيل جاءت تزورنى ... على جمعها فى حومة الحرب أطبق
وأضرب ضربات يخيل لمن رأى ... مطارق شهب للصناديد تطلق

وكم ملك وسط الكريهة قدته أسيرا ذليلا وهو بالقد موثق
خيالتـــك لو تشهدين مواقفى وأبصرت طعنى تحت الغبار يبرق
ورمحى طويل قد أطال عزيمتى وعزمى أمضى من الريح وأسبق
وكم فارس أسقيته كاس حتفه فخر صريعاً يكدم الارض مطرق
وكم معز من عظم بأسى مبدد نوائب تغشى نواديها محقق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها بنو عبس السادات ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الديار فسار البشير إلى الملك قيس يبشره بقدوم عنتر وبنى عبس وهم سالمين غانمين فركب من وقته وساعته واستقبل عنتر وسلم عليه وهناه بالنصر والظفر وأخذه ودخل به إلى الديار وأستقر بهم القرار وباتوا تلك الليلة ومن الغد أمر الملك قيس العبيد أن يعملوا وليمة عظيمة ففعلوا ما أمرهم وعزم عنتر وأولاده وأصحابه فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ثلاثة أيام (قال الراوى) ولما كان فى اليوم الرابع أمر عنتر أخاه شيبوب بحضور الاسد الرهيص فاحضروه وأراد عنتر أن يضرب عنقه وإذا بالعبيد قد دخلوا على عنتر وأخبروه بقدوم عمر بن معد يكرب الزبيدى فقام اليه وأستقبله وسلم عليه وكان قد أتى فى خمسين فارساً من أكابر قومه ولما اجتمع به سلم على كل واحد منهما على صاحبه فقال عمرو يا حامية عبس لا تقل أنى آتيك هذه المرة متشفع فى وزر بن جابر وما أتيت إلا أحضر عذابه وصلبه ومصابه هذا وريحانة قد تعلقت بأذيال عبلة واستجارت بها فقالت لها عبلة يا ريحانة مالى إلى خلاصه من سبيل فى هذه المرة فإنى أخاف من غضب ابن عمى على تارة أخرى (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام عمرو بن معد يكرب الزبيدى قال له اعلم يا اخى يا عمرو أن كلامك عندى مقبول ولأجل محبتك أنا ما أقتله بل اتركه كرامة لك ولكن أكحله وأعلقه ثم انه أمر شيبوب باضرام النار بين يديه وامر الخنروف بحضور الاسد الرهيص فاحضره إليه وشده شداً وثيقاً ثم أن عنتر احمى سنان رمحه إلى ان تطاير منه الشرر واكحل به عين وزر بن جابر ففرقعت وفعل بالاخرى ففرقعت (قال) وفى رواية اخرى انه ملأ عينيه كافور وشدها بطول الليل ولما اصبح الصباح حل العصابة فابيضت عيناه وصارتا كأنهما شحمتين وسلمه بعد ذلك إلى عمرو وردعليه أمواله وقال له يا وزر لو كنت قتلتك كنت من نفسك أرحتك وها قد تركتك لا تنام ولا تتلذذ بطعام وكل هذا الذى جرى عليك من بغيك وظلمك وجورك فقال الاسد الرهيص يا حامية عبس اقتلنى وارحنى من هذه المعيشة لانى اعيش فقيراً واسأل بعدما كنت اسأل فقال له عنتر يا وزر أنا أجعل لك كل سنة رسم وهو مائتا ناقة وخمسمائة رأس من الغنم اما أن تأتى وتأخذها واما إليك فى كل عام انفذها فلما سمعت فرسان العرب من عنتر هذا الكلام شكروه على ذلك الانعام وقد سار الاسد

الرهيص وهو زائد الحسرة والكمد ومصيبته كل يوم تتجدد فقال عمرو انظر يا وزر كيف بقى حالك أما نهيتك عن عنتر وأنت ما ترجع حتى أحل بك الحدثان والهم الاشنع فقال له الأسد الرهيص يا عمر ومازالت روحى فى جسدى فما يمنعنى العمى عن أخذ ثارى وكشف عارى ولا زلت أطلبه حتى أقتله واعجل من الدنيا مرتحله فلما سمع عمرو هذا الكلام أن ما فيه موضع الصنيعة ثم قال يا وزر أنت ما فلحت وأنت تبصر فكيف تفلح وأنت على هذه الحالة ثم أن عمرو تركه على حاله وصار يطلب ديار بنى زبيد وأما وزر فسار يطلب ديار بنى نبهان ومازال سائر حتى وصل إلى الحلة ونزل بعيداً عن الحلة حتى لا يشمت به زيد الخيل وأبوه المهلهل لئلا يعايروه بما نزل به من العذاب الشديد فلأجل ذلك نزل عنهم بعيد (قال الراوى) فهذا ما كان منه وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه بعد ما كحل الأسد الرهيص زادت هيبته عند العرب وأنزل الرعب فى قلوبها شرقا وغربا وبعداً وقربا إلى يوم من بعض الأيام صنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وجمع فيها سادات بنى عبس وأولاده ميسرة وغصوب وأعمامه وأولاد عمه وعروة ورجاله واجتمعت عنده جميع الأمراء الكرام وهم على أكل طعام وشراب مدام وهم فرحى بما هم فيه الهناء والسرور وجزا الجزور وشرب الخمور والإماء بين أيديهم تضرب بالدفوف والمزاهر (قال الراوى) فبينما هم فى ذلك العز الغامر وإذا بشيبوب قد دخل على أخيه عنتر ومعه ثلاثة من العبيد هم سلالين الخيل وأوقفهم بين يديه فقال لهم ما حالكم وأى شىء جرى عليكم ونالكم فقالوا له يا حامية عبس أعلم أننا من صعاليك العرب ونحن سلالين الخيل فبينما نحن فى بعض الأيام جالسين فى مضاربنا وإذا قد وصف لنا حجرة فى قبيلة بنى مرة لرجل يقال له وائل بن ذهل المرادى وهى حجرة ما اقتنت العرب مثلها فسرنا اليها وسلبناها من صاحبها فلما احتوت أيدينا عليها عزمنا على أن نحملها اليك ونحظى بالك ونوالك ولما ملكناها عطفنا راجعين واليك طالبين وكان كل من رآها معنا يتعجب من صفاتها ويسامها لنا بالمال الكثير ويريد أخذها من بين أيدينا فنقول له إن هذه الحجرة لعنتر بن شداد العبسى فيلوى عنها ولا يطامع فيها ولم نزل كذلك حتى قربنا من دياركم غير خيفة فالتقى بنا حسن بن حذيفة الفزارى فى خمسين فارساً من قومه ولما رأى الفرس معنا استحسنها وقال لنا يا فتيان أريد أن تبيعونى هذه الحجرة لأنها تعادل حجرتى الغبراء وأنا أدفع لكم ثمنها مهما أردتم من الأموال وإن أبيتم ذلك أخذتها منكم غصباً فقلنا له أيها الأمير الجواد أعلم أن هذه الحجرة لعنتر بن شداد ومالنا أن نبيعها من سبيل فلما سمع منا هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وضربنا بالسياط حتى أكثرنا العياط وقال لنا والله إنكم ذكرتمو لى بأس ما ذكرتم وشكرتوا لى غير مشكور ثم أنه أخذها منا ونهبها منا وها نحن قد أتينا اليك وأعلمناك بها

فان شئت أن تطلبها وإن شئت تتركها والأمر بعد ذلك اليك (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام أسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقد لعبت الخمر برأسه قال بعضهم أسقونا خمور واطلبوا ما معقول فهذا شيء لا يكون فدعا بولده غصوب بين يديه وقال له اركب الساعة جوادك وامض إلى حصن وقل له ياحصن أبى يقول لك بلغ الأمر بيننا إلى هذا الحد كيف تأتى اليه حجرة بنى قحطان على اسمه إلى هذا المكان وكل من رآها يطمع فيها وإذا سمع بانها على اسمه يحجب عنها ولما تقرب القوم من ديارى كيف تتعرض لهم وتأخذها منهم بعد ماأعلموك أنها لى فان كان هذا بيننا فبئس ما حدثك به نفسك فما يكون الهوان إلا بكم أتم الجميع غداً إذا التقينا وإن كنت أخذتها على سبيل الهدية والإحسان كان يجب عليك أن تترك القوم حتى يصلوا إلى عندى وترسل تطلبها منى إن كان لك غرض فيها وأنا اليك أعطيها وها أنا قد علمت ياولدى أنك أردت أظهار عزك وذلى فردها على قبل أن تطير جماجكم من على أبدانكم ثم أنه قال لغصوب ولا تأت إلا والحجرة معك وان تعاصى عليك حصن أقتله وأبذل السيف فى بنى فزارة سيفك والسنان وأقم الحرب حتى أدركك بالرجال والفرسان فقال غصوب سمعاً وطاعة ثم انه ركب من تلك الساعة وكان فى ذلك الوقت عصارى النهار وعنتر طافح من شرب الخمر هذا وقد سار غصوب وكان بين الحلتين أربع فراسخ فوصل اليهم غصوب عند غروب الشمس ودخل الحى وكان حصن بن حذيفة عمل وليمة عظيمة وقد سكب الخمور ونحر النحور وهم فى أكل وشرب وفرح مع سرور فعند ذلك وصل العبيد اليه وأعلموه بقدوم غصوب بن عنتر عليه فوثب فى جماعة من أصحابه واستقبلوه وأكرموه غاية الإكرام وساروا به إلى الخيام وأجلسه حصن بن حذيفة إلى جانبه وقدم له الطعام والمدام وقد غنت الحرائر والمولدات وكان غصوب مع شجاعته وبراعته عاقل وبالأمور خبير فما رأى على نفسه أن يؤدى ما حمل من الرسالة إلى حصن والخمرة قد لعبت بعقلهم بل صبر حتى يفيق من الخمر ولما أن جلس القوم أخذوا يتحدثون مع بعضهم على منادمة الخمور وتذاكروا الوقائع والحروب وما زالوا من كلام إلى كلام حتى جاء ذكر هاجر لأهالهم على حفر الهباء من قتل والحام وكان حصن ابن حذيفة قد نشا من المدام فرفع رأسه إلى المغنية وقال لها أريد أن تنشدينى الشعر الذى أنشده الملك قيس لما قتل أبى على حفر الهباء فانشدت المولدة هذين البيتين

شفيت النفس من قتل حذيفة ... وسيفى من حذيفة قد شفانى
فان أراك قد شفيت بهم غليلى ... فانى قطعت بهم بنانى

(قال الراوى) وكانت المولدة تنشد هذه الابيات وتلعلع بصوتها وما زالت إلى أن أتت إلى آخرة فعلا من بنى فزارة البكا والصياح وتبدلت أفراحهم بالرماح ولما رآهم غصوب

على هذه الحالة اندهش لانه مايعلم ماجرى لأهلهم على حفر الهباء وما كان حاضراً فى هذه الوقائع فقال لهم يا بنى الأعمام هذا شىء قد مضى ومرت عليه الايام وانقضى فدعوا عنكم هذا البكاء وخذوا فيم نحن فيه من الهنا فلما سمعت بنى فزارة ذلك صارت تمسح أطراف حصن فسكت عن ماهو فيه وفى قلبه النار التى لا تطفىء اللهيب الذى لا يخفى وأقاموا على ذلك إلى نصف الليل وانقضت الولمة وانصرف أكثر الناس فوثب حصن بن حذيفة على قدميه وخرج من باب المضرب وتبعته العبيد والخدام فقال لهم لا أحد منكم يتبعنى ثم انه أخذ عبداً واحداً اسمه سالم ورد الجميع ولما بعد عن المضرب قال له ياسالم ائتنى برمحى القصير فمضى وأتى اليه فاخذ حصن فى يديه وأتى به إلى المضرب الذى فيه الولمة وماعند العبد خبر بما يريد إلى أن تقرب من المضرب وسار خلف غصوب وقال للعبد ارفع ذلك الجانب فرفع العبد سجاف البيت (قال الراوى) وكان غصوب قلبه ملآن من السرور لأجل منزلة أبيه عند العرب فعندها تمطى حصن فى كعوب الرمح وطعن غصوبا بطعنة وقال بالأخذ الثار وكشف العار وطعنه بين كتفيه أطلعه يلمع من بين يديه وتركه مرمياً وسار إلى أبياته فعندها وقعت الضجة والجلبة وصار الفرح ترح وسمع سنان بن أبى حارثة تلك الضجة فسأل عن الخبر فقالوا له اعلم أن حصن قتل غصوب بن عنتر فلما سمع سنان ذلك الخبر لطم على وجهه ورأسه حتى بدا الدم من مناخيره وقال يالها من مصيبة ما اعظمها ونار ما اشعلها واضرمها قد آن منا أوان هتك الاستار وحان من بنى فزارة البوار وقطع الاعمار ثم أنه سار إلى المضرب الذى كانت فيه الولمة فنظر إلى غصوب وهو ملقى على جنبه والرمح خارق فى فؤاده والعرب قد هجت من حواليه فعندها صاح سنان يا بنى فزارة ارحلوا واطلبوا لأنفسكم النجاة وإلا حلت بكم الخسارة لان ما بينكم وبين الموت والدمار إلا عندما تصل لعنتر الاخبار (قال الراوى) فعندها هدمت بنو فزارة الخيام ونكست الاعلام لما سمعوا من سنان هذا الكلام وقدمت الجمال ونقلت على ظهورها الاحمال ودخل سنان على حصن فوجده ملقى على فراشه وهو سكران فكلمه فافاق على روحه ولا عنده خبر مما حصل فشدله بعير أزرق فاركبه عليه ورحلوا ليلا وصار الأول لا يلحق الآخر وقدموا الظعن قدام وتأخرت الرجال إلى ورا وساروا يقطعون البرارى والتلال وهم يطلبون لأنفسهم ملجأ يلتجئون فيه اليه أو سنداً يعتمدون عليه فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر فانه بقى منتظراً ولده غصوب وما عنده علم بما جرى عليه من الأمر المكتوب إلى ثانى يوم وطلع النهار وما أتى ولده غصوب وما سمع له أخبار فعندها أرسل خلفه أخيه شيبوب يقتفى منه الأخبار فسار شيبوب وهو يجد المسير إلى أن اقبل على الديار فرأى غصوب وهو مرمى على وجهه فى القفار ولا رأى من بنى فزارة ديار ولا

نافخ نار ولما تحقق شيبوب هذا الأمر المنكر حس أن فؤاده قد انفطر وقد حلت به جميع العبر وفاض دمعه وانحدر ثم أنه رجع وقد عدم المصطبر وأعلم أخاه عنتر بما شاهد وابصر وأن ولده غصوب قتل واندثر فتنهد وتحسر وركب فى عاجل الحال على جواده الابجر وصار طالباً بنى فزارة الطائفة الغدارة وقلبه على ولده غصوب وقد انكوى بنار ولم يزل سائراً إلى محل الأبيات فرأى ولده غصوب وقد مات فعندها غشى عليه وحس بأن روحه خرجت من بين جنبيه وبعد ذلك أفاق من غشوته وعيونه تذرف بالدموع وهو يئن من فؤاد موجوع ثم شده على جواده واكثر عليه من البكا والنواح وعاد طالباً إلى حى بنى عبس وقد حل به التعس والنكس ولما قرب من الأبيات تلقته النساء وهن صارخات نادبات ويلطمن على الوجوه والخدود على الأمير غصوب وخرجت عبلة بين النساء وهى تبكى ودمعها مسكوب وقد زاد منهم البكا والاحزان وتلاقوا بالأمير عنتر من أبعد مكان وخرج الملك قيس اليه وهو ماش على الاقدام ومعه اخوته وكل بطل منسوب والتموا على فقد الأمير غصوب واقبلت بنو زياد وقد شمتوا بعنتر بن شداد وقد كثر البكا والتعداد فى الحلة وفى أبيات عنتر وبنى قراد فعندها صبر عنتر غصوب ولده يصبر وقد قل لذلك صبره وجلده وزادت به الكروب وحلف بالرب القديم ورب موسى وعيسى وابراهيم لا يدفن ولده فى التراب حتى يجعل دم بنى فزارة يجرى كالبحر العباب ويقتل منهم فى ثاره خلق كثير ولا يرحم منهم لا صغير ولا كبير ثم صاح فى جميع الفرسان وأعلمهم أنه فى ذلك الوقت سائر هو ومن يريد إلى مساعدته فليبادر ثم أنه بعد ذلك أشار يرثى ولده غصوب بهذه الأبيات :

اقول وسهم البين يجرح مهجتى	وفى القلب سهم من فراقك خارج
قضى الله يوما بالفراق فاسكبت	محاجر عينى بالدموع الدرافق
وجرعتنى منه غصوب بنكبه	جفت من عيونى النوم والنوم طالق
أيا عين جودى بالدموع لسيد	كريم إذا جالت خيول سوابق
هوت النجوم الزهر عند مصابه	وعاندنى فيه الخطوب والدافق
أيا عبلة إبكى فارس الخيل واندبى	لعل توافينى الدموع السوابق
فبعد غصوب طال حزنى وحسرتى	وبعد غصوب لم أحل لعاشق
وبعد غصوب كيف تلتذ عيشتى	سأندبه ماسار البين طارق
وبعد غصوب من يطيل مقامه	ويسلوه ويدعوه فى الدهر عاشق
لقد كان فى الحرب العوان مقدما	يكر على الاعداء بالسيف ماشق

شجاع طويل الباع عند قراعه ... يصول ولا يخشى مدا الدهر عائق
أأرثى غصوب الذى مضى وقد ... خلف فى قلبى همو ما خوارق
فنى مصرع بالغضبان شابت لحى ... وقتل غصوب دام شيب المفارق
بكت لغصوب كل بكر خريدة ... وكل بنى عبس عليه شواهق
بكت العوالى يوم مشتجر القنا ... وناحت عليه البيض وهى خوارق
سقى الله أرضاً صار فيها مجندلا ... من الغيث وأسى الغيث فيها دافق
لقد خر فيها سيداً ومقدما ... مليح السجايا فى المكارم سابق
أيا حصن حصن نفسك اليوم واجتهد ... فخلفك منى مطلق الحد بارق
نسيتم وأنكرتم ضرابى وموقفى ... وشدة بأسى عند حق الحقائق
لقد شابت الأبطال من عظم سطوتى ... وخرت لسيفى فى الحروب السوابق
فمن ذا الذى أغراك ياحصن عامداً ... بقتل غصوب قد أتتك البوائق
وحق الله لاأنثنى عن أخذ ثاره ... ولاعاقنى عن مطلب الثأر عائق

(قال الراوى) إلا أن الأمير عنتر بن شداد لما فرغ من هذه الأبيات اجتمعت عليه الأمراء والقادات هذا وقد حمل غصوب ولده على جمل وأخذ بين يديه وسار طالباً بنى فزارة وفرسان بنى عبس تتقاطر من خلفه وحواليه فهذا ما كان من عنتر وما أصابه من الحرارة (قال الراوى) وأما ما كان من بنى فزارة الطائفة الغدارة فإنهم مازالوا سائرين طول ليلتهم وقد كثر عليهم خوفهم وزادت بهم مصيبتهم ولما طلع عليهم الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح اجتمعت أكابرهم واستشاروا على من ينزلوا وعلى أى الملوك يعولوا فاتفق رأيهم على ان يقصدوا من دون العربان الملك قيس بن مسعود ملك بنى شيبان حتى يجيرهم مما نزل بهم من الذل والهوان فقال سنان هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بنى شيبان الصناديد فتبادرت اليهم الرعيان والعبيد وقالوا لهم من أى العربان أنتم فقالوا لهم نحن بنو فزارة وقد أتينا كم قاصدين النزال عليكم فعادوا العبيد وهم يتبادرون وأعلموا الملك قيس فخرج إلى لقاء القادمين وأستقبلهم وحياهم وأتاهم بأعقاب اللبن وسقاهم وبعد ذلك قال لهم ويلكم ياسادات العرب ما حالكم وأى شىء الذى نالكم ومالى أراكم راحلين بحريمكم وعيالكم فعندها تقدم اليه حصن ابن حذيفة وقال له اعلم أيها الملك أنى قتلت غصوب بن عنتر وماقتلته إلا وأنا سكران لاأعقل على لسان وقد أتيناك لتكون عوناً على هذه النائبات وأنا أعطى أباه من عندى عشر ديات (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس من حصن هذا المقال قال له لعن الله أباسبالك

يا ابن الأنذال والله يا قرنان إنك تعديت وعلى حاميتكم افتريت ويلك يا ولد الزنا تفعل الفعلة المنكرة وتأتي تطلب مني نجدة على الأمير عنتر هيا قم من قدام وجهي لاشفيت ولا وعيت ومن المصائب لا نجوت والله يا كلب العرب وحرمة شهر رجب لولا اللبن الذي شربتموه من عندي لكنت قبضت عليكم كلكم وسلمتكم إلى الأمير عنتر يضرب رقابكم لعنكم الله يا بني اللئام ولعن من يعطيكم أمان أو ذمام والله لو كان ولدي بسطام هنا حاضراً لقطعكم كلكم بالسيف البتار وينزل بكم الندامة ولا تروا في طريقكم سلامة (قال الراوي) فلما سمع سنان ذلك الكلام اندهلوا ولقومهم طلبوا وكثر منهم البكا والنواح وانسدت في وجوههم أبواب النجاح ووقع بينهم الاتفاق أنهم يمضوا إلى أرض العراق وينزلوا على الملك الأسود ويخبروه بما جرى عليهم وتجدد ويستجيروا به من دون كل أحد وساروا بعد ذلك يطلبون العراق وهم يقطعون البراري والآفاق

(قال الراوي) فهذا ما كان من بني فزارة وأما ما كان من عنتر بن شداد فإنه سار بمن معه من بني عبس الأجواد وهو يقطع المنازل والوهاد مواظبين على البكاء والتعداد إلى أن وصل ديار بني شيبان فلما نظر الملك قيس إلى عنتر وقدومه خرج إلى لقائه وأخبره بما فعل في بني فزارة لما أتوه بهذه الوسيلة وأخبره أن ما بينه سوى يوم وليلة فلما سمع عنتر هذا السبب نادى فيمن معه من العرب وجدوا خلفهم المسير حتى يبلغوا منهم المآرب وعنتر يقول وحق من زين السماء بالنجوم وهو الحي القيوم الذي بقدرته الأطيار في البر تحوم ويعلم ما فوق الغيوم وتحت التخوم إن أجارهم في تلك الأيام الملك الأسود قطعت رأسه وأنزلت به الهموم وتركت أنفه مرغوم ثم أنه عذر الملك قيس وشكره فيما صنع معه من الجميل وأخبره بما جرى على غصوب ولده من الويل وبعد ذلك ودعه وأطلق عنان جواده وزاد على بني فزارة تحسره وأنكاده وسارت بنو عبس من خلفه وهم يسألونه عن لوعته وتلهفه وهم يقطعون الربا والبطاح وأبحر من تحت عنتر سابق الرياح ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأشرفوا على بني فزارة وهم مثل السباع الهدارة

(قال الراوي) وكانت بنو فزارة سائرة على هذا الحال وإذاهم قد سمعوا من خلفهم زعقات الرجال وصياح الأبطال فقال سنان بن أبي حارثة لحصن بن حذيفة أبشر يا حصن بالفنا والويل ثم التفت إلى بني فزارة وقال لهم قد أتاكم عنتر وبنو عبس لحقوقكم فإن لم تحاموا عن أنفسكم وإلا أفنوكم فعند ذلك جردوا القواضب واستعدوا للموت وحلول النوائب وقد عظمت عليهم المصائب هذا وبنو عبس قد أقبلت مثل السلاهب وداروا بهم من كل جانب فلما نظر الأمير عنتر إلى حصن بن حذيفة زعق زعقة عظيمة وغشي عليه فلما نظر الملك قيس إلى ذلك علم بحاله وقد خاف عليه من عقابه ووباله فأمر العبيد أن يقيدوه بقيد حديد في ساعة الحال وضعوا القيود في

رجليه والأمير عنتر من ذلك لا يعقل عما جرى عليه هذا والعرب تنظر إليه وتنتحب ثم أن الملك قال للعبيد أقيموا عنده أنتم وولده ميسرة وإياكم أن تفارقوه أو تتركوه فإنه إن أفاق من غشوته ونظر إلى حالته وقال لكم من فعل هذه الفعال فقولوا الملك قيس هو الذى فعل ذلك بيديه ولا أحد منكم يقرب إليه حتى أجىء إليه وأحله من الاعتقال (قال الراوى) وبعد ذلك قال الملك قيس لمن معه من الرجال دونكم والحرب والقتال والطعن والنزال وارموا أعداكم بالوبال وخذوا بثأر ابن حاميتكم غصوب هذا وقد حملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال وعمل بينهم الحرب والقتال واختلف الضرب بالنصال والطعن بالبيض الثقال ودارت طاحون الحرب بنفد الآجال وقصرت الأعمار الطوال وجرى بينهم من الأهوال مايشيب المهود فى الأطفال وقد امتزج الدم بالعرق ولمع صارم المنايا وبرق وتناثرت الرؤوس نثر الورق وتقطعت من شدة الضرب الدرق وأخذ الشجاع القلق وتمنى الجبان أنه لم يخلق ولم يزالوا فى قطع الرؤوس واختلاس النفوس حتى أقبل عليهم الليل بسواده العبوس ونزلت الطائفتان وتحاربت الفرقتان هذا وبنو فزارة الطائفة الغدارة قد استظهروا على بنى عبس ودخل فيهم الطمع بغياب حاميتهم عنتر بن شداد الأسد الأدرع لأنه كان مقيم فى غشوته وهو لا ينظر ولا يسمع وولده ميسرة ومازن أخوه عند رأسه يبكون عليه ولم يزالوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعندها اصطدمت القبيلتين وعمل القتال بين الفريقين هذا وبنو فزارة قد زاد نشاطها وكثر منها صياحها وعياطها وقد أيقنوا بالنصر والظفر لما علموا بغياب حامية عبس عنتر ثم أنهم حلوا بقلوب حنقة وقد دقت بنى عبس دقة وأى دقة فحمل فى ذلك الوقت الأمير ميسرة وقد أقبل كأنه النار المسعرة ودمه على خده مسكوب وقلبه على أبيه متعوب وهو ينعى أخيه غصوب بهذه الأبيات يقول صلوا على طه الرسول :

بنى فزارة يا من لا وفاء لها ... يا ناكثين العهد بين العوالم
لقد ختنموا بالرمح فارس قومه ... كريم المحيا من أناس أكارم
فوا أسفاً من بعد مصرع شخصه ... وقد كان صداماً لدفع العظايم
سددتم لأبواب العطايا بقتله ... وقد كان سماح العطا والمكارم
فسوف تذوقوا اليوم كأس حتفكم ... بأسمر عسال وأبيض صارم
غصوب أخى قد كان سيد قومه ... إذا مضت للحرب سمر اللهادم
غصوب أخى يفرى الجاجم فى الوغا ... ومن يقتل الأبطال يوم التلاحم
غصوب فتى بشرى الثناء بماله ... جرىء ومقدام لدفع المظالم
وسوف أجد اليوم فى أخذ ثاره ... ولو نهبت جسمى الرماح اللهادم

وإنى لميسـرة الحروب بجرى نهار الوغا عندى نهار الغنائم

(قال الراوى) وبعد إنشاده حمل وانقض عليهم انقضاض الأجل وأذاقهم الموت المعجل وطعن فى صدورهم وعاد الغبار كالليل واكتال القوم كيلا وأى كيل وأنزل بهم الذل والويل

(قال الراوى) وفى تلك الساعة أفاق عنتر من غشوته فوجد روحه مقيداً فى الحديد مصفدولم يعلم بعدما تجدد فصاح فى العبيد وقال لهم ويلكم يا أولاد الأنذال من فعل بى هذه الفعال فقالوا له إعلم يا أبا الفوارس أن ما فعل بك ذلك الفعل النفيس إلا الملك قيس ثم مضى إليه بعض العبيد وهو مع بنى فزارة فى القتال الشديد وأعلمه الأمير عنتر قد أفاق من غشوته فأتى الملك قيس إلى عنده وقد فرح واستبشر وحله من الاعتقال وأخبره بجميع الأحوال فلما سمع عنتر ذلك المقال علم أن الملك قيس ما فعل به تلك الفعال إلا من شفقته عليه من الأهوال فقام فى ساعة الحال وركب جواده بعد ما لبس درعه واعتد بعدة جلاده ثم قفز إلى نحو الصفوف فرأى الفرسان فى مقام الحتوف فصاح بصوت عظيم يصدع الحجر ويقلع الشجر وقال يا أوغاد غير أجاد أنا كم عنتر بن شداد فلما سمعت الرجال تلك الزعقة والدمدمة وقفوا عن القتال والمهاجمة ثم أشار إلى نحو بنى فزارة المنافقة الغدارة وقال ويلكم يا لئام غير كرام يا كلاب العرب يا أولاد الحرام أنتم تعديتم على وقتلتم ولدى وأحرقتم عليه كبدى فها أنا قد برزت لكم اليوم فدعوا عنكم التعب واللوم واخرجوا إلى قاتل ولدى حتى إننى آخذ ثارى بيدى وإلا هجمت عليكم ولا أزال أضرب فيكم بالحسام حتى أوردكم ورد الحمام ثم أنه بعد ذلك المقال أشار إلى بنى فزارة بهذا الشعر والمقال يقول صلوا على طه الرسول :

بنى بدر الطغاة يا نسل الكلاب أبشروا بالفنا منى وطول العذاب
بنى بدر لقـد جرتم علينا فابشروا منى بتقطيع الرقاب
فوحق الركن والبيت ومن طاف بالأركان ولبى وأناب
لا بد أن أريكموا هول اللقا وأذيقكموا الموت المعجل والعذاب
يا بـنى بدر أتيت إليكموا برجال دأبها طعن الهضاب
من بنى عبس الذى سادوا الورى يوم حرب من كهول وشباب
فابشروا بالويل من سيفى وفى كفى كعوب معتدل يوم الضراب
يا بنى بدر لقـد جمعتموا الرجال منكم كهولا والشباب
وغدرتم بالأمـير المنتخب للردا كم سد عنى كل باب
لا بد أن تبقى حلكم بلقعاً مسكناً للبـوم ومأوى للذئاب

(قال الراوى) ولما فرغ الأمير عنتر من أبياته وقد تصاعدت نيران زفراته فصاح على بنى عبس وعلى بنى فزارة انطبقت هذا وبنو فزارة عندما شاهدت عنتر انخذلت وجالت عليهم

بنو عبس واستظهرت هذا وعنتر قد أغرق سنانه فى القلوب ومزق الكبود وهو يقول يالثارات ولدى غصوب فعندها اقشعرت من بنى فزارة الابدان والجلود بقول الفرسان والجنود وفرق شمل مواكبهم بتواتر الطعان وهو يدمدم دمدمة الليث الغضبان وقد أرجف أبدانهم وتنكس الاقران وجندل فرسانهم ويضع الشجعان بأدميتهم الميدان عمل فيهم بالصارم اليمانى ونفذت الاسنة بالصدور والابدان وطلع الغبار إلى العنان وعثرت الخيل برؤوس الفرسان وتغيرت من الفزع الالوان هذا والامير عنتر يجول فى بنى فزارة جولان وهو يقتل فى شيوخهم والشبان حتى بلغ العرق إلى الأذقان وعادت الزيادة إلى نقصان وخسرت بنو فزارة غاية الخسران وحل بها الذل والهوان ولم يزالوا فى صدو لزام وتجريع الموت الزؤام إلى أن أقبل الليل وولى النهار بالابتسام فعندها افترقوا من بعض وقد امتلأت من القتلى جنبات الارض ورجعت كل طائفة إلى خيامها وقد أيقنت بنو فزارة بحمامها وهوانها وعلمت يقيناً أنها إذا قامت مع بنى عبس هلكت بشيوخها وشبابها فعندها استشاروا فيما يفعلون لأنهم علموا أنهم إذا قاموا يهلكون فقال بعضهم لبعض مالنا أصوات من الحرب فى ظلام الغيب والاحل بنا العطب فعندها اهتموا للرحيل وحملوا الحريم والعيال وساقوا معهم ما قدروا عليه من المال ورحلوا فى جنح الظلام بلا ضجة ولا جلبة ولا كلام (قال الراوى) وأما بنو عبس بعد أن ركبوا على الجرد القداح وأملوا فى ذا اليوم بالنصر والنجاح ولما ساروا إلى الميدان لم يجدوا لبنى فزارة خبر ولا بقية أثر فعندها قال الامير عنتر أنه سار خلفهم وطلبهم ما ينال منهم وطر إلا أنهم قد أوسعوا فى البر الاقفر وكان من جلة من أثر فى ذلك اليوم الماضى الف وستمائة أسير غير الذى قتل وانقبر فلما كان فى ثانى الايام ورأى بنى فزارة قد انهزمت زادت به الكروب وبعدها دعا بأخيه شيبوب وأمر أن يفحر لولده عصوب فلم يكن غير قليل حتى إنهم حفروا له حفر عميق ووضعوا فيه غصوب والدمع من أجفان عنتر مسكوب ولما ردوا عليه التراب قعد عنتر بجانب القبر ودعى بأسارى إلى بين يديه وشمر عند ذلك ساعديه ثم سحب سيفه الضامى وجعل يضرب منهم واحد بعد واحد وبنى عبس بين يديه إلى أن قتل الف وترك دماهم على الارض جامد ثم تقدم إليه الامير ميسرة ودموعه على خدوده منحدرة وهو فى غاية الحزن وذبح على قبر أخيه ثلثمائة ثم تقدم الامير عنتر وأراد أن يذبح الباقى والدم على الارض قد سار مثل السواقى فتقدم الملك قيس إليه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال له بحياتك يا ابن العم هب لى ما بقى ويكفى ما نزل عليهم من الذل والشقا لانهم على كل حال فنوا ابما أصابهم فقال الامير عنتر والله لا يشفى كربى ويطفى نار كبدى إلا الحصن بن حذيفة ثم قال الملك قيس دونك والاسارى قد أوهبتك إياهم فتقدم إليهم وحل وثاقهم ورد عليهم خيلهم وسلاحهم وقال لهم امضوا إلى أهاليكم فساروا عند ذلك وهم طالبين قومهم بعدما قتل أكثرهم

وشتت شملهم فهذا ما تم على بنى فزارة من العبر (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس وأبو الفوارس عنتر فإنه عاد إلى الأوطان بالفرسان حتى وصل ونزل فى بيت الأحزان وأقام فى عزاء ولده غصوب مقدار عشرة أيام حتى حل به الوجد والسقام .

(قال الراوى) وأما بنو فزارة فإنهم ساروا وهم فى ذل وخسارة حتى أنهم وصلوا إلى أرض الحيرة وقد عميت منهم البصيرة فعند ذلك أعلنوا بصياحهم وقد أكثروا من بكائهم ونواحهم وسمع ذلك الخبر الملك الأسود فحل به الذل والنكد فطلع إلى لقائهم ونظر إلى حريمهم وعيالهم فسألهم عن أحوالهم وقال لهم ما حالكم فقالوا له أيها الملك المفضال لقد أفنيت بنو عبس أبطالنا وأخذت أموالنا فقال لهم وأى شىء جرى بينكم من الأمور والفساد حتى أنكم صرتم مشتتين فى جميع البلاد فعندها تقدم إليه حصن بن حذيفة ودمه على خده مسكوب وقال له اعلم أيها الملك إنى قد قتلت ولده غصوب وجرى عليه ما كان مكتوب ولكننى يا ملك الزمان كنت فى ذلك اليوم سكران ولا أعقل إنسان وبعد ذلك رحلنا نقطع البرارى والقيعان حتى أتنا وصلنا إلى حى بنى شيبان وطلبنا من الملك قيس الأمان وأعلمناه بحالنا وأنا قد قتلنا ولد عنتر فردنا من دياره وقد توقدت من أجل عنتر ناره وصرنا طائعين إليك وقد أشرفنا على العنا والضيق فتلقانا عنتر فى الطريق قتل منا رجال وأى رجال وعدمهم السعادة والتوفيق وذلك غير ما أسر منا ألف وستمائة فارس من الرجال الأشاوس ونهبوا بعد ذلك أموالنا ورجالنا وأتينا إليك فى دياجى الظلما نطلب منك النصر والحما فانظر أيها الملك إلى حالنا وارحم ذلنا وسؤالنا ثم أشار الحصن إليه يقول صلوا على طه الرسول :

إليك قصدنا نقطع البيد والوديان	لنرجوك عوناً من جميع النوائب
فأنت الوفا ترجى لكل ملمة	وتكشف عنا كربنا والمصائب
إليك أتينا يا ابن الكرام لجرنا	فأنت المنا والعين يا ابن المطايب
لخذ ثارنا من وغد عبس وقومه	بنى عبس من خانوا العهود الغوالب
أجرنا عليهم ثم بادر لنصرنا	فلقد فجعت منا النساء الكواعب
فلا زلت فى عز مقيم ودولة	تبيد العــدا فى شرقها والمغارب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الأسود من حصن بن حذيفة شعره ومقاله رق قلبه إليه ورثى لحاله ثم قال لهم انزلوا عندى وأنا أحميكم بساعدى وزندى وسوف آخذ لكم بالثار وأكشف عنكم العار حتى أحضره من أسر ذليل هذا العبد الغدار ثم أنزلهم فى أحسن الأبيات ورتب لهم الأطعمة والعلوفات ولما كان بعد يومين من مدة نزولهم أقبلت عليهم باقى الأسارى الذين لهم وهم الذين كان سعى الملك قيس فى خلاصهم وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور ثم أنهم أخبروا حصن

ابن حذيفة بما تم عليهم ونالهم وأعلموه بأن الملك قيس هو الذى تشفع لهم ولولاه كان عنتر أفناهم عن آخرهم فعندها قام حصن بن حذيفة ودخل على الملك الأسود وقد حل به الويل والنكد فلما رآه الملك الأسود رحب به وسأله عن حاله فأخبره بما جرى على رجاله وكيف كان عنتر أبكاهم غاية النكاية وأنه ياملك قتل منهم الف فارس وثلثمائة على قبر ولده غصوب وأحل بهم الكروب فلما سمع الأسود بما جرى وتقدم قام وقعد وأرغى وأزبد وقال ويلك ياحصن وقتل منكم عنتر هذا العدد فى يوم واحد فقال له أى وحياتك أيها الملك الأمجد ولولا أن الملك قيس قد تشفع فى الباقى ما كان أبقى منهم أحد فقال والله ماهذا العبد إلا مصيبة عظيمة ومحنة عميمة ولقد طغى هذا العبد الأسود وجار بفعله وتمرد وهذا شىء ما بقيت أتركه يتم بيننا ولا بد ما أجد فى طلبه وأشفى منه غليل صدرى فطيبوا نفساً وقروا عيناً فسوف آخذ لكم منه بالثار ولكنكم والله يا حصن لقد جنيتم على أنفسكم فى هذا الشأن فالتفت إلى وزيره عمرو بن نفيلة وقال له أكتب إلى الملك قيس كتاب وترحم فيه بأحسن خطاب وأمره أن يأتى فى هذه المرة بعنتر وولده ميسرة إن كان لدولتى طائع وإلا هو عرضهما ويصير عمره ضائع وإن كان فى هذه المرة ما يتم والا سرت إليه بالعرب والعجم وقد صار يحذره وبالأمر الصحيح يخبره ثم أنه طوى الكتاب وأحضر فى عاجل الحال نجاب وكان ذلك النجاب من بنى شيبان فقال له الملك الأسود إنى أريد أن تسير من هاهنا بهذا الكتاب وتوصله للملك قيس ملك الأعراب وتأتينى من عنده برد الجواب فعندها سار النجاب على ظهر ناقته يحدى حتى وصل إلى أرض الشربة والعلم السعدى وسأل عن أبيات الملك قيس هل هو حاضر أم لا فأرشده عليه الرعيان فعندها سار النجاب حتى وقف بين يديه وخدم وسلم عليه بأفصح خطاب وسلم للملك قيس الكتاب فأخذه الملك قيس يقرأه وعرف رموزه ومعناه فعندها قامت عليه القيامة ورجع على روحه بالملامة وقد خاف من الملك الأسود وأعلم إخوته بما تجدد ثم أنه أوصاهم وقال لهم إياكم أن تعلموا أحداً حتى إننا ندبر على قبض عنتر وولده ميسرة ونستريح بعد ذلك من هذه الأمور المكدرة وأنا أريد أن أعزم عليه ومن الخمرة أسقيه فاذا سكر وعمل الخمر فى رأسه أقبض عليه وعلى ولده وأرسلهما بعد ذلك إلى الملك الأسود حتى يتركهما فى السجن سنه كاملة ولا يأتينى حتى يذل ويخضع ولا يرجع بعد ذلك على بجهل فاذا مرت عليه الليال والأيام لعله بعد ذلك أن يطلقه عما هو فيه من الإعدام فلما سمع إخوته مقاله شكروه على فعاله وقالوا له دبر ماتريد فنحن بين يديك مثل العبيد (قال الراوى) فهذا ما كان من الملك قيس ومادبر وأما ما كان من أبى الفوارس عنتر فانه كان غافلا من القضاء والقدر وما كان عنده من ذلك الأمر خبر وكان فى تلك الليلة قد تذكر قتل ولده غصوب وما نزل به من الكروب فبقى سهران قلقاً ودمعه على خده مندفقاً

ولما كان فى نصف الليل دخل عليه ابن الملك زهير ورقة وأخبره بجميع ما جرى وما تم بما دبر عليه الملك قيس ثم قال له دبر نفسك ولا تغفل عن روحك لئلا تسكن رمسك واكتم سرك ولاتظهره على أحد من أبناء جنسك فلما سمع عنتر هذا الخبر تذكر فيما فعل الملك قيس ومادبر ثم قال وحق من أنار القمر وأنبع الماء من الحجر لئن تعرض لى الملك الأسود لأنزلن به العبر وإن أرسل إلى أحداً بعسكر لاقيتهم بالصارم الذكر وبعد ذلك فهوأخبر بى من دون البشر وأما الملك قيس فسوف يرى ويبصر من الذى يربح من الذى يخسر ثم أنه أقام على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح .

(قال الراوى) فهذا ماكان من الأمير عنتر وأما ماكان من الملك قيس فإنه نهض إلى مادبر وبعدها أرسل بعض إخوته إلى الأمير عنتر وهو يدعوه ليركب معه إلى الصيد والقنص وانتهاز اللذات والفرص لأننى لا يطيب صدرى وهنايا إلا إذا كنت أنت سائراً معاية فقال عنتر السمع والطاعة وسوف أركب فى هذه الساعة ثم أنه ركب وولده ميسرة وأخذ معه من قومه عشرة وساروا طالبين مع الملك قيس الصيد والقنص وقد أوسعوا فى البر لأجل انتهاب الفرص ثم أنهم لم يزالوا يصطادون فى تلك القفار إلى آخر النهار وعادوا بعد ذلك طالبين الديار ولما وصلوا إلى الأبيات أقبل الملك قيس على عنتر وقال له ياأبا الفوارس أنت فى غداة غد تكون فى ضيافتنا ولا تفترقا كر النهار بل تكون عندنا حتى تكمل بك أفراحنا ويتم سرورنا فلما سمع عنتر مقال الملك قيس دعاله وقال له يامولاى ماأنا إلا عبدك وفى غداة غدأكون عندك ثم مضى كل منهما إلى أبياته والملك قيس زالت عنه حسراته وقد أيقن ببلوغ إراداته

(قال الراوى) وأما الأمير عنتر بن شداد فإنه لما وصل إلى الخيام أرسل إلى ولده ميسرة وسبيع اليمن وعروة بن الورد وكان قد أقبل الظلام ولما وصلوا عنده فى الخيام أخبرهم بما دبر الملك قيس من فعل اللئام وإنهم عند الصباح يكونوا عند الملك قيس بن زهير حاضرين وأن يكونوا فى أمورهم محاذرين فلما سمع عروة هذا المقال قال له ولم نصبر على هذه الفعال بل ارحل من هذه الأطلال حتى ننزل على الجميع الذل والوبال فقال له عنتر اعلم ياابن العم أن هذا الأمر لا ينتهى بحال ولكننا نصبر حتى يبدأ منهم الشر وبعدها نعمل على قدر ما نرى من الفعال ثم إنهم بعد ذلك الكلام انصرفوا إلى مضاربهم والخيام وطلبوا الراحة والمنام ولما كان عند الصباح أقبل سبيع اليمن وعروة وميسرة إلى عنتر وجلسوا بين يديه فالحقوا أن يجلسوا حتى أقبل رسول الملك إليه وقال له ياأبا الفوارس أن الملك قيس يدعوك إلى وليمة لنزداد بك فرحه ومسرته فقال له سمعاً وطاعة سر أنت قدامنا حتى نلحقك فى هذه الساعة ثم أن الأمير عنتر قام ولبس أثوابه بعدما لبس درعه من تحتهم وكذلك فعل سبيع اليمن وولده ميسرة وعروة بن الورد فعلوا مثل فعاله وساروا إلى

الملك قيس حتى ينظروا ما دبر من الأمر النفيس فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) فانه كان قبل قدومه نصب سرادقه وصفف فيه الزرابى والنمارق والبسط الحرير ووضعوا آلات الطرب والشراب ووضعوا البواطى وروقوا المدام ووضعوا كل شىء فى محله لأجل قدوم الرجال الكرام ولما اكتمل السرادق من هذا التدبير أمر الملك قيس العشرين عبداً أن يكمنوا لعنتر من وراء القزاز ليقتلوا عنتر وكانوا عبيداً غلاظ شداد معدودين للحرب والجلاد وقال لهم إذا رأيتم عنتر بن شداد وقد عمل معه الخمر فاخرجوا إليه وافعلوا به هذا الأمر واقبضوا عليه وعلى ولده ميسرة فإنهما يكونان قل منهم كل حيلة إلا أنهم ما فرغوا من ذلك الأمر الذى دبروه حتى أقبل سبيع اليمن وعروة بن الورد والأمير ميسرة وعنتر أبوه فتلقاهم الملك قيس وترحب بهم وقد استقبلهم أحسن استقبال وفى صدر السرادق أجلسهم ولما جلس الأمير عنتر فى وسط السرادق وجلست أصحابه من حواليه وسل سيفه الضامى وجعله على ركبتيه فقال له الملك قيس لما هذا المزاح يا أبا الفوارس فى محل المدام فقال له اعلم أيها الملك إننى ما أشتهى غير هذا الشأن فلما سمع الملك قيس هذا الكلام بدأ الضحك والابتسام وصاح على الخدام أن يحضروا الطعام ففعلوا ذلك المرام وبعدها دارت عليهم أقداح المدام فشربوا من ذلك الخمر العتيق ودارت عليهم الكاسات والطاسات والأباريق هذا والملك قيس يميل على عنتر ويسقيه وهو يأخذ منه ويشرب ولا يظهر جرداً ولا غضب هذا وعنتر قد سكر من المدام وقد انعجم لسانه عن الكلام

(قال الراوى) ولما علم الملك قيس أن السكر قد لعب بعطفيه قام قائماً على قدميه وكان قيامه رموزاً بالإشارة التى بينه وبين عبيده فتواثبوا العبيد على عنتر وكل منهم إليه قد بدا فما نظر عنتر إلى العبيد قد تواثبوا إليه حتى سحب سيفه فى يده وقام قائماً على قدميه وضرب أول القادمين عليه وأطاح رأسه من على كتفيه والثانى والثالث والرابع والخامس .

(قال الراوى) وأما الملك قيس لما رأى تلك المصائب خرج من السرادق وولى هارب وثار أصحاب عنتر وولده ميسرة وضربوا فى العبيد بقوة ومقدرة فولوا من أمامهم لما عاينوا شرب كأس حمامهم ومضى بعد ذلك الأمير عنتر وأصحابه إلى أبياتهم وقد زاد عليهم غيظهم وزفراتهم ثم أنه زعق على عبيده ورعاته وأمرهم بسوق الأموال وهذا بيانه وكذلك فعلت بنو عبس وعروة بن الورد ورجاله ولم تكن غير ساعة حتى فرغوا من أشغالهم وساروا وهم فى مائتين وخمسين فارساً للقاء كل نائبة وشدة هذا وبنو عبس وبنو زياد واقفين ومن فعال الأمير عنتر متعجبين ولما تقدمت الأضغان وسارت فى القيعان التفت عنتر إلى بنى عبس أجمعين وصاح فيهم ويلكم يا غادرين يا مكارين وللعهود خائنين لعن الله حالكم وقتلكم ولا أخاكم ها أنا قد رحلت عنكم ومن جوارى أرحتكم فاقنطوا بحالكم واحفظوا أرواحكم وأموالكم .

(قال الراوى) وكان قيس من وقت ما هرب دخل عند الحريم وقد رجع على نفسه بالملامة وهو يأكل كفه حسرة وندامة فبينما هو فى هموم وفكر وإذا قد وصل إليه الخبر بأن الأمير عنتر قد رحل فعندها نهض وركب جواداً من الخيل الجياد وصار إلى الأمير عنتر ابن شداد وقال له يا ابن العم ما سبب رحيلك عنا وإبعادك منا فقال له سفيه فعلك الردى ورأيك الأنكد لا شىء لما أتاك الكتاب ما أطلعتنى عليه وعرفتنى بالأسباب حتى أريك كيف يكون الجواب ومن حيث أنك كنت خائف منه كنت أنت أخليت عنى وعنه حيث ترى وتبصر من الذى يربح ومن الذى يخسر ولكن ها أنا قد رحلت من ديارك وأخليت لك أرضك وأطلالك. ثم أن عنتر ألوى رأس جواده وأعرض عن الملك قيس وتركه فى أكاده ولما تمادى به المسير أقبل على شيبوب وقال له يا أبا رباح اختر لنا منزلا يكون كثير المياه فى أى البطاح فقال له شيبوب يا أبا الفوارس والله ما أرى لك منزلا وفيه مياه وماء كثير غير عند صديقك عامر بن الطفيل لأن ديارهم واسعة وأمياهم نابعة فلما سمع الأمير عنتر من أخيه شيبوب ذلك الخطاب علم أنه رأى صواب وقال سر إلى ما شئت واقصد بنا ما هويت ثم ساروا بعد ذلك يقطعون البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى منازل بنى عامر وتلك الديار فتلقاهم عامر بن الطفيل فى جماعة من رفقاه وقد فرح بالأمير عنتر عند ملتقاه وفعلت أصحابه مثل فعاله وأقاموا فى تلك الأرض بيقين واستراحوا من سائر الناس أجمعين فهذا ما كان من الأمير عنتر وأصحابه وأما ما كان من الملك الاسود وحجابه فان النجاب أخذ الكتاب الذى فيه رد الجواب وأقبل على قيس ابن زهير وأراد قيس ألا يوقع عنتر فى التعيير ودرى عنتر بذلك الخبر وما أقام فى الاحياء بل رحل فأرسل قيس إلى الملك الاسود وأعلمه بذلك الخبر وأن عنتر من جوارهم قد رحل فأرسل الاسود النجاب إليه ثانياً لا بد أن تدوروا عليه وتعرفوه فى الطلول حتى أسير إليه وآخذ روحه من بين جنبيه فلما وصل إليه النجاب وأخذ الملك قيس منه الكتاب فضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فعندها دعا بالربيع بن زياد وأخبره بذلك الإيراد وقال له كنا نريد أن نعرف أين نزل عنتر ومستقره فى أى البلاد فقال له الربيع بن زياد ما فى الامر إلا أننا نرسل فارسين يدوران فى سائر الحلل وينظران عنتر فى أى الاماكن نزل وبعد ذلك فما يكون إلا فى بنى هوازن أو فى بنى عامر ولكن الاولى أن يسيروا إلى بنى عامر فإن وجدوه هناك يرجعوا إلينا ويعلمونا بالخبر فدعا الملك قيس بفرقتين من بنى عبس الجياد وقال لهم امضوا واقصدوا إلى ديار بنى عامر ولا تعودون إلا بالخبر على صحته وانظروا أين هو نازل بعشيرته فعندها سار ذلك الفارسان يقطعان البرارى والمحاجر قاصدين إلى ديار بنى عامر فعندها امتلأت قلوب بنى عبس غيظاً وأحقاداً على

الملك قيس والربيع بن زياد لاجل مافعلوا فى حق عنتر بن شداد لانهم ما كانوا يأمنون على عيالهم وأموالهم من كثرة الاعادى والاضداد إلا أن كان حاضراً فى الحلة الأمير عنتر بن شداد هو ومن كان معه من الفرسان الجياد وكيف أذل لهم رقاب العباد وبه ارتفع قدرهم وسار ونحن والله إن لقيناه ووقعت أعيننا عليه أخبرناه بالذى أتينا فيه فقال الآخرون والله لقد صدقت مقالك افعل ما بدالك وهاأنا مطاوعك فى أعمالك فوالله مثل الامير عنتر ماينفرط فيه ولانعين عليه أعاديه ثم إنهم ساروا طالبين ديار بنى عامر وقدقصدوها حتى إنهم وصلوا إليها فعارضهم فارس راكب على جواد من الخيل الاصايل فسألوه عن الامير عنتر وأين هو نازل فقال لهم وما تريدون منه وما معكم له من الخبر فقالوا له نحن من بنى عبس ولنا عنده حاجة داعية إليه فقال لهم ماهو أسفل منكم بجانب تلك الربوة فلما سمعوا من الفارس ذلك المقال ساروا إلى تلك الربوة والتلال فوجدوا الامير عنتر هناك نازل وقد نصب أبياته حول الغدران والمناهل وحوله أصحابه وأقاربه فتقدموا إليه وقبلوا يديه فلما عرفهم حياهم وسلم عليهم واستقبلهم وأحسن ملتقاهم وقال لهم أين أنتم سائرون فعندها أخبروه بالخبر وأطلعوه على جلية الامر فلما سمع الامير عنتر منهم ذلك الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لهم أنتم قد جوزيتم خيراً ولا رأيتم شراً ولا ضراً وأما الملك قيس فما أنا فاكر فيه ولافيما يفعل وسوف يندم إذا ضاقت به الحيل ولكن سيروا إليه وأخبروه بما عاينتموه ولاتخفوا عنه شيئاً مما شاهدتموه فعندها سار الفرسان وهما للأمير عنتر شاكرين ولأياديه ذاكرين حتى إنهم وصلوا أرضهم ودخلوا على قيس هلكهم وأخبروه بالخبر وذكروا له حال الأمير عنتر وأنه نازل فى أرض بنى عامر ولا عنده خوف ولا فزع لامن بادى ولا من حاضر فلما سمع الملك قيس ذلك الخطاب كتب فى عاجل الحال كتاب وأرسله إلى الملك الاسود لتلك الأسباب وأن عنتراً قاطن ومقيم فى بنى عامر على بئر معاريه وماء النظيم وهو فى عز ونبل عند عامر بن الطفيل فلما وصل الكتاب إلى الملك الأسود وعلم بحال الأمير عنتر وما عنه تجدد وكان حصن ابن حذيفة وسنان بن أبى حارثة عنده مقيمين وهم بين يديه حاضرين ولما سمعوا ما فى الكتاب فرحوا بتلك الأسباب وكيف أصبحت بنى عبس على عنتر غضاب .

(قال الراوى) ثم أن الملك الأسود أقبل على وزيره عمرو بن نفيله وقال له ماتقول أيها الوزير فى هذه النوبة الطويلة فقال له أيها الملك إنى رأيت من الرأى الصواب أن ترسل إلى الملك قيس كتاب تأمره هو ومن معه من الأصحاب وتصلح بينهم وبين بنى فزارة وأما من جهة عنتر فامهله أيها الملك فى وقت آخر فلما سمع الملك الأسود من وزيره هذا

الخطاب علم أنه ماقال إلا الصواب وأمره فكتب لقيس كتاب ثم طواه وسلمه إلى النجاب وقال سر بهذا الكتاب إلى الملك قيس بن زهير وإياك والتوانى فى التقصير فعندها سار النجاب يقطع البرارى والهضاب إلى أن وصل إلى بنى عبس الأنجاب ودخل على الملك قيس وسلمه الكتاب فارسل الملك قيس خلف الربيع بن زياد وكان أخوته حاضرين وقرأ عليهم الكتاب وقال لهم اشيروا علينا بما يكون فيه الصواب فلما سمعوا مافى الكتاب قالوا له أيها الملك ماعندنا أصوب من المسير اليه والقدوم عليه وتأخذ روحه من بين جنبيه فعندها أجابهم إلى هذا المقال وعزم على الجد والترحال وخلف الحلة والمال والعيال أخاه جندل وترك عندهم خمسمائه فارس ريبال وأوصاهم على المال والعيال وسار هو فى بقية الرجال وطلبوا أرض الحيرة وتلك الأطلال

(قال الراوى) فعندها قبل الملك قيس على أخوته وهو سائر فى البر الأقفر وقال لهم اعلموا أننى أقول أن الملك الاسود ماأرسل خلفنا إلا مراده أن يقطع الشر بين بنى فزاره وبيننا ويصلح بيننا على قتل عنتر وأنا أيضا قد خطر ببالى رأى آخر ولا بد له أن يذكر ومرادى أطلعكم عليه وأريد منكم أن تساعدونى فيه فقالوا له أخوته أبديه لنا ولا تخفيه حتى أننا نعرفه وندرك معانيه فقال لهم أن الملك الأسود أراد أن يتزوج بالمتجردة زوجة أخيه فماذا يكون جوابى اليه فقال له الربيع بن زياد والله ياملك إنى اشتهى أن يكون الأمر كما خطر ببالك حتى تبلغ من عنتر آمالك ولا تحسب أن النعمان مات ولا حلت به الآفات ثم إنهم لم يزالوا سائرين على تلك الوسيلة حتى وصلوا إلى أرض الحيرة هو ومن كان عنده من أقاربه وجميع اجناده وعشيرته وتلقاهم وترحب بهم وعظم ملتقاهم ودخلوا إلى الحيرة فى جمع عظيم وكان لدخولهم يوم مشهور ولما كان حولهم من كل فارس مخبول ثم انه انزلهم عنده وقد فرح بهم وابدى لهم طاقته وجهده وقرب الملك قيس اليه من دون الفرسان ثم اصلح بينه وبين حصن بن حذيفة وأيضا سنا فى بن أبى حارثة وقال ماأحسنكم وانتم هكذا رحالكم مستقيم ومابينكم وبين ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم ولكن ضمانة على وأناله ولأمثاله وسوف اقتله وافنى رجاله فقالوا أيها الملك لاعدمنا همتك وعزمك وسعادتك ودوام مملكتك فعندها شكرهم واثنى عليهم وأمر الخدام بإحضار الطعام فامتد السماط واكل الخاص والعام وبعدها شربوا المدام واكرمهم غاية تنوقت الناس وأبطلت السقاة دوران الكاس وأقام الربيع بن زياد والملك قيس واخوته إلى دار بجانب القصر أعدت لهم ولما مضوا ولم يبق عند الملك الأسود من تلك الخلائق

أحد دعا بوزيره عمرو بن نفيلة العدوي فأقبل الملك الأسود عليه وأراد أن يبيح بسره إليه وقال له أيها الوزير أنت الصاحب والمشير إعلم أنني عزمت أن أخطب المتجردة بنت الملك زهير زوجة أخي الملك النعمان وأريد منك المساعدة على هذا الامر والشأن فقال له الوزير بالله يا ملك لقد عزمت على خير السبب لأن ابن عمي كما تعلم أنها جمرة العرب وإن كنت عزمت على هذا الشأن ومرادك وقصدك في هذا التمني فلا تعرف هذا الأمر إلا لي وها أنا ماض بهذه الرسالة ثم أن الوزير في عاجل الحال دعا بالربيع بن زياد فحضر عاجلا بين يديه ولما حضر أعلمه الوزير بكل ما جرى وتجدد وأن المتجردة أخت الملك قيس طالبها الملك الأسود وما أعلمتك بهذا الحال إلا لتعاونني على الملك قيس في بلوغ الآمال حتى لا يتمنع ويتزوج الأسود بأخته المتجردة التي هي زوجة الملك النعمان ويصيروا أصهار مثل ما كانوا من قديم الزمان فقال الربيع سمعاً وطاعة ثم أن الربيع مضى من عند الوزير عمرو بن نفيلة بهذه الوصية ومعانيها حتى دخل على الملك قيس وأخبره بالزواج وأن يترك المخالفة واللجاج ثم أنهم بعد ذلك الإيضاح باتوا تلك الليلة في هنا وأفراح إلى أن أصبح الله بالصباح وساروا الى قصر المملكة ودخلوا أرباب الدولة عند محتبكة فقام إليهم الملك الأسود عند ملتقاهم وترحب بهم وحياهم وأجلسهم عن يمينه وبجل الملك قيس وأعلا مقامه ومقداره وأجلس حصن وسنان عن يساره وقد حضرت أمراء العربان وسادات الفرسان وجلست على قدر طبقاتها وترتبت أصحاب المقامات في مقاماتها فعندها أقبل الوزير عمرو بن نفيلة العدوي على قيس وقال له ياملك قد قصدناك في أمر لكم فيه الخير فلما سمع الملك قيس مقاله قال له أيها الوزير ما حاجتك حتى إنني أحملها على السمع والبصر فقال له إعلم أن الملك يخطب منك كريمتك المصونة والجوهرة المكنونة لأنه قد رغب فيك فيجب عليك أن ترغب فيه وهي زوجة أخيه وهو كما علمت ملك مسدد وهو أحق بها من كل واحد فإذا صار صهرك كما كان أخوه الملك النعمان ارتفع قدرك على جميع العربان (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام نهض قائماً على الأقدام وقال للوزير سمعاً وطاعة وهي له أمة من هذه الساعة فقال له الوزير ما هي إلا صاحبة القصر والحاكمة على ما فيه طول الدهر ثم أنه أخذ بيد الملك قيس ووضعها في يد الملك الأسود بغير احتجاج وصالحه وناكحه وعاقده على الزواج فلما نظر حصن بن حذيفة إلى ذلك الشأن صعب عليه وحل به الخذلان والتفت إلى سنان وقال له أما ترى إلى هذه الأسباب وكيف عادت بنو عبس ثانياً إلى الملك أصهار وأنساب كما كانوا من قديم الزمان لأخيه الملك النعمان ورجعنا معهم إلى الذل والهوان فلما سمع سنان مقاله ونظر إلى تغير

أحواله قال له لا يضرك هذا المعين فانهم على كل حال بنو عمنا وإن كان الملك قيس زوجه بأخته فعمتك أنت الآخر من قديم الزمان معه وأما الملك الأسود فانه نهض وقال يا العرب احمدوا الرب القدير الذى جمع شملكم وإلا كنتم هلكتم وحل بكم دماركم وأنا أريد منكم أن تتركوا هذه العداوة والبغضاء وتكونوا كلكم يداً واحدة ثم أنه أخذ بيد الملك قيس وبيد حصن بن حذيفة وأصلح بينهما فى الحال وقال لهم قبل كل شيء هلاك عنتر بن شداد ويأخذ حصن بن حذيفة بثأره وثار من قتل من رجاله فلما سمع العرب مقاله ضجت إليه بالدعاء وشكروه على فعاله وقالوا له أيها الملك نحن لك وبين يديك وسوف تقهر أعداك وحاسديك فلما سمع الملك الأسود مقالهم شكرهم على فعالهم وأقاموا ذلك اليوم فى لعب وانشراح وأكل طعام وشراب راح والملك الأسود يفيض عليهم بالأنعام إلى أن أظلم الظلام فعندها افترقوا للمنام ولما كان من الغد أحضر الكبير الصغير فدفع الملك الأسود إلى قيس مهر المتجردة الف ناقة من النوق العصافير ومائة جواد من الخيل الجياد ومائة ثوب من الديباج ثم أنه خلع على الملك قيس وقال له أيها الملك سر إلى أهلك وأنت مبجل مكرم موقر حتى تنجز الأمر فى هلاك عنتر وإذا فرغت قلوبنا من هذه القضية المنكدة أنفذت إليك فى طلب المتجردة فقال له الملك قيس والله ياملك هذا الأمر ما نفعله بل نحمل إليك زوجتك قبل كل شيء نعمله وبعد ذلك نتفرغ كلنا إلى قتال عنتر فقال الملك الأسود للملك قيس افعل ما تريد (قال الراوى) وكان ورقة ابن الملك زهير من محبين عنتر وكان كلما سمع هذا الحديث يكاد قلبه أن ينفطر وقال والله هذا شيء ذميم ولكن لا بد أعلمه بما دبره أخى قيس من هذا الفعل الذى ما يفعله إلا كل لئيم ثم أنه اختلى بمفرده وكتب جميع ما دبروه فى كتاب ودعا بعبد من عبيده وقال له أريد منك أن توصل إلى الأمير عنتر هذا الكتاب وتعود إلى من عنده برد الجواب فعندها أخذ العبد الكتاب وسار به يقطع القفار فى الليل البهيم حتى وصل إلى بئر معاوية وماء النظيم وأما الملك قيس وبنو زياد فانهم رحلوا طالبين أرض الشربة العلم السعدى ولم يزالوا يقطعون القفار حتى وصلوا إلى قومهم والديار ولما استقر بالملك قيس القرار أمر العبيد باصطناع الولائم ورتع فيها القاعد والقائم ولما راجت تلك الوليمة جهز الملك أخته المتجردة وأنفذها مع أخيه نهشل إلى بلاد العراق وأنفذ معه ثلثمائة فارس من كل ليث ممارس وساروا طالبين الحيرة بما معهم من الجنود حتى وصلوها وكان لدخولهم يوم مشهود فتلقاهم الملك الأسود فى أبطاله والجنود وقد أنفق ذلك اليوم مالا بمدود ودخلت المتجردة إلى القصر وقد فرحت بذلك العز والنصر وفى تلك الليلة دخل بها الملك

الأسود وفرح بوصالها وفرحت هي الأخرى بذلك الشأن وقد تسلت بالأسود عن أخيه النعمان ولما كان عند الصباح كثرت الأفراح والمسرات وخلع الاسود على نهشل وأرسل معه الخلع والهدايا إلى الملك قيس وإخوته الكرام فهذا ما جرى لهؤلاء من الكلام .

(قال الراوى) وأما ما كان من أبي الفوارس عنتر البطل الهمام فإنه كان مقيم فى أبياته وقد أمن من نوايب الدهر وآفاته فبينما هو جالس فى بعض الايام وحوله أصحابه الكرام وإذا قد عجل نجاب الامير ورقة بالكتاب عليه وقبل يديه وسلم الكتاب فأخذه الامير عنتر من يديه وسلمه للأمير عروة ليقرأه عليه فلما قرأه وفهم عنتر معناه حتى عروة لما أتى إلى آخره التفت إليه عنتر وقد خنقته العبر وقال له ويلك يا أبا الابيض أما تنظر إلى هذا الامر الذى تحق فيه ومالنا فى بنى عبس صديق غير الامير ورقة ترتجيه ولكن اكتب الآن إليه كتابه واشكره فيه بحسن الخطاب وقل له أما اجتماع العرب على فلا أعتنى به ولا أفكر فيه ولو أنهم بعدد الرمل والحصى وسوف أمزقهم فى جنبات البيد ولا أترك منهم من يخبر بخبر وأما عداوة الملك قيس إلى من دون البشر فسوف يندم حيث لا ينفعه الندم ثم أن عنتر بعد انصراف العبد من عنده أقبل على الامير عروة وقال له يا أبا الابيض يجب علينا أن نحترز من أعادينا مادام أن قيساً قد تجرد لنا وعزم على قتالنا بعد مافعلت فى حقه مافعلت بتلك الإشارة وأذللت له رقاب بنى فزارة وكذلك الاسود ملك العرب وعاديتهم من أجله بكل سبب ولكن لابد له أن يندم إذا رأى بعينه الهلاك والعدم فهذا ما كان من عنتر وقصته .

(قال الراوى) وأما ما كان من الملك قيس وإخوته والربيع بن زياد فإنهم داموا على عمل الولائم والفرح والسرور الدائم وهم يقولون ما أحسن هذا بغير ذلك العبد الزنيم فيقول الربيع بن زياد أما تستحوا على أنفسكم بهذا العبد الذى تولوه وأى شيء هذا العبد الخسيس حتى إنكم كل شيء تذكروه وحق ذمة العرب لابد للملك الاسود أن يطلبه وسوف يظفر به ويقطع شفتيه ويعطبه (قال الراوى) وكان الامير عنتر من من حذره على نفسه من الملك قيس ومصائبه والربيع بن زياد ومكايده صار كل يوم يركب وسبيع اليمن وعروة بن الورد وولده ميسرة وأخيه شيبوب وهم مثل النار المسعرة ويبعد الفرسخ والفرسخين فى البرارى المقفرة ويطلبوا بذلك لعلهم يطلعوا على حيلة تكون من أعدائهم مدبرة .

(قال الراوى) فبينما عنتر سائر فى تلك الربا والسباسب وإذا قد لاح له نجيب كأنه السحاب ومن فوقه نجاب وهو راكب فلما نظر عنتر إليه وقد أشرف من صدر البرية عليه فقال لعروة بن الورد يا أبا الابيض انظر إلى هذا الراكب المطية الذى قد أتى من هذه البرية قال نعم وحق رب البرية ومن شرف الكعبة البهية ماهذه الراكبة إلا عبسية

ونحن على كل حال لا بد من تعرضنا إليه حتى أننا نعلم ما هو فيه ونطلع على أحواله ونبصر مقاله فعندها أطلق عنانهما حتى إنهم ادركوه وزعقوا فيه وأوقفوه ثم تقدم عنتر إليه وقال له ما أنت أيها السائر فى تلك السباسب وتأمله عنتر وإذا به من بنى عبس الغرر فلما عرفه حياه وترحب به وقال له ويلك يا ابن العم من أين أقبلت وإلى أين تريد لانى أراك تسير وأنت وحيد فريد فى هذا القفر والبيد فقال له أما قدومى فن بنى عبس التى قد طابت أحوالهم دون العرب وأما إلى أين أريد فإنى طالب بعض أحياء العرب لاجل حاجة لى وسبب فقال له عنتر وأى الحال تطلب وما هو الامر الذى أعياك إلى هذا الجد والطلب فقال له قاصد بنى زبيد من دون العرب ومعى كتاب إلى الامير عمرو بن معد يكرب وهو أن الملك قيس بن زهير يعلمه بما صار إليك بعلو المنزلة فقال له عنتر وكيف حال الملك قيس مع أهله فى بلده فقال يا عنتر أن قيس اليوم ليس كما تعهد لانه قد صار صهر الملك الاسود ولا بقى يقاومه من العرب أحد وأيضاً الملك حصن بنى سيد فزارة اصطلح معه وقيس اليوم ملك بلاد الحجاز واليمن ولا بقى يقاومه مقاوم فى بلاد الحجاز ولا فى اليمن فلما سمع الامير عنتر وصف قيس ومدحه فيه اغتاظ منه وقال له انزل يا ابن العم حتى إننا نضيفك عندنا ونطعمك من طعامنا فقال له أنا ما لى قــدرة على ذلك الفعل لانى من أمرى على عجل فقال له إن كنت ما تنزل حتى نكرمك وإلا أرنا الكتاب الذى معك فقال له وكيف يجوز لك أنت هذا السبب وكيف تتطلع أنت على أسرار ملوك العرب فقال عنتر لا بد لى من ذلك لان لى فيه أرب فقال هذه أمور لا تنالها ولا أدعك تطلع على أحوال الملوك وأسرارها فلما سمع عنتر مقاله شال يده ولطمه على قامته فكظم الارض بخلقته وكاد أن يغش عليه ثم أن قلبه من على كور ناقته وقال له فى است أم هذه اللحية التى هى الفشار وقلة الأدب وأى شىء أفكر أنا فى قيس أو بعمرو بن معد يكرب ثم انه مد يده إلى مزودة وأخذ الكتاب منه وأعطاه لعروة بن الورد ففكه وقرأه ولما عرف الامير عنتر رموزه ومعناه أخذه منه عروة وحدفه اليه .

وقال له اذهب إلى صاحبك لعن الله بطنا حملك فعندها سار مناهل وهو لا يصدق بنجاته من المعاطب وبعدها اقبل الأمير عنتر على الامير عروة بن الورد وقال يا ابا الأبيض قد صدق ورقة فيما قال ولقد نصحنا فى المقال وبعد ذلك وحق

أرسخ الجبال لا بد لى من الغارة على بنى عبس وأنهب أموالهم ونوقهم وجمالهم وأهدم منزلتهم كما شيدتها وأعدمهم أرواحهم وأسبى عيالهم لأنهم قد بالغوا فى حقى بالعداوة فلما سمع عروة كلامه تعجب من عزمه واهتمامه وقال له يا أبا الفوارس وتنهب أموال بنى عمك بهذا السبب فقال له أى وحق ذمة العرب لا بد لى من المسير إلى أطلالهم وأخذ نوقهم وجمالهم وأبصر إن كان الأسود ينفعهم إذا نزلت عليهم الباغية أم لا وأتركها معهم عداوة صادقة فقال له الأمير عروة الامر إليك وها أنا وحى بين يديك فقال له الامير عنتر عدنا إلى الحى حتى تدبر أمرنا قبل كل شيء ونلبس آلة الحرب ونعقد بالطعن والضرب فعندها عادوا إلى البيوت وعنتر كاد من الغيظ أن يكون مفقود ثم أنه أحضر أعمامه وما يعلم أنه يقوم مقامه وأعلمهم بجميع ما جرى من الحال وما الذى عزم عليه من الفعال ثم أنه أوصى بنى قراد الاحتراز واليقظة وترك الرقاد وقال لإبنه وأعمامه إذا استدعا كم ملاعب الاسنة فاحذروا أن تخشوه فقال له عروة يا أبا الفوارس أن الكتاب إذا وصل إليهم وهو مفكوك الختم فلا بد لهم أن يسألوه عن ذلك الحال فقال عنتر وأنا ما فعلت به تلك الفعال إلا لاجل أنى نازل بأرضهم فيصعب عليهم ذلك الكلام إذا سمعوه يكرهوه ولا يستحسنوه وإذا هم سمعوا السفرتى حدثوا أنفسهم بما يريدونه عند غيبتى فلما سمع عروة ذلك المقال ثم أنهم بعد ذلك الشأن ركبوا وساروا يقطعون البرارى والقيعان ولم يزالوا سائرين بهمة مجتهدين حتى بقى بينهم وبين بنى عبس ليلة واحدة فساروا تلك الليلة تحت ظلام الاعتكار حتى أصبحوا بنو عبس عند طلوع النهار فعندها أكنوا فى مكان يسترهم من العين وصبروا حتى سرحت أموالهم مقدار فرسخين فعندها خرج الامير عنتر بن معه من الرجال وغاروا عليهم وساقوا جميع الاموال وضربوا فى أقفية العبيد ضربات مثل فتوق الاعداء فعندها ساقوا بين أيديهم الاموال وهرب الباقون وهم للحلة طالبون فى حالة الذل والتعثير فقال لهم الملك قيس يا ويلكم ما الخبر وما هذا الصياح المنكر فقالت له العبيد يا مولانا أن بنى خثعم وبنى مراد قد ساقت جميع الاموال وقتلوا جماعة من العبيد وتركوهم مطروحين فى جنبات البيد .

(قال الراوى) وكان عنتر وأصحابه عند حملتهم غيروا أسمائهم وانتسبوا إلى غير قبيلتهم وصاحوا عند حملتهم بالخثعم يا مراد فلما سمع الملك قيس من العبيد هذا المقال قال لهم وهذه الخيل والرجال الذى ساقت الاموال كم يكونوا فى العدد فقالوا أيها الملك يكونوا أكثر من مائتين فارس لمن يعاين ولمن يقايس إلا أنهم أسود عوابس كأنهم الجن والأبالس

(تم الجزء الرابع والأربعون ويليه الخامس والأربعون)

الجزء الخامس الأربعون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيس من العبيد هذا الكلام قال لهم ياويلكم كم تعظموا علينا المرام وأى شىء يكون قدر المائتين فارس حتى تفعل بنا هذه الفعال ثم أن الملك قيس قال الخيل يا أرباب الخيل النفائس ثم استوى فى الحال على ظهر جواده داحس وكذلك فعلت سائر أخوته والربيع بن زياد وقبيلته وركب بجانبه أخوه عمارة وقد أكثر من هذيانه وفشاره ثم ساروا وهم الف فارس من كل مدرع ولابس وسارت العبيد بين أيديهم حتى وصلوا إلى محل الوقعة ومن هناك أخذوا على آثار المال وساروا على آثار ركض الخيل والجمال ومازالوا سائرين فى البر الاقفر إلى أن ولى النهار وأدبر فعندها غاب عنهم الأثر وقد ساروا على غير الطريق التى سار فيها عنتر ورأوا الليل قد أظلم عليهم واعتكر ومازالوا سائرين حتى طلع عليهم الصباح وانفجر وإذا قد وقعوا فى بر أقفر يتوه فيه الدليل ويتحير فعندها وقفوا ورجعوا على أنفسهم بالملام لانهم خرجوا من ديارهم وساروا فى الظلام هذا وقد راعهم صياح الغربان والبوم التى تنعق على تلك الآكام وقالوا والله ماهذه الطريق الذى سلك العدو فيها ولالهم آثار فى نواحيها ومابقى غير إننا نعود إلى الديار بالوبال والندامة وإلا حل بنا الهلاك والدمار ثم إنهم رجعوا إلى ديارهم وقد أخذت أموالهم وقاسوا تلك الشدة الزائدة ورجعوا من غير فائدة فلما نظر ورقة إلى هذه الأحوال زاد به الغيظ وحل به الانذهال وقال لأخيه قيس أنظر يا أخى أول بركات بعد عنتر عنك والله بعد ماتنهب أموالنا عرب البرارى والبيد وترى من الآن كل يوم صعب شديد بغيبة عنتر عنا الذى كان حامى أحرارنا والعبيد (قال الراوى) هذا ماجرى ها هنا من الخبر وأما ما كان من أبى الفوارس عنتر فإنه لما ساق الاموال وفعل تلك الفعال سار يقطع الفيافى والتلال والعبيد بين يديه تسوق المال والجمال وهم يقطعون البر والمحاجر حتى انهم وصلوا إلى ديار بنى عامر ونزل فى أبياته وأعطى تلك الجمال لرعاته وقد كثرت أمواله وخيراته وخرجت عبلة اليه وفرحت بقدومه ثم أقام الامير عنتر بين أهله وقومه ولم يزالوا على تلك الاحكام مدة خمسة أيام تمام ولما كان فى اليوم السادس أقبل عنتر على عروة بن الورد وقال له يا أبا الابيض نحن لابد لنا أن نحترز من المصائب والمكايد لان العرب قد رمتنا عن بالها بقوس واحد ومافيهم أحد إلا وهو لنا معاند وإن لم نحترز من سائر العباد وإلا حلت بنا الانكاد لان قيس بن زهير قد جاهرنا بالعداوة وصالح بنى فزارة وبنو عامر قد كرهونا والدليل

على ذلك أنهم قرأوا الكتاب وما أعلمونا وما يعلموا أنتاقرأنا الكتاب والعرب قد عادتنا من كل الجهات والصواب إننانرحل من هذه الاطلال ونأوى إلى بعض أحاقيف الجبال ونحصن فيها أموالنا والعيال .

(قال الراوى) فلما سمع عروة من عنتر هذا المقال والخبر قال له ياأبا الفوارس أنت قد غيرك الكبر ويجب عليك أن تدبر أمرك وأمرنا معك لأن الملك الأسود قد طلبك والعرب جميعها عليك قد اجتمعت وما بقى أحد منهم إلا ويقصد اليك وأنت معول أن ترمينا فى بحر آخر ماله أول من آخر وأنا والله خائف عليك أن تهلك وتهلكنا معك فلما سمع عنتر من عروة هذا الكلام قال له ياأبا الأبيض أنا أعلم أن العربان تقصدنى من كل جانب ومكان فإن كنت يا ابن العم تعلم أنك من هذا فزعان فامض أنت واقصد بنى عمك من قبل هذا الشأن . فهم والله يقبلوك ويفرحوا بك ويشكروك وأنا أعذرك ولا أحملك مالا طاقة لك به وأنا أعلم بأنك قد ضجرت من معاشرتى فامض إلى قومك وخل صحبتى فلما سمع عروة من عنتر هذا المقال أخذته الدهشة والإنذهال فبينما هم فى تلك الأقوال وإذا قد أقبلت عليهم جماعة من أهل الثنا والمفاخر فتبينوهم وإذاهم بنو عامر وهم ملاعب الاسنة فارس الخيل وخائض الليل وعلقمة بن علاقة وعامر بن الطفيل والاخوص بن جعفر الفارس النبيل فعندها وثب الامير عنتر وعروة بن الورد وبنو عبس وتلقوهم بالاكرام ولما استقر بهم المقام أتاهم الامير عنتر بشىء من الطعام وأكرمهم وفرح بقدوم هؤلاء السادات الكرام ولما فرغوا من أكل الطعام جلسوا للحديث والكلام فعندها أقبل عليه الاخوص بن جعفر وقال له ياأبا الفوارس لايكن قد بقى فى قلبك شىء من الوساوس لأجل أننا قرأنا كتاب قيس وفهمنا معانيه ومافيه من التهديد والوعد والوعيد وما أعلمناك بشىء من ذلك فتظن أننا فزعنا من الملك قيس ووعده وقوله إن الاسود يسير الينا فى جنده وأعوانه أو تظن أننا رحلنا عن جوارك بهذا السبب لا وحق ذمة العرب لاتخلينا عنك ولو ذهبت أرواحنا فى هواك وقلعت أصولنا فى رضاك وإن اقمت اقمنا وإن رحلت رحلنا وإن حاربت حاربنا وإن صالحت صالحنا فلما سمع مقالهم الامير عنتر فرح بذلك واستبشر ثم اقبل عليهم وقال لهم ياسادات العرب لابد لنا من التدبير فى هذا السبب والرحيل من هذه الاراضى والسبب من قبل ان يأتينا الطلب ولاسيما المال والعيال نخاف عليها ان تنهب ومن الرأى إننا نرحل ونقرب من ارض الحيرة ونجعل أموالنا وعيالنا فى مكان يكون حصين نأمن عليهم فيه من سائر العربان ونترك عندهم من يحفظهم وتطمئن قلوبنا عليهم وبعدها نتجرد للقتال ومن اتى الينا ضربنا رقبته وسقيناه كاس منيته .

(قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء من الخبر وأما ما كان من أمر الملك قيس ومادبر فانه دعا بخمسين فارس من بنى عبس الأشاوس وأرسلهم ليكشفوا له خبر عنتر ويبصروا إن كانت أموالهم مع أمواله أم لا فساروا يقطعون البر حتى وصلوا إلى ديار بنى عامر فوجدوها خالية الجنبات ورأوا بها بعض العجائز وشيوخ كبار قد تخلفوا فى الديار لأن مالهم هم يسيروا بها مع من سار فعندها تقدموا اليهم وسألوهم عن أهل تلك الديار فقالوا قد رحلوا. فقالوا لهم فى أى وقت فقالوا منذ يومين وقد طلبوا أرض العراق فهموا أن يرجعوا إلى ورائهم وإذا بعنتر قد فاجأهم فلما نظروا اليه فلم يجدوا لهم مهربا بل ساروا اليه وسلموا عليه سلام الاحباب فقال لهم أهلا وسهلا ببنى العم فمن أين أنتم واردين وإلى أين قاصدين فقالوا له أننا قد أتينا من الحلة ندور عليك فقال عنتر وما الذى منى تريدون فقالوا له اعلم أن الملك قيس لما نهبت أموالنا ركب فى بنى عبس وسائر رجالنا قد ظن أن بنى خثعم ومراد قد أتوا اليهم وغاروا عليهم لأن تلك العبيد أعلموهم بأنهم قد تكونوا بهذه الأسماء وساروا خلفهم فاوجدوهم فعادوا من ورائهم بالخيبة ولما آيسوا من أموالهم قال لهم الربيع بن زياد ما أخذ أموالنا إلا عنتر بن شداد فلما سمع الملك قيس كلامه شك فى قوله واتفق رأيهم على أن يرسلوا ويكشفوا الخبر حتى يطلعوا على جلية الأثر فلما سمع عنتر منهم هذا المقال قال لهم أنا الذى أخذت الأموال وتلك الفعال وأنا ما أخاف من أحد ولا أبالى بقيس ولا بالملك الاسود فقولوا له أن يجتهد ويطبخ أحمض ما عنده فلما سمعوا الفرسان مقاله قالوا له والله يا أبا الفوارس أنت ما أخذت مال قيس وبنو زياد إلا لما أكثر عليك البغى والعناد لأنهم أعداك وأما نحن يا ابن العم فاكرمنا لوجه الله لأنك قد أخذت أموالنا فى جرتهم وبقينا بغير ناقة ولا جمل والتهبنا بنار غيرنا وأنت تعلم أننا أضعف الناس حال وأقلهم مال ونوال فلما سمع عنتر مقالهم رق لحالهم ورثى وقال لهم يا بنى العم خذوا أموالكم بارك الله لكم فيها وخذوا من مالى كل منكم مائة ناقة وضيفوها إلى أموالكم فعندها فرحوا بهذا الشأن وشكروه بكل شفة ولسان ودعوا له وأثنوا عليه بعد أن أخذوا أموالهم وأخذ كل واحد ماية ناقة من جمال عنتر وعادوا طالبين ديارهم هذا والامير عنتر عند مسيرهم يقول لهم قولوا لقيس أنا أخذت أمواله وها أنا ساير إلى صهره الذى احتمى به حتى أخرب دياره وأطلاله ثم انهم ساروا يقطعون الارض وهم فرحانين برد أموالهم والجمال إلى أن وصلوا إلى ديارهم والاطلال (قال الراوى) فلما نظرت بنو عبس إلى تلك الاموال أخذتهم البهتة والأندهال وقالوا لهم يا بنى العم هل وقعتم على مكسب

أونهبتم حلةمن حلل العرب فقالوا لهم لا والله بل هذه أموالنا ردت الينا وقد أوصلهاالله الينا ومعها لكل واحد منا مائة ناقة أعطاها لنا ابن عمنا عنتر ومن بها علينا ثم أنهم بعد ماقلع كل واحد ما عليه من عدته دخلوا على الملك قيس فوجدوا عنده الربيع بن زياد وأخوته وأقاربه وسادات عشيرته فسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وبعد ذلك أخبروه بالخبر وأطلعوه على ماجرى لهم مع عنتر وقالوا والله صدق الربيع بن الزياد فى مقاله عليه لأنه هو الذى أخذ أموالنا وهى سائرة بين يديه وقد وقع بينه وبين بنى عامر الاتفاق وهم كلهم طالبون أرض العراق فلما سمع الربيع هذا الخبر عن الأمير عنتر قال وأذل بنى عبس إلى أبد الآبدين من هذا العبد الذى طغى وتنمرد (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس هذا الكلام علموا أنهم يشربون من بعد عنتر كأس الحمام فصاحوا كلهم عن فرد لسان وقالوا والله ماصبرنا على هذا الذل والهوان ومالنا هذا البلاسواك وما كان سبب رحيل حاميتنا إلا إياك فوالله لاقمنا ولاقعدنا معك فى هذه الديار من بعد مسير حاميتنا عنا لأننا مانرى العز إلا بقربه منا ولانرى الذل والشقاء إلا ببعده عنا ثم أنهم من بعد ماجرى لهم ماجرى صرخوا وصاحوا وجلبوا وعولوا باللحوق إلى الأمير عنتر وكل منهم ركب جواده وتحضر هذا والملك قيس قد غاص فى بحار الفكر وقد اختل عقله لذلك الأمر وتحير عندما نظر فعل قومه ورجاله وخاف أن تذهب عنه حماته وأبطاله فما كان له إلا أن تلافى قصته فيما وقع اليه وقد جمعهم كلهم بين يديه وقال لهم اعلموا يابنى العم إننى ما أبعدت عنتر عنكم إلا خشية على نسائكم وعليكم مخافة من الملك الأسود لأجل هذا السبب وأنتم تعلموا إننى مازوجته أختى وأبعدت عنكم الشر والأذى إلا لأجل هذا المعنى والآن فقد جرت هذه الأسباب وعنتر أحسن لنا اليوم من جميع الأعراب لاسيما وقد أطاعوه بنو عامر وبنو كلاب وبعد ذلك فنحن نجد مسيرنا اليه ونحن أولى من خدمته من غيرنا فلما سمعت بنو عبس مقاله مامنهم إلا من شكره ودعاله وفرحوا بهذا الرأى الجميع إلا بنى زياد والربيع ولكنهم احتاجوا أن يدخلوا تحت المضض ويوافقوا الملك قيساً على هذا الغرض ولم تكن إلا ساعة حتى قلعوا المضارب والخيام ولم يبق فى أرض الشربة لاشيخ ولا غلام وحملوا حريمهم والولدان وساروا يقطعون البرارى والقيعان وهم يقطعون البر الأقفر ويقتفون من الامير عنتر الأثر ومازالوا على ذلك الحال وهم يقطعون السباسب حتى ادركوا عنتر وهو نازل بمن معه من المواكب وناصب خيامه والمضارب بين الجبلين وهم خشاخش والتناصب (قال الراوى) وكان الامير عنتر سارهو وبنى عامر وتركوا الديار بلاقع إلى أن وصلوا تلك الديار والمواضع وحصنوا فيها الأموال والعيال وعولوا على المسير إلى أرض الحيرة ويتركوا الملك الاسود

فى حيرة ويغيروا على أمواله ويقتلوا رجاله وأبطاله فبينما هم معولين على مثل ذلك وقد تجردوا إلى ما هم اليه طالبين وإذا بغبار بنى عبس قد أطبقت الفلا فظن عنتر أن ذلك الغبار غبار أعداء وقد أتوا إلى قتاله وفنائه فخاف أن يكسبوه بين الجبلين هو ومن معه من الرجال فوثب فى عاجل الحال على ظهر الجواد بعد ما لبس عدة الحرب والجلاد واعتقل برمحه الاسمر وتقلد بسيفه الضامى الابتر هذا والخيل قد ركبت لركوبه وتبعته الرجال وقد عرفت مطلوبه واطلقت الأعنة وقومت الأسنة وساروا فى ذلك الجمع والمواكب حتى أنهم أشرفوا على الهودج فوقفوا عن المسير ثم تقدمت الرجال من بنى عامر إلى ذلك الظعن السائر بتمكين وقالوا لهم من أنتم أيها القادمين وإلى أين أنتم عازمين فقالوا لهم نحن مقبلين إلى عنتر حاميتنا نريد أن نصالحه كلنا لان الملك قيس قد ندم على فعله وقبائحه (قال الراوى) فبينما هم فى هذا الحديث والإيراد وإذا بالملك قد أقبل وحوله بنو عبس وكذلك أخوته وبنو عمه وبنو زياد وعشيرته وهو يقول فى نفسه والله أن هذه سعادة عظيمة لهذا العبد ابن الزنيمة فلما نظر عنتر إلى الملك قيس نزل من على ظهر جواده وكذلك من كرم نفسه ووداده وكذلك ترجلت معه جميع الأصحاب من بنى عامر وبنى كلاب هذا والملك قيس قد ضم الأمير عنتر إلى صدره وقبله فى عارضيه ونحره ثم أن الملك قيس بكى فى وجهه وقد أعتذر إلى الامير عنتر فعندها قال عنتر أيها الملك وهل أنا إلا عبدكم وصنيعه إحسانكم ولم تزل الملوك تغضب على العبيد وترضى وإذا عفوت فتلك ما جاد بالعفو والرضا فعندها انطلقت الألسن بشكر عنتر وما منهم إلا من دعا له وبين يديه قد اعتذر وأصلحوه جميعهم وذهبت البغضة والعناد من بينهم ودخلت بنو عبس بحريمها وأموالها إلى بين الجبلين وقد فرحت قلوبهم وقرت منهم العين فعندها أقبل الملك قيس على الامير عنتر وقال يا أبا الفوارس نريدك بعد ما صفحت عن ذنوبنا أن تكون المتولى على أمورنا وتكون أنت الآمر ونحن المأمورون وها نحن لك سامعين وفى جميع ما تأمرنا به لك مطيعين فعندها أزداد عنتر بذلك الكلام عند العرب قدراً واعظاماً وارتفاع قدر وعلو مقام ثم أن الأمير عنتر رد أموال بنى عبس عليها وقد انفذ العبيد بالنوق إلى مواليها واجتمع شملهم ببعضهم وقد أوحشوا ديارهم وأنسوا تلك الارض هذا والأمير عنتر بعد هذا الاتفاق عول على المسير إلى أرض العراق فاقبل شيبوب وقال يا ابن الأم أسمع منى الذى عليه أقول لك وأحمد الرب الذى جمع شملك ببنى عمك واتفقت الكلمة وتمت النعمة وأعلم بأننا نازلين فى جوار ملك عظيم ورجل كريم وهو الأسود بن المنذر صاحب العطا والنيل وخلفه مثل الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والإيوان معه بنى لخم وجذام والخلق كلهم له أعوان وخدام وقد أصبحت العرب أعداكم والملك الأسود

يطلبكم ويقصد إلى أذاكم وأنت قد عولت أن تقصد أضيق المسالك وترى إلى المهالك وكانك بالملك الأسود وقد سمع بقصتك ويمضى اليه خبرك ويعلم أن بنى عامر وبنى عبس قد صارت معك فيأخذه القلق ولو أراد أن يسكت فى هذه الإشارة فاتركته بنى فزارة والرأى أن تأخذ حذرك من أحبابك وجميع أعداك فلما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب علم أن فى كلامه دروب وقال له وما الرأى فى هذه الاحوال فقال الرأى عندى أن تحصنوا العيال والأموال فى هذه الجبال وأنتم اليوم قد صرتم ثمانية آلاف فارس فاترك الفين من بنى عبس والفين من بنى عامر تحفظ هذه الجبال من كل بادى وحاضر وسر أنت فى الفين من بنى عامر والفين من بنى عبس وأنتم فيكم الكفاية فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب هذا الكلام فرح به وأستبشر ثم أنهم فى عاجل الحال حصنوا جميع أموالهم فى الجبال مع الحريم والعيال وخلوا عندهم أربعة آلاف فارس ثم أن عنتر سار بمن معه من الرجال وهم طالبون أرض العراق ومن كثرة ما دخل على قلب الربيع وزياد من الغيظ وما وصل اليه عنتر من السعد الذى لا ينفذ ورأى أنه سار طالب قتال الملك الأسود فعندها كتب فى عاجل الحال كتاب ذكر فيه جميع ما هم معولين عليه وهو يعلم الملك الاسود أن عنتر سائر اليه وهو قاصد نهب أمواله وخراب دياره وبعدما كتب هذا الكتاب أنفذه ليلا مع عبد من عبيده الانجاب فعندها سار العبد فى هذه الوسيلة حتى وصل إلى أرض الحيرة وعندما وصل إلى البلد استأذن بالدخول على الملك الأسود فاذن له بالدخول وعندما وصل قبل الأرض بين يديه وعرض كتاب الربيع عليه فعندها أخذ الملك الاسود الكتاب وهو مطوى وسلمه إلى وزيره عمر ابن نفيلة العدوى فعندها فكه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فلما سمع الأسود ما فيه أسودت الدنيا فى عينيه وغضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد لما علم أن الملك قيس صالح عنتر وأن بنى عامر وبنى عبس قد صاروا له عسكر فقال وكأننى ما صالحت بنى عبس وقربتهم إلا أن يصالحوا عدوى ويحرضوه على فوالله لابدن شملهم ولاقلعن غابرتهم ثم أنه وثب من على كرسى المملكة وقد سارت همومه وأهواله منكدة ودخل على زوجته المتجردة وقد حل به الغضب وفار من شدة الصخب فقالت له أيها الملك ما أغضبك وأزعج حالك فلا عاش من يعاديك ولا كان من يشنيك قل لى ما جرى لك فقال لها الملك الاسود ويلك يا متجردة وكأننى ما اتصلت بك وقربتك إلى ورفعت قدرك إلى حتى يكون الملك قيس وبنى عبس عوناً على العدا ولا يصالح عنتر وقد كافأنى بالعداوة والشر ثم أن الملك الاسود قرأ عليها الكتاب وأطلعها على ما فيه من الاسباب فلما سمعت المتجردة ما فى الكتاب من الخطاب صعب عليها ولم تقدر ترد جواب ثم أنها قالت له أعلم أيها الملك أن ما فى الأمر إلا إنك

تراسلهم وتتعطف بهم ولا تخالفهم لأن نارهم محرقة ورماحهم خارقة وأيضا كما تعلم أنهم جمرة العرب وأشجع من ضرب فى البيدا والوديان لا سيما وقد أنضافت اليهم بنو كلاب السادات الأنجاب (قال الراوى) فلما سمع الملك الاسود كلامها أغتاظ غيظاً شديداً من مقالها ومدحها لقومها ثم أنه دفعها فى صدرها القاها وزعق على الجوار وأمرهم بخنقها فتواثبوا اليها الجوار وقدوضعوا المخدة على رأسها مع وجهها وعصروا على نحرها وصبروا عليها ساعة حتى خرجت روحها فأمر الملك الاسود بدفنها من غير أن يكفنها ويغسلها فلم تكن إلا ساعة حتى دفنوها فى التراب وتمت هذه الأسباب وخرج الملك الاسود بعد هذه الفعال إلى قصره وجلس على سرير مملكته وهو يهمهم غضباً وقد زاد لذلك الأمر حنقاً وسخطاً وأخبر الوزير عمر بن نفيلة بجميع ماجرى وماتم من التدبير وكيف أنه قتل المتجردة ومافعل هذه الأحوال المنكدة وقال له أنا مافعلت هذه الفعال إلا لتكون العداوة مجددة ولا يكون بينى وبين بنى عبس ملجأ أبدا ثم أنه أحضر ملوك العرب وجمع الملوك عنده وقرأ عليهم الكتاب الذى أرسله الربيع بن زياد فقالوا له جميعاً وبلغ من قدر هذا العبد حتى أنك تجمع هذا الجيش من أجله لاهو كسرى وقيصر فواحدمنا يسير بعشرة آلاف ويأتيك به وبمن معه (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذا بزعقة قد علت فسألوا ماهذا الصياح فقيل أن أموال الملك أخذت وكذلك أموال جميع العرب وقد طلعت عليها الف فارس ساقتها عن بكرة أبيها (قال الراوى) السبب فى ذلك الحال أن عنتر لما سار بالرجال فازال سائر حتى قرب من الحيرة وإذ هم بعبد قد أقبل فتبينوه وإذا به من عبيد المتجردة وقد عرفه قيس حين قبل وهو طائر العقل وبجانبه الخذروف بن شيبوب لأن عنتر كان أنفذه إلى الحيرة فى صفة جاسوس فصادف دخوله ساعة ماحل بالمتجردة من النحوس فخرج هذا العبد من الحيرة وسار حتى مولاه فاتفق الخذروف هو وأياه بعد ماعاين ذلك الجيش الذى على الحلة وراءه ومازالوا يقطعون المهاد وهم كثيرين البكاء والانتحاب حتى أقبلوا على الملك قيس وهما مشققون الثياب فعند ذلك وضعوا على رؤسهما التراب ونادوا بالويل وفقد الأحباب فلما نظر الملك إلى ذلك الأمر أنذهل وتحير فزعق عنتر على الخذروف وقال ويلك كيف هذه الفعال وصفتها فقال له يامولاى وصل للملك الاسود كتاب بجلية الخبر وكيف تصالحتم أنتم وعنتر وانكم قد عزمتم على قتاله وسرتم إلى نهب أمواله والغارة على أطلاله فلما سمع بذلك الخبر زعق من شدة الغيظ وزجر وقال وكأنى ماصالحت قيس إلا حتى يشد مع عنتر ويتفق هو وأياه على أن يصلوا الأذية والضرر ثم قام ودخل على مولاتى المتجردة ونار الغيظ فى قلبه متوقدة وقص عليها جميع ماجرى من الأحوال فقالت له ترفق بهم ياملك فهم أصهارك

على كل حال فلما سمع الملك مقالها أمر بخنقها بعدما رفسها فى صدرها القاها على على ظهرها فلم تكن إلا ساعة حتى قتلت لوقتها وصار يقول أنا أجعلها عداوة منى حقاً ثم خرج وأعلم الوزير بذلك الرأى والتدبير وكاتب العرب فاتت من كل قفر وسبب وكذلك بنى حمير وبنى همدان وبنى سليم وبنى شيبان وسبيع بن الحارث الملقب بذو الخمار وقد اجتمع عليه ثلثمائة الف فارس كرار (قال الراوى) فلما سمع قيس ذلك الخبر كادت مرارته أن تنفطر ولطم هو وأخوته على وجوههم حتى برز كالدم من مناخيرهم وأما عنتر فانه بهت وتحير وقال لعن الله ابا سيال الاسود على ما فعل من الفعال التى لا تحمد لما عجز القرنان عن قتال الرجال رجع إلى قتال النساء ربات الحجال فوحق من أرسى الجبال وعلم كم وزنها من مثقال وبقدرته أضاء النهار وأظلم الليل لآخذن بثأرها ولا بليه بحروب لا تبرد نارها ثم أنه طيب قلب الملك قيس وهدأ ناره ووعده بأخذ ثاره وبعد ذلك ساروا وهم من فعال الاسود فى زجره إلى أن أشرفوا على الحيرة ونظر عنتر من بعيد إلى تلك العربان فأكمن هو ومن معه فى بعض التلال إلى أن سرحت الاموال فعند ذلك خرج عليها وساقها عن بكرة أبيها وكانت شىء كثير من النوق العصافيرية واليمانية والخرسانية وقطعان من الغنم والخيل وجرحوا من كان معها من الفرسان فى ذلك المكان جراحات بالغات وسلم عنتر جميع الاموال إلى خمسمائة فارس ممن كان معه من الرجال وتخلف هو فى خمسمائة فارس إلى ملاقات الأبطال وسارت الخمسمائة فارس بالمال ووقع الصياح كما ذكرنا وخرج الاسود ومن معه كما قدمنا فلما بقى بظاهر الحيرة سأل العرب عن الخيل المغيرة فقالوا له نحن ما عرفناهم لأننا انهزمنا لما رأيناهم فقال الاسود وحق النار والمعبد الاكبر ما فعل هذه الفعال إلا عنتر أما هو الذى أسرنى عند وادى الرخم ومياه بنى الاجرم وانزل بى وبمن معى من الضير لما تعرضت للملك زهير وكنت فى عشرين الف فارس فاسر منها سبعة آلاف فارس وفاق علينا كل الضيق والسبعة آلاف الأخر قطعها بالسيف فلما سمعت أمراء العرب من الملك الاسود ذلك المقال زاد بهم الوجد والبلبال وقالوا أيها الملك ما هذه الاقوال أى شىء هذا المقال الذى ما يقوله إنسان وأنت اليوم ملك الزمان وصاحب الجنود والاعوان والغلمان وكيف تجهل بهذا العبد الزنيم الذى ليس له قدر ولا شأن وهو أقل وأذل أن يقاس بمثلك يا ملك الزمان أو يسير عن جبال الحيرة والتناصب بهذه العصابة الحقيرة ويغير على الاموال

(قال الراوى) كل ذلك يجرى والعرب الذين هربوا من الواقعة وقت الكفاح يستغيثون من ألم الجراح فقال لهم الاسود ويلكم وكم يكونوا هذه الرجال الذين غاروا على الاموال فقالوا له أيها الملك قد رأينا منهم ما يذهل العين ونقول أنهم أكثر من الفين فلما سمع الملك الاسود ذلك المقال جهز فى ساعة الحال عشرة آلاف فارس من الابطال وقال لهم

الحقوا بهؤلاء الأنذال ولو وصلوا إلى أعلى الجبال ولا ترجعوا إلا بالمال وائتونى بعنتر ومن معه من الرجال وهو فى السلاسل والأغلال حتى أعذبهم أشد العذاب وبعد ذلك اقتلهم وانزل بهم المصاب وأرمى لحومهم للذئاب والكلاب فهذا ما كان من هؤلاء.

(قال الراوى) وأما ما كان من عنتر ومن معه من الأصحاب فانه قدم المال بين يديه كما ذكرنا وتأخر هو ومن معه كما قدمنا ووقف ينظر لإقبال عدوه وقد أثنى رجله على قربوص سرجه وهو منتظر اقبال الرجال وما حوله إلا كل ملك أمير ريبال فلم تكن غير ساعة حتى أن الخيل طلعت والأسنة لمعت وبيض الصفاح شعشعت وهم ينادون ويلكم يا مأخوذين يا مذلولين أين تمضون بالأموال وأى أرض تحميكم أو جبال تأويكم ثم مدوا أعينهم فلم يجدوا للمال أثر وما رأوا إلا رجال وأبطال فاطلقوا نحوهم الأعنة وقوموا الأسنة فلما نظر عنتر إلى تلك الفرسان التفت إلى من معه وقال لا أحد منكم يتكلم بسبب وابصروا منى العجب ثم أنه ساق جواده الابجر نحوهم إلى أن قاربهم فنظروا إلى كبر جثته وعرض أكتافه فانذهلوا لما نظروا اليه لأن مافيهم أحد منهم يعرفه ولا يحقق صفته لأنهم عرب متجمعة من سائر الأقطار وخرجوا فى خدمة الملك الأسود إلى هذه الأخطار فلما أقبلوا على عنتر ونظروه من دون أصحابه قد بدر فقالوا له من أنت ومن أين اتيت وكيف أغرتم على الأموال وعلى الملك الاسود تعديت فلما سمع عنتر ما قالوه علم أنهم ما عرفوه فقال لهم ياقوم مانحن ممن يقدر على هذا الأمر العظيم وأما نحن فمن بنى تميم وما نحن إلا قاصدينكم وأتينا اليكم وقد لقينا فى طريقنا هذا الخيل التى غارت عليكم وهم سائرين والأموال بين أيديهم وهم يلتفتون إلى من يأتى اليهم فقلنا لبعضنا بعض قوموا بنا نحن فى هذه الارض حتى إذا نفرت الخيل خلفهم فيظنوا أننا كنا معهم فنحترق بنارهم ونغرق فى بحر تيارهم (قال الراوى) فلما سمعت العرب كلام عنتر ومقاله سبوه وأكثروا من ملامه وقالوا له تكذب ياوغد قبيلته ويازنيم عشيرته أصدقنا بالصحيح وإلا تركناك طريح (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامهم قال لهم وهو يستهزىء بهم اعلموا ياوجوه العرب ان لبغى له مصرع ومن بغى وحاود عن الحق فهو فى الهلاك يقع لأننا ما نحن ممن يقدر على هذه الفعال فى حق الملك الأسود ملك العربان ونائب لقان كسرى أنوشروان فان أخاه كان له علينا فضائل وإحسان فاغدوا عنا وإلا حل بالباغى مصرعه فلما سمعت العرب من عنتر ذلك المقال زعقت فى وجهه جميع الرجال وقالوا له ويلك يانسل الأنذال ماهذا الكلام الملفق واللفظ المزوق ثم انهم انطبقوا عليه وداروا بالخيل من حواليه واطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وعلت الضجة والرنة فلما نظر عنتر إلى حملتهم لم يعتن بهم ولا تقهقر بل استقبلهم بصدر جواده الابجر وقوم اليهم سنان رمحه الاسمر وتبعته سادات بنى عامر وبنى عبس وركضت عليهم الخيول

الصوارم وعملت السيوف البواتر وتقلعت الزرديات والمشافر وسار الشجاع يتقدم والجبان نافر وغنى الحسام فى الجماجم والمحاجر وعمل الرمح الخطار وكثر من ركض الخيل الغبار وقدحت من حوافر الخيل شرار النار وأظلم الجو وأسودت الأقطار وطلب الجبان الفرار وباحت القلوب الأسرار وأظهر عنتر شدته وأبهر الأبطال بشجاعته وبقى صوته كأنه الرعد إذا قعقع وحسامه مثل البرق إذ المع والجماجم من ضربه تتناثر والدم من سيفه يتقاطر فلم تكن إلا ساعة حتى هلك من القوم أبطالهم وقتل رجالهم وأسر منهم المتقدمين وربطهم على خيولهم معارضين وكان الأسارى خمسمائة أسير وانهزم الباقين وشردوا فى السهل والجبل وهم مثل النعام إذا جفل وأحتوى عنتر ومن معه على الخيول والاسلاب (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الاسود فانه كان منتظراً أصحابه حتى يعودوا اليه بطلبه ويبلغوه من عدوه أربه وبينما هو كذلك هو ومن معه من الرجال إذا قد وصلت اليهم المنهزمين وهم بالجراح مشضبين وصياحهم قد علا وضجيجهم قد ملأ جنبات الفلا ولهم ضجة ورنة والدنيا من صياحهم منقلبة فلما سمع الملك الاسود ذلك الصياح الذى أنعقد أخذه القلق والضجر وسأل عن تلك الاحوال والخبر فقالوا له هذه الخيل التى أنفذتها خلف الغائرين قد عادوا منهزمين وهم من كثرة الجراح عادمين فلما سمع الاسود مقالهم أمر باحضارهم اليه فلم تكن إلا ساعة حتى حضروا بين يديه وهم يكثرون من الصياح فقال لهم ويلكم أخبرونى كيف كان سبب هذه القصة التى أسكنت فى قلبى غصة وأى غصة وكيف كان حال الاعداء معكم وكيف كانت هذه الخيل التى غارت عليكم فعند ذلك تقدم اليه رجل من القوم ودمائه يجرى عوم يقال له جهير بن جلهمة وقال له يا ملك نحن لما طلبنا القوم بقوة وعزيمة فلحقناهم وقد وقفوا عن الهزيمة وهم مقدار خمسمائة فارس وكلهم حامية للغنيمة فلما رأيناهم وأستقبلناهم وطمعنا فيهم وزعقنا عليهم فخرج الينا من بينهم فارس أسود كأنه طود من الاطواد أو أحد الفراعنة الشداد فقال لنا قول مغمغم وقول لا يفهم فلحينا عليه السؤال لحمل علينا وأستقبلنا بسنان رمحه العسال وطال علينا وأستطال فزادت بنا من شجاعته الوساوس وقتل فى حملته أكثر الفوارس فعند ذلك تبعه أصحابه ووافقوه على طعانه وضرابه فلم يكن إلا شىء يسير حتى قتل منا خلق كثير وأسروا خمسمائة أمير وأنزلوا به الذل والتعبير فلما عاينا ذلك البلاء المهين ولينا منهزمين ولولا هزيمتنا ما كنا وصلنا إلى هنا سالمين (قال الراوى) فلما سمع الملك الاسود ذلك ضاقت عليه المسالك وقال وحق من أرسى الجبال ورزق العباد ما يقدر يفعل هذه الفعال الشداد ويعاند ذلك العناد إلا ذلك الوغد اللئيم والشيطان الرجيم عنتر بن شداد لأنه بغى

بغياً كثير وكلما طال عمره يقوى شره فلما سمع كبراء العرب ذلك الخبر تعجبوا من ذلك الفعل المنكر واستعظموا أمر عنتر وأقبلوا على الملك الاسود وقد زاد به الغيظ والحرد وقالوا له أيها الملك ما بقى تحقيق فى هذا الامر إلا أنك تنفذ إلى عنتر وتعرف حقيقة الخبر فان كان هو الذى فعل هذه الفعال فقد جلب لروحه الذل والخبال (قال الراوى) فلما سمع الاسود منهم ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب ثم انه استدعى فى ساعة الحال برجل يقال له المرقال ابن فائز وهو من أبطال بنى سليم صهره عاطل بن المثنى السلمى وكان هذا المرقال فارس مناجز وفى الحرب ليس بعاجز فقال له الملك الاسود يا مرقال أريدك فى هذه الساعة أن تركب وتتجرد فى مائة فارس من كل بطل مناجز وتتبع الأثر وتكشف لنا الخبر وتبصر الذين ساقوا الأموال إن كان عنتر أم غيره من الشرور وتعود إلى بالخبر غير بعيد حتى أدبر ما أريد (قال الراوى) فلما سمع المرقال من الملك الاسود ذلك المقال قال له السمع والطاعة وها أنا سائر فى هذه الساعة ثم انه تجهز فى مائة فارس وأخذهم معه وسار على أثر عنتر يتبعه (قال الراوى) وكان عنتر بعد ما فعل هذه الفعال قد سار هو ومن معه من الرجال والاسارى معهم وهو قدامهم إلى أن وصلوا إلى أصحابهم فلما نظروا ذلك الحال فرحوا بما معه من الأموال ونظر الملك قيس إلى تلك الخيول والعدد والرجال معه فى الاسر والنكد قال الساعة تنقلب البلد ويخرج خلفنا الملك الاسود فى جيش ماله عدد لكثرة ما يلحقه من الحنق والحرد فقال عنتر دعه تخرج روحه ويقبر فى لحده (قال الراوى) إلا أنهم ماساروا غير قليل وبين أيديهم تلك الأموال حتى أشرف عليهم المرقال فيمن معه من الرجال وقال لقومه كنا نريد أن نعرف هذه الخيل الغائرة من يقال لهم ثم التفت إلى رجل من أصحابه وقال له تقدم إلى هؤلاء الأنذال واسألهم عن أنسابهم ولا تخاف من كثرتهم ولا تهبهم ولو كان الملك الاسود أمرنى بقتالهم لقاتلتهم وخلصت الغنيمة منهم والتقيهم أنا وحدى وأترك لى ولهم حديثاً يذكر من بعدى فعند ذلك أطلق الفارس عنان جواده وقد ظن أنه بالسؤال يبلغ مراده ولم يزل يركض تقريباً وخبباً حتى وصل إلى الخيل كما طلب وزعق على أعقاب بنى عبس ويلكم يا كلاب العرب وأخس من ضرب فى البيداطنب من أنتم من سكان البرارى والفدفد حتى نهبتم أموال الملك الاسود ومددتم أيديكم إلى قتل السادات فابشروا بكاس الموت والآفات (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه أقبل على أخيه مازن وقال له دونك وهذا الوغد الواهن فعند ذلك قفز اليه مازن وهو على جواد من الخيل والجياد وحمل عليه حملة الاساد وقال فى است أمك وأم الاسود معك يا نسل الاوغاد تكثر من الكلام الهذيان ونحن فرسان بنى عبس الكرام المسمون عند العربان بفرسان المنايا والموت والزؤام دونك وضرب الحسام

(قال الراوى) فلما سمع السلمى كلام مازن اغتاظ وامتلأ قلبه غيظاً وفاض فقوم سنانه وحمل على مازن وانقض عليه وطعنه فى صدره وقد أيقن عند طعنته اليه بفراغ عمره ونظر مازن إلى طعنته فمال عنها بشدته وحسن معرفته وخبرته فمضت الطعنة خائبة بعدما كانت اليه صائبة ثم عطف عليه مازن بحسن معرفته وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن جواده وقد عدم صلاحه ورشاده وأنشد مازن يقول صلوا على طه الرسول :

ترنى أنا مازن المعروف نسبته ... ليث الحروب إذا ما قومه عرف
افنى الاعادى بسيف حده لم يزل ... والضرب والطعن فى الاحشاء مختلف
ما كنت فى الحرب فراراً إذا اختلفت ... سمر الرماح ولاقى الروع مرتجف
بل أوصل الطعن فى الهيجاء مبتدرا ... واقطع الرأس والأوراد والحجف

(قال الراوى) فلما نظر المرقال ابن عمه وقد صار قتيل وعلى وجه الارض جديل التفت إلى أخى المقتول وقال له دونك والاخذ بثأر أخيك ولاتخلى العار يركبك ويشنيك فعند ذلك برز مازن كانه شعلة نار وتحته جواده كأنه الطير إذا طار متقلد بسيف بتار معتقل برمح خطار ودمعه على خده مثل الامطار إلى أن وصل إلى عند أخيه وهو ملقى بالقفار فوقف على رأسه وأنشد يقول :

قتلت أخى ظلماً وعدوانا فانى ... أتيتك أبغى ثأره بسنانى
وفجعتنى فى أخى لاعشت بعده ... وأنت على ظهر الجواد مدانى
ستبقى عفيراً فى التراب مجندلا ... وعيناك فى وسط الفلاة ترانى
وآخذ بثارى منك ياوغد قومه ... بطعن سنان أو بحد يمانى

(قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك المقال جال على مازن وصال وحمل كل منهما على صاحبه وقد برز من طعنه ومضاربه إلا أن مازن مازال يحاوله ويكر معه إلى أن أضجره وأتعبه وطعنه فى صدره أقلبه وعن جواده كركبه فلما نظر المرقال إلى طعنة مازن وما كان منه وقد قتل بأخيه أسودت الدنيا فى عينيه ثم قفز بالجواد وقد حلت به الهموم والانكاد فخرج بالجواد يتدفق من تحته مثل هبوب الرياح إلى أن صار مع مازن فى البطاح وأنشد وقال

ابشر هلكت بسيف الباس والحرب ... من كف ريبال مقدام على النوب
ليث يصول على الاقران مقتحما ... ويشعل الحرب إشعالا من اللهب
ونحن بنو سليم شرفت مناقبنا ... يوم الكريهة كشافون للكرب
فسوف آخذ منك بالثأر مقتدرا ... بصارم كضراب النار يلتهب

(قال الراوى) ثم انه بعد ذلك المقال حمل على مازن كأنه قطعة من جبل وهو بالحديد مسربل ونظر عنتر إلى المر قال فعلم أنه بطل من الأبطال وفارس فى الحرب وليث عند الطعن والضرب

لخاف على أخيه من قتاله وعلم أنه ما هو من رجاله فعند ذلك قفز إلى نحوهم بالحصان حتى صار معهم فى الميدان وصاح على أخيه مازن ارجع عن الميدان فقد كفاك ما لقيت من الاقران واترك هذا من نصيبى حتى أبرد بقتله لهيبى فلما نظر المرقال إلى تلك الفعال وكيف أن عنتر رد مازن من ساحة المجال وطلب منه الحرب والقتال وقال له ويلك من أنت أيها الفارس حتى يحيل بينى وبين غريمى قبل أن أزيل بك الوساوس وافرج بقتلك همومى فقال له عنتر أنا سيد بنى عبس الاقيال فقال له المرقال وما الذى جراك على أخذ أموال الملك المحترم وهو ملك العرب والعجم وفى خدمته جيوش الفرس والديلم وقد أقبلت اليه الجنود لأجل قتالك لانك قد أخطأت فى تدبيرك وفعالك فلما سمع عنتر كلام المرقال وما تلفظ به من المقال قال له أنا ما حملنى على هذه الفعلة وهى عندى خسيفة إلا الافعال الاسود الكاسف التى لا يفعلها إلا أصحاب العقول الخسيفة لأنه أجار قاتل ولدى حصن بن حذيفة ولم يكفيه ذلك ومعانيه حتى أراد أن يقتلنى بعد خدمتى له ولأخيه وتجرأ فى حقى بهذه الأفعال الشنيعة ونسى المعروف والصنيعة ولما عادت بنو عمى إلى وجعلوا معولهم على واتفقت كلمتنا واحدة على رغم أنف أعادينا فعند ذلك عمد إلى امرأة من بنات ملوكنا ذات ضلع أعوج وعقل أهوج ولسان عند الكلام متلجلج قتلها من غير ذنب ولا إجرام وفعل بها فعل أولاد اللئام وهى التى كانت زوجة أخيه الملك النعمان وبعد ذلك فوحق ذمة العرب وشهر رجب لا بدلى من هدم آثاره وأخرب دياره وأخذ أمواله من البلدان ولو احتمى له كسرى أنوشروان صاحب التاج والإيوان إلا أن كان يسلم لى حصن بن حذيفة لأطفى بقتلته ما بقلبى من الحرارة ويرسل لى أموال بنى فزارة ويخرج من حق الملك قيس وقتلته لأخته المتجردة حتى أرحل عن دياره ويطيب قلبه وإلا فليبشر هو وكل من جمع من العرب بالويل والحرب والفنا العاجل وهتك النساء والحلائل ثم أن عنتر أنشد يقول

ألست أحيد يوم التلاقى	لا ولا أن جاءنى يوم المحاق
سوف أفنى الاعدا بحد حسامى	وأوردهمو ضربا بحد الرقاق
ليعرف الأسود مقامى فى الحروب	عند ما جالت الخيل العتاق
انى عنتر أبو الفرسان اسمى	الفارس المندوف مر المذاق
بطل تخشى الفوارس سيفى	وسنانى فى الحرب عند التلاق
وكذا الملوك تسجد لى خوفا	عند ذكرى فى معرك الانطباق
سوف يبنى ذكرى وفعلى بعدى	يكتبوه فى الكتب والأوراق
وأنا عنتر بن شداد ليث	بطــلا ما لضربتى ترياق

(قال الراوى) فلما سمع المرقال ذكره زاد فكره وحار فى أمره وخاف أن بارزه أسره وأن قاتله قتله وعجل من الدنيا مرتحلة فما كان منه إلا أنه أقبل عليه بلين الكلام حتى يأمن من شرب كاس الحمام وقال له يا حامية عبس أن الملك الاسود لما أغرت على أموالهم قد أنكرك وأنفذنى أكشف خبرك أن كنت أغرت على أموالهم أم غيرك وبعد ذلك فقد صح الخبر وها أنا عائد اليه من ساعتى فيمن بقى من رفاقى فلما سمع عنتر مقاله قال له وحق الرب الجليل ليس لى عن رجوعك من سبيل ولا بد لى من أخذك أسير فقال له يا أبا الفوارس أنا أرجو الصلح بينكم وتزول هذه الأحقاد من قلوبكم فدعنى أسير كما قلت لك فقال له عنتر لا بد لى من أسرك وإن تحامقت ولم تسمع هذه الأقاويل تركتك قتيل وتصير على الثرى جديل. وأن أردت أن تسلم فدع أصحابك يسيروا إلى الملك الأسود يخبروه بما نابك من الفعال وتكون سلمت مهجتك وحقنت من القتل دمك وإلا أن كان فيك القتال فدونك والمجال ثم انه قال لعنتر يا أبا الفوارس أريد منك الزمام حتى أنى أترجل من بين يديك وأسلم روحى اليك فقال له عنتر الذمام الوافى والأمان الكافى فلما سمع المرقال ذلك الكلام وحقق المقال التفت إلى من معه من الرجال وقال لهم امضوا واقصدوا الملك الاسود وأخبروه بما تجدد فعند ذلك ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وأنهم أن المرقال سلم روحه لعنتر لأجل الذمامة فساقه عنتر بين يديه وهو راجل إلى أن أوصله قدامه إلى سادات بنى عامر فلما نظروا إلى ما فعل عنتر فا منهم إلا من تحيروا اندهل فأقبل عامر بن الطفيل عليه وجعل يشكره ويثنى عليه وقال له لا كان يوما لا أراك فيه يا أبا الفوارس لقد شيدت مجد هذه القبيلة وأكثرت فيها حمداً وشكراً فهذه والله هى الشجاعة ومن مثلك نتعلم الفرسان الفروسية والشجاعة ثم أنهم بعد ذلك عادوا راجعين وعنتر يشكرهم على حسن ثباتهم ويوعدهم بالنصر على أعداهم وقال يا سادات العرب وهل أنا إلا بهيبتكم أغلب وبأسيافكم أضرب ثم جعلوا يجدون المسير والترحال وهم طالبين فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الرجال أصحاب المرقال فانهم لم يزالوا سائرين ومما جرى عليهم ذاهلين ومن شجاعة عنتر حائرين وهم يبكون على أصحابهم بدموع غزيرة إلى أن وصلوا إلى أرض الحيرة وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور فعند ذلك وقعت الضجة فى الحيرة وارتفعت من الناس أصوات كثيرة فلما سمع الملك الاسود بذلك الصياح انزعج واندعر وأشار إلى بعض حجابه وأمره أن يكشف له الخبر فعند ذلك مضى الحاجب وغاب قليل وعاد وهو يعلن بالصياح والتناد فقال له الملك الأسود ويلك ماهذا الحال فقال له يا ملك قد وصل من الرسل بعض الرجال الذين مضوا مع المرقال وهم فى حالة الإذلال وقد أتوا وهم يكدون الخيل ويستغيثون من الذل

والويل فلما سمع الملك الاسود هذا الكلام ومعانيه أمر أن يحضروهم اليه فادخلهم الحاجب وأوقفهم بين يديه فسألهم عن حالهم فقالوا أيها الملك العضنفر قد حلت بنا العبر وأسر المرقال وأن الدواهي العظمى كلها من عنتر فهو الذى أخذ الاموال وقتل الرجال وهو فى خلق كثير بعدد الرمال ومعه قيس بن زهير صاحب الرأى والتدبير فى بنى عبس المشاهير ومعهم أيضا بنو عامر الذين مامنهم إلا كل شجاع ماهر فى حومة الميدان مبادر مثل عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة فارس الخيل الاخوص بن جعفر البطل الغضنفر وعلقمة بن علاقة ومروان بن سراقة وبقية الفرسان أصحاب الهمة والشجاعة وها نحن قد أشرفنا عليهم حتى نبصرهم ونغالبهم وإذا قد عطف علينا عنتر وأخوه مازن فقتل منا اثنين وأسر عنتر مقدمنا فى أقل من طرفة عين فهربنا نحن وطلبنا الفلاة ونحن لا نصدق بالنجاة ولو أراد أن يقبض علينا لم كنا اليك أتينا بل هو الذى تخلى عنا وفى صفات الرسول أرسلنا وقال لنا عودوا أنتم إلى الملك الاسود وأعلموه بما جرى وتجدد وأنا الذى أخذت أمواله وقتلت رجاله فوحق ذمة العرب لابدلى من هلاكه وهلاك أبطاله وأخرب دياره وأطلاله وأسبي حريمه وعياله لاجل ماأجار قاتل ولدى وأحرق بفعاله كبدى وماقنع بما فعل من الفعال المسدة حتى قتل مولاتى المتجردة فوالله لاأخذت عوضها إلا رأسه ولا لجعت فيه إلا أهله وأناسه فلما سمع ذلك المقال الملك الأسود زاد به الغيظ والحرد وقام وقعد وأرغى وأزبد واشتددت به الآلام وصار الضيا فى عينيه ظلام وقال مابقى بعد هذه الاحكام صبر على هذا العبد نسل الحرام الولد الزنا ابن اللئام ثم فى ساعة الحال دعا بملوك العرب وجميع الابطال فلم تكن إلا ساعة حتى حضروا اليه ووقفوا بين يديه وهب بن موهوب وذو الخار الفارس الوثوب وعاطل بن المثنى وسادات العرب أبطال الهراش فلما صاروا هؤلاء الأبطال عند الملك الأسود حاضرين وبين يديه جالسين أقبل عليهم وأشار بيده اليهم وقال اعلموا ياسادات العرب ويا أرباب المناصب والرتب ان هذا العبد الأسود قد طغى وتنمرد وقد تعدى وأنا أريد منكم الجد فى قطع عمره وقلع أثره قبل أن يسمع الملك كسرى بعجزنا عنه فلا تبقى لنا عنده قدر ولاقيمة إذا سمع بعجزنا عن هذا العبد ابن الزنيمة فلما سمعت ملوك العرب تعجبوا من عنتر كيف أنه فعل هذا وأطرقوا إلى الارض برؤسهم وتفكروا فى ذلك الحال فعند ذلك نهض بينهم عمرو بن نفيله صاحب الأفعال الجميلة وقال الرأى عندى أيها الملك أن تنفذ من عندك لعنتر رسول يكون فصيح اللسان يدرى ما يقول وإذا هو عاد اليك من عندنا بالجواب فتعمل على قدر ماترى من الخطاب فلما سمع الملك الأسود كلام الوزير قال له إذا كان الأمر على هذا التدبير فتكون أنت الرسول والمشير فقال له

السمع والطاعة وها أنا أكتب الكتاب اليه من تلك الساعة ثم أنه ادعا بكاتبه وأمره أن يكتب أوهو يحاوبه فعندذلك جلس الكاتب بين يديه وجعل يكتب والوزير يمليه وهو يقول اعلم أيها الطاغى الذى تجبر على الملوك وصار باغيا أما بعد فقد كثر على نفاقك وسوف أعجل محالك مع ماتعلم انى ملك شديد فكيف تعادينى وأنت من بعض العبيد وخانى مثل كسرى أنو شروان وهو ملك عظيم وسلطان جسيم فان وصل اليه من هذا الحديث والخبرفهو يقلع منك الاثروالرأى إنك تترك هذه الفعال وترد ما أخذت لنا من مال وتطلق من عندك من الرجال الذين فى الاسر والاعتقال وتطأ بساطى من غير تعنيد لبزول مافعلته من التكيد وإلا فاهلا كلك على بعيد فاقبل منى هذا الرأى السديد والقول المفيد وسلام على من أطاع ووافق والعنتها على من عصى وشاقق ثم انه بعد ذلك الخطاب طوى الكتاب وتجهز للمسير تجهيزالملك الكبير بالأعلام والرايات والطبول والكاسات والخيول المسومات وأخذ معه من جميع التحف والآلات ثم سار من يومه فى جماعة من قومه(قال الراوى)وكان مسير الوزير لعنتر بهذه العصبة لما بينه وبينه من المحبة لانه مادبر هذا العمل إلا ليوصيه بما يفعل وكان عنتر قد وصل إلى الجبلين وفرحت به اهل القبيلتين فلما قربه القرار اجتمعت الأحباب بالاحباب أقام له الديادبة على رؤس الجبال والشعاب وأقام يأكل ويشرب مع الملوك والأصحاب ولم يزل على الوسيلة حتى وصل اليه الوزير عمرو بن نفيلة فلما قرب من تلك الإطلال ونظرته الدبابة من على رؤوس الجبال فساروا إلى عنتر وأخبروه بالخبر فعندذلك ركب عنتر لما علم بذلك السبب وركبت معه سادات العرب وتلقوا الوزير وأكثروا له من التبجيل والتوقير وترجل عنتر وقبل فى الركاب قدميه فقبله الوزير بنحره وبين عينيه وتقدمت أمراء العرب وسلموا عليه وانزلوه وداروا من حواليه فلما استقر به القرار وسارت العرب عنده حضار فعندذلك أخرج الكتاب اليهم وقرأه عليهم فلما سمع مافيه من التهديد والوعد والوعيد ضحك حتى استلقى على قفاه وأقبل على الوزير ومن معه من رفقاه وقال له اعلم أيها الوزير ماأبالى بهذا الهذيان لإنى أنا كنت وحدى اسرته فيما تقدم من الزمان وفعلت مافعلت بالنعمان وهو ملك العربان وأخذت أخاه الاسود فى الإسر والاعتقال وما اطلقته حتى قاسى الذل والهوان وكثرت العجم والعرب وماجمعوا من الرجال وما باليت فى حال من الاحوال وكذلك الإسود فلا أبالى به ولا بمن معه من الابطال وأنا وحق من أنار الهلال وبقدرته خلق الإنسان من صلصال وأرسل الغيث تكرما منه وإفضال وأرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها مثقال لئن لم يسلم لى حصن بن حذيفة الذى قتل ولدى واحرق بنعاله كبدى إلا اعفرت خده فى التراب

أو أتركه أسيراً يقاسى الذل والعذاب وأترك دياره قفراً خراب وأما اجتماع العرب والعجم فهم عندى إلا مثل الغنم إن أردت ذبحها لذبحتها وإن أردت تفريقها فرقتها فلما سمع الوزير منه كلامه ضحك من سعة صدره وقوة جنانه ثم أقبل عليه وقال يا أبا الفوارس والله لقد علمت بأن هذه النوبة لم تنفصل وأنت على هذه الحالة وما كان مرادى آتى إليك فى هذه الرسالة ولكن الملك الأسود هو الذى غصبنى بمجيئى إليك فى هذه النوبة وبعد ذلك فما يمكننى المكان بعد سماع هذا الكلام وإنى قد اشتقت إلى رؤية الأوطان ثم أنه طلب الرحيل وقال له مابقى إلى المقام سبيل ولكن أريدك أن تمشى معى حتى أحذرك من شىء تقع فيه عن قريب ثم أنه ركب وسار هو وأصحابه إلى ناحية بلاده فركب عنتر وسار معه حتى يسمع قوله هذا وسادات العرب قد ظنوا أنه خاف منه لئلا يزل بالعطب فأراد بهذا أن يدفع عنه شر الاغتيال ولما خرجوا من الجبال أقبل الوزير على عنتر وقال له ياحامية عبس أنى ما أريد لك ضرر وإنى أعلمك أن أعظم أعداك هو الربيع بن زياد القرنان الكياد وبعده حصن بن حذيفة وسنان بن أبى حارثة وهم الذين أحوجوا الاسود إلى تلك الأمور والحادثة واعلم يا أبا الفوارس إنى ما قلت هذا الكلام قدام الربيع بن اللئام لأنه أرسل لنا خطاب بخطه وأعلمنا بما تجدد وأنا الذى قرأت كتابه على الملك الأسود وكتب فيه جميع أعمالكم والرأى أن تكون منه على حذر وإياك أن تطلعه على خبر أو تفهمه شيئاً مما تدبر وأما الجيوش التى يريد الأسود أن يرسلها إليك فلا تهتم من أجلها ولا تفزع فأنا أكون وراءك بالمعاونة والمساعدة وما أتركها تأتى إليك فى مرة واحدة بل أسعى فى تفريقهم وتشتيتهم ولا أترك الملك الأسود يرسل إليك إلا من أعلم إنك تهلكه وتفرقه لأنى عليك مشفق فلما سمع عنتر كلامه وحسن وداده شكره وأثنى عليه ودعا له ثم أنه ودعه هو ومن معه وعظم شأنه وأوصاه أن يكتم سره وسار بمن معه من رفقائه خوفاً على شمل العشيرة أن يفترق وما أحد كان معه فى هذه النوبة لوداع الوزير إلا سبيع اليمن وولده ميسرة وصديقه عروة بن الورد الذى هو عنده بمنزلة الأخ الشقيق فقال لهم لا فيكم أحد يخرج منه هذا الكلام من فمه ولا يعلم به أحد ولا يبديه وأنا لا بد لى من قتل الربيع بن زياد وأتركه أحدوثة بين العباد ثم إنهم بعد مادار بينهم هذا المقال عادوا إلى الجبال وأقاموا ينتظرون مايتجدد من الأحوال فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من الوزير فإنه لم يزل سائراً يقطع البرارى والقفار هو ومن معه من الجنود حتى وصلوا إلى الحيرة وكان لوصولهم يوم مشهود وقد جلس

الأسود على كرسى مملكته وجلست من حواليه أرباب دولته وحضرت ملوك العرب ليسمعوا ما أتى به الوزير من السبب وأما الوزير فإنه دخل على الملك الأسود وقبل يديه هذا والمجلس قد احتفل بالخلائق حتى يسمعوا مقال الوزير وما يبديه ولما جلس واستقر به القرار قال له الملك الأسود بعد أن حياه أيها الأب الكبير أبد لنا ماجئت به من الأخبار فعند ذلك قال له الوزير اعلم أيها الملك إنى ما مضيت بهذه الرسالة إلا لما حلفتنى إنى إن مضيت إليهم وعدت من عندهم ما أكتم عنك شيئاً من تلك المقالة فقال له الملك صدقت فى مقالك فقال حصن بن حذيفة إعلم أيها الوزير أن الملك ما أرسلك برسالته إلا لتصحه فى دولته فقال عن إذنك أيها الملك أتكلم فقال حصن بن حذيفة تكلم فقال الوزير اسكت ياحصن أسكت حسك وخمدت أنفاسك أنت الذى أوريتنا وجه عنتر وقتاله والله ما تقع الحرارة إلا فى رأسك لأن عنتر مراده قتلك أنت وسنان وحلف وشدد فى الإقسام فلما سمع حصن ذلك الخبر قال أيها الوزير الكبير أيهددنا عنتر وحق الركن والحجر إنه عندى أذل وأحقر أن يمد يده إلى كلب من كلاب البر الأقفر فقال الوزير لأى شىء يمنعك عن لقائه يا جبان وكيف هربت منه وحق من خلق الأرواح وسيرها إليه بأمره وسائر العالم فقراء إليه ما رأيت عمرى مثل عنتر ولا أقوى منه ولا أصبر لأنه قال والله ما أحمل على جيش الملك الأسود غير حملة واحدة حتى أتركها فى البر شاردة ولأضيق الاقطار على الملك الاسود بقوتى وجلدى حتى يسلم إلى قاتل ولدى ولو ملكت أبطالها كلها ما اكتفيت بها ولا أريد إلا حصن قاتل ولدى حتى أطفى بقتله نار كبدى ولا بدلى من قتله ولو احتمله كسرى قلعته من ملكه وكذلك الملك الاسود إن لم يخرج للملك قيس من حق قتله أخته وإلا تركته فى البر مطروح وأمعاه مبددة ولا أترك معه كبير ولا صغير حتى أدمرهم تدمير فلما سمع الاسود ذلك الكلام زاد به الوجد والآلام كذلك جرى على كل من كان فى المقام وكثر بينهم الكلام (قال الراوى) وبعد هذا أقبلوا على الملك الاسود وقالوا له سر بنا إليه مرة واحدة حتى نترك ديارهم خامدة وننهب جسد هذا العبد بالصفاح وأسنة الرماح لتأكل لحمه وحوش البر وعقبان البطاح فلما سمع الوزير ذلك المقال ما هان عليه ذلك الحال وقال والله إن هذا غاية العار والذل والشنار بأن تكونوا ملوك الاقطار وقد تجمعتم من سائر البرارى والقفار وتسيروا كلكم إلى عبد أسود ماله مقدار فإن ظفرتم به كان عليكم العار وإن هو ظفر بكم فضحكم بين البرارى والحضار ويعلوكم الذل والشنار عند ملوك الاقطار ويحل بكم من هذا العبد الوساوس لان عنتر فى ثمانية آلاف فارس فسيروا إليه فى ثمانية عشر الف فارس ويكونوا من أشجعكم حتى يكون لكل رجل منهم

رجلين فقال حصن وحق الإله الذى يعبد لقد عظمتم أمر هذا العبد الاسود فقال عاطل بن المثنى يا ملك إن ذكر عنتر فضيحة بين الملا ولكن اتركنى أنا أسير القائه وآتيك به ومن معه من رفقائه (قال الراوى) فلما سمع الاسود مقاله وما يبديه من أعماله شكره على فعاله وقال له أريد منك أيها الفارس والقرم المداعس أن تمضى إليه وتنزل به الوساوس وخذ معك من الجيوش ثمانية عشر الف فارس من كل مدرع ولابس وبين معه شجاعتك وأرنا طرفا من براعتك فقال عاطل أى وأبيك سوف ترى ما يرضيك (قال الراوى) فعند ذلك جهز له الملك الجنود وهم بالرايات والبنود وعدتهم ثمانية عشر ألف فارس من كل ليث عارس هذا وعاطل بن المثنى لم تسعه الدنيا من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أنه سار بتلك الجيوش التى كأنها البحار الزواخر وعاطل فى مقدمتهم كأنه النمر الوافر أو الاسد الكاسر هذا والرايات على رأسه ترفرف والبنود ومن حوله الجنود وهو بينهم مثل أسد مهول وهو مع ذلك يترنم بهذه الابيات وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

ألا بلغ مقال عبد عبس ... وفعلى فى الملمـــات الثقالى
بأنى فارس الهيجـــا قديما ... أبيد القوم فى وسط المجالى
وجربت الخطوب وجربتنى ... كأنى كنت فى الامم الخوالى
أنا المعروف فى العربان جمعا ... مبيد الفرس بالسمر العوالى
ونحن بنـــو سليم إذا برزنا ... نجيد الضرب بالبيض الصقالى
لنا شرف المعالى بالعوالى ... ونسبتنا تزيد على الموالى
لئن عطف الزمان برفع مجدى ... أخذت لعبد عبس فى المجالى
وأشفى منـــه قلبى حربى ... إذا علقت بيمناى الشمالى
وتشهد لى الفوارس من سليم ... إذا ما قدته قيد الجمالى
وإلا أتركه ملقى جـــديلا ... عفير الخد فوق الرمالى

(قال الراوى) هذا وهم سائرين يقطعون القفار والمهاد والاوعار وهم على الخيول الجنائب طالبين جبال خشاخش والتناصب فهذا ما جرى لهؤلاء عند المسير وأما ما كان من أمر الوزير فإنه عند ما نظر إلى تلك الجيوش قال فى نفسه وحق المعبود الأكبر لا بدلى من إعلام عنتر يكون من أمره على حذر ثم أنه كتب إليه يعلمه بما جرى من الاسباب وأن الملك الأسود إليه قد جرد ثمانية عشر الف فارس مع عاطل بن المثنى وهو مؤمل أن ينال منك ما يتمنى وهو فارس جبار وبطل كرار تحت الغبار ومعه ذلك الجيش الجرار فكن من أمرك على حذر واستيقظ لنفسك والحذر لا يمنع القدر ثم أن الوزير أرسل الكتاب

مع عبد من عبيده الذى سار يقطع الفيافى والقفار ولم يزل يقطع البرارى والسباسب حتى وصل إلى جبال خشاخش والتناصب (قال الراوى) وكان عنتر من يوم وصل الوزير وسار وهو مقيم فى الجبال وقد فرق الأموال على الرجال وأقاموا فى نحر النحور وفرح وسرور إلى أن وصل العبد إلى الجبال وصار منها قريب ففى عاجل الحال ترجل عن النجيب فعندها سمع أصوات المزاهر والمولدات تضرب بين الحراير فعند ذلك تبادرت إليه العبيد من قريب وبعيد وهم الذين كانوا يرصدون البيد وقالوا له من أين أتيت وإلى أين تريد فقال لهم يا بنى الخالة الأجواد ما أريد سوى عنتر بن شداد فقالوا له لقد وصلت يا ابن العم وقومت على خير مقدم (قال الراوى) ثم أنهم أخذوه معهم وعطفوا به راجعين وإلى نحو عنتر مسرعين فلما وصلوا إليه أعلموه بقدوم العبد عليه وكان فى دعوة الملك قيس وفى شرب وراح مع تناول الأقداح فلما علم عنتر بذلك وثب من بين الرجال ووضع يده فى يد عروة وخرجوا من هذه الدعوة وتبادروا بسيوفهم متقلدين لأن عنتر ما بقى يأمن لأحد من العالمين فلما نظر عنتر أقبل عليه وقبل يديه وأعطاه الكتاب فلما أخذه فى يده ورآه أعطاه لعروة فقرأه وفهم عنتر ما فى باطنه وظاهره ثم أقبل على أخيه شيبوب وأمره أن يكرم عبد الوزير وأما عنتر فإنه جلس فى خيامه وقد وقفت بين يديه عبيده وخدامه وأنفذ خلف الملوك والمقدمين بأن يكونوا إلى عنده حاضرين فحضروا جميعهم وهم لقوله سامعين مثل الملك قيس والربيع بن زياد وملاعب الأسنة والأخوص بن جعفر ومن يجرى مجراهم فى ذلك المحضر (قال الراوى) فلما تكاملوا وصاروا حاضرين أقبل عنتر على الملك قيس وعلى جميع ملوك العرب وقال له أيها الملك المسدد إعلم بأنه قد أتى إلينا خبر صحيح مؤكد من عند الملك الاسود بأنه قد أرسل إلينا الجيوش حتى ملؤا البر الفسيح وقد صار عندنا هذا الخبر صحيح وقد أرسل ثمانية عشر ألف فارس من كل بطل مناجز مع عاطل بن المثنى فما ترى من الرأى والتدبير أيها الملك الكبير وكيف الحال فى ملتقى هذا الجيش الكثير فلما سمع الملك قيس كلام عنتر وما أبداه إليه قال له يا أبا الفوارس ما يكون إلا مسيرنا إليهم ونلقاهم ونبيد أقصاهم وأدناهم وتكون أنت بين أيدينا فأما لنا وأما علينا فلما سمع عنتر كلام الملك قيس وما أبداه من الخطاب قال له يا مولاى ما هذا صواب فوالله ما تركتك تقاتل ولا أحداً من الملوك والقبائل إلا إن كنت أنا أهلك ولا تنزل إلا الملك مثلك وإذا سار إلينا الملك الاسود بنفسه سرت أنت الآخر إليه بنفسك حتى يكون ملك لملك وأما إذا أرسل إلينا من ينوب عنه فأنا الآخر أنوب عنك وأسير إليهم فى خمسة آلاف فارس أمجاد ويكون معى أخى وولدى وسائر بنى قراد

أما باقى الفرسان فتكون فى الحلة مقيمين لأجل حفظ الأموال والحريم (قال الراوى) فلما سمعت سادات العرب كلامه فما منهم أحد إلا وشكره على حسن اهتمامه ثم سار فى خمسة آلاف فارس غائصين فى الحديد مكثرون من الزرد النضيد لا يبان منهم غير تداوير الرمق. هذا وعنتر راكب على جواده الأبجر معتقل برمحه الأسمر متقلد بسيفه الأبتر وقد أخذ عبد الوزير معه بعد ما أخلع عليه وعظم قدره وحياه وصار يشكره على فعاله وقد أثنى عليه ودعا له ولما أبعدوا عن الجبال أخذ عبد الوزير رد الجواب وصار طالب مولاه بلا إطالة وهو يقطع البرارى والقفار ليلا ونهار هذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من عنتر فإنه سار بمن معه من الفرسان الأجواد ومن كان تبعه من الشجعان فجاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وأنشد يقول:

أنا لنصفح عن مجاهيل قومنا ... وأرد عنهم كل قــــوم أصلد
ونحن نعين فى الخطوب ضعيفاً ... حتى نســـيره لفعل السيد
ونجيب داعينا لهيــاج باجود ... عجل الركوب لدعوة المستنجد
وأبيد كل مـن أراد عنادنا ... يوم الهياج بكل ليث أجحد
أنى لعنترة الفوارس فى الوغى ... من خير عبس من علاها مولد
أفنى الجيوش عند إقبال جمعهم ... وأبيد فرسانهم بحــــد مهند
من كان ينكر فى الحروب مواقفى ... فقصيدتى فى البيت غاية مقصد
لو كان فى هذا الزمان مقاوم ... لا ذلنى قهراً وكان لوى يد
لكننى بطل الحروب وقرمها ... مفنى العداة إذا أتوا فى مشهد
أسمى أبو الفرسان عزمى باتع ... وتع الحايل فى الدرين الاسود

(قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء من الأحكام وأما ما كان من عاطل بن المثنى ومن كان معه من تلك الجيوش والكتائب فإنهم صاروا يطلبون جبال خشاخش والتناصب وعاطل يقول لرجاله ومن حوله من فرسانه وأبطاله أنتم تعلمون أن الملك الأسود عنده من ملوك العرب جمع كثير من الفرسان جمع غزير وما اختار فى هذه النوبة غيركم فبينوا شجاعتكم وبراعتكم وشدة بأسكم وفراستكم فلا تنكسوا أعلامكم ولا تهدموا مجدكم وعزائمكم فإن الملك الاسود قد اختاركم فبينوا أفعالكم فإن ظفرتم بعنتر فزتم بالعز والإكبار وارتفع لكم الذكر الأكثر على جميع عرب البر الأقفر (قال الراوى) هذا وعنتر سائر وهم سائرون حتى بقى بينهم وبينه يومين وما زالوا يجدون حتى لاحت غبائرهم فدعا عنتر بابن عمه عمرو أخو عبلة وضم إليه مائة فارس كرار وقال له امض واكشف لنا هذه

الغبار وما تحته من الاخبار وكان عمر وأخو عبلة قد أخرجه عنتر من المجال حتى صار من الابطال فأطلق عمرو عنان جواده وقد تبعه قومه وأجناده وهم موافقينه على بلوغ مراده (قال الراوى) وكان عاطل بن المثنى قد أنفذ قدامه ألف فارس نبيل مع ابن عم له يقال له جميل فسار جميل فى البر حتى وقع بهؤلاء القوم فطلبهم أشد الطلب ونادى بصوته ويلكم يا كلاب العرب وأخس من ضرب فى البيدا وتدا كشفوا لنا عن أحسابكم وبينوا لنا عن أنسابكم من قبل أن أعجل بواركم وأعدمكم أحبابكم وأقابلكم بما لم يكن فى حسابكم (قال الراوى) فما تم جميل كلامه حتى قفز إليه عمرو وصار قدامه وقال له اسكت يا ويلك لا أبالك يا طنجير والموت حل بك نحن بنو عبس المشاهير ثم أقبل بهمته واستجاده بطعنة فى لبته أخرج السنان يلمع من نقرته فصار جديل صريع يعج علقها ونجيع (قال الراوى) فلما نظرت فرسان بنى سليم إلى ذلك الأمر العظيم زعقوا على عمرو وقالوا له شلت أناملك فلقد قتلت فارس عشيرته ثم أنهم انطبقوا عليه وتبادروا إليه وأرادوا صرعته وإتلاف مهجته فتلقاهم عمرو بهمته وكر على الفرسان وأجاد فيهم الضرب بالسيف اليمانى (قال الراوى) ونظر أبوه مالك إلى ذلك نخاف على ولده من شرب كاس المهالك فحمل وأمر الفرسان كذلك أن تحمل فحملت ولاعنة خيولها أرسلت وانطبقوا عليهم شمال ويمين فلم تكن إلا ساعة حتى قتل من بنى سليم مائتين وخمسين والباقين ولوا مدبرين فعند ذلك أخذت بنو عبس خيولهم والاسلاب وعادوا طالبين من لهم من الاصحاب فهذا ما جرى لهؤلاء من الاسباب وأما ما كان من عاطل بن المثنى وما تم على قومه من المصائب فإنه لم يشعر إلا والمنهزمين قد وصلوا إليه وصار الجميع بين يديه وهم فى غاية الذل والتنكيل وقد أعلنوا بالصياح والعويل ونعوا إليه ابن عمه جميل فلما سمع مقالهم استخبرهم عن حالهم وما الذى جرى لهم ونالهم فقالوا وراءنا سيوف تقطع وأسنة تلمع ورجال للرؤس تزع بقلوب لا تخاف ولا تفزع وما أشرف علينا إلا مائة فارس لكن يقدمهم فارس كأنه طود الاطواد أو من بقايا قوم عاد فلما صارت أصحابهم مع أصحابنا فسألناهم عن أحسابهم واستخبرناهم عن أنسابهم فعند ذلك برز لنا فارس وهو الذى كان عليهم مقدم وحمل علينا حملة العدم وطعن جميل من غير تطويل تركه جديل وعلى وجه الارض قتيل وحملت علينا رفقته الباقون فقتلوا منا مائتين وخمسين فلما رأينا ماحل بنا من العذاب المهين ولينا مدبرين وأتينا منهزمين .

(قال الراوى) فلما سمع عاطل بن المثنى ما جرى لابن عمه جميل وقتله زاد همه وغمه ولطم على وجهه ورأسه ومزق لباسه ونزل عن جواده وقد احترق فؤاده ونادى

بامصيبتاه وابن عماه وأعلنا بالبكاء والعويل ونادى يالثارات جميل ثم أنه أطلق لجواده العنان وقوم السنان وسارت من خلفه الثمانية ألف فارس كأنهم الاسود العوابس وهم طالبين آثار بني عبس وقد ظنوا أنهم يلحقوهم فى بعض الوديان قال فهذا ما كان من عاطل بن المثنى وأما ما كان من عمرو أخو عبلة فإنه لما قتل ما قتل وترك الاعادى صرعى على وجه التراب أخذ الخيل التى لهم والاسلاب وعول على الرجوع والذهاب وخلفه من تبعه من الاصحاب إلى أن التقا بعنتر وأخبره بما جرى له فلما سمع عنتر ذلك الخبر فرح واستبشر وضم عمرو إليه وقبله بين عينيه وقال له يا ابن العم كلنا بسيفك نضرب وبهمتك نغلب ومنك نتعلم الطعن والضرب وأنت الذى تزيل عن قومك الكرب ثم أنهم ساروا حتى وصلوا إلى مكان المعمعة فوجدوا القتلى على الارض مبضعة ففرح عنتر وأثنى على عمرو قال فلما سمع عمرو مدح عنتر له وشكره فرح بعلو مجده وقدره وارتفاع ذكره ثم إنهم ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وكل منهم على متن حصانه وهو معتقل بسنانه وعمرو قد زاد به هيمانه فنطق بالشعر لسانه فأنشد يقول :

ولما لقينا من سليم كتائب وهم طالبين الضرب حين أشرف
وجردنا بأيدينا السيوف مع القنا وكلا على طعن الرماح أطوف
تقول سليم لو أقمت بأرضنا ولم تدر أنى للمقـــام أطوف
تركنا جميلا غارقاً فى دمائه وأعضاؤه من خيفة الموت ترجف
وجعلته فى وسط القفار مبدداً يحوم عليه الوحش والطير يخطف

قال فما تم عمر كلامه حتى طلعت الخيل من قدامه وقد أطلقت الأعنة وقومت الأسنة وعلت الضجة والرنة ولمع على أجسادهم الحديد وبرق على أبدانهم الزرد النضيد وتبادرت الصناديد هذا وعاطل فى أوائل جيشه وهو يجر الرمح من خلف ظهره وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو مع ذلك يزعق بأعلا صوته ويلكم يا مذلولين لقد جلبتم لانفسكم الويل الطويل والفناء والتنكيل وذلك لقتلكم ابن عمى جميل فلما سمع عنتر من عاطل هذا الهذيان ونظر إلى الخيل قد تبادرت والفرسان قد تكاثرت ومن حولهم انتشرت التفت إلى سبيع اليمن وأخيه مازن وقال احموا أنتم ظهرى وتفرجوا على كرى وفرى ولا تتعبوا أنفسكم فى قتال فأنا أشبعهم ضرباً بالنصال ثم أنه أطلق لجواده العنان وقوم بين آذانه السنان وقد صاح على تلك الفرسان فأوقفها وحمل عليها فأرجفها ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد واليوم أبدد شملكم وأفنى جمعكم ثم إنه أطبق على بنى سليم فأيقنوا عند حملته بالبلاء العظيم هذا وقد التقت المواكب

ولمعت الاسنة كالكواكب وثارت الغبائر وصار النهار كالليل العاكر وعمل البتار وحل بالقوم الانبهار وكثر من الخيل العثار وسال الدماء كالغيث الهطال وطلبت الفرسان الفرار وقل منهم الاصطبار وتحير الجبان على فوات الاعمار وهلكت العبيد والاحرار وتهتكت الاستار وباحت القلوب بالاسرار وعميت الابصار وقد حل ببنى سليم الفنا هذا وعنتر قد أظهر شجاعته وقد أفناهم بشدته وجال عنتر بن شداد وصال فيهم بالجواد وأجاد الضرب بالسيوف الحداد وكانت بنى سليم قد وقع فيها المحاق وبليت لمن بنى عبس بما لا يطاق وقد بذلوا فيهم السيوف الرقاق وشكوهم بالرماح الدقاق ونثروهم على الغبرة وأظهر عنتر قوته وطرحهم خمسة بعد خمسة وعشرة بعد عشرة فلله دره من فارس بطل فانه نثر الرؤس مثل الحنظل والكفوف كأوراق الشجر ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل وبنى عبس تسقى بنى سليم الموت المعجل ولم يزالوا وهم على ذلك العمل حتى تنصف النهار وحمى الهوجل وعقد الغبار وتمسطل وجل بالناس الخوف والوجل فعند ذلك انفصلوا من شدة الحر ثم افترقوا وتوهج البر

(قال الراوى) هذا وعاطل قد انبهر وتحير مما رأى من حملات عنتر وقد علم أنه هو مقدم القوم إلا أنه ما صدق أن يرد الحى حتى خرج إلى مقام الكر والفر وهو على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر إلى أن أقبل أو أدبر حير النواظر والفكر بين عينيه غرة تزهو كأنها القمر وهمزاته مثل لمح البصر يسبق خيل ربيعة ومضر وهو سليم النواظر مـــدور الحوافر صنعه الملك القادر متسع الكفل ما به عيب ولا تشل ولا يعتريه تعب ولا ملل لا يلحقه كسل ولا يعبأ له ركب قوى الصعب ذيال الذئب كثير الجرى والخبب وهو لابس على جسده زردية سليمانية وهى بالذهب مطلية وعلى رأسه بيضة عادية ترد أسباب المنية وهو متقلد بصفيحة هندية أمضى من حلول الرزية معتقل بقنا خطية عليها سنان كأنه رسول المنية .

(قال الراوى) ثم أنه وكز الجواد إلى حومة الميدان قبل أن تحمل الجيوش ونادى بأعلا صوته يا معاشر العرب وأرباب المناصب والرتب ألا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا أعرفه بنفسى أنا عاطل بن المثنى السلمى وقد أنفذنى الملك الاسود إلى قتالكم وحربكم وقد أرسل معى هذه الجنود وتلك الرايات والبنود وأمرنى بقتالكم لانى أنا الفارس المذكور والبطل المشهور وها أنا قد برزت إلى الميدان أريد منكم الحرب والطعان وقد منعت عنكم هذا الجيش الذى كأنه الجراد المنتشر لانى ما أشتهى أن يفرط فى عنتر فرط ولا يصيبه من أجلى ضرر وأنا لو أردت أخذه بالمكاثرة كنت

أطبقت عليه بهذه الجنود الحاضرة التى كأنها البحار الزاخرة لأخذته وأخذت كل من حواليه أسير وأنزل بهم الذل والتعبير والرأى عندى أن يسلم نفسه إلى قبل أن يحل به الانتقام ويشرب كأس الحمام حتى آخذ له من الملك الأسود الذمام وبعد ذلك فلا يحسب أن الرجال كلها سوى وإن أبى قولى فلا يكن له عندى غير القتل ثم أنه بعد ذلك المقال صال وجال ولعب برمحه العسال حتى رمقته جميع الرجال وأنشد بعد ذلك وقال :

رويداً بنى عبس إلى الحرب فارس ... فسوف تلاقوا شدتى وطعانى
ستلقوا غلاماً لا يحيد عن اللقا ... إذا حار وقت الحرب كل جبانى
أنا البطل الكرار فى حومة الوغا ... وفارسها المعروف يوم رهانى
فنحن أسود بنى سليم ضراغم ... نكيد الأعادى عند كل طعانى
وسوف أحز اليوم رأس هجينكم ... بحد حسام باتر ويمانى
أنا عاطل المندوب فى وقت اللقا ... وليث سليم الفارس المصانى
أبيد الأعادى يوم مشتجر القنا ... وأطعن فيهم دائماً بسنانى

(قال) فلم يتم كلامه إلا وعنتر صار قدامه وقال له اسكت سكت حسك يا ذليل يا مهان فما أنا ممن يلين بالهذيان وإن كان أعجبك جنودك المجتمعة فما هم عندى إلا كالبهائم إن أردت تفريقها فرقتها وإن أردت قبض أرواحها قبضتها ثم أنه أشار إليه يقول :

ستعلم أنى سوف أردى سراتكم ... وأشبعكوا طعناً بسمر اللهاذم
وأهلك منكم كل ليث غشمشم ... وأتركـكمو اطعم للنسور والقشاعم
وأفنى جموعاً جئت فيها ترومنى ... وتعلم أنى أسدى كل الأكارم
قومى بنى عبس الكرام ومن لنا ... حديث سرى فى عربها والأعاجم
أنا عنتر المعروف فى الحرب واللقا ... وسوف ترانى اليوم عند التصادم

(قال الراوى) فلما سمع عاطل شعر عنتر ونظامه اغتاظ منه ومن كلامه ثم حمل عليه حملة صادقة فالتقاه عنتر بهمة موافقة وكان فى يد كل واحد منهما سيف كأنه صاعقة وصارت الأعين إليهما رامقة وهما فى كر وفر وأخذ ورد وهزل وجد إلا أن عنتر قد خير عاطلا بجولاته وأضجره بكثرة ضربه وطعانه حتى علم تقصيره ولاصقه وضايقه وصرخ فى وجهه أرعبه ومد يده على أطواقه وعصر على خناقه وجذبه فى يده ونادى ياللعبس ياللعدنان واقتلعه من بحر سرجه ورفعه على قائم زنده وجلد به الأرض كاد أن يرض أضلاعه رض فانقض عليه شيبوب وكأنه البلاء المصبوب وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف (قال) فلما نظرت بنو سليم إلى مقدمها وقد أسر انتخت لنفوسها

وركبت رؤسها فى قرابيص سروجها وعولت أن تشرب كأس حمامها واعتمدت على رماحها وسيوفها وأطلقت الأعنة وقومت الأسنة ثم حملت الثمانية عشر الف فارس وقد علت منهم الضجة فالتقاهم عنتر بصدر الحصان وحملت بنو عبس وصاحت من خلفه مثل العقبان واختلف الضرب والطعان وتصادمت الأقران وتلاحقت الشجعان واندهل الجبان وعمل الصارم اليمان وتحكم فى الجماجم والأبدان وقدحت حوافر الخيل شرار النيران وتناخت الشجعان وهاجت الأقران وصالت الفرسان والتقت الشجعان بالشجعان وارتجت الأرض من ركض الفرسان وتعثرت الخيل من كثرة الجولان وصارت تقع وتقوم وأظلم الجو كالغيوم وتقابلت الأبطال بالصوارم فى طالع مذموم وحكم عليهم بالموت الحى القيوم الذى حكم على الخلائق بكاسات الفنا فسبحانه هو الذى يدوم ولايفنى وجرت الدماء كالسيل وعاد النهار كالليل ومالت الجيوش على بعضهما كل الميل حتى كلت من تحتهما الخيل وتدفقت المواكب مثل السيل وثارت الغبائر من ركض الخيل فما كنت تسمع إلا بريق أسنة الرماح مع صهيل الخيل ولمعان برق السيوف يحاكى نجوم الليل ثم دارت الأفلاك بكاس الهلاك وعمل الصارم فى الجماجم والأبدان والأحيان وقد سبق القضاء بذلك وتقطعت الرقاب والأوراك هذا وعنتر يقصد الرايات والاعلام ويهبر فى الابطال بالحسام ويفرق الجثث عن الاجسام ويبريها برى الاقلام وهو يضرب فى عروة ويزعق فى رجاله ورفقائه هذا وبنوسليم تتساقط عن ظهور الخيل واكتالهم عنتر كيل وأجرى دماهم مثل السيل .

(قال الراوى) ولم يزالوا فى ذل وويل حتى ولى النهار وأقبل الليل فعندها حل ببنى سليم المحاق ووقع بهم الارجاف وقتل منهم فى ذلك اليوم بلا خلاف أكثر من ستة آلاف فلما رأى مسالمون ماحل بأصحابهم من الويل هربوا بأجمعهم تحت ظلام الليل فتبعهم عنتر ومن معه مقدار ثلاثة فراسخ ثم عاد من خلفهم وهوفى هناء وسرور وملك المضارب والخيام وقد ساق الإبل والانعام ثم أحضر عاطل بين يديه وقال له ويلك أما كان فى حضرة الملك الاسود من هو أفرس منك ولا أثبت عند الصدام إلا أنت يراد بك حتى اخترت لنفسك هذا المقام أفد الآن نفسك وإلا ضربت رقبتك يا ابن اللئام .

(قال الراوى) فلما سمع عاطل كلام عنتر اندهل وتحير وقال له ما الذى تريد ياوجه العرب أخبرنى حتى أعرف ما يكون هذا الطلب وأفدى عنقى منك بلا تعب فقال له عنتر أريد منك ألفين ومائة ثوب من ديباج وعشرين عقد جوهر وثلاثة آلاف دينار من

الذهب الوهاج ومائة رأس من الخيل العتاة وألف ناقة فقال عاطل وحق من جعلك من أهل الغنى وجعلني من أهل الفقر والفاقة ما تملك يدى الأفراد ناقة فلما سمع عنتر منه هذا الكلام قال له أراك تتكلم بالهذيان يا ابن الف قرنان لانك ما ذقت طعم الهوان وكذلك ما تبعت سنة جميع العربان ولكن سوف أحل بك الهوان وأهرى جلدك بضرب السياط وأذيقك العذاب ألوان .

(قال الراوى) ثم أنه أمر عروة أن يشده على جواده وصاروا بالاموال والمكاسب طالبين جبال خشاخش والتناصب هذا وعنتر قد أقبل على عروة وقال له يا ابن العم والله أن هذه الارض أحسن من أرضنا ولكن لا بد أن نقيم فيها ونجعلها وطناً لنا لان أرضنا ما فيها غير شجر أم غيلان وهذه الارض كثيرة المياه والغدران وفيها من جميع الشجر والافنان وهى أكثر عشب وأغزر مرعى وأنا لا بد لى أن أقيم فيها وأجعل أموالنا ترعى فيها هذا وهم سائرين وبما نالهم من النصر فرحانين وقرت منهم بما كسبوا كل عين حتى قربوا من الجبلين وقد وصل خبرهم إلى الملك قيس ومن كان معه من المقيمين فركبوا إلى لقاء القادمين وقد فرحوا بما وصل إليهم من الاخبار تلقوا عنتر ومن معه على بعد من الديار .

(قال الراوى) فلما وصلوا إليه وقد نظروا إلى تلك الاموال التى بين يديه وشاهدوا تلك الرجال وهم فى الاسر والاعتقال وفى أيديهم وأرجلهم القيود والاغلال وهم بحالة الذله

(قال الراوى) ثم أن الملك قيس بعد ذلك قال يا أبا الفوارس والله لقد أفقرت الذين أخذت منهم هذه الاموال وسقت من عندهم تلك الخيل الغوال والنوق والجماله فقال عنتر يا مولاى أن هذا رزقنا أتى إلينا وساقه المولى لنا وقد استرحنا من التعب والعنا فلما سمع قيس كلامه فرح به وزاد ابتسامه وحل الفرح والسرور وقال لا زلت يا ابن العم مؤيداً منصوراً وعدوك مذلول ومقهور .

(قال الراوى) هذا والربيع بن زياد وإخوته قد انفطرت منهم المرائر وقالوا والله ما هذه الاسعاد زائدة أول وآخر مع هذا الولد الزنا نسل العواهر لان له وجهاً تتخطاه المقادير والآفات ولم تقع به النائبات ولا بد أن الزمان يهلكه وينزل به مصائبه ثم أنهم بعد الحال وعادوا إلى الجبال وقد وقعت بهم البشائر وعلت الاصوات من الاماء والحرائر وارتفعت منهم الضجات وعلت الصيحات وقصد كل واحد منهم إلى مضربه وتلقته أهله وقرابته :

(قال الراوى) هذا وعبلة قد تلقت ابن عمها عنتر ووقعت فى صدره ودخلت معه

خباءه وهى تقبله فى نحره وفى فه وتقول له لا كان يوماً لا نراك فيه ولا زماناً مع غيرنا تقضيه يا حامى الحريم وكاشف عنا كل هول عظيم هذا وعنتر قد فرح بكلامها ونزلت الفرسان فى خيامها وحل بهم السرور وأخذوا فى نحر النحور وسكب الخمور وعنتر تيقن أن الملوك قد عجزت عنه وجميع الابطال خافت منه هذا وبنو عامر قد فرحت بصاحبة عنتر وقد أيقنوا بالنصر والظفر وأقاموا فى العز الدائم وقد احتوت أيديهم على كل شىء كثير من الغنائم لا سيما أموال الملك الاسود التى نهبوها من الحيرة فى ابتداء الأمر فهذا ما كان لهؤلاء من القصة المذكورة وأما ما كان من جيش الحيرة فإنهم لما انهزموا وحل بهم ما حل من عنتر من البلاء والتعويق فسار كل منهم فى طريق وهم يكثرون من البكاء والشهيق وفى قلوبهم مما حل بهم نار الحريق وهم منقطعون من عشرة وعشرين ولا يدرين إلى أين يسيرون ولاى طريق يذهبون وما زالوا شاردين وهم فى البرارى تائهين حفاة عراة مجروحين ومما حل بهم من الخوف صاروا يركضون الفلاة الذى قصر جواده قد نزل عنه وخلاه وصار يندب على ما أصابه وأصاب رفقاه .

(قال الراوى) وكان الملك الاسود يجمع عنده كل يوم ملوك العرب ويتحدثون فى أمر عاطل وعنتر وما يجرى بينهما من السبب فقال الملك الاسود للوزير أن عاطل ما يعود إلا وعنتر معه أسير وكذلك بنو عبس وبنو عامر المغاوير وهم فى ثياب الذل والتعثير (قال الراوى) هذا والملوك كلما سمعوا ذلك المقال يتندموا كيف ساروا إلى لقاء عنتر فى الاول وهم يتندمون غاية الندم ولا فيهم إلا من يقول بنو عبس فى هذه النوبة وبنو عامر يحل بهما الهلاك والعدم ولا بد أن ينقرضوا قرض إلى يوم اللقاء والعرض إلا بنى فزارة وحصن بنى حذيفة يقول والله إن هذا يقين باطل لان عنتر ما يبالى بألف مثل عاطل ولا يسأل عنه الموت يخاف أن يقرب عنتر أو يدنو منه .

(قال الراوى)فبينما هم جالسين فى الايام وهم يتحدثون فى مثل هذا الكلام وإذا بالصياح فى القصر قد علا حتى ارتجت جنبات الفلا وقد أقبلوا من صدر الفلا وهم حفاة عراة لا يصدقون بالنجاة وهم فضيحة من يراهم مما حل بهم واعتراهم فعند ذلك سألهم الناس عن قصتهم فأخبروهم بجميع حالهم وما تم عليهم فى سفرتهم هذا والملك الاسود قد سمع بذلك الخبر فكادت مرارته أن تنفطر وانقلبت الحيرة بالبكاء والاهوال على من قتل من الرجال فأقبلت بقية العربان وهم بحالة الذل والهوان وقد أخبروا الملك الاسود بما جرى وتجدد وما حل بهم من النكد وكيف شتتهم عنتر فى كل بر وفدفد وأخبروه بأن عنتر التقاهم وأنزل بهم الوساوس وليس معه غير خمسة آلاف فارس

وأن الملك قيس ما حضر القتال لا هو ولا من عنده من الأبطال بل قال له عنتر يا ملك أنت نظير الملك الأسود وإذا هو سار إليك بنفسه وأتى إلينا وهجم بجيشه علينا سر أنت الآخر إليه وأقبل بكليتك عليه وإليه تجرد .

(قال الراوى) وأما نحن أيها الملك فقد رأينا منهم أهوالا عظيمة وأمورا جسيمة وما رأينا إلى النجاة طريق مستقيم إلا عندما عولنا على الهرب والهزيمة ورأينا سلامة نفوسنا هى أول غنيمة كانت سفرتنا ميشومة ردية .

(قال الراوى) فلما سمع الملك الأسود ذلك السؤال حل به الانذهال وقامت القيامة وعض على يديه أسفاً وندامة فقال حصن بن حذيفة والله لقد بغى هذا العبد السوء وتجبر وقد انسلخ من صفات البشر فعندها قال الملك وهب بن موهوب لما رأى الملك الأسود وهو كثير الأسف والكروب وهو جالس بين أكابر عشيرته وأرباب دولته مطاطى لرأس زائد الوسواس كثير الافتكار لا يأخذه هدو ولا قرار فقال له أيها الملك لا تضيق صدرك ولا تهتم فى أمرك فأنا ومن معى نمضى إليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونقلع أثره ونصرم عمره ونلعن والديه فقال الملك الأسود لا كان الملك الأسود ولا استكان ولا عمرت به أوطان ولا أسعده الزمان فقالت أمراء بنى شيبان نحن يا ملك نسير فى هذا الشأن وتكون معنا بنى فزارة وكاهنها سنان ونمضى كلنا إليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونعفر خده ونلعن أباه وجده فقال الملك الأسود أنا مالى غرض فى مسير بنى فزارة ولا تدخل على هذه العبارة لأنهم بنو عمه على كل حال وإن قتلوه وأنزلوا به وبمن معه الخسارة فيبقوا يقولوا أن الملك الأسود ماله عندنا إجارة لأن هذا واحد من بنى عمنا فما قدر يلقاه إلا بنا ويرتفع بذلك قدرهم وينحط قدرنا وتطمع فرسانهم فينا غاية الطمع ولا يبقى لنا وجه عند العرب أجمع وأنا لا أريد أن ألقاه إلا برجالى وسائر عسكرى وأبطالى حتى إننى أكون قد وفيت بمقالى وتبقى تهبينى جميع العربان إذا سمعت بفعالى فى هذا الشيطان ثم أنه لما فرغ من ذلك التدبير والمرام دعا بفارس دولته وشجاع قبيلته حداش بن علاقة فارس بنى شيبان وكان أشجع من الشجعان وفريد العصر والأوان وكان طوله سبعة أذرع بالهاشمى عظيم المنظر مهول المخبر وقد خاض الأهوال ولقى بصدره صناديد الرجال مدخر ليوم المجال وإذا نزل إلى خصمه فى قتال لم قط يطلب منه انفصال يطعن العدو الموصوف فيقلبه ولا يخاف شجاعا .

(قال الراوى) ولما أن الملك الأسود دعى به إليه وصار بين يديه قال له ياخداش سير أنت فى هذه المرة إليه حتى تعلم فرسان العربان أنك أقوى منه جنان وأثبت منه فى

الميدان عند الضرب والطعان فاعزم عليه فأنا لولا أعلم أنك كفؤ لهذا الأمر ما قدمتك عليه فأنت حاجبي وعمدتي وسيف نقمتي وعليك معولي فى رخائي وشدتي وأنت تعلم أن الملك يحتاج سياسة وناموس والإيصير بين الملوك موكوس وإن لم تظهر له سطوة وعلو باع وقدر وارتفاع وإلا اندرس رسمه وضاع وأخاف أيضاً أن يبلغ خبرى إلى كسرى أنو شروان وما جرى لنا مع هذا الرجل من ذلك الشأن فتنفتح عند أهل خراسان وربما يغضب علينا ويحل بنا الهوان وأنا أريد أن آخذ هذا الرجل بغير بنى فزارة لأنهم قد ذلوا مما حل بهم من الخسارة واستجاروا بى فأنعمت عليهم بالإجازة وإن أنفذتهم إليه ونصروا عليه لقالوا ما حصلت إجارة الملك فى شيء معنا ولا قدر على الذى به وعدنا ولا وصلنا إليه إلا بأيدينا وكانت نصرتنا عليه إلا منا وإلينا وإنى يا أمير خداش أريدك تسير إليه وتأخذ معك ثلاثين الف فارس من كل بطل مداعس ولكن تجتهد أن يكون النصر على يديك حتى تقر بذلك عينيك وتصير الحرمة لنا على كافة من ضرب فى البيداء وتد ومد طنب .

(قال الراوى) فلما سمع خداش كلام الملك الأسود نفخ الشيطان فى معاطفه وطغى وتمرد وذلك لأجل ما يعرف من نفسه على طول الأبد وقال ياملك أنا كما تعهد وأنت أخبر الناس بى من كل أحد ولكن يا ملك الرأى عندى أسر هذا العبد الأسود فانا أمرى ما يخفى عليك أيها الملك المسدد مما ظهر قدامك من شجاعتى وقوتى وبراعتى وما كنت أفعل بالملوك فكيف يهون عليك تقاومنى بذلك الرجل الصعلوك ولكن يا ملك إطاعتك فرض على وهذا الأمر من أقرب الأشياء إلى وأمرتنى أن آتيك بعنتر وبنى عبس الجميع ويكونوا الكل مقرنين فى الحبال الرجال منهم والشباب التى لهم والأطفال

(قال الراوى) ففرح الملك الأسود بذلك المقال وفى عاجل الحال أرسل معه من العربان ثلاثين الف عنان من كل فارس ممارس وقرم مداعس وسيره سير الملك القناعس بخلاف ما سير عاطل بن المثنى فإنه حمله بكل ما يحتاج إليه من السرادقات الملونة والرايات المختلفة وكذلك من خلفه الطبول والآلات والزمور والبرقات وقد دقت الكؤسات وخفقت على رأسه الرايات وانجرت بين يديه الجنائب العربية وفى أعناقها السلاسل الفارسية وسلمه خزانة السلاح وجرد الجيوش بين يديه وهم على جرائد الخيل يتدفقون وما فيهم أحد غريب وكل منهم ابن عم ونسيب والزرد معهم بكثرة على ظهور الجمال وسار معهم الملك الأسود مقدار فرسخين حتى تغوطوا فى البر والفدفد وقال له أبصر كيف يكون من أمرك لأنك تعلم أنك فارس دولتى وسيف نقمتى ونصرتك من نصرتى

واعلم أن فى انكسارك انكسارى وانحطاط لمنزلتى ثم أنه ودعه وأوصاه على من معه وأمره بالاحتراز من فرسان الحجاز ثم أنه عاد إلى مدينة الحيرة وسار خداش وهو فى تلك الجنود الكثيرة وقد تقدم فى أوائل الجيش وصاروا يقطعون القفار والبيد وهو مسربل بالحديد كأنه البرج المشيد أو كشيطان مريد راكب على جواد شديد وهو من جياد الخيل يتدفق من تحته مثل السيل وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الأبيات :

الخيل تعلم إنى من فوارسها ... ما كنت عند اختلاف الطعن منحرفا
وسوف تدل يعلم القوم أى فتى ... تخوفنى الأعداء والنفس مختلفا
أنا الهمام الذى إذا سل صارمه ... سل النفوس من الجساد وأتلفا
أجود بالمال لا ابغى فيه عوضاً ... وإن فخرت فحسبي ذلك الشرفا
وأبذل السيف فى الهيجاء إن كرهت ... قصد الكريهة من هيجانها أسفا
أخبر بنى عبس إنى سائراً لهموا ... أرد هجنهموا بالسيف التلفـــا
أنا الخداش عقب الحرب معركة ... السيف منى لروس القوم مختلفا

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الوزير فإنه لما رأى تلك الجيوش التى سارت وملأت الدكادك قلق الوزير لذلك ولم يكن له من الرأى الصواب إلا أنه كتب إلى عنتر كتاب وهو يقول له خذ حذرك من هذه النوبة واجتهد حتى تأسر خداش ثم أنه طوى الكتاب وانفذه مع العبد ســـالم فسار يقطع الرسوم والمعالم وهو لكثرة السير مواضب حتى اشرف على جبلين خشاخش والتناصب وقد قصد ابيات عنتر من غير أن ينظره بشر فلما اشرف عليه قبل الأرض بين يديه وسلم إليه كتاب الوزير فعند ذلك ترحب به وحياه وأخذ الكتاب من يده وناوله لعروة فقرأه وفهم رموزه ومعناه ثم أنه أخذه معه وسار إلى الملك قيس وسادات العرب حتى يعلمهم بذلك السبب فلما دخل عليهم أشار بيده وسلم عليه وقال لهم ياسادات العرب قد أتانا كتاب وهو يخبر أنه قادم إلينا جيوش مثل البحر العباب وقد أتيت إليكم حتى أطلعكم على هذه الأسباب فما عندكم من الرأى فعند ذلك تكلم كل واحد ما فى باله من الخطاب فقال قيس ما فى الأمر إلا أننا نسير كلنا إليهم ونلتى عدونا فلما سمع عنتر ذلك أشار بيده إلى الرجال وقال وحق من أنبع الماء الزلال وأرسى الجبال لا يسير إلى لقاء هذه الجيوش القادمة غيرى ولو أنها عدد ذلك أضعاف وأكن فى خمسة آلاف ولاسار له أحداً أبداً ولو سقيت كاس الردا ثم أن عنتر انتخب رجال قومه وتأهب المسير

وتودع من الملك قيس وسادات العرب وسار يقطع البرارى والسباسب وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

كبرت وربتنى الحروب وظهرت مشيباً بدا فوق المفارق ما كفى
ماالعيب فى شيبى إذاخضت قسطلا والتحمت الأبطال حولى بلاخفا
قسمت حياتى بين سيفى وصارمى فأمسى سكرانا وأصبح زاحفا
وتنظرنى عند العطا متكرماً وتبصرنى عند اللقاء متناصفا
وإن كان لونى بالسواد يعيبنى فلى فى عداد المكرمات مواقفا
خليلى ما الإنسان إلا ابن يومه بالفضل يعلو كل من كان عارفا
وأنى لأعطى السمر فى الحرب حقاً إذا القوم من خوف المنية راجفا
وأقحم مهرى فى عجاج غبارها فتبصره مثل الرياح العواصفا
إذا سار تقريباً ترى البرق دونه ويسبق بالجرى البروق الخواطفا
أنا عنتر العبسى غير مقصر عن المجد والعلياء والعز سالفا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره اطربت الفرسان من نظمه ونثره قال له عروة بن الورد لا رد الله فاك ولا كان من يشناك فشكره عنتر على قوله ونزلوا للراحة وأعطوا العلوفات إلى خيولهم وأكلوا من زادهم ولما فرغوا من المأكول والمشروب أقبل عنتر إلى أخيه شيبوب وقال له يا ابن الأم أريدك تسير فى هذه الليلة ولا تقر ولا تهدأ وتطلب جيوش الأعداء وتبصر متى يشرفون علينا وتعود علينا على الآثار فقال شيبوب سمعاً وطاعة ثم سار من أول الليل فى الظلام وعول على قطع الربا والآكام وبات عنتر ومن معه فى ذلك المكان إلى أن ظهر الضوء فعند ذلك ركبوا وساروا يقطعون القفار إلى آخر النهار وعنتر قد زادت به الكروب من أجل غيبة شيبوب وإذا به أقبل إليه مثل ريح الهبوب ورجليه تلطم شحمة أذنيه حتى وصل إلى عنتر ووقف بين يديه فعند ذلك فرح عنتر بإقباله وسأله عن حاله فقال له يا ابن الأم اعلم أن الجيوش قد قربت إليك وبينك وبينهم يومين ويقدمون عليك فخذ حذرك واحترز على نفسك أنت وجيشك فلما سمع عنتر من أخيه تلك الأخبار أقبل على عروة بن الورد وقال له اعلم يا أبا الأبيض أننا نريد أن ندبر هذه الاحوال حتى لا يطول بنا المطال وقد رأيت من الرأى أن تأخذ الف فارس ويسير بك شيبوب فى عرض هذه البيد فما يصبح الصباح إلا وأنتم خلف الاعداء وإذا أشرفوا علينا فأنفذوا ميسرة ورتب معه ابن أخى مقرى

الوحش فى ألف فارس يكملوا عن يمين القوم وأنفذ علقمة وأخى مازن فى ألف فارس ويكونوا مكمنين عن يسار القوم والنقيهم أنا وابن عمى فى ألفين فارس لانهم إذا أشرفوا ورأوا تلقى قلة يطمعوا فينا فيحملوا بجمعهم علينا فاستجروهم إلى أن يبقوا فى وسط الكمين فتخرج أنت برجالك من خلفهم وتملك رجالهم ومضاربهم ففى ذلك الوقت تصرخ الكمناء صرخة واحدة تتزلزل منها الجبال ثم تخرج باقى الكمين من اليمين والشمال وفى ذلك الوقت أشتهر أنا بروحى وأحمل عليهم بسيفى ورمحى وأزعق فيهم فلما سمع عروة كلامه أبدى ضحكة وابتسامه وفعل ماأمره به عنتر وأخذ شيبوب بين يديه وصار يقطع البر الاقفر فعندها سار به شيبوب وعرج به فى عرض البيدا والخيل من خلفه وأرادوا بذلك أن يطلعوا من خلف القوم حتى لايبقى عليهم عتب ولالوم فهذاما كان من عروة وأما ما كان من عنتر ومن معه بأنه أقام فى ذلك المنزل وهو كثير الافراح إلى أن بدت غرة الصباح فعند ذلك دعا بولده ميسرة وسبيع اليمن وسيرهم فى ألف فارس من الشجعان وأمرهم أن يكمنوا فى تلك الكثبان وأوصاهم أن يخفوا أنفسهم ويكونوا على حذر من عدوهم ودعا بعلقمة وأخيه مازن وسيرهما فى ألف فارس وأمرهم أن يكمنوا فى تلك الكثبان وبعد ذلك سار عنتر فى الالفين فارس التى بقيت معه من العسكر ولم يزل يقطع القفار إلى أن تعالى النهار وإذا بالغبار قد ثار وظهر للنظار وتزوبع حتى سد الاقطار وسمعوا دق الكؤسات ونعير البوقات وقد بانت الرايات وظهرت الاعلام والفرسان وقد جردت المشرفيات وأقبلت الجيوش بكمالها وارتجت الارض بزلزالها وخداش فى مقدمة الجيش كأنه الاسد الكاسر فعند ذلك مد عينيه فنظر إلى جيش عنتر على ذلك القدر فانذهل وتحير وبتلك الرجال احتقر ثم التفت إلى من حوله من الرجال وقد أخذه الانذهال ثم قال يا للعرب يا أهل الفضل والادب والله أن هذه محنة عظيمة وفعلة ذميمة ونحن الساعة ما أتينا بهذه الجيوش إلا لهذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة فوالله أن هذا عار وذل وشنار وبعد هذا فما أرى بينهم لعنتر خبر وما أظن إلا هذه الرجال طليعة للجيش الذى لعنتر ثم أنه بعد ذلك دعا فارس من الشجعان وقال له امض إلى هذه الطليعة برسالتى وحذرهم من سطوتى وأبصر إن كان عنتر فيهم أعلمه بخبرى وقل له ويلك دع عنك هذه اللجاجة لانك عاديت الملوك وتريد أن تلقى كل فارس فتوك وقد أقبل إليك هذا الجيش الذى كأنه نار الحريق فاستغنم نفسك قبل البوار وإلا حل بك الدمار وأقبل على مقدمنا خداش حتى يعطيك الامان فعند ذلك أطلق الفارس

عنانه وساق حصانه حتى قرب من الجيوش وصاح بصوته وقال يالعبس أين عنتر فدعوه يحضر حتى يسمع ما أقول (قال الراوى) فلم يتم ذلك الفارس مقاله حتى حضر عنتر قدامه وطعنه فى صدره أخرج السنان من ظهره فلما نظر خداش إلى ابن عمه وقد مال وانقلب نادى يالعرب ائتونى بهذه الطائفة اليسيرة حتى أبرد بهلاكه كبدى وأضرب رقابهم بيدى فلم يتم كلامه حتى برز من الجيوش مقدار سبعة آلاف وصاروا قدامه وحملوا على بنى عبس حملة واحدة وأوقدوا نار الحرب بعد ما كانت باردة وخداش ينادى يا ويلكم لقد جلبتم لأنفسكم المنية وأحاطت بكم الرزية سلموا أرواحكم إلينا قبل حلول الأجل وإلا حل بكم الموت المعجل فقد أضرمتم على أنفسكم نار تحرق الكبار والصغار.

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامهم ونظر إلى حملتهم وإقدامهم عند ذلك أمر فرسانه بالحملة عليهم فجردوا السيوف وحملوا مرة واحدة هذا وعنتر مختفٍ فى جانب الجيوش وهو ساكت لا يتكلم بل ينثر الجماجم والقمم ويبدل الفرسان من الوجود إلى العدم ويجندلهم فى جنبات الفلا ويطعم الطير والوحش من لحوم القتلا وهو يضرب ضرب ينثر به الرؤس ويطعن فى الصدور ويسلب النفوس وقد أوردهم كاس الحمام والوجوه الضاحكة صارت قتام ووقعت الصاعقة فى تلك الفرقة وسمعوا من بنى عبس فى أعقابهم زعقة فلما نظر خداش إلى رجاله قد تكسرت ورجال عنتر عليهم استظهرت وعنتر لا يسمع له خبر فكادت مرارته أن تنفطر وصاح فى بقية الجيوش وحمل فيمن حوله من رفقاه وطالب بنى عبس وترك باقى الجيش وراءه وعنتر قد وثب هو وأصحابه وثبات الكرام واستقبلوا وجوه الأعداء بضرب الحسام حتى هشموا العظام وثار العجاج والقتام وانقطع من الطائفتين الكلام وعنتر ينثر بالحسام حتى ترك الجماجم تحت الأقدام وفلق الهام وبرى الرقاب عن الجثث مثل برى الأقلام وسار عنتر يقاتل ويتأخر وكذلك أصحابه فعلوا مثل فعاله وهى تدافع عن أنفسهم والجيوش وسط الكمين ولما نظر خداش إلى أعدائه وقد تأخروا إلى ورائهم أعلن بالندا فيمن قدامه وفيمن وراءه وهو يقول ياويلكم يا بنى عمى خذوهم أسارى وقودوهم حيارى فلما سمعت الفرسان كلامه حمل كل واحد على من كان قدامه إلا أن الفرسان لما حملت علت الضجة من خلفهم وخيل عروة عليهم طلعت وطلبت الأعداء من كل جانب وهم ينادون يالعبس يالعدنان هذا وعروة قد سلم الأموال إلى مائة فارس وأمرهم بحفظهم وحمل عنتر فى بقية الفرسان فلما نظر خداش إلى هذه البلوة ضاقت أخلاقه وانذهلت عيون أصحابه وهمت رفقاه أن ترجع إلى لقاء عروة الصميدع وإذا بغبار ميسرة قد طلع من الميمنة وخلفه الفرسان

التي كانت معه فحملت وهي كأنها سد من حديد وصارت تنادى يالعبس الأماجيد فلما نظر خداش إلى ذلك الغبار انذهل بصره وحار وقد بقي باهت وحلت به الحسرة وتاه عقله وأخذته الفكرة وإذا بمازن وعلقمة قد طلعا من الميسرة وانكشفت عن رجالها الغبرة فعند ذلك زعق عنتر وأعلن بالنداء ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد

(قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى اختلطت الفجوج وثار الغمام وبقيت الدنيا تموج وكانت وقعتهم مثل وقعة يأجوج وتمايلت الأبطال من على السروج وامتزجت فيهم بنى عبس أى مزوج فلله در ذلك اليوم وما جرى فيه من الحرب الشديد وصار الجبان يطلب الهرب ويموج وعنتر ترك الفرسان فى الدم تموج وصبغ الأرض حتى غطت المروج وصار يطرح الابطال من على السروج وكان عنتر قد جعل قصده من خداش وقصد إلى نحوه فى مقام الهراش وصمم عليه ليعدمه فؤاده ثم طعنه بعقب الرمح نكسه عن ظهرجواده (قال الراوى) فعند ذلك أقبل عليه شيبوب كأنه الغنداف وفى عاجل الحال أوثقه كتاف ثم جعـــل ينادى يا ويلكم يا بنى شيبان عن من تقاتلوا يا أنذال العربان وصاحبكم قد أسر وحل به الهوان وهذه غبائر بنى عامر قد أتت لتعين بنى عبس فالسعيد منكم يطلب الهرب قبل أن يقع بكم التعس والتنكس .

(قال الراوى) فلما نظرت تلك العربان إلى خداش قد أسر وصاحب العلم قد قتل وقد بقوا مثل الغنم بلا راعى تبددوا فى الفلا وصار كل واحد يدافع عن نفسه ويطلب النجاة فما كنت ترى فى ذلك الوقت إلا كفوف طائرة وخيول غائرة ودماء تجرى من الابطال فائرة وعظمت الحرائر وتفطرت المرائر فكم من على بدنه طائر وكم من شجاع ثابت وجبان نافر هذا والجيوش قد حل بها الضيق وانهزم كل منهم فى طريق وتمزقت رجال خداش غاية التمزيق .

(قال الراوى) هذا وبنى عبس تضرب فى أقفيتها ضرب أمر من نار الحريق حتى صارت الارض من الدما مثل لون العقيق ولم يزل عنتر ومن معه من الرجال الكرام وهم خلفه يضربون بالحسام حتى أقبل عليهم الظلام وبعد ذلك رجعوا عنهم وقدتشتتوا فى البر والآكام وعنتر قدام الفرسان وهو فرحان بما نال من الآمال وهو ينشد ويقول:

سقيت الحيا يا دار عبلة باللوى	وحييت يا دار الشـــربة فانعم
فكم من دجا حرب كشفت ظلامه	بكى رقيق الشفرتين مصمم
ولى عزمة ما تنثـــنى من ملة	بأن لست على قتل الجبان بمحرم
وإنى لكشاف الكريهة فى الوغا	صبور على مر اللقـــا والتصادم

رجعت وللحظـــا تحت وريده ... عيون تشكى فرقة الروح بالدم
وكم مثلها حرب يشيب ضرامها ... كأنى منها موضع الريق بالفم
وإن كان شيبى قد أعاب شبوبتى ... فما شبت من تفريق جيش عرمرم
وما الفخر إلا يجـــود به الفتى ... بمال وأطراف الوشيح المقوم

فلما فرغ عنتر من شعره طربت الفرسان من نظمه ولم يزالوا سائرين وهم يجمعون الشاردة لأنه لما قتل أصحابها وبقيت ممددة فما وصلوا إلى أصحابهم حتى طلع الصباح فتلقوهم بالهنا والأفراح وجمعوا الغنائم على بعضها والأموال وعادوا طالبين الجبال ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الجبلين وإذا بالملك قيس ومن معه من الرجال خرجوا إلى لقاء عنتر ومن معه من الأبطال وبين أيديهم المولدات بالدفوف والمزاهر والناس معهم بخلوق الزعفران وهم فرحانين بنصرة عنتر على تلك الجيوش هذا والملك قيس قد تقدم إلى قدام وأقبل على عنتر وهنأه بالسلامة وكذلك الربيع بن زياد وإخوته وهم يريدون إعدام مهجته وعامر بن الطفيل استقبله وجعل يضمه إلى صدره ويقبله إلى أن دخلوا الجبال ونزلوا للراحة فقال لهم عنتر دونكم والغنائم فهى لكم مباحة فعند ذلك تعجبوا من فعاله وحسن مروءته وخصاله ثم أنه قدم بينهم الغنائم بالتسوية وأخذ قسمه كواحد منهم على تلك النية وبعد ذلك دخل على عبلة فتلقته وقبلته وقالت له يا ابن العم لا عدمنا عزماتك القوية فلما رأى عنتر منها ذلك التودد والإكرام فرح وقال لها يا بنت العم ما دام إنى أراك سالمة فكل الدنيا ملكى وسوف أفنى جميع أعداك وكل من يشناك .

(قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك المعنى خرج من عندها وقد نال ما يتمنى وأحضر خداش وعاطل بن المثنى وقال لهما أريد منكما أن ترسلوا إلى أصحابكم وتأتونى بالفدية وإلا ضربت رقابكم وما أنا طالب منكم فضة ولا ذهب ولا أطلب إلا ما جرت به سنة العرب وهى الخيل والجمال والعبيد والأموال فقالوا إن كان ولابد عن هذا المقال فاطلب منا ما تريد من المال فقال عنتر ما أريد من كل واحد منكم سوى ألفى ناقة ومائة رأس من الخيل المسومة ومائة عبد ومائة أمة واعلموا أنى ما طلبت منكم إلا على قدر حالكم

(قال الراوى) فلما سمع خداش كلام عنتر وما طلب قال له جزاك الله خيراً ياوجه العرب فوحق من جعلك من الأغنياء وغيرك من أهل الفقراء أن الملك الأسود ما فى مراعيه ألف ناقة وهو الحاكم على جميع العربان وسكان المناهل والغدران فكيف يقدر على هذا السبب ونحن من صعاليك العرب فقال لهما عنتر وأنا لو أعلم أنكم من صعاليك العرب ما كنت أسرفت عليكم فى الطلب ثم أن عنتر لما سمع منهما ذلك المقال أمر شيبوب

أن يعيدهما ثانياً إلى الشد والاعتقال حتى باتوا بالفدية والمال وأقام عنتر بن شداد مع أكابر قومه الأجواد وهو فى أكل وشرب وجميع القوم صحبته فهذا ما جرى لهؤلاء من الأمر والسبب .

(قال الراوى) وأما ما كان من الملك الأسود وملوك العرب فإنهم كانت قلوبهم متعلقة بخداش الفارس الغضنفر وبالجيوش التى قد سارت معه إلى لقاء عنتر وهم كلهم يجتمعون كل يوم إلى ذلك الأمر يتحدثون ويقولون لقد أنفذ الملك فى هذه النوبة سيفه القاطع ودرعه وكأنكم بالجيوش وقد أقبلت وخداش وقد أتى عنتر معه أسير وعدنان فى حبال الذل والهوان هذا والوزير كلما سمع مقالهم يتعجب من حديثهم ومحالهم ويقول لعن الله الحاكم وأماتكم ولا أحياكم فوالله لا بد لعنتر أن يخرب دياركم ويمحق آثاركم ويسقيكم كؤس الردا ولو كنتم بعدد رمل البيد .

(قال الراوى) فلما كان فى يوم من بعض الأيام وملوك العرب قد تجمعت فى ذلك المكان وهم يتحدثون بمثل ذلك الهذيان وإذا بالصيحة قد ارتفعت والصيحات والزعقات قد علت والناس قد انزعجت والمنهزمين من الوقعة قد أقبلت وسمعوا بكاءهم فسألوهم عن ما الذى جرى عليهم وأى شىء الذى أهلكهم ونهب خيامهم ومتاعهم فقالوا مافعل هذه الفعال إلا عنتر الذى أفنى رجالنا وأباد أبطالنا وأهلك أجدادنا وجندل أقيالنا وبقى هذا الحال حالنا فقال لهم خداش ما فعل الله به فقالوا أنزل عنتر به الذل وأخذه أسير وأنزل به الذل والتعبير وهو يهينه ويضربه مثل الحمير فلما سمع العربان بذلك الأمر والمعنى ضجوا وقالوا إذا كان هذا فعل عنتر بخداش وعاطل بن المثنى فلا بد له أن يدهمنا على غفلة منا ثم أنهم ساروا إلى الملك الأسود وأعلموه بكل ما جرى وتجدد عنده جميع ملوك العرب وسادات من سكن البر والفدفد مثل الملك وهب بن موهوب وسبيع بن الحارث الفارس الوثوب وسنان بن أبى حارثة وحصن بن حذيفة فحلت بالجميع الهيبة والهينة ثم أنهم نهضوا واستقبلوا القادمين من المنهزمين وهم فى البر منقطعين وإذا بهم قد أقبلوا من عشرة وعشرين وهم فزعانين خائفين ما فيهم من يلتفت إلى أخيه والولد لا يقبل إلى أبيه .

(قال الراوى) فلما نظر الناس إلى ذلك الأمر الذى هم فيه وكل منهم له شأن يغنيه فعذرهم على ذلك الحال ووقع بجميع الملوك الانذهال ثم أن سبيع بن الحارث تقدم إلى المنهزمين ونظر إليهم وهم حائرين وقال لهم ياويلكم ما وراءكم أذل الله الحاكم فما الذى تم عليكم ودهاكم .

(قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك السؤال عادوا عليه ما جرى من الأحوال وما أنزل بهم عنتر من الذل والخبال وعرفوه بما فعل عنتر فى ساحة المجال وكيف قتل أبطالهم وهلك أقيالهم بعد ما استولى على متاعهم وما كان من الأموال .

(قال الراوى) فلما سمع منهم ذلك الخطاب غاب عن الصواب وأخذهم ودخل بهم على الملك الأسود وهم مشققين الثياب وقد علا منهم البكاء والانتحاب فلما دخلوا عليه اسودت الدنيا فى أماق عينية وقال لهم ويلكم كيف جرى عليكم وحل بكم هذا التدمير وأنتم فى هذا الخلق الكثير (قال الراوى) فعند ذلك أطلعوه على جلية الخبر وبما فعل بهم عنتر وكيف كمن لهم الكمين وكيف أسر خرداش وأبلاه بالذل والعنا ثم أعلموه بأنه قد قتل منهم أكثر من عشرة آلاف فارس من غير خلاف والذى رجع منهم على هذه الأوصاف وها أنت تنظر إلى حالنا وقد قتلت رجالنا ونهبت أموالنا فلما سمع الملك الأسود بما جرى على جيشه وتم عليه سالت الدموع من أماق عينيه ثم أنه أطرق إلى الأرض وقال ما بلى أحد بمثل هذه البليات فوحق من أنبت لعباده النبات وجعله لهم قوت ما بقى عنتر يبالى بعد هذه النوبة بأى موتة يموت ثم أنه سكت وأطال فكره ودموعه تجرى على خده فعند ذلك قال له حصن بن حذيفة أيها الملك المنتخب ما بقى بعد هذا السبب إلى مسيرك فى هذه العرب وتكبس عنتر فى هذه الجبال وتنزل به الذل والخبال فلما سمع الوزير ذلك الكلام أقبل على حصن وبعد ذلك يرسل إلى قتاله جيشاً من جنده وأقياله ويكون معهم فارس من الرجال المشهورين قد بان سعده فهو يعفر خده ويخرج روحه من جسده .

(قال الراوى) فلما سمع الملك الأسود كلام الوزير استصوب رأيه فيما به يشير وقال له أيها الوزير أبصر لنا من يمضى إلى عنتر برسالتنا وينظر أى شىء يطلب منا برأيه فدية لمن عنده من الرجال فقال الوزير سمعاً وطاعة وها أنا مبادر فى هذا الأمر من تلك الساعة ثم أن العرب تفرقت على هذا الحال وفى قلب كل واحد منهم نيران الاشتعال هذا والوزير قد دعا إلى محله وقد زادت أفكاره من أجل عنتر وأراد أن يرسل إليه خبراً بما جرى من الأسباب وإذا بعبيده قد دخلوا عليه وأعلموه بأن رسولا من عند عنتر قد وصل إليه وهو يطلب الحضور إلى بين يديك فلما سمع الوزير ذلك المقال قال ائتونى به فى عاجل الحال فعند ذلك تجارت العبيد وأتوا بالرسول حتى يسمع الوزير منه ما يقول .

(قال الراوى) وكان السبب فى إنفاذ هذا الرسول وما حل من المقال وذلك أن عنتر لما أن عاد سالماً إلى الجبال وفرق الغنائم والأموال على الرجال وجرى له مع خداش

ما جرى وبعد ما طلب منه الفدا شده عند الأسرى وأقام فى أكله وشربه وهو فى فرح وسرور مع أهله وصحبه .

(قال الراوى) ولما كان بعد ثلاثة أيام وهو بعز وإكرام مع بنى عبس وبنى عامر الكرام أقبل على عروة وقال له يا أبا الأبيض ما هذا القعاد عن بلوغ الأغراض فقال له وما الذى تريد يا أبا الفوارس من الحوائج حتى نقضيها فقال عنتر نسير إلى الحيرة ونضرب رقاب كل من فيها ونسبى حريم الملك الأسود ولكن ما نفعل شىء من هذا الشأن حتى نضرب رقاب جميع الأسارى (قال الراوى) فلما سمع عروة ذلك المقال علم أن السكر قد غلب عليه وغير منه الأحوال فقال يا ابن العم تمهل وتأنى فى أمرك ولا تعجل لأن الحوادث غير مأمونة فلما سمع عنتر مقاله اشتد به الغضب وقال له ويلك يا أبا الأبيض لأى شىء تخوفنى وتهددنى وعما أريد أفعل ترجعنى وماذا يفيد قعادنا عن هؤلاء الكلاب الذين هم عندنا فى الاسر والعذاب ولأى شىء لم تأت بهم فى هذه الساعة .

(قال الراوى) ثم أنه أنفذ فى عاجل الحال وأحضر خداش وعاطل والمر قال ثم أمر ثلاث عبيد أن يجردوا سيوفهم ففعلت العبيد ما أمرهم وأيقنت الاسارى بدمارهم ثم أنه أقبل على عاطل وهو فى ذلة الاسر والقهر وقال له يا ويلك يا ابن الاندال أنت طالب لك الاسر فوحق من له النهى والامر لئن تعجل أنت وأصحابك بالفدا وإلا أسقيتكم كأس الردا وآمر هؤلاء العبيد أن يضربوا رقابكم وأفجع أهلكم فيكم فلما سمع الاسرى ذلك الامر قالوا له أيها الامير ها نحن بين يديك فاقطع علينا ما تريد من المال واتركنا عندك فى الإعتقال وأنفذ من عندك رسول يأتيك بالفدا فلما سمع عنتر مقالهم ورأى خضوعهم وإذلالهم قال لهم أريد من كل واحد معكم ألف ناقة وألف رأس من الغنم وألفين ثوب من الديباج المعلم ثم جعل يقطع عليهم أموال ما تقدر عليها الملوك العوال .

(قال الراوى) فلما نظرت منه الاسارى شدة الطلب كتبوا جميع ما قال إلى الملك الاسود وأعلموه بجميع الاسباب وما هم فيه من العذاب ثم أنفذوا كتاب مع عبد من عبيد عنتر فسار العبد يقطع البرارى والقفار إلى أن وصل الحيرة آخر النهار ولم يزل العبد سائراً حتى دخل دار الوزير عمرو بن نفيلة كما ذكرنا .

(قال الراوى) إلا أن العبيد لما خرجوا إليه وأدخلوه إلى عند الوزير وأوقفوه بين يديه وقبل الارض وأوصل الكتاب اليه فلما نظر الوزير إلى ذلك الكتاب الذى وصل من عند عنتر فرح به واستبشر وأكرم العبد عنده غاية الاكرام وأخذ الكتاب وصحبته العبد ودخل به على الملك الاسود وأعلمه بما جرى وتجدد وقال له هذا الكتاب قد وصل

من عند عنتر ثم أعطاه إليه حتى يفهم ما فيه من الخبر (قال الراوى) فعند ذلك أمر الاسود بقراءته ففتحه الوزير وقرأه وأسمعهم إياه فلما سمعت العرب بذلك الحال أخذهم البكاء والعوال مما جرى على خداش وعاطل والمر قال وأخذتهم الفجعة على ما بالهم وغشى على الملك الاسود وحلت به العبر وأمر بإحضار العبد الذى أتى من عند عنتر فلم تكن إلى ساعة حتى حضر فقال له الملك الاسود ويلك أى شىء يعمل عنتر الآن فقال له العبد وكان شجاع عند الضرب والطعان اعلم يا مولاى أن سيدى منهمك على عمل الولائم والاكل والشرب والضحك واللعب ومرام سيدى أن ينهب أموالك ويقتل رجالك جزاء بما فعلت وكيف أنك لحصن بن حذيفة أجرت فقال له الاسود ويلك المال الذى أخذه منهم ما كفاه حتى أرسل يطلب سواه فقال له العبد أنا ما أخبرتك أن مولاى مواظبه على جزر الجزور وشرب الخمور وهو فى فرح وسرور وقد فرق الاموال على ما عنده من العرب وهو ما يكفيه كافية لاجل هذا السبب ثم قال العبد ويلك يا ملك الزمان وأنت كل الناس تعلم أنك ملك العربان وتعلم أن سيدى عنتر جاه لا يضام وثاره لا يرام فكيف يفعل حصن فعل أولاد اللئام ويقتل سيدى غصوب غدراً ويأتى إليك تعطيه الذمام وكل من كان حاضراً فى هذا المكان يعلم صدق قولى فلما سمعت العرب ذلك الكلام شهدت لعنتر بالجود والإكرام وأما الاسود لما سمع هذا القول قال يحق له أن يفعل هذه الفعال ويطلب هذه الاموال لانها لا هى من ماله ولا من أبيه .

(قال الراوى) فعندذلك أقبل الملك الاسود عليهم وقال لهم ما يكون الرأى وما الذى تشيرون به على فقالت بنو شيبان نحن نفدى خداش من الاسر والهوان ولا ندعه فى الاسر والاعتقال وقالت بنو سليم ونحن أيضاً نفدى عاطل والمر قال ونرسل لعنتر ما أراده من المال فلما سمع الملك الاسود مقالهم فقال لهم هذا شىء لا يكون أبداً لاننى أنا الذى أرسلتهم إلى هؤلاء الاعداء وأنا أحق منكم بوزن المال والفدا ثم أنه فى ساعة الحال أمر الرجال أن يأتوه بالنوق والجمال وأمر أيضاً بإحضار الاغنام والعبيد والجوار الحسان والخدام فعند ذلك مضت أصحابه وأحضروا جميع ما ذكره عنتر فى كتابه .

(قال الراوى) فلما نظر الملك الاسود إلى الذى هو مقبل إليه وسائر إلى عنتر غصباً عن عينيه ندم على ما فعل وتأسف عليه وكيف خرج هذا المال غصباً من بين يديه وقال والله إن هذا مما يدل على طمع عنتر فينا ويقول ما أنفذ الملك الاسود هذه الاموال إلا مما قد حل به من الفزع والانذهال ثم قامت عليه القيامة وأكل كفيه على عنتر غيظاً وندامة ثم أقبل على الوزير وقال له أيها الاب الكبير دبر أنت برأيك هذا الامر العسير وانصر

حتى يحمل هذ المال وبه يسير فقال الوزير إذا كان الرأى يا ملك على هذا الحال فما لهذا الامر مثل المنهال لأنه صاحب رأى وأفعال وهو صادق المقال.

(قال الراوى) وكان هذا المنهال من أعظم الناس فى الإصلاح وما توجه فى الامر إلا ويرزق فيه النجاح لان له عقلا رجيح ولساناً فصيح وكان أيضاً يحب عنتر بن شداد فاشتهى الوزير أن يرسله بهذه الاموال والبدار حتى يجدد عهده مع عنتر ويخبره بجميع ما جرى وتدبر قال فلما سمع الملك الاسود كلام لوزير وما به يشير فاستصوب رأيه وما أبداه من التدبير وسلم ذلك المال إلى المنهال وأمره بالمسير إلى عنتر ومن معه من الرجال فعند ذلك امتثل أمره وانشرح لذلك صدره ثم أنه لما تجهز للمسير أقبل على حصن بن حذيفة كالمشير وقال له يا منهال خوف عنتر من الملك إذا وصلت إليه بقدر ما تقدر عليه وأعلمه بكثرة العرب الذين هم من حواليه وأنه أنفذ إلى كسرى يأتيه بالعجم ويستنجد عليه الاكراد والديلم فلما سمع المنهال من حصن ذلك المقال اغتاظ منه وتغيرت منه أحواله إلا أنه ما التفت إليه ولا كأنه سمع مقاله ثم أنه بعد ذلك سار يقطع البرارى والقفار وقد أمر عبد عنتر أن يسير إلى مولاه ويعلمه بقدوم المنهال إليه فعند ذلك سار العبد يقطع التلال حتى وصل إلى الجبال ودخل على مولاه عنتر وأعلمه بقدوم المال وأنه فى صحبة الامير المنهال فلما سمع عنتر من العبد ذلك الكلام فرح وركب فى ساعة الحال هو ومن معه من الرجال وما فعل عنتر تلك الفعال إلا محبة للأمير المنهال لانه علم أنه ما سار فى هذه النوبة إليه إلا خدمة له ومحبة فيه فلما وصل المنهال وقرب من الجبال وضربت لهم الخيام وأكرمهم غاية الإكرام وأضافهم هو ومن معه على أكل وشرب المدام مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك قبض منه المال وفرقه على جميع الرجال وأغنى من معه من الابطال وبعد ذلك سأل عنتر من المنهال عن الذى تجدد من قبل العرب المنجمة عند الملك الاسود فقال المنهال والله يا أبا الفوارس ماينامون الليل وهم من فزعهم منك فى هم وويل فلما سمع عنتر ذلك الكلام زاد به الفرح والابتسام وقال الله أنها الملك الكبير وحق اللطيف الخبير ما على قلبى خوف من أحد منهم لا كبيراً ولا صغيراً لا بقليل ولا بكثير ولكن أريدك أن تحمل هذه الرسالة منى وتقول للملك الاسود عنى بأن عنتر يقول لك بأى سبب تنفذ إلى رجال ليس بينى وبينهم معاملة ولا شىء لم تنفذ إلى سنان بن أبى حارثة وحصن بن حذيفة وتدع عنك هذه الامور الحادثة لانهما اللذان شردوا عن جفونى نومى وقتلوا ولدى وأحرقوا عليه حشاشة كبدى فإنهم لو قتلونى أو حلوا بى الاسر لكان قضى الامر وان أنا أخذتهم أسرى أو فى مقام الحرب

قهرتهما فيبقى ذلك الوقت منى لهما إن شئت قتلتهما وإن شئت أطلقتهما ولا أنفذهما إلى أسارى حتى أرجع عن محاربتك ولا أعود إلى أذيتك قال فلما سمع المنهال من عنتر ذلك المقال قال له الزم أنت يا أبا الفوارس هذا المقام وقد كفيت شر العتب والملام ثم أنه أقام عنده بعد ذلك الكلام ثلاثة أيام وعاد بعد ذلك إلى الحيرة بعد ما أطلق عنتر الأسارى.

(قال الراوى) ثم أن عنتر ودعه وعاد إلى الجبال فيمن معه من الرجال فعند ذلك تقدم إليه الربيع بن زياد بوجه بشوش ضحوك وقال له من مثلك يا ابن العم وقد أخذت جزية الملوك فلا زلت أبد الدهور مسرور وعدوك مكمود مقهور فلما سمع عنتر مقاله صار ضاحكا مبتسما وعلم أنه لو قدر عليه لشرب من دمائه ثم قال له يا ربيع أنا عملت على قدر طبعى وعلو مجدى وسوف يبقى حديثى يذكر من بعدى على أنى بسيوفكم أضرب وبهمتكم أغلب فلما سمع قيس ذلك من عنتر اندهل وتحير وتعجب من مقال عنتر هذا والربيع أخذه الضحك على فعالها وعلم أن ذلك المقال من حلم عنتر لأنه يعلم ما يصنع معه الربيع من المكر والغدر فهذا ما كان من هؤلاء قال وأما ما كان من المنهال فإنه سار هو ومن معه من الرجال الذين كانوا فى الأسر والاعتقال وقد رد عليهم عنتر خيلهم وسلاحهم وفرحوا بخلاصهم وسلامة أرواحهم حتى وصلوا إلى الحيرة وأخبروا الملك الأسود بوصولهم فخلع عليهم وطيب قلوبهم ثم أنه بعد ذلك الحال التفت إلى المنهال وقال له الآن أخبرنى ما الذى فعل عنتر من الفعال وما قال من المقال فأعاد عليه جميع ما حمل من الجواب والعرب يسمعوا ذلك الخطاب فلما سمع ذو الخمار تلك الأخبار انطلق فى قلبه النار ونهض من بين رجاله وقال ياملك الزمان أنا له ولأمثاله والله لا يخرج إليه فى هذه النوبة غيرى فلما سمع الملك وهب ذلك المقال التفت إلى الملك الأسود وقال له إذا أراد ابن عمى أن يسير إلى عنتر وسرت أنا معه وقلعنا منه الأثر ونبذل فى أعدائنا السيوف البواتر ونأخذ روح عنتر فلما سمع عاطل من ذو الخمار ذلك المقال قال له الرأى عندى أنك لا تتعرض لعنتر لأنك والله ما أنت من رجاله ولا تعد من أشكاله ولو اجتمعت عليه سكان البرارى والقفار من جميع العرب الأخيار ما نالوا منه الغبار فقال ذو الخمار يا عاطل لابد ما أجعل عنتر ملقى على الرمال فعند ذلك نادى الملك الاسود بين العربان وأعلمهم بمسير ذى الخمار للقاء عنتر الفارس الكرار فلما سمعت العربان بمسير ذى الخمار لعلمهم أنه يعد تحت الغبار بسبعة آلاف فارس كرار ففرحت سائر الابطال فلما كان ذلك اليوم وسمع كلام عاطل وما أشار إليه اسودت الدنيا فى عينيه وقال له اعلم يا عاطل أنك تكلمت بكلام باطل وأنت قد وقع بك الذل والخجل لأنه أسرك وأنزل بك الزلل ولكن سوف

تسمع ما يصل إليك من الخبر وها أنا سائر لذلك العبد الاغبر أنزل به العبر فقال عاطل أنا ما قلت لك إلا بما علمت وها أنا أخبرتك بما علمت وشاهدت وبعد ذلك فإنك أخبر بذلك الإنسان وإذا كذبتني فسوف ترى وأما عنتر فما ينزعج من هذه الفرسان المتواترة لانها ما تحمل من جولاته جولة واحدة لأنه قال أنا ما بيني وبين القوم معاملة وأنا فما تارى من دون الفرسان إلا عند حصن بن حذيفة وسنان فإن أراد الاسود أن يرجع عنتر عن القتال فيرسلهما إليه فى الاسر والإعتقال قال فلما سمع الأسود المقال تغير منه الاحوال وقال أراد عنتر إلا ويحط موضعى ولا كانت معاملته بعد هذه الفعال إلى معى لأنه يريد يأخذ هؤلاء الرجال من يدى وهما قد استجاروا بى وطرحوا أنفسهما على ويريد عنتر أن أتخلا عنهما حتى تتحكم فيهما الأعداء وأى قبح أعظم من هذا وعنتر ما يفعل ذلك إلا لأجل قتلهم لولده فهاهو قد قتل منهم ألف وأربعمائة قتيل بيده كل هذه الفعال المناسبة كان وطىء بساطى وترك هذه المحاربة وكان شكالى حالة لو كان عنتر عاقلا فى الامور المناسبة وما طرقه حتى كنت آخذ له من عدوه حقه وكان يأتيه لأمر كان يريد وينصلح الفساد ولا كان أظهر لنا هذه العداوة والعناد قال ثم أنه بعد ذلك الشأن أقبل على حصن وسنان وقال لهما أنتم تعلمون أنكما طلبية عنتر وأخصامه فليتجرد كل واحد منكما فى أقوامه ويسير مع من يسير من قومه واهجموا على عنتر وتكاثروا عليه قال فلما سمع حصن مقال الملك الاسود وما إليه دعاه اصفر لونه وارتجفت أعضاءه فقال له الاسود لا تفزع يا حصن فهابنى شيبان تسير معكما وأنتم فى خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وهذا فارس الهيجا سبيع معكما والملك وهب بن موهوب فى ثلاثين ألف فارس وأظن إذا كان هذا الجمع معكم لم تعجزوا عن هذا الكلب الأكلب والذئب الأجرب وإن ثبت إليكم احملوا عليه كلكم واقتلوه واسبوا ما معه من أناسه وائتونى برأسه وإن هو هرب كان قتاله أقوى سبب لانه ما يقدر يصعد إلى السماء ولا له فى العرب ملتجأ ولا حما لكثرة ما عليه من الدما إذا علمت العرب أنى مطالبه على التحقيق فما يبقى له محب ولا صديق فلما سمع حصن ذلك المقال خف عنه بعض الاثقال وقويت نفسه على لقى الاهوال لكون أن سبيع بن الحرث معه من الرجال ثم أقبل على الملك الاسود وقال له إذا وصلنا إلى عنتر فلا بد من برازه دون الجيوش فأما أن آخذه فى مقام الفراغ أو هو يقتلنى وأستريح من هذا الصداع قال فلما سمع الملك الاسود ذلك المقال قال له إذا كان الامر على هذا الحال فخذوا أهبتكم للمسير مع الرجال فعند ذلك قام حصن ومن معه من أصحابه وأهل بنى فزارة بأخذ الاهبة وأما الملك الاسود فإنه دعا بمفرج بن هلال ومن معه من الرجال وكذلك

بنى شيبان وجميع ملوك العربان فلما حضروا بين يديه قبلوا الارض وسلموا عليه فقال لهم أريد أن تسيروا كلكم وتهجمون على عنتر وتأخذون منه بثأركم فقالوا سمعاً وطاعة وكلنا نسير فى هذه الساعة قال ثم أنهم خرجوا من عند الملك الاسود وأعلموا جنودهم بما قد تجدد فعند ذلك برزت الجيوش فى ظاهر الحيرة وأطلالها وتفرقت الناس إلى قضاء أشغالها وبعد ذلك تجردوا فى خمسة وستين ألف فارس من كل بطل مداعس وفيهم مثل ذو الخمار والملك وهب وعاطل بن المثنى والمر قال وحصن بن حذيفة ومن معه من الرجال وخداش بن جابر وصفوان بن سعيد وعمرو بن ماجد ومسعود بن خالد وعكرمة بن جندل ومفرح بن هلال وسنان بن عبد العزة الفارس الريبال وهلال بن ماجد ومسعود بن حامد وطارق بن سابق ومعدان بن أكال المرار هذا والجيش فلما سار كأنه البحر الزاخر والموج الهادر الذى ليس له أول من آخر والكل غائصين فى الحديد والزرد النضيد ثم ثم أنهم بعد ذلك ودعوا الملك الاسود وساروا يقطعون البر والفدفد ولم يزالوا مجدين وإلى نحو عنتر طالبين فلما نظر الوزير إلى تلك الخلائق والجيوش الذين قد ساروا إلى لقاء عنتر انذهل وتحير وخاف على عنتر صديقه أن يدهموه على غفلة منه فما كان من الامر إلا أنه كتب إليه كتاباً يخبره بما جرى من تلك الاسباب وسار إليه من تلك الفرسان وسمى له جميع أسماءهم وأعلمه أن سبيع سائر معهم وإنهم قد ساروا من الحيرة وهذه النوبة نوبة كبيرة فخذ حذرك ودبر أمرك ثم أنه أنفذ الكتاب مع عبده وأمره أن يحترز على نفسه من ضده فعند ذلك ركب العبد على نجيبة وسار فى البر حتى ترك الجيش من خلف ظهره واستمر على الطريق المستقيمة وأرخى الزمام للبعير وسار يقطع البرارى والهجير ولم يزل على ذلك الحال حتى وصل إلى الجبال فعندها قصد أبيات عنتر فوجده جالساً على باب المضرب فناوله الكتاب ففرح عنتر وسلم عليه وسأله عن مولاه ثم أعطى الكتاب لعروة وأمره أن يقرأه عليه فقرأه فعرف عنتر معناه فأمر عروة أن يكتب إليه رد الجواب وقال له قل له عن لسانى أيها السيد نحن قرأنا كتابك وعرفنا خطابك فلا عدمناك وأطال الرب القديم لنا عمرك وأبقاك فوحق ذمة العرب والعبد إذا طلب من الرب غلب سار إلى كسرى فى مرازبته وقيصر معه فى أبطاله والاسود وعد أثره ومن معه من الفرسان وممن يقوم بنصرهم لانزل بهم الذل والهوان لأنى أعلم أن الأجل لا يزيد ولا ينقص بهذا العمل والموت إذا حضر لا يتقدم ولا يتأخر وسوف أريك ما ينزل على طول الايام والليالى بمن قد سار إلى قتالى ولا فرقتهم تفريق الغنم إذا الذيب عليها قد هجم ولا تركتهم جميعاً حديثاً للأمم فعند ذلك كتب عروة جميع ذلك نحو بالجمله .

ماقال عنتر ونظم فى الجواب ونثر وبعد ذلك طوى الكتاب وسلمه للعبد النجاب فأخذه وسار طالب أرض الحيرة وتلك الديار وبعد مسير العبد بذلك الكتاب نهض وسار إلى الملك قيس ليعلمه بهذه الاسباب فلما وصل إليه وجد عنده جماعة من الاصحاب وهم بنو عبس وعامر وكلاب فلما وصل إليهم سلم عليهم وأعلمهم بمن سار وقص القصة عليهم وقال لهم أى شيء تريدون تفعلون وأى شيء ترون من الرأى فى هذه النوبة فقد سار إليكم فيها خمسة وستون ألف فارس مع سبيع بن الحارث وهو الذى ليس له فى الحرب مقايس وقد اجتمعت العرب على أنه يعد بسيفه آلاف الابطال .

فلما سمع الملك قيس ذلك المعنى قال إننا نسير إليهم فى هذه النوبة كلنا ونلتقى هؤلاء الاشرار ونكون على حذر من هذا الفارس الجبار المسمى بذى الخمار فلما سمع عنتر المقال قال هذا رأى يسير لأن هذا خلق كثير ما لهم عدد وهم فى عدة كاملة ونحن فى قلة وإن بعدنا عن هذه الجبال فيكون رأينا باطل لأننا نخاف أن تميل علينا طائفة أخرى من الرجال فيملكون الجبال ويأخذون الأموال ويسبوا الحريم والعيال وأنا عدلت على غير هذه الحالة وهو أنى آخذ معى أخى مازن وسبيع اليمن وولده ميسرة ومائتين فارس أخرى وأسير إليهم فلا بد أن يكون لهم طلائع قدامهم فالتقيهم أنا وما أعود حتى أقتل مقدم الطليعة ونكون قد قطعنا ظهورهم بهذه الصنيعة فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال له افعل ما شئت يا أسد الرجال فعند ذلك تجهز عنتر وأخذ معه الرجال مثل ما أمر وسار طالب الطليعة وهو ناوى لهم على أن ينزل بهم المصيبة .

(قال الراوى) فلما مضى عنتر ومن معه من الرجال وأمر الملك قيس فى عاجل الحال أن تنادى العبيد فى القبائل بأخذ الأهبة للقتال فهذا ما كان من هؤلاء وما تجدد منهم .

(وأما) ما كان من جيوش الملك الاسود فإنها سارت بجميع الرجال وهم يجدون الترحال ويقطعون الروابى والتلال وقد تقدم فى طليعة الرجال خداش وعاطل والمرقال وهم كأنهم أسود الدحال وما عندهم أهون من الوبال ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من الجبال وإذ قد بانت لهم الخيل وعلى ظهورها الرجال .

(قال الراوى) فلما نظر عاطل بن المثنى إلى ذلك الحال أرسل فارس إلى الملك وهب ليعلمه بتلك الأحوال ويخبره أنهم قد أشرفوا على طايعة عنتر فعند ذلك مضى الرسول إلى الملك وهب بن موهوب ووقف عاطل ومن معه وقد تجهزوا للحرب فبينما هم على ذلك الحال وإذا بالخيل قد ظهرت من فم الوادى من قريب وبعيد وقد ظهرت الرجال وهم كأنهم سد من حديد وقد برق من أجنادهم الزرد النضيد وعنتر بن شداد فى أوائلهم بذلك الهيكل والطول وهو مع ذلك ينشد ويقول :

أسير إلى الأعداء بالبيض والقنا　　وأشبعهم ضرباً ببيض قواضب
إلا مبلغاً عنى سبيع رسالتى　　ووهب بن موهوب الطغاة الكواذب
بأنى أمير فى البوادى كلها　　مبيد الأعادى عند اشتباك القواضب
وقد ذقتمونا مرة بعد مرة　　وعلى بيان المرء عند التجارب
وإنى أنا عنتر بنى عبس الذى　　رقيت إلى أعلا سماك الكواكب
سبيع لقد حدثت نفسك باطلا　　وأوردتها فى مهلكات المصائب
سبيع لقد أوردت روحك للردا　　وأنت على هذا الحساب لكاذب
نسيت فعالى يوم وقعة عامر　　وأضحيت مرمياً فوق أعلا الترائب
أنا عنتر العبسى أحمى عشيرتى　　على ضامر كالريح صلح الجوانب
وربى أعطانى النصر فى كل موقف　　إذا كنت فى يوم الحروب أضارب

(قال الراوى) فبينما عنتر مع عاطل فى الكلام وإذا بنبلة قد وقعت فى جواد عاطل فتأخر إلى وراءه وتقهقراً ونفضه الجواد من على ظهره أرماه فوقع عاطل من أعلاه فاندهل عنتر وتحير وإذا بأخيه شيبوب انقض عليه كالبرق إذا برق وبرك على صدر عاطل وشد زنوده مع المفاصل وقال لأخيه عنتر أنا الذى أشد أسيرى بيدى وأوثق شداده لأنى أنا الذى قتلت جواده :

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه زاد ضحكه وابتسامه وتركه يكتف عاطل وحمل على الأعداء كأنه البلاء النازل فاندهل من حملته كل شجاع واحمرت الدماء فى جميع البقاع وهمهمت السباع وتاه الجبان فى ذلك اليوم وضاع فبينما الناس فى ذلك الحال وإذا بصائح من وسط المعمعة يصيح يالعدنان أنا قامع الأبطال والشجعان فعندها التفت عنتر ينظر من صاح فى المجال وإذا به سبيع اليمن قد أسر المرقال وقد سار معه فى الأسر والإذلال فلما نظر عنتر إلى ذلك الأمر الذى قد جرى فرح بذلك واستبشر وإذا بصائح يصيح عن يمين الجيش ويقول أنا الأسد القسور ميسرة بن عنتر عندها التفت عنتر إليه وإذا هو أسر خداش وهو ينقاد بين يديه ولما علم عنتر بهذا الحال سطا بسيفه على الأبطال وأطاح الرجال فى المجال وخاضت الخيل فى الدما وقد حل ببنى شيبان الويل والعمى عندها ولت الأعداء الأدبار وطلبت الهرب والفرار ثم تبعتها بنى سليم وقد عاينت من سيف عنتر البلاء العظيم وهو يصرخ فى أعقابهم ويطعن فى صدورهم وأجنابهم وظهورهم ولم يزل وراءهم أكثر من فرسخين بعدها رجع مع أصحابه وهم منصورون وقد حازوا

الغنائم والأموال بعد أن شتتوا أصحابها فى أحاقيف الجبال وبعدها رجع عنتر قدام الخيل والأسارى والأبطال مربوطين بين يديه فى الحبال وهو فرحان بما ناله من بلوغ الآمال وهو ينشد ويقول :

أيا صاحبى عرج على عرصة الحما ... فتلك قباب شرعت وخيام
بهن رأيت الشمس تطلع فى خودة ... وتجلين عن تلك الخيام ظلام
وبين قباب ذلك الحى خودة ... تميس بقـــد واضح وقوام
إذ خطر بهـــز لين قوامها ... ولا انقض هناك حمام
فياقلب أن تصبر وإلا فمت جوى ... ومن مات عشق فليس يلام
رعى الله أيام الشباب التى مضت ... أن العمر يفنى والزمان غلام
أنا القاتل الهلاك كل كتيبة ... إذا ما أصبت الخصم ليس يضام
أخوض عجاج الحرب منى بعزمة ... يقصر عنها ذابل وحسام
سل حمير عنى وهمدان إذ أتت ... وفرسانهما والجيشان قيام
ومن أطفأ النار التى أوقدوا العدا ... وكان لها فى الخافقين ضرام
طفاها فتى من آل عبس ونحرهم ... يخوض عجاج الحرب وهى قتام
وكم كربة فرجتها بمهند ... والموت بين النفوس حمام
وروحى فدا أبناء عبس وعامر ... وإنى بعزم صـــادق ومقام
فبلغ أخى النعمان خير بلية ... سأتركه لا يستطيع كلام

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الجبلين فالتقاهم الملك قيس وأخذوهم بملء الأحضان وأنزلهم فى الخيام واستقر بهم المقام فأمر عنتر بإحضار عاطل فحضر إليه فقام عنتر وضربه الضرب الوجيع وتركه فى الاعتقال وقدم من بعده الخداش والمرقال وما زال يضربهم حتى أنزل بهم الذل والخبال وبعد ذلك شدهم بجانب عاطل فى الحبال وبعد ذلك أقاموا فى لعب وانشراح إلى أن طلعت غرة الصباح فأقبل عنتر على الملك قيس وقال له أيها الملك قد رأيت من الرأى الذى نبلغ به مرادنا والآمال إنك تنادى فى الرجال والأبطال بأن يأخذوا أهبتهم للحرب والقتال وكلهم يستعدوا ويخرجوا إلى الجبال ولا يبقى هنا إلا الحريم والعيال فلما سمع الملك قيس من عنتر ذلك المقال استصوب رأيه فيما قال وعلم أنه ما تكلم إلا بالصواب من قبل أن تأتى الجيوش من سائر الهضاب وتملك عليهم الربا والرحاب ويبقوا محصورين فى الجبال ويضيق عليهم الحال

عند الحروب والقتال (قال الراوى) ثم أن الملك قيس فى عاجل الحال زعق إلى الفرسان والابطال فتأهبت وخرجت إلى ظاهر الجبال أكثر من فرسخين عندها قال عنتر انزلوا هاهنا حتى يأتيكم الغريم قال كنا ذكرنا لكم قبل هذه الوقعة التى ذكر أن عاطل بن المثنى قد أنفذ الملك وهب بن موهوب وسبيع بن الحارث يخبرهم بالخبر وهو يقول لهم أننا وقعنا بطليعة عنتر فما منهم إلا ركب وتحضر وسار فى أوائلهم سبيع بن الحارث وقد هدر وزمجر وهو يقول يا ترى اللات والعزى تظفر بعنتر حتى أفتخر بأسره على سائر البشر وأشفى ما بقلبى من الغصص والضرر أو يأسرنى مثل العادة وينزل بى الذل والكدر ثم أنه سار فى أوائل الخيل والأبطال من خلفه مثل السيل وقد قلعت فى عاجل الحال الخيام ونشرت الرايات والأعلام وسارت المواكب يتلو بعضها ببعض وقد ملؤا بكثرتهم جنبات الأرض طولا وعرض والخيل من تحتهم تتسابق وقد صارت المواكب تتدافق والملك وهب بن موهوب يقول لهم جدوا فعنتر مأخوذ بلا له وما يكون إلا الفخر لكم دون غيركم إلا أنهم ما ساروا فى تلك القفار غير ساعة من النهار حتى أقبلت عليهم المنهزمين وهم مشاة محرجين وقد رموا ما معهم من العدد وهم يصيحون بالويل والنكد (قال الراوى) فلما نظرت الفرسان إلى ذلك الأمر والشأن تقدم ذو الخمار إليهم والملك وهب ومن معهم من الشجعان وكذلك حصن بن حذيفة وسنان وسألوا المنهزمين عن حالهم وما نالهم فأخبروهم بما حل بهم من الوساوس وأن عنتر قد التقاهم فى مائتين فارس وأنزل بهم الذل والخبال وأسر عاطل وخداش والمرقال وأخذ مائة أسيرا وأبلانا بالذل والتعثير وشتتنا فى جنبات السحر وهذا حالنا كما ترى .

(قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار منهم هذا المقال تغيرت منه الأحوال وزادت نيرانه اشتعال وقال والله ما هذه إلا مصيبة قوية ثم أنهم ساروا يقطعون المهاد حتى أشرفوا على بنى عبس وعنتر بن شـــداد وهم فى تلك الكتائب والمواكب فركبت بنو عبس وتبادرت من كل جانب وصاحت الشجعان وتهادرت الأقران هذا وعنتر قد ركب الابجر وقد هدر وزمجر وما تكشف الغبار حتى رتب أصحابه ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وقد وعدهم أن ينزل بأعدائهم البلاء المبين وكان عنتر قد جعل فى الميمنة عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة فارس الخيل وجعل فى الميسرة علقمة بن علاثة الفارس الغضنفر وبجانبه الأخوص بن جعفر وأوقف الملك قيس بين القبيلتين .

﴿ تم الجزء الخامس والاربعون ويليه السادس والاربعون ﴾

الجزء السادس والاربعون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) وترك بنى عبس فى الجناحين ووقف هو فى مائتين فارس من الشجعان فى وسط الميدان ووقف ينظر براز الفرسان فلما وقعت العين على العين فد سبيع نظره فرأى عنتر وهو واقف بين الجيوش والمائتين فارس الذى خلفه كأنهم الجن أو الأبالس

(قال الراوى) عندذلك أنتخب سبيع الفين فارس من بنى حمير وتقدم هو إلى نحو عنتر وقد أراد أن يبين فروسيته لأقرانه فعند ذلك زعق عنتر فى بنى عمه فحملوا السيوف فى رقاب الأعداء ، فلما رأى سبيع إلى هذا الحال زعق زعقة ارتجت منها الجبال ودوت لها الأقطار وتلك الأرض وتزلزلت طولا وعرضاً وأنطبقت الفرسان على بعضهم البعض والتحم بين الطائفتين والقتال وقد حمل ذو الخمار والتقى بعنتر فى ساحة الميدان واصطدما اصطدام الجبال وتضاربا بالسيوف الثقال وتطاعنا بالرماح الطوال وقد جرى بينهما عجائب وأهوال وذهب الغل من قلوبهما وزال وقد طلب كل واحد منهما صاحبه وذاق طعانه ومضاربه وقد جرى بينهما طعان ذهل الفريقان هذا وبنى عبس وبنى حمير قد جرت بينهما العبر وطارت رؤس منهم كالأكر وسمحوا بالأبدان وزاد الحرب نيران وعلا الصياح من الفريقان وصالت الفرسان وكان لهم يوم من أيام الزمان أنباعت به الارواح بيع الهوان هذا وميسرة بن عنتر قد سطا على بنى حمير وأظهر فيهم العبر وسبيع اليمن قد أبدى مضاربه وماقصر وأمامازن فقد ترك الجماجم تنحدر هذا وعروة قد هدر وزمجر وصاح فى رجاله وماقصر هذا وقد فاض الجميع وزخر وزاد الغبار سواد واعتكر وصفقت موجات بحار الجيش ولعبت الخيل بالجماجم كالأكر وثبت الفارس الصنديد واستظهر وطلب الجبان الهرب فى البر الأقفر وقد زاد الغبار سواد وأعتكر وزعق الغراب على فناء الاعمار حتى أن الرفيق أنكر رفيقه غاية الإنكار وتساوت العبيد بالأحرار وقد حكم عليهم بذلك الملك الجبار الذى يفعل بعباده ما يشاء ويختار .

(قال الراوى) فلم تكد ساعة من النهار حتى وقع فى بنى حمير الفناء والدمار وحل بهم الانبهار وقل منهم الاصطبار بعد أن أرادوا الثبات تحت الغبار فوقفوا فى بحر من النار وقد هلك منهم جماعة مالها من مقدار وعادوا الباقين على الاعقاب وطلبوا الفرار وقد حل بهم البوار لما رأوا من بنى عبس مثل شعل النار قال هذا وعنتر وسبيع قد أوسعا فى الميدان

وأخذا فى الجولان وتأخرت عنهم الفرسان هذا وبنو عبس قد وقفت فى البر بعدما كسرت بنى حمير وجعلوا ينظرون ما يجرى بين ذو الخمار وعنتر وهم فى صدام ولزام وشرب كاس الحمام إلى أن أظلم عليهم الظلام فعندذلك افترقا عن الصدام وعاد كل واحد منهما إلى الخيام هذا والملك قيس قد التقى بعنتر وله شكر وقال له يا أبا الفوارس كيف لقيت خصمك لأنه كان ذلك اليوم من قسمك فقال له يا ملك وحق من أوسع البقاع وتفرد بالوحدانية والارتفاع ماهو إلا فارس مناع ولكن أيها الملك وحق من له القدرة لابد أن آسره وأنزل به المضرة لأنى قد أسرته كم مرة وأطلقته ولكن والله يا ملك ماقابات فى العرب قط مثله ولا رأيت من يفعل كفعله على أن جميع ماعنده من الشجاعة فى الميدان بغير صناعه ولكنه صاحب قوة وجنان وجسارة على الفرسان وفى آخر النهار بان لى منه التقصير وقدعرفت ذلك منه معرفة الخبير ولولا أن الليل قد أتى بالظلام وإلا قد نلت منه المرام ومع ذلك فما رأيت أن أبيته فى الميدان لأنى خفت عليكم من كثرة الجيوش والعربان لئلا أن يميلوا عليكم فى سواد الليل إذا رأونى قد استظهرت عليه وحل به الويل ثم أن عنتر بعد ذلك الكلام أخذ معه ولده ميسرة وقد تجرد لحرس قومه وكذلك سار معه عروة بن الورد ورجاله و تولى الحرس مع عنتر ليحملوا أثقاله

(قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من ذو الخمار فإنه لما عاد من الصدام ومقام الاخطار افتقد أصحابه فوجد قد فقد منهم الفين فارس كرار فقال لهم لعن الله أبا الحاكم ياويلكم ما الذى جرى عليكم حتى أطمعتم بنى عبس فيكم وأنتم فى جملة فوارس وهم فى مائتين فارس فوالله لولا اشتغالى فى هذا اليوم بعنتر لكنت كسرت هذا الجيش وبعد ذلك أقبل عليه الملك وهب بن موهوب وهناه بالسلامة من غائلة الحروب وقال له كيف رأيت خصمك فقال يا ملك وهب والله ماهو إلا شجاع وقرم مناع فوحق اللات والعزى والهبل الاعلى مايفتح الزمان بمثله ولا أحد عند الحروب يفعل كفعله وكل مافيه من الشجاعة صبر وصناعته (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك المقال تولى حرس من معه من الرجال واشعلوا النيران وتحارس الفريقان وقد علا منهم الصياح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وذكرت قامة سيدنا محمد زين النبيين الملاح ﷺ ماطلع نجم فى السماء ولاح فعند ذلك سارت الفرسان الاوقاح واعتقلوا بعوامل الرماح وترتبوا فى مقام الحرب والكفاح ولما ترتبت الصفوف وتعدلت المئات والالوف وقد سار الجيوش فى مقابلة بعضهم البعض فعند ذلك دعا الملك وهب بن موهوب وسبيع ابن الحارث برجل من أصحابه يقال له سعد بن كثير وكان من الشجعان وهو فصيح اللسان

وقال له امض يا ابن العم إلى عنتر فإذا حضرت قدامه فقل لهسبيع بن الحارث يسلم عليك وما أرسلنى بهذه الرسالة إلا شفقة منه عليك وهو يقول لك أن الابطال تغار على الابطال وليس الناس كلهم سوى ومن لم يحسب لأحد حساب كان القتل له دوى وبعد ذلك فأنا ما أريد أن أخرق ناموسك ولا بينى وبينك دم ولا مطالبة حتى أزل بك ناموسك وأعلم أن الملك الاسود قد ندبنى إلى قتالك وقد ذقت بالامس من حربى ما أهالك فإن كنت أعتبرت بما جرى لك وأريد أن تحقن دمك وتصلح حالك فسلم إلى روحك حتى أدخل على الملك الاسود وأطفئ عنه هذه النار التى تتوقد وإن أبيت فتكون على نفسك قد تعديت لإنى ما أعود عنك حتى أقودك أسيرا وأنزل بك الذل والتعثير

(قال الراوى) فلما سمع الفارس من ذو الخمار ما به قد أشار أجابه بالسمع والطاعة وسار إلى عنتر من تلك الساعة فلما وصل اليه وبقى بين يديه وقال يا حامية عبس وعدنان أنا رسول ومعى كلام وأريد قبل ما ألقيه اليك أن تعطينى الذمام

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه ضحك وأعطاه ذمامه ولما نظر الحميرى إلى عنتر وكبر جثته انذهل وتحير من عظم خلقته وقال فى نفسه وحق من له البقاء والدوام ما هو إلا بطل همام ولا يقيم سبيع بن الحارث مع هذا الفارس ولا يوم من الايام ثم أنه بلغ الرسالة وما حمل من المقالة فلما سمع عنتر مقاله وما أبداه ضحك من كلامه حتى استلقى على قفاه وقال أيريد سبيع أن أسلم اليه روحى وقد ذل لسطوتى ورمحى وأكون عتقته مرة واثنين وثلاثة وقد تركته بين العرب شماتة ومثلى أنا من يسلم نفسه بلا قتال إلى أحد من الرجال حتى كانت العرب تقول عنى لعن الله أبا سباله ومن المصائب لا اقاله أى شيء الذى جرى عليه يسلم نفسه لخصمه من غير قتال وهو قاهر الرجال ومدمر الأبطال ولكن لابد لى ما اتلاطم أنا وإياه فى الميدان ويبان الشجاع من الجبان لأنه قد أظلم وتعدى وضمن للملك الأسود قتلى أو أسرى وأنا أيضا قد ضمنت للملك قيس أن أقرنه مع الاسرى وأخليه عبرة لمن يرى وأما هذه الجيوش الذى معه ما هم عندى إلا مثل الغنم السائبة ويحملوا من حملاتى حملة واحدة حتى أشردهم فى البر هاربين وأكثرهم مجروحين فعند ذلك عاد الرسول إلى ذو الخمار وأعلمه بجميع الأخبار فلما أن سمع سبيع هذا المقال فهم أن يبرز إلى الميدان ويطلب فارس عدنان (قال الراوى) حمل على الميمنة فعند ذلك مال عنتر على الميمنة قد صرخ صرخة مذعرة ومالت معه الفرسان مثل عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة فارس الخيل وحملت خلفهم بنو عامر وأطلقت الأعنة كذلك بنى عبس وعلت من الرسان الضجة والرنة (قال الراوى) فلما حملت بنى عامر وعبس التفت أكثر من

عشرين الف بين أيديهم لأن حصن بن حذيفة لما رأى عنتر قد حمل وقصده حلت به البهتة والخيفة وعلم أنه طالبه وان وقع به يعطبه فلم يكن له غير الهزيمة والفرار وقد تبعه بنى فزارة على الآثار ولما نظرتهم بنى شيبان فتبعتهم فى الوديان وقد تبعوهم بنو عبس بقوائم السيوف وقد أسقوهم شراب الحتوف هذا وعنتر وعامر بن الطفيل قد أنزلوا ببنى فزارة الذل والويل وتركوا العاطب منهم أكثر من السليم وكذلك فعل بنو سليم وطرحوا أجساد سادتهم على الوهاد ونهبوا أرواحهم بالرماح المداد فلله در عنتر بن شداد وما فعل فى ذلك اليوم وتلك الساعة من الجلاد لأنه نهب بحسامه الأجساد وفعل بهم فعل جبابرة قوم عاد (قال الراوى) وأما ذو الخمار فانه لما نظر إلى عنتر وقد حمل على الميمنة وكسرى جيشه حمل الآخر على ميسرة بنى عبس سطوته وقد أبادهم بشجاعته وفتك فيهم بحسامه وفرقهم من قدامهم فعاد يطلب القلب بحماته (قال الراوى) وكان فيه انالك قيس وأخوته والربيع بن زياد وعشيرته فلما مال ذو الخمار نحوهم وأراد أن ينكس أعلامهم وإذا بالصيحة قد علت والضجة قد ارتفعت فعند ذلك التفت ينظر ما الخبر وإذا بأبى الفوارس عنتر وأصحابه من خلفه كأنهم النار ذات الشرار لأنهم لما حملوا على القلب وطلبوا الرجال الكرام فنكسوا الرايات والأعلام وقد أدرك عنتر صاحب العلم الأحمر وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ولما مال وقتل صاحبه فعند ذلك أنهزمت الجيوش وقد حل بهم التعس والنكس فعاد عنتر وأصحابه طالبين بنى عبس فلما سمع ذو الخمار صرخته ونظره وقد أشرف عليه ترك بنى عبس وعاد اليه وتلقاه هو ومن رفقاه فعند ذلك عمل بينهما الحرب وقد دارت طاحون الطعن والضرب وأشتد البلاء والكرب وعمل الصارم العضب وثبت الفارس الندب وانتثرت الجماجم والرقاب وشابت وتقنطرت الرجال من على ظهور الدواب وزعق عليهم البوم والغراب وقد عدمت الأحباب وعظم المصاب وطاب الطعان والضراب وقد عادت الفرسان على الاعقاب وكثر الحنق وزاد القلق وما عدت تسمع سوى جس الصارم على الدرق وقد انتثرت الرؤوس مثل نثر الورق ولمع صارم المنايا وبرق وأصابت الأسنة فى النحور والحدق وطلب الجبان الهرب فرأى الموت والعطب وقد تغيرت الوجوه وخاب ما كانوا يأملوه وقد حمل الملك الفارس الغضنفر وأهلك من أجله قد حضر وطلب أبو الفوارس عنتر وكذلك فعلت بنو حمير وطلبت معاونة سبع بن الحارث بكل ما تقدر عليه وزادت نيران الحرب شرر وقد طلع الغبار واعتكر وبان الشجاع واشتهر وهرب الجبان وطلب الفرار وقد فعل عنتر فى ذلك اليوم فعل منكر وقد طير الرؤس كالأكر والكفوف مثل

أوراق الشجر وصبغ بضرباته الصور (قال الراوى) فبينما هو فى الحرب يجول وهو يجندل الأبطال والفحول وإذا بعامر بن الطفيل قد لاقاه وهو مخضب بدماه .

(قال الراوى) وكان عنتر لما حملت الطوائف على بعضها بعض انفصل من براز ذى الخمار وجالا طولا وعرض إلا أنه لما نظر ذلك الوقت إلى عامر بن الطفيل وهو فى حالة العدم والويل ودماه يجرى مثل السيل قال ماوراك ياعامر فقال له ياحامية عبس جرحنى سبيع الغادر وأراد أن يهلكنى لولا ملاعب الأسنة قد أدركنى وإلا كان قتلنى أو أسرنى وقد تركته فى قتاله وأنا أعلم ماهو من رجاله ولا يعد من أشكاله

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك المقال قصد ذلك المكان الذى خرج منه عامر بن الطفيل وشق الرجال وجعل يخترق الجيوش حتى التقى بسبيع بن الحارث وملاعب الأسنة وقد أشرف على الهلاك لأن ذو الخمار كان فارس فتاك وقد أدركه عنتر وصدمه وزعق فيه وهاجمه ووقع الحديد على الحديد وأوسعا بين الجيشين وفتحا لهما فى الحرب ميداناً وأجادا ضربا وطعانا وباحا بالأسرار وجرت الدماء من أجسادهما مثل الانهار وقد اشتد الحرب وزاد البلاء والكرب وقد التصقا واصطدما وكان كأنهما سبعين تهاجما أو جبلين تصادما حتى كلت من تحتهما الخيل وتعبت سواعدهما والخيل

(قال الراوى) فبينما هما على ذلك السبب وإذا بالملك وهب ومن معه قد عاد من الحرب لما أقبلوا حملوا وطلبوا القتال وقد كثر على بنى عبس الأهوال وقد هاجمتها تلك الابطال وسارت تقاتل لمعاونة سبيع لما بينه هو وعنتر فى ضربات السيوف الفواصل وضربت بسيوفها البارقة فقطعت كل خوذة وطارقة وطلعت الارواح من الأبدان مفارقة وصارت الدماء من أبدانهم متدافقة .

(قال الراوى) هذا وعنتر وذو الخمار قد انفصلا عن الحرب والقتال وحمل كل واحد منهما مع قومه وكان ذلك الوقت أوان العصر وقد أشتد بينهما الحرب وحل بهما الحصر ولم ير أعظم ماجرى بينهما فى تلك الساعة لأنه قد بان فيه الشجاع الشجاعة والجبان قد انقطعت أمعاؤه وما كانت إلا ساعة ماتقاس بالساعات انباعت فيها الأرواح بيع السماح وجرت الدما من أنابيب الجراح وهبت للموت نسمات الأرياح وقد سمحوا بالارواح بعد ما كانوا بها شحاح ونفذت فى الصدور الرماح وقطعت الرقاب بالبيض الصفاح وجرت الدماء ذلك اليوم فى البطاح وحام الغراب على القتلى وناح ولم يزالوا على ذلك الرواح حتى ضجروا من الكفاح وقد ولى النهار وأقبل الليل وأسودت الافطار وقد انفصلت الطوائف وأمن قلب كل خائف وعادت جيوش الملك الاسود بالذل والتعتير وقد هلك

منهم خلق كثير وعادت بنى عبس على قلتها رابحة وهى بالنصر فارحة وجميع الرجال والامراء كلهم يثنون على عنتر ولكنه قدزاد به الغيظ والحرد كيف مانال من سبيع غرض ولا أشفى منه مرض ثم أنهم باتوا يتحارسون إلى الصباح وقد ثارت الرجال تطلب الحرب والكفاح وقد ركبت بنى عبس وبنى عامر وكذلك ركبت جيوش الملك الاسود وهى كأنها البحار الزواخر إلا أن قلوبهم خافقة وثباتهم غير موافقة .

(قال الراوى) فلما نظر سبيع إلى جيوشه وثباتهم باردة عن الحرب والقتال تغيرت أحواله ومامنهم إلا من يذكر عنتر وفعاله فلم يجد ذو الخمار له صبر بل غضب وحرد وقال لابد لى من الخروج اليه وآخذ روحه من بين جنبيه ثم قفز إلى الميدان وهو راكب على جواد غليظ بين عينيه غــــرة كأنها كوكب الزهرة يسبق النعام بسرعته ويذعر القلوب لنهضته وعليه درع ضيق العيون كأنه حصن من الحصون يردعن صاحبه أسباب المنون وهو متقلد بسيف أبتر حسن الصقل بجوهر يأخذ بالبصر وفى يده رمح معتدل عليه سنان كأنه لسان ثعبان ولما سار بين الصفين ونظرته الفريقين صال وجال وساق جواده فى حومة المجال ولعب برمحه الأسمر وقد أشتهر بنفسه وأفتخر وحمل إلى نحو الامير عنتر وهو كأنه الاسد الغضنفر ثم أنه أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أنا الفارس المقدام فى حومة الوغا ... إذا سحبت جرد الصوافن فى الدم
وما كنت فى بذل المكارم باخلا ... وفى الحرب القى كل قيل مقدم
وقد طال ماسدت الفوارس فى الوغا ... وقد قدت منها كل ليث غشمشم
هنالك أروى الدابلات بمرهف ... حسام غداة الروغ لم يتثلم
سيلقى زعيم القوم ليثاً غضنفراً ... جريئا على الافوام عند التقادم
لابد أن أرديه ملقا معفراً ... بضربة فصال أو بطعنة الهدم
فهذا فعالى عند كل كريهة ... إذا نادت الابطال هل من مصادم

(قال الراوى) ثم أنه ماتم كلامه حتى برز اليه الامير عنتر وقال له ويلك ياسبيع أنت ضاع معك المعروف ولكن لابد ماأنزل بك الحتوف وأوريك كيف تعود وأنت خاسر وقلبك ملهوف ثم أشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

أيا عبله أنى فارس ذو حمية ... أفوق على الابطال عند التقدم
ولاتنكرى شيبى وتزرى قوتى ... فلى همة تعلو على كل مقدم
سأقسم بالبطحاء والركن والصفا ... وأركانها والمروتين وزمزم
لاصطلى نار الحرب فى حومة الوغا ... وأسقى العدا كاساً مرارة علقم

أقيم لآل عبس على الناس كلها ... بجوادى وعزمى فى الوغا وتقدم
وفى الكف منى صارم ذو حقيقة ... متى ما يقدم فى الضريبة يقدم
وأرى كبش القوم منى بطعنة ... ترى الرمح منها يرجف الأرض بالدم
أنا الموت إلا أننى مانع الحيا ... أنا البحر إلا أننى غير علقم
أنا عنتر العبسى والموت فى يدى ... أجرع به الأعداء شربا بلهذم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره انطبقا الاثنين كأنهما جبلين وأفترقا كأنهما بحرين وقد زعقا زعقتين مهولتين صغت لها الخيل آذانها وأضطربت الفرسان وأرتعبت وقد ظن الحاضرين أن السماء قد أنشقت وقد أنفسحا بعد ذلك أصياح أنفساح الكباش للنطاح وجرى بينهما ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود لأنهما التصقا التصاق جبال الأخدود وأفترقا افتراق وادى زرود ثم تقابلا على السروج حتى تعلمت الفرسان منهما كيف الدخول والخروج وأمتدت الأعين نحوهما ترمق حتى تبصر من يسعد منهما ومن يشقى فما سمعت الآذان وتحدثت الركبان بأعجب ماجرى لهما فى الميدان ولم يزالا فى مهاجمة ومصادمة حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك وتعب كل منهما وهلك وخذلت منهم المناكب وأظهر الأهوال والعجائب وعمل بينهما الحرب وأسرفوا بالطعن والضرب ولم يزالا على ذلك الغبار حتى مضت جوهرة النهار عند ذلك أفترقوا عن الحرب واللقا وكل واحد منهم يعض أنامله غيظاً وحنقا .

(قال الراوى) فعندذلك أقبل ذو الخمار على عنتر وقال له يافارس عدنان يكفيك ماشاهدت منى فى الميدان وها أنت قد عرفتنى فى معترك الوغا عند الطعان فهل لك فى المسامحة لنستريح من تلك المهاجمة والمصادمة .

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه وعلم مقصوده ومرامه قال له ويلك ياسبيع دع عنك هذا الكلام وعد بنا إلى القتال مادام أن الليل قد أقبل فما بقى بيننا أنفصال إلا ببلوغ الآمال (قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار من عنتر هذا الكلام وما أراد قال دونك والجلاد ياابن شداد ثم أنهما عادوا إلى ما كان عليه من شرب كاس الحتوف وقد تماشقوا فى أيديهما بالسيوف وتضايقت عليهما الصفوف وبرقت الصوارم فى الظلام وكثر بينهما الصياح والكلام ومابقى من الطائفتين إلا من كثر همه ويقولون لابد أن صاحبنا يغلب خصمه وإن كان ذلك يجرى فنحن مكسورين ونحن نعود خاسرين .

(قال الراوى) وأما حصن بن حذيفة فانه لحجرته ركب واستعدوا إلى الهرب مخافة من العطب قد علم بأن عنتر لا يغلب وكذلك سنان ركب جواده وقال لبنى فزارة إن رأيتم

ذو الخمار وقد أسره عنتر فما يعيقكم عن الحرب عائق لان بعده مايفلح هذا الجيش ويفنيهم عنتر بحسامه الابتر ونخاف أن يقع واحد منافق يده فهو لايبقيه بما فى قلبه وما زال ذو الخمار وعنتر مع بعضهما من أول الليل إلى السحر عندها وقع بذى الخمار الملل والضجر وعلم أن أصحابه من بعده يطلبون الحرب وعلم عنتر أنه تعب فانطبق عليه بهمته وفاجأه بعظم شدته وفى عاجل الحال أقبل سنان الرمح وراه وطعنه فى صدره بعقب الرمح وأتكأ عليه فطيره من السرج ووقع على قفاه ولو كانت منيته على يديه كان أسقاه كاس فناه وأراد أن ينكب عليه ويشده كتاف ويقوى السواعد والأطراف وإذا بشيبوب قد أنقض كأنه القضاء وفى عاجل الحال برك على ظهره وحل من على وسطه حبلا منقوعا بماء الخل كان جاعله لمثل ذلك العمل وشد سواعده والأطراف فعندذلك علت الضجات فى ظلام الليل ومالت الجيوش على بعضها مثل السيل وأصطدمت الرجال على ظهور الخيل وفى دون ساعة صار القتال صبابا الاسماع فلم تسمع خطابا وفر الوحش من أقطار البر سراباوقعت جماجما ورقابا ونهبت الارواح أى أنتهابا وسلت من الاجساد أى أستلابا وقد أختلطت أجساد القتلادماً مع تراباً وشابت الرجال من الهول بعدما كانت شبابا وسقاهم القضاء والقدر من المنية كاسا شرابا وخرست الألسن فلم ترد جوابا هذا وعنتر قد نهب الارواح وانصب على العدا وصاح إلى أن طلع الصباح وقد أكتست الفرسان من الدماء أعظم وشاح وقد انصب عنتر على العدى وقصد إلى ناحية بنى فزارة وصرخ فى جنباتها فولت حيارى على أعقابها وقد عادت تطلب لأنفسها الهرب وحصن وحذيفة وسنان فى أوائلهم وقد أيقنوا بالعطب وكل واحد منهما يكد فرسه وقد أنقطع من شدة الفزع نفسه وكانت بنو حمير خلاص ذو الخمار وقد وقع بينهم وبينه ضرب يذهل النظار وطعن يقصر الأعمار ويحير الأفكار (قال الراوى) هذا وعنتر يخترق معمعة الحروب وهو طالب الملك وهب بن موهوب وقد علم أنه إن قتل أو أسر أنحلت الكروب ولم يزل يبر الرجال ويرمى الابطال فى عرصات المجال حتى وقع بالملك وهب وكان قد تضاحى النهار فانطبق عليه أنطباق النسر الطيار وزعق فى وجهه فحس أن عقله قد طار وخيم عليهما الغبار يولى من بين يديه هارب وقد تبعه المراكب والكتائب وقدغاصوا خلفه فى القفار والسباسب (قال الراوى) وعنتر قد صاح فى بنى عبس فتبعوهم ووطنت الرجال على الموت نفوسهم وعنتر فى أوائلهم وهو يهدر كالاسد القصور ولم يزلوا فى فى قتال وثبات وأسقوا الاعداء كاس الممات حتى تفرقت المواكب فى الطرقات وتبددت فى الفلوات ورجع عنتر وبنى عبس المشاهير ومعهم نحو خمسمائة أسير وعادت

تلك القبائل ومن لهم من الأصحاب وقد فعلوا فعل السادات والانجاب وجمعت الاسلاب وعادوا يطلبون الجبال وعنتر فى مقدمتهم كأنه أسد من أسود الدحال .

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الجبلين ودخلوا اليهما فرأوهما شماتة للحاسدين ووجدوا الديار بلاقع وهى قاعا صفصفا لا فيها ناطق ولا سامع فبهتوا وصاروا اليها ناظرين وهم مما حل بهم حائرين هذا وقد شخص عنتر إلى الديار لما رأى تغير الاثار ولم يدرك لعبلة أخبار ولحته الانبهار ولم يدر كيف طرقتهم هذه النوايب ولا من نهب الحلة من البشر ومن هو الذى على هذا الأمن جسر (قال الراوى) هذا وقد علا من بنى عبس البكاء والنحيب وعلا منهم الصياح وبقى كل منهم مريب فبينما هم على ذلك الحال وإذا قد نزل اليهم عبد من أعلا الجبال وكان قد هرب لما جرت تلك الأحوال وهو يكثر من البكاء والأعوال فلما رأوه سألوه عما جرى وقال له عنتر ما الذى أغار عليكم فقال العبد يا حامية عبس ماندرى إلا وخيل غارت علينا وطرقتنا عند السحر هجمت علينا هجوم القدر وهم ينادون يالشيبان وقد قلعوا الحلة بما فيها من الاموال والولدان وقصدوا البر الأقفر وهذا ماجرى لنا من الحديث والخبر (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك صعب عليه وكبر لديه وتعجب من هذه الأحوال وقال هذا الدهر مايبقى على حال وطبعه التغير والانتقال وكان السبب من ذلك الحال ذو الخمار لما كان مبارزاً عنتر فى الليل والناس مشتغلين اليهما بالنظر قال سنان بن عبد العزى فارس بنى شيبان للملك وهب ابن موهوب أعام أيها الملك أننى قد رأيت من الرأى السديد أننى أسير فى خمسة آلاف فارس من خيار الجيش فى هذا الليل العاكر والناس مشتغلين ببراز سبيع بن الحارث مع عنتر ونمضى من خلف بنى عبس بالرجال واطلب الجبلين الذين هم به مجتمعين وأجد الترحال وأكبس عليهم ما دامت الحلة خالية من الأبطال وأسبى من فيها من العيال وأنهب النياق والجمال وأجعل أموالهم لمن معنا مباح وأطلب به وحدته الحيرة عند الصباح فإذا وصل اليهم الخبر فيعطفوا راجعين وهم خاسرين فتكونوا أنتم عليهم منصورين وبهذه الفعلة غالبين وأما أعدائكم تحل بهم الرزية وتبقى عزائمكم قوية فتمكنوا منهم ولم تبقوا منهم بقية لا سيما إذا سمعوا بهذه الأمور فيحل بهم بذلك نجح الله أعمالك فعند ذلك انتخب سنان من قومه خمسة آلاف فارس مثل الاسود العرابس وقطع بهم عرض البر وتلك المهاد والناس مشتغلين بالحرب والجلاد وقد سترهم الليل بالسواد

(قال الراوى) وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى بنى عبس الأجواد وكذلك بنى عامر الأنجاب وبنى غنى وبنى كلاب وأطلقوا عليهم فى هدو الليل ولم تكن غير ساعة

حتى دارت بهم تلك الرجال والخيل وقلعوا الأحيا بما فيها وأنزلوا بكل من فيها الذل والخبال ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال ولم يتركوا فيها ولا عقال وضربوا فى أقفية العبيد ضربا مثل فتوق الأعدال فأعانتهم على سوق النوق والجمال وعادوا على الطريق الذى أتوا منه وبنى عبس مشتغلين بالقتال ثم أنهم قصدوا إلى مدينة الحيرة وتلك النواح والناس فى ضجة الحرب والكفاح فلم يلتفت إليهم أحد حتى بقى بينهم وبين مكان المعمعة ثلاثة فراسخ من الانفساح ووقفوا لينظروا ما يجرى من أمر العشاير وبينما هم كذلك فى الانتظار وإذا بالمنهزمين قد أشرفوا عليهم فى نصف النهار وفى أوائلهم حصن بن حذيفة الغدار وسنان بن أبى حارثة نسل الأشرار فسألوهما عن الأخبار فأخبروهما بجميع ماجرى لهما وصار وأن الملك وهب بن موهوب ومن معه من الجماعة قد انهزمت وقت الحروب ولما اجتمعت العشاير ووقفت عن الهزيمة وفرحوا بما حازت أيديهم من الغنيمة ونظروا إلى حريم بنى عبس الأنجاب وكيف صارت فى أيديهم فنسوا بذلك ماجرى عليهم وتبدلت الأتراح منهم بأفراح ونظر الملك وهب بن موهوب إلى خداش وعاطل والمرقال وقد خلصوا من الأسر والاعتقال فلما رآهم هنأهم بالسلامة وقال فى هذه النوبة قد أمنت على ابن عمى سبيع القسور وعلى من معه أسر واعلم أنه مادامت السبايا معنا أمنا عليهم من الضرر ثم أنهم ساروا وظنوا أن عنتر مايلحقهم فى طريقهم ولايعدمهم توفيقهم إلا أن حصن وسنان وهما فى أشد العذاب علموا أن عنتر البطل المهاب وبنى عبس ما يتخلوا عن حريمهم وعيالهم فبينماهم فى جد المسير وسرعة التشمير وإذا بالغبار قد علا والقتام قد نما حتى ملا البر والفلا والبر يضج بالصياح ولمعان بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وبعد ساعة انكشف الغبار وبانت الخيل للنظار وفى مقدمتها عنتر الفارس الكرار وإلى جانبه سبيع بن الحارث الغدار الملقب بذوالخمار ومن خلفهم بنى عبس وخلافهم من بنى كلاب وبنى غنى وبنى حمير وصار سبيع بن الحارث من أصدق البشر فى محبة الأمير عنتر وقد سار معه حتى أنه يعينه على كشف هذا الخبر.

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الأمر والنظام أن عنتر بن شداد البطل الهمام لما سمع بذلك من العبد وأن الذين قد سبوا العيال والنسوان كانوا من بنى شيبان فأخذ عنتر الغيظ والضرر لما سمع بهذا الخبر فصاح فى بنى عبس الأنجاب وبنى عامر وبنى كلاب وقال لهم شدوا الأسارى بالحبال واتركوا عندهم بعض الرجال وجدوا بنا هذه الساعة خلف الأعداء باللحاق فوالله لاتبعتهم ولو وصلوا إلى أرض العراق ولا قيمن

الحرب فيهم على قدم وساق ولا شتت شمل بنى شيبان فى جميع الافاق وأنا أعلم أنكم ماتلحقوا حريمكم إلاقرب مدينة الحيرة وأرض النجف ولابد مايأتيكم النفير من عند الملك الأسود ويلحقكم بأجناده التى مالها عدد فان فزعتم من كثرة العدد وزيادة المدد فاحموا أنتم ظهرى وانظروا كيف أفعل بهم فى كرى وفرى وسوف أدع الناس تتحدث بهذا الحال عنى إلى أبد الآبد .

(قال الراوى) فعندذلك نادت العرب كلهاعن فرد لسان وقالوا والله يافارس عبس وعدنان أن هذا الأمر لا يمكننا القعود عنه ولابد لنا منه ثم قالوا كلهم وأى عيش يطيب لنا بعد أخذ أموالنا . قال الراوى فبينما هم فى هذا الكلام وذلك الاتفاق وإذا بسبيع ابن الحارث قد صرخ صرخة زلزلت الافاق من ضيق الخناق ومن شدة الوثاق وقال ياحامية عبس وعدنان هل لك تريحنى بما أنا فيه من هذا الهوان حتى إنى أكون لك من جملة الغلمان وأسير فى هذه النوبة بين يديك مثل بعض الخلان حتى أفعل ماتقر به عينيك فان مثلى ماتخيب فيه الصنيعة وقد أحببت أن لاأفارقك إلى الممات وأكون معك فى سائر الملمات وأنا وحق الواحد الخلاق وباعث الغيث للآفاق وباسط لخلقه الارزاق لاعدت أضمر لك شر وعناد وأصافيك طول ماعشت بالوداد وأن خنتك بعد هذا المقال فما أكون ولدحلال (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك المقال فرح فرحا شديد وفى الحال حله من الإعتقال وكل مافعله معه فى ذلك الزمان لم يخطر له على بال وبعد ماأفرج عنه شدته وأطلق سراحه أعطاه جواده وآلة حربه وكفاحه

(قال الراوى) ثم عانقه وفى وجهه قبله وقد نادى سبيع بن الحارث المنتخب وقال يافرسان العرب أعلموا أن حامية عبس عنتر قد آمنى بعد الخوف والكدر وإنه قد عفى عنى بعدماقدر ولوشاء لأنزل بى البؤس والضرر بعد ما قاسيت منه ذلك الأمر المنكر (قال الراوى) ثم أنه تقدم إلى من كان أسر معه من بنى حمير وكانوا نحو خمسمائة فارس وأكثر وقال لهم يابنى عمى ويامن بهم يزول همى وغمى اعلموا أن عنتر صفالى وأطلقنى من عقالى بعد ماأراد أن يوصل الأذية إلى ثم أنه ميل قلوبهم بالخطاب حتى جعلهم لعنتر من جملة الأصحاب والأصدقاء والأحباب وذلك من بعد اطلاقه لهم من وثاقهم وكانوا قد أيقنوا بمحاقهم فبدا عند ذلك صلاحهم ورد عليهم خيلهم وسلاحهم وعطفوا راجعين فى ذلك اليوم وهم طالبين آثار القوم ولم يزالوا كلهم سائرين حتى وقعت العين على العين واشرفت على بعضهم بعض الطائفتين هذا وعنتر قد استوحش لعبلة التى هى عنده مثل نور العين أو الروح التى بين الجنبين وهو لم يصدق أن يراها سالمة من حلول البين

فعند ذلك جاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فانشد يقول :

دار لعبلة أشرفت بثناها ... حتى تجلى عنكم غماها
دار يفوح المسك من عرصاتها ... والند والكافور ما يثناها
والفل والياسمين فيها طالع ... والعود والطيب الزكى جناها
دار لعبلة شط عنك مزارها ... يرى قوايم من دونها ماوراها
يهون على أن نرد جراحها ... عيون الأواسى إذا خمدت بلاها
ياصاحبى قف بالمطايا ساعة ... فى دار عبله وسل معناها
بل كيف تسل حزينة عادية ... شفى الجنوب ترابها وثراها
ياعبلة قد هاج الفؤاد بذكرك ... واشتاق قلبى طيب عطر شذاها
فانى فى الحرب الضروس موكل ... بأقدام نفس ما أزيد بقاها
وساعدنى فيها سبيع بن حارث ... ابن موهوب فادى نعمة وأفاها
كنا ولاة طعانها وضرابها ... حتى تجلت عنكم غماها
قسما بحياتك يا عبلة أننى ... من أجل وجهك لاأجيب نداها
سأبيدهم جمعاً بحد مهندى ... وأجعلهم وا طعما لوحش فلاها
وأبيد كل صميدع عشمشم ... شرس المراس لا أخاف لظاها
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... أحمى حماها إذا يدور رحاها
وسيعلم الأسود بأنى فارس ... أردوا جيوشه ولا أخشاها
فوحق مكة والحطيم وزمزم ... والمشعرين ومن صفا بصفاها
لابد لى أن أحلى أرضها ... سكنا لوحش البر ثم ظباها

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات ترنمت لها جميع السادات وقالوا له لارد الله فاك ولا كان من يشناك ثم انه زعق زعقة كادالبر لها أن ينقلب ويقع من على جواده كل فارس منتخب ونادى ياويلكم يا أنذال العرب وأخس من ضرب فى البيدا وتدومد طنب إلى أين تنجوا بالهرب ومثلى لكم فى الطلب فاين الذى تعدى على وسبى حريمى فدعوه يبرز إلى فانه غريمى .

(قال لراوى) فلما سمعت منه ذلك النداء تلك الفرسان حملت كلها عليه فردعنان وكان فى أوائلهم ابن عبد العزى سنان فبرز اليه قبل كل إنسان وصار معه فى مقام الجولان وصاح عليه وهو يكثر من الفشار والهذيان وقال له اسكت ياجبان ياعبد يامنهان عن من تعنى بهذا الكلام المعجرف الضعيف وفى هذا اليوم أرغم أنفك وأقطع

رأسك ومن كان له دين لابد أن يستوفيه ومن عليه شيء لابد أن يعطيه ولابد ما نأخذ الثأر ونكشف عن نفوسنا العار وها أنا سنان بن عبدالعزيز غريمك وأنا الذى تعديت عليك وسبيت حريمك (قال الراوى) فلما سمع عنتر من سنان كلامه وما أبداه من مرامه أسودت الدنيا فى عينيه ثم أنه أنقض عليه وقوم سنان رمحه فى يديه وتقدم إلى عنده وهجم عليه وزعق فيه وفاجأه وطعنه فى ثدييه خرج يلمع من بين كتفيه فمال عن الجواد وقد ترشرش دمه على المهاد وفى ذلك الوقت سمعت عبلة صوت الأمير عنتر وهو يقمقع ذلك البر الأقفر فعاشت روحها بعد الممات وصاحت به ياصاحب العزم القوى والسنان الملتوى والسيف الجلى لاشلت يداك ولا كان من يشناك ياليت الصدام دونك وهؤلاء اللئام خلصنى من هذا المقام

(قال الراوى) فلماسمع عنتر من عبله هذا الخطاب وهى تنادى به بين الأعراب إنذهل عقله وغاب عن الصواب ثم أنه لماعندما سمع نداها وحمل كأنه الاسد الوثاب وتبعته بنوعبس الانجاب وحملت أيضا بنوعامر وغنى وكلاب وحمل معه ذو الخمار ومن تبعه من الأخيار وهو ينادى ياحمير سمع صوته كل من حضر فلما سمعه الملك وهب بن موهوب ورأى شخصه وهو يقاتل عنتر قتالا منكراً ويجندل الأبطال وهاج فى الحرب كما تهيج فحول الجمال وقد صفى لعنتر نيته وأخلص له وداده وهمته وجعل يزعق بصوته ويبذل مهجته ويستنجد بفرسان قبيلته فناداه الملك وهب ومن معه من رفقته لبيك ياذو الخمار ها قدسمعنا نداك وحملنا لحملتك على أعداك ثم أنهم ساروا إلى جيوش عنتر وقد اختلطوا بهم وهم ينادون ياعبس ياحمير وحملوا بأجمعهم ووضعوا فى الأعدا شفار السيوف فكان أول من أنهزم حصن بن حذيفة وقد تبطن فى البر والفلا وصار يضرب بالسوط كفل الخيل الغبرة وهو يقول لعن الله أصل هذه السفرة وأما بنو فزارة فانهم قد أحاط بهم الذل والخسارة وقد تفرقوا من كل جانب ومكان وحملت بنوعبس نحو حريمها بعد مابلغت مناها من غريمها وترجل عنتر إلى عبلة وضمها إلى صدره وأعادها إلى هودجها بعد ماقبلها فى وجهها وفمها

(قال الراوى) وبعد ذلك أقبل الملك وهب بن موهوب إلى عنتر وسلم عليه فترجل له عنتر وقبل صدره وبين عينيه وشكره وأثنى عليه وشكر بنى حمير وصفت القلوب من الكدر وقد نزلوا جميعاً وانتشروا فى الأرض وجمعوا الغنائم والاسلاب وسائر الاموال والذهاب وعادوا راجعين وهم بخلاص حريمهم فرحانين وبالنصر مسرورين

وعنتر أفرح الناس فى بنى حمير وبما نال من النصر وافتخر به ساير العساكر وسار فى مقدمة العشاير فعندذلك تذكر عنتر ماصاراليه وكيف أجهد روحه حتى أنقادت الجيوش كلها بين يديه فعندها جاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمايره فأنشد يقول :

لعبلة نشر المسك والشهد ريقا ... وثغر حكى الدر فى اللون والشكل
إذا تبسمت لاح الضيا من جبينها ... وفاق بياض البرق ينثر بالويل
بكيت وأبكى المشيب على الصبا ... وقول العدا إنى تقاصرت عن فعل
فإن شاب رأسى فالحروب تفر لى ... إذا أختلفت بيض الصفاح القنا الدبل
إذا جالت الأبطال فى حومة الوغا ... تصيب المنايا كل حاف وذى فعل
أخوض عجاج الحرب غير مقاصر ... بعضب صقيل فى التجارب والفعل
غدوت أخوض الحرب فى عرصاتها ... يوم المقامة بالقضاء المنزل
أجول على الاعداء بالسيف والقنا ... بالطعن والضرب بين البيض والاسل
ولكن بضرب السيف فى ساحة اللقا ... رقيت على أهل المراتب والفضل
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... علوت بعزمى فوق من كان قبل

(قال الراوى) فلما سمعت العرب من عنتر ذلك الكلام ترنمت الفرسان عجباً ولم يزالوا سايرين حتى وصلوا إلى الجبلين واطمأنوا وقرب منهم العين هذا وعنتر قدنصب خيامه والقباب وفرق على جميع الرجال والانعام وأقاموا فى تلك الارض مع بعضهم البعض وهم فى أكل وشرب مدام وقويت شوكته على جميع الانام وصارت عدتهم ثمانية عشر الف فارس (قال الراوى) فعند ذلك قال الملك وهب بن موهوب ياأباالفوارس أعلم أن كل ذلك بسعادتك يابن شداد بلغك الله السؤال والمراد فقال عنتر ياملك أما زيادة العدد فهى بسعادتك أول وآخر الفخر فما هو إلا هؤلاء الامراء والاكابر وملوك هؤلاء العشاير فانطلقت الالسن بحمده وشكره وشاع بينهم فخره وذكره

(قال الراوى) هذا ماجرى لعنتر ومن معه من كل فارس مسدد وأما ماكان من أمر الملك الاسود فإنه كان يجلس كل يوم فى مرتبته كما جرت عادته ويتحدث هو وعشيرته وأرباب دولته فى حديث عنتر وسطوته ومالقى القبايل من شجاعته وقوته وبراعته فيقول الملك الاسود من شدة بغضه له وحسرته وعلى يدذى الخمار تكون موته هذا والعشاير قد أقبلت إلى مدينة الحيرة وهم ينادون الجيرة ياملك الزمان الجيرة وكذلك خداش وعاطل والمرقال وهم كلهم حفاة عراة فى أسوأ حال وفى أواثلهم حصن بن حذيفة

وسنان شيخ الضلال فسألوهم الرجال عن حالهم فقالوا يغنيكم حالنا عن الخبر وذلك أن عنتر قد أبادنا ونحن على غفلة من أمرنا وأخذ ذو الخمار أسيرمن بيننا ثم أنهم شرحوا له القصة من أولها إلى آخرها وكيف لحقهم عنتر وقتل بن عبد العزى سنان فانزعج الملك الاسود وضاقت حضيرته فدعا بأكابر دولته فأتوا اليه وأعادوا قصتهم عليه فقامت قيامته وزادت بليته ومن كثرة الهم الذى دخل عليه كاد أن يهلك وغشى عليه فلما أفاق من غشوته التفت إلى وزيره عمرو بن نفيله العدوى وقال له أما تنظر إلى ما دهانا به عنتر هذا العبد الحقير وما فعل بالامراء وما فى الامر إلا إننى أسير إلى الملك كسرى واستنجد به عليه بعد ما أعلمه بهذه القصة ولا أدع فى قلبى من هذا الامر غصة ولكننى أخاف أن يرانى بعين العجز والنقصان ويقول لى أى شيء أعمل فيك ياشاه تاريان وأنت ما بقى لك عند العرب قدر ولا شأن إذا كنت عجزت أنت ومن معك من الفرسان وجميع ما تحت يدك من العربان عن لقاء عبد حقير صعلوك فكيف يكون حالك إذا شاققت ملكا من الملوك

(قال الراوى) فقال له الوزير أيها الملك لا تقل إننا عجزنا عن عبد أسود من جملة العبيد فوالله أننا ما عجزنا إلا عن بطل من الابطال الصناديد وعنتر والله ما هو إلا جبار عنيد وفارس الزمان وفريد العصر والأوان لاسيا أهله وقبيلته والفرسان الذين صاروا فى صحبته من سادات العرب الذين ما منهم إلا كل فارس منتخب مثل ملاعب الأسنة فارس الخيل وابن خالته عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاقة ومروان ابن سراقة أصحاب القوة والرشاقة ومثل الاخوص بن جعفر الأسد القسور وخالد بن ربيعة صاحب الهمة الرفيعة ومسروق بن طارق ومن كان لهم من الفرسان موافق وسيار بن بكار الذى هو بطل جبار وقد اتصل اليهم ذو الخمار وأيضا الملك رهب بن موهوب ومن يقاومهم فى الحروب فان أنت سرت اليهم أيها الملك ينخرق ناموسك وتقل هيبتك ولا يبقى لك حرمة بين أرباب دولتك فقال الملك الاسود والله لابد أن أسير اليه وأقدم عليه حتى أننى أخرب دياره وأقلع آثاره .

(قال الراوى) فما أتم كلامه وما عزم عليه من الشأن حتى وثب عليه شيخ من مشايخ العربان وقبل يده وقال له أيها الملك قد قيل فى الأمثال السوابق فيما سلف من القول الصادق من لم ينظر فى العواقب فما له فى الدهر صاحب وإن أردت أن تأخذ هذا الرجل و تتركه أسير عندك ذليل حقير فاستنجد عليه بفارس العصر وأوحد الدهر أمير هذه الأرض

وغيرها طولا وعرض الذى شاع ذكره بين القبائل المسمى بالهامان بن علقمة الهمدانى الذى ماله فى زمانه ثانى وهو فارس بنى همدان فإذا وصل اليك هذا الفارس كفاك الله شر عنتر لأن ماله فى غيره من الفرسان وإن لم يأت اليك هذا الفارس ويلقاه ويحضره بين يديك وإلا فارحل من هذه البلاد وأتركها لعنتر بن شداد وكان هذا الفارس المسمى بالهامان كان فارساً لايطاق وعاقماً مر المذاق وقد قتل كثير من الفرسان وخافت سائر العربان حتى أنهم جعلوا له جزية كل عام وسموه بفارس الأنام وكان له عند عنتر دم ودين وكان لايصدق أن يراه مما كان اعتراه لأن عنتر كان قد قتل له أخ وابن عم وقتل جماعة من كبار قومه وأنزل بهم الهم والغم وكانت بزوجة عمه تبكى على ولدها ليلا ونهار وهى تبكى بالدموع

(قال الراوى) وكان ابن عمه الذى قتله عنتر يسمى الملجاج وكان فارس العجاج وليث الهياج وكان الهامان إذا أراد أن يشرب المدام ماتتركه أم الملجاج أن يتهنا من كثرة البكاء والملام فيقول لها ياخالة كفى عن البكاء والعويل فلابد ما أسير إلى غريمك وآتيك به أسير واجعله قتيل عفير فتقول والله مايهدأ لى حواس ولا يقر لى قرار بين الناس حتى أموت وأسكن فى القبور والأرماس إن لم تأخذ لولدى بالثار ويبرد مابقلبى من لهيب النار فيقول لها من تريدين تأخذين ثار ولدك حتى تنطفى نار كبدك فتقول له ماأريد ذلك إلا من قيس بن زهير أو من بعض إخوانه أو من العبد عنتر بن شداد الذى قتل ولدى وعجل منيته أو أنك تحضره إلى حتى إننى آكل قطعة من لحمه أو أشرب من دمه فلما سمع هذا الكلام صار بعدها بأخذ الثار ولا بد أن يكشف عنها العار وكانه مع ذلك الأمر يشتهى أن يلاقى عنتر لما بلغه عنه أنه فارس غضنفر فى الحرب مشتهر .

(قال الراوى) ومازال الشيخ يقول ذلك الكلام قدام الملك الاسود ومن عنده حضر فى هذا المقام وذكر الهامين بذلك الخطاب علم أنه مانطق إلا الصواب

(قال الراوى) فعند ذلك كتب له فى عاجل الحال كتاب وأعلمه بما هو فيه من الاخبار وعرفه بأنه يريد يستنجد به على عنتر وقصد بذلك أعلامه بجميع ماجرى بينه وبين أقوامه وماحصل له من الأنكاد وضمن له المال الجزيل والعطاء النبيل ويقول له أعلم أيها الفارس الهمام والبطل الدرغام أن الذى أعلمك به أن هذا الشيطان اسمه عنتر قد عصى علينا وبغى وتجبر وكسر لى جيوشا كثيرة وكل ما أنفذته اليه أنزل به العبر وخرق ناموس مملكتى وقد أراد أن يؤذينى أنا وأكابر دولتى وقد تغلقت فى وجهه جميع الاسباب ولما ذكرت بين يدى فاحتجت ان أكتب اليك هذا الكتاب لما ضاقت بى

الاسباب وقد ثبت عندى أنك من الفرسان الانجاب وأنا أريد منك المبادرة لتكشف عنى هذه الغمة المكدرة وتجلى عن العرب هذه الظلمة وتنقاد كلها بين يديك ثم أنه طوى الكتاب بعد ما كتب فيه ما أراد من الخطاب وسلمه إلى فارس من فرسان العشيرة وركب نجيبه وسار يطلب الطريق المستقيمة ويقطع البرارى والوديان طالب جبال مساور وأرض بنى همدان وجد فى مسيره حتى وصل إلى هذا المكان ورأى تلك القبائل ونظر إلى كثرة الرجال وما عليها من الهيبة والإجلال وهم أكثر القبائل مالا وأحسنهم حالا وذلك من كثرة غاراتهم على العربان فلما أشرف عليهم ذلك الفارس من الوديان دارت به الرعيان وسألوه عن حاله وأمروه أن يفصح لهم مقاله فقال لهم أنا رسول من عند الملك الاسود إلى البطل الهمام الامير الهامان بن علقمة الهمدانى الذى ماله فى زمانه ثانى فقالوا له العبيد مرحباً بك من قادم وأهلا بك من خادم ثم أنهم انطبقوا به إلى وسط الاحياء حتى يعلموا مولاهم بما كان من تلك الاشياء وكان الهامان حاضراً فى ذلك الحى وعنده الشجعان وهم فى وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وقد جمع فيها سائر السادات وبين أيديهم الإماء والمولدات وهم يضربون بالدفوف والعبيد يلعبون بالخناجر والسيوف وإذا أقبلت عليهم الرعاة من البر والفلاة ومعهم ذلك الرسول الذى من عند الملك الاسود وهو ينادى ويقول أيها الملك الأمجد أنا رسول من عند الملك الاسود .

(قال الراوى) فلما سمع الهامان بذلك الامر والشأن فرح بذلك واستبشر وأمر به إليه أن يحضر فلما صار بين يديه عرض كتاب الملك الاسود عليه فتعجب من ذلك الحال ثم أنه التفت إلى بعض غلمانه وقال احملوه إلى دار الضيافة وأكرموه فعند ذلك حملوه وعظموا قدره وبجلوه وأصلحوا له الطعام وزودوا له الإكرام هكذا مدة ثلاثة أيام

(قال الراوى) ثم الهامان بعد ذلك جلس فى مرتبتـه ودعا بأكابر دولته ووجوه عشيرته ومن يعتمد عليهم فى مشورته وأمر بإحضار الرسول بين يديه فلما حضر سلم عليه وناوله الكتاب فسلمه إلى من يقرأه عليه ليفهم الخطاب فقرأه عليه حتى أتى على آخره وفهم ما فى باطنه وظاهره ثم أنه التفت إلى رسول الملك الاسود وقال له قد بلغ عنتر إلى هذا الحد حتى صار يشاقق الملك الاسود ويكسر جيوشه ويفعل بهم هذا الفعل الانكد فقال له الرسول اعلم أيها البطل الامجد والفيل الاوحد أنه قد فعل أكثر مما سمعته فى هذا الكتاب ولم يخش من أحد ولا يرتاب لانه قد أسر الفرسان مثل سبيع بن الحارث الحميرى وعاطل بن المثنى السلمى والامير المرقال والملك وهب بن موهوب وأذل رقاب

العرب وأنزل بهم الويل والعطب فقال له الهامان وفى كم يكون هذا الرجل من الفرسان فقال الرسول أيها القرم المداعس ما هو إلا فى خمسة عشر ألف فارس ولكنهم أبطال فى الحرب ومن جملة ما اجتمع عنده من الفرسان سبيع بن الحارث الحميرى وغشم بن مالك العامرى الملقب بملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاقة ومروان بن سراقة ومن يجرى مجراهم من أصحاب الفروسية وقد قويت الرشاقة شوكته وعظمت قوته من يوم علق قصيدته على البيت الحرام وصار يعد نفسه من الملوك العظام وحدثته نفسه أن يأخذ الملك الاسود أسير ويملك منه الديار وقد عجزت عنه الابطال وأطاعته سائر الاقيال فسمع الهامان بن علقمة هذه القصة قال هذا رجل أوحد الدهر والأوان وما الناس إلا رجلان رجل يصف نفسه بما يكون منه ورجل تصفه الناس ويقولون عنه فى ذلك أقوال ومن يفتخر بغير فعل يرى عجباً ومن يقل ليس مثلى كان مدحوراً وقد كذبا وأنا إذا سرت إلى هذا الرجل ونصرت عليه احتويت على طرفا الدنيا وذلت لى رقاب العرب وأخذت الطبقة العليا على كل من بعد منها ومن اقترب وأكون قد أخذت ثار ابن عمى وكشف همى وغمى ثم إنه لما فرغ من ذلك الكلام أمر من كان حوله من الرجال الكرام أن يتأهبوا للحرب والصدام وقد شرع بتجهيز الجيوش فى الوقت والساعة وأمر بالمسير لجميع فرسانه وقومه وأمر بإخراج السلاح وآلة الحرب والكفاح وقد ولى على جيشه ابن عمه الذى يحمل كل همه ثم أنه اعتد فى ألفين وسبعمائة فارس أبطال قناعس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وهم من خيار بنى همدان كأنهم زهر البستان غائصين فى الحديد والورد النضيد راكبين على خيول عربية ومتقلدين بسيوف هندية ومعتقلين برماح خطيا وقد خلف على حليه كما ذكرنا ابن عمه الخاطف بن قدامة وأوصاه على حلته وخيامه وسار وهو راكب على جواد من الخيل الجياد وعلى جسده درع ومغفر وهما من الذهب الاحمر مرصعين بالدر والجوهر وفى يده رمح أسمر من عمل سمهر وعلى عاتقه سيف أبتر صقيل المتن بجوهر وسار يقطع الفيافى والقفار فاشتاقت نفسه إلى نشيد الأشعار وكان خلفه هذا الجيش الجرار وقد أدركه فى روحه العجب والافتخار فأنشد يقول .

جفانى الكرى مذ جفانى الحبيب ... فدمعى يفيض وقلبى مريب
وطرفى يراعى نجوم السما ... كأنى عليه حريص رقيب
لأن حبيبى يفوق الجمال ... لبدر منير وغصن رطيب
أصاب فؤادى بنبل الجفون ... وكان بهجره لدى مضيب
وقلبى رهين بما شاقنى ... وفعل خليلى تركنى كئيب

فما لى شفا سوى قبلة وما لسقامى سواه طبيب
أرى الأرض ترجف من سطوتى ولكن قلبى بناره لهيب
ترى القوم منى بوجه الثرى هوى بالدما ملقى خضيب
وقومى بنو همدان ليوث الوغا جدود لنا ذكرهم ما يغيب

(قال الراوى) ثم أنه لما فرغ من ذلك الكلام وماقاله من الشعر والنظام صار يقطع البرارى والاكام وما زال بقومه على تلك الوسيلة حتى وصلوا إلى مدينة الحيرة وبلغ بقدومه إلى الملك الأسود فخرج لاستقباله من البر والفدفد واستقبله عند رؤياه وأكرمه وحياه وكان لدخوله يوم مشهود وقد دارت به العشائر والجنود ونشرت على رأسه الصناجق والبنود وقد زينت البلد بسائر الآلات والعدد وضربت الطبول ودقت الكؤوسات ونعرت للموقات وفرحت الملوك والسادات ونقل إليه كل ما يحتاج من الإقامة وسائر الطعام والحلويات وأخرج للخيل العلوفات وضربت له ولقومه الخيام والسرادقات وأرسل له الوسائد والفروشات وكانت أشياء كثيرة وأنزله هو وبنى عمه على ظاهر الحيرة وقد بات تلك الليلة وجلس على سرير مملكته وجلست من حواليه سادات العرب وأكابر دولته فلما دخل عليهم الهامان فى ذلك المقام لم يبق أحد من الرجال إلا وقام قائماً على الاقدام وتزحزح له الملك الأسود من على سريره وزاد به سروره وعطاه يده فقبلها بعد ماأمره بالجلوس فى حضرته فصعد على سرير مملكته وجلس على يمينه فى أكابر دولته فجعل الملك الأسود يحادثه ويشكو له من عنتر وقصته وشرح له ما قاسى من نوبته قال له فى آخر كلامه وقد رجوتك أن تكشف ظلامتى وتشفى من عنتر غلتى وتفرج كربتى وتبلغنى قربى وتزيل هذا الغم عن قلبى فأجابه الهامان بين ذلك الجمع الكثير وقال له والله يا ملك لقد عظمت شيئاً يسير ورفعت قدره وهو حقير ومن هو هذا العبد حتى تذكره بالتفصيل وتعلى محله وهو ذليل وما هو بطل جليل وأنا يا مولاى بهمتك وعلو سعدك وطول بقاك ورفع مجدك أخذه لك أسير وأقوده بين يديك ذليل حقير وأتركه على وجه الأرض مجندل عفير فشكره الملك الاسود على مقاله وقال له مثل من أذل الرجال وأسر الأبطال ثم خلع عليه كلما كان على بدنه من ملابسه وجميع الثياب وقد أركبه على فرس نوبته بين أكابر دولته وهو بمركب ذهب مرصع بالدر والجوهر ونوره كاد أن يلتهب وخلع أيضاً على أكابر قبيلته وسائر أهله وعشيرته ثم أنه انصرف من عنده وهو كما ذكرنا بهذا الزى والمنظر بعد ما حمده على ذلك وله شكر هذا والملك الاسود يقول فى نفسه إن سار هذا الرجل فيمن صحبه من بنى عمه وأقاربه وقدم على عنتر وحاربه ونصرت بنو همدان على

بنى عبس وعدنان فهذا نقص فى حقى وحق من عندى من الفرسان وتنقص منزلتى عند كسرى وأنو شروان وعند سائر العربان إذا عاينوا ما يجرى من هذا الأمر والشأن وما إلا أننى أجرد معه وزيرى فى أربعة آلاف فارس من كل بطل ممارس وهو فى زى الملوك الأشاوس حتى أنه إذا انتصر عليه كان الاسم له دون غيره وأن جميع الناس يقولون لامعه وزير الملك الأسود فى جيوشه وعشائره ما كان قدر على ذلك الوغد .

(قال الراوى) ثم أن الملك الأسود جرد مع الهامان عشائره وقد أمر وزراءه بتجهيز جيوشه وعساكره وأخرج لهم العدد والسلاح وفتح لهم خزائن الأموال وقد أنفقها على الرجال هذا وقد برزالوزير عمرو إلى ظاهر البلد وخرجت له دواته كما أمر الملك الأسود هذا كله يجرى والوزير عمرو فرحان بمسيره إلى عنتر بن شداد وما هو مصدق متى يراه ويبصره حتى يحسن معه الوداد وكذلك أخرجت إلى البر خيام الهامان وقد حمله الملك الأسود بالطبول والبوقات والخيام والسرادقات والبيارق والبخاتى والجازات وعقد على رأسه الصناجق والازدهارات وصار وهو فى هيبة بهية ماسمع بمثلها السامعون ونظر الناظرون ولا تحدث بها المتحدثون إلا أن حصن بن حذيفة قد لحقه من ذلك الحسد وزاد به الكمد حتى تقطع منه الكبد لما رأى إلى ذلك الأمر والشأن والتفت إلى سنان وقال له ما تقول فى هذه النوبة وما يتم لنا من الآثار فأنا الذى تبين لى من الأخبار وحق الملك الجبار إننا نفتح بهذه الجيوش السد الأقصى ولو كان فيها جيوش بعدد الرمل والحصى ولا سياوفيها هذا الجبار الذى هو الهامان فارس الأقطار وأنا قد تبين عندى أنه ما خلق بين البشر إلا لقتل عنتر بن شداد فقال له سنان يا حصن لا تحدث نفسك بهذا الهذيان ولا يغرنك الشيطان فوحق من بسط الأرض والمهاد وجعل الجبال لها أوتاد ورفع السبع الشداد إننى قد ثبت عندى من دون هؤلاء العباد أن هذه الأموال والبوقات وتلك الخيول والجازات ما هى سائرة إلا هدية لعنتر بن شداد وقد أرسلها له الملك الأسود على سبيل الهدية وبعد ذلك ترى رأس الهامان على الأرض مرمية تلعب بها أرجل الخيل العربية فى أقطار البرية ولا بد ما تأتى لنا المنهزمين إلى هذا المكان بالذل والحرمان والخيبة والنقصان (قال الراوى) لهذا الديوان العجيب المطرب البديع الغريب حتى نسوقه على الترتيب ثم أن هذه الجيوش سارت والغبائر قد ارتفعت على رؤسهم وثارت والوزير إلى جانب الهامان وهو يعلم بأنهم مع عنتر مخاطرين فى هذا الشأن .

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن أقبل الليل فنزلوا ليأخذوا لهم راحة الرجال والخيل ولما نظر الوزير إلى تلك الجيوش والأجناد وقد امتلأت بهم الأرض والمهاد

فلم يجد له صبراً على ذلك الايراد وقال لا بد لى من إعلام عنتر بن شداد من جهة مسير هؤلاء العرب التى ملأت البرارى والسبسب ومسير الهامان بن علقمة الهمدانى الذى ماله فى زمانه ثانى (قال الراوى) ثم أن الوزير كتب إلى عنتر ليعلمه بما جرى من تلك الأمور والأسباب وهو يقول له فى الكتاب أما بعد أيها الفارس المهاب والأسد الوثاب فإنى أريد أعلمك بكل ما جرى وتجدد وما صنعه الملك الاسود وهو أنه من شدة غيظه والحرد أرسل كتباً كثيرة إلى عرب البر والفدفد وهو عليك بالعربان قد استنجد من جملتهم فارس من الفرسان يسمى الهامان بن علقمة الهمدانى وأنا من شغفى عليك ومحبتى لديك أرسلت لك من توانى وقد أعلمتك بهذه المعانى وقد سيرنى الاسود معه فى خمسين ألف فارس أبطال وأنا أرجو من الكريم المتعال وأكون أنا فى أول الرجال وتنزل بنا الذل والخسارة والخبال وتنهب جميع ما معنا من الأموال وترجع الجيوش من قدامك منهزمين إلى الحيرة وأنا ما كتبت لك هذا الكتاب إلا وقد عميت منى عليك البصيرة فإذا قرأت كتابى هذا فخذ حذرك ودبر أمرك وما يلحقك كسل ولا يأخذك عن كثرتهم فشل لانى أعلم أنك عليهم منصور ثم أن الوزير دعا بعبده سالم النجاب وكان ذلك عبد حبيب من الأحباب ثم أنه سلم إليه الكتاب وأمره أن يسير يقطع البرارى والهضاب ويوصله إلى عنتر البطل المهاب وأن يكتم سره ويخفى أمره بما يريد أن يفعله وما زال يركض فى البرارى والسباسب حتى أشرف على جبل خشاخش والتناصب ونظر إلى تلك الجيوش التى قد اجتمعت فى حمى الامير عنتر (قال الراوى) فعند ذلك استقبل أبياته لانها كانت معروفة بعلو العمد (قال الراوى) فجعلت العبيد تتجارى بين يديه وكل منهم يجرى بما قدر عليه حتى أوصلوه وسلم عليه فأخلى له عنتر مكاناً برسمه وأمر كل العبيد بالانصراف وسأله عن حاله فأخرج له كتاب الوزير بلا خلاف (قال الراوى) فدعا عنتر بعروة بن الورد فحضر إلى بين يديه فأعطاه عنتر الكتاب فقرأه عليه ولما علم ما فى الكتاب شكر الوزير على حسن ثنائه وصفائه ووداده وعلى ماهو فيه من ترك أخباره ثم أنه كتب إليه رد الجواب يقول فيه أيها السيد المهاب طب نفساً وقر عيناً بكل الاسباب واعلم أنه لو سار إلى الملك الاسود بنفسه هو ومن عنده من الفرسان وكسرى أنو شروان صاحب التاج والإيوان أو قيصر ملك عباد الصلبان واعتدوا على بالشر والطغيان فوالله ما أرفع لهم قدر ولا شأن ولا أقيم لهم بين العربان رأس ولا عدتهم عندى بناس وأما أنت فتعيش وتبقى ولا ترى بؤساً ولا شقا وأدام لك العز والبقاء ثم أنه أنعم على العبد ورده إلى مولاه أحسن رد وما علم به من العشيرة أحد ثم أن عنتر

لما فرغ من ذلك الأمر والمرام قام قائماً على الاقدام وأخذ عروة بن الورد وسار هو وإياه حتى دخلوا على الملك قيس بن زهير فوجدوا عنده الملك وهب بن موهوب والاحوص بن جعفر الفارس المندوب وملاعب الاسنة القسور وعامر بن الطفيل والمجلس قد احتفل بتلك الملوك والشجعان (قال الراوى) ولما دخل عنتر إلى ذلك المقام قاموا له قائمين على الاقدام وتلقوه بالرحب والإكرام ثم أنه تقدم إلى صدر المجلس بين يدى الملك وهب بن موهوب وبين قيس وجلس وصار الملوك يتحدثون وهم وإياه فأخذ يشرح لهم القصة ويعلمهم بالخبر الذى أتاه وقال لهم يا سادات العرب قد جاءنا خبر من الاخبار ذلك أن الملك الاسود قد أرسل لنا جيشاً جرار وفرساناً ما عليهم عيار وقد استنجد علينا بالهامان بن علقمة الهمدانى الذى تزعم العرب أن ما له فى حربه ثانى وقد سير فى صحبته عمر بن نفيلة فى خمسين ألف فارس من كل مدرع ولابس فانظروا يا ملوك العربان ماذا يكون فى هذا الامر والشأن واعتدوا للقاء هذه الكتائب والاقران فقال عروة يا أبا الفوارس أن هذا الجيش كلهم قاصدين إليك فدبر نفسك وها نحن بين يديك لانك إذا أشرت علينا برأى قبلناه ومنك امتثلناه (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام عروة أشار إليه وشكره وأثنى عليه وقال أنا ما أضرب إلا بأسيافكم وأنا والله ما على قلبى من الاسود ولا من الهامان ولا من كسرى أنوشروان صاحب الايوان ولا من قيصر ملك عباد الصلبان إذا هم قصدوا إلى بمن معهم من الفرسان ويجمعنى أنا وإياهم الميدان وسوف أجعل لى ولهم حديثاً يذكر ما بقى الزمان يتحدثون به الناس فى كل وقت وأوان (قال الراوى) فلما سمعت أمراء العرب بكلام عنتر ما منهم إلا من اندهل وتحير وقالوا يا أبا الفوارس ما نبخل بأرواحنا عليك ولو طارت رؤسنا بين يديك فلما سمع عنتر مقالهم شكرهم ودعا لهم وقال لهم يا بنى عمى تطلب من الله أن يخيرهم فى أمورهم ويرى كيدهم فى نحورهم ويقابلهم على أفعالهم ويغنمنا أموالهم لانهم ماهم قياسنا ولا كفء لنا فسوف نوردهم تلافهم ثم أنهم بعد ذلك المقال استشاروا على ما يكون من الفعال فقال عنتر الرأى عندى أننا نخرج إلى ظاهر الجبال ونقاتلهم دون الحريم والعيال (قال الراوى) فعند ذلك ركبت الرجال وخرجوا على الخيول الغوال وساروا ثلاثة فراسخ وأقاموا ينتظرون الجيوش فعند ذلك قال عنتر ياوجوه العرب مرادى أن أكون طليعة لهذا السبب فقالوا له يا أبا الفوارس أنت لاتبرح من عندنا لاننا ربما دهينا من جهة عدونا ونخاف أن يقصدونا من طريق أخرى فقال عنتر لاتخافوا ياسادات العرب فأنا لا بد لى من هذا السبب وأنا ما أكون إلا قريباً منكم وما أبعد عنكم ثم أنه سار فى

جماعة من الفرسان حتى ينظروا ما يكون من الأمر والشأن (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الهامان فإنه لم يزل سائر بتلك الجيوش وهو يقطع البر الأقفر حتى أشرفوا على طلائع عنتر وكان قد وقف وتأخر وأرسل تلك الرجال قدامه حتى تكشف له الخبر فلما أشرفت على طليعة عنتر طليعة الهامان ونظروا إلى تلك الجيوش وهى قد ملأت القيعان وبان للأسنة الزرد لمعان السيوف تلوح مثل الكواكب والكوسات تدق من كل جانب فعند ذلك عادت طليعة عنتر إليه وهم يلوحون بالسيف إليه وقد أيقنوا بشرب كاسات الحتوف وأعلموا عنتر بقدوم تلك الجيوش فعند ذلك رجع إلى عشائره وأعلمهم بقدوم الهامان ودساكره فتبادرت الرجال إلى لبس الحديد وقد تدرعوا بالزرد النضيد وثاروا كأنهم الأسود العوابس وهم للدروع لوابس وركبوا على ظهور الخيل مثل النار المسعرة فعند ذلك رتبهم عنتر ميمنة وميسرة قلباً وجناحين ووقف هو وسبيع بن الحارث وعامر بن الطفيل وملاعب الأسنة والأخوص بن جعير فارس الخيل وولده ميسرة وسبيع اليمن وأخيه مازن وعروة بن الورد وقد وقفوا الجميع فى مقدمة الجيش وبين أيديهم عنتر ومن ورائهم ملوك العرب على كل جواد منتخب وهم الملك قيس والأخوص والملك وهب وكلا منهم فى عدته غارق وفى لامته محترز على نفسه والعين بانت لبعضها بعض الطائفتين ودقت الكوسات ونعرت البوقات ونفرت الأسود من الغابات وبقوا كلما طلعت سرية وقفت فى ذلك البر الأقفر حتى تكاملت الخيل وجمع الهامان إلى ذلك الجيش عندما أقبل فأخذه فيه الطمع ثم أقبل على الوزير وقال له أن هذه النوبة نوبة ذميمة ومحنة عظيمة كيف أننا نسير بهذه الجيوش الكثيرة إلى هذه الشرذمة التى أذلت الرقاب وأهانت الأمور الصعاب وفرقت الجيوش فى الروابى والشعاب والرأى أن تكون على حذر وإلا حل بك القضاء والقدر (قال الراوى) فلما سمع الهامان كلام الوزير حل به الذل والتعثير وقال له أيها الوزير مثلى لم يخاف عند الكفاح سوف أريك كيف أحمل عليهم بلا سلاح وأقبض منهم الأرواح وأسقيهم كاس الحمام وأفرق شملهم بعد التمام (قال الراوى) ثم أنه فى الحال ادعى بابن عم يقال له ذوامة بن حنظلة وكان جبار من الجبابرة وهو فارس بنى همدان ولا له من يقاومه فى الميدان إلا ابن عمه الهامان فلما صار بين يديه قال له اخرج يا ابن العم إلى هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم وحذره من بأسى وقوة مراسى وقل له يا عنتر أن الزمان ما هو لك وعن قرب تهلك واعلم أن هذا الهامان ما هو مثل غيره ولا أنت فى الحرب نظيره لأنه قد أخذ جزية الملوك وذل كل فارس فتوك وما فى الرأى إلا أن تسلم نفسك إليه من غير نكد حتى يتوسط فى أمر

للملك الأسود فإن هو أجابك إلى ما تدعوه إليه كان بها وإلا فأحمل عليه وأقتل كل من كان حواليه من الفرسان ولا تعود إلا وهو معك أسير من بعد ما تنزل بكل من معه من البلاء والتعثير فقال له السمع والطاعة وسوف ترى ما يجرى عليه فى هذه الساعة ثم أنه أطلق عنان جواده وهو غارق فى عدة جلاده ولم يزل سائر قدام الجيش إلى أن وصل إلى أبو الفوارس عنتر ونادى أيها الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة ألا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا دوامة بن حنظلة ابن عم الهامان الذى ماله مثل فى هذا الزمان وهو الذى أنفذنى إليكم من شفقة عليكم وهو يحذركم أنتم وأسودكم من شدة بأسه ويأمره أن يسلم إليه قبل أن يقطع رأسه ويخمد أنفاسه (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه وما أشار إليه اسودت الدنيا فى عينيه وهم أن يبرز له ويقضى عليه وإذا بسبيع بن الحارث قد انقض عليه وهو يقول يا أبو الفوارس لا تتعب نفسك فما هذا الفارس من أبناء جنسك (قال الراوى) ثم أنه انقض على دوامة وهو كأنه الأسد الرئبال وهو يقول ويلك يا ابن الأنذال يحق لك أن تذكر عنتر بن شداد فأبشر الآن بالبوار من يد ذو الخمار ثم أنه ضايقه ولاصقه وأكربه وألهبه وطعنه فى صدره أخرج السنان من ظهره (قال الراوى) فلما نظر الهامان إلى ابن عمه قتيل وعلى وجه الأرض جديل اسودت الدنيا فى عينيه وكاد أن يغشى عليه ولم بقى يعرف ما بين يديه حصانه أصفر مدور الكفل فصار على ظهره وقد أوقر لعظم جثته وزعق فيه فر به مثل البرق إذا برق ونادى يا للعرب أنا الهامان بن علقمة الكاشف كل نائبة معظمة وأنتم يا بنى الأشرار قد جلبتم لأنفسكم الويل والدمار بقتل ابن عمى الفارس الكرار ولكن ابشروا بقلع الآثار وخراب الديار (قال الراوى) فعند ذلك قفز إليه ذو الخمار وقال له ويلك أقصر من هذا الفشار ولا تقول الهذيان فى موضع الافتخار فلما سمع الهامان كلامه عرفه بصوته وقال له ويلك ياذو الخمار ما الذى حملك على قتل ابن عمى يا غدار فأبشر الآن بالدمار وقلع الآثار (قال الراوى) ثم أنهما انطبقا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرض وصبرا على تلك الشدائد وعضت الخيل على الشكايم وأذلها بفعلهما النظار وغابا عن الأبصار وامتدت الاعناق وشخصت إلى نحوهما الأحداق وقام الحرب على قدم وساق (قال الراوى) فعند ذلك قام سبيع فى بداده وزعق فى جواده وركز الجواد بالركاب فقب به الجواد فوقع ذو الخمار من على ظهره إلى الأرض والمهاد وغاصت يده إلى أبطه فى التراب وقد خبله درعه ولباسه فانطبق الهامان عليه بهمته وجعل حمائل سيفه فى رقبته وقاده أسير حقير وقد حل به الذل والتعثير قال ثم أنه سلمه إلى بعض بنى عمه وقد

فأيقن بزوال همه وغمه هذا والضجات علت من بنى همدان وفرحوا بنصرة الهامان ثم أن الهامان عاد إلى الميدان وهو يهدر كأنه الأسد الغضبان وصال وجال وطلب البراز والنزال فعند ذلك قفز إليه عنتر مثل النار وهو يتأسف على ذوالخمار وصاح فيه اسكت يا ابن اللئام فدونك وضرب الحسام (قال الراوى) فلما سمع الهامان كلام عنتر نظر إلى ذلك القدر والهيكل فعلم أن عنتر فارس العصر ونتيجة الدهر فقال له ويلك ياعنتر إعلم أنى أحب الشجاعة وأهلها لأن الأبطال تعشق الأبطال التى مثلها ومثلك من تتأسف عليه الإخوان إذا أتت نوائب الزمان وإذا لم تتلافى معى قصتك وترجع عن ما أنت فيه من عزيمتك وتسمع منى النصيحة وإلا بقيت فضيحة وأحل بك العار بين البوادى والحضار وأحمل عليك وأقطع رأسك من بين كتفيك فلما سمع عنتر كلامه زاد ضحكه وابتسامه وقال له عنتر أن مثلى ما يخفى على مثالك وأنت زعمت أنك قد ضمنت للملك الأسود قتلى أو أسرى وأنا أيضاً قد ضمنت للملوك الذين معى قتلك أو أسرك فدع عنك طريق الخداع وخذ فى معاناة الحرب والقراع يبان الشجاع من الجبان ويتفرجوا علينا هؤلاء الشجعان ويشهدوا لنا بالزيادة والنقصان فدونك والقتال وخل عنك المحال ثم أنهم بعد ذلك انطبقا على بعضهما بعض وزعقا زعقتين دوت لهما الأرض .

(قال الراوى) هذا وقد اندهشا الفريقين وحارت منهما كل عين هذا والغبار عليهما قد ثار ولمعان سيوفهما تلمع تحت القتام مثل شرار النار وشخصت الحضار نحوهما بالأبصار ولا بقى يسمع من الاثنين غير صهيل السيوف على الدرق والغبار من فوق رؤسهما قد تسردق وزاد بهما الغيظ والحنق قال ولم يزالا الاثنين فى هزل وجد وصدور ورد فتارة يكونا فى الميمنة وتارة يكونا فى الميسرة وهما فى زمجرة إلى أن مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقد طال الوقوف والنظر بين الفريقين وقد افترق الاثنين بعد ما أيقنا بذهاب الروحين قال ثم أن الهامان أقبل على عنتر وقال له إعلم أن الظلام قد أقبل فعول بنا على الراحة من الضرب بالصفاح وإذا أقبل النهار عدنا إلى الحرب والكفاح فقال عنتر وحق من خلق الغرب والشرق أن الراحة ما هى لك مباحة وبعد ذلك إن كان ولا بد فانزل فى هذه الساحة فإن ما لنا منها براحة ويقعد كل واحد منا قدام جواده إلى الصباح وبعد ذلك نعود إلى ما كنا عليه من الحرب والكفاح ولا نزال على هذا الحال حتى تبلغ الآمال (قال الراوى) فلما سمع الهامان من عنتر ذلك المقال اندهش وحار واحتاج أن يجيبه على ما قال وإلا عايرته بذلك فرسان العرب ثم أنهما بعد ذلك أركزوا الرمحين ونزلا عن الجوادين وبركا على الركبتين وهما يتهامران وبالشر يتواعدان قال فعند ذلك

أتى لكل واحد منهما جماعه من قومه بطعام وشراب وأخذوا من عندهما جواديهما وعادوا إلى من لهم من الأصحاب هذا والفريقان قد أضرمت النيران وبات الحرس يعمل بين الفريقين وهما يكثران الصياح إلى أن أصبح الله بالصباح فعند ذلك ثارت الجيوش وترتبت ميامن ومياسر وأتوا إلى عنتر والهامان بجوادين فركبوهما وجالا فى الميدان حتى تحيرت منهما الشجعان وتعب الجوادان فعند ذلك وقفا للراحة والفرسان عاينوا من الاهوال هذا والهامان قد تحير من عنتر وفروسيته ويتمنى هلاكه وصرعته فعند ذلك أشار عنتر يقول صلوا على طه الرسول :

صبوحى صبوح الخيل يوم التصادم ... وغرس سنانى فى صدور الضراغم
وكاسى وطاى ذابلى ومهندى ... يفلق هامات الرجال القشاعم
أنا مانع إن فخرت لمفخر ... وفى غيرها تبنى بيوت المكارم
بحسبك إن قد سدت أحزم كلها ... لكل أناس سادة ودعائم
فهذا أوان السمر سلت سهامه ... معابلها والمرهفات السلاجم
يا عبلة انظرينى عند اشتباك القنا ... إذا نادت الأبطال هل من مصادم
وثار عجاج المرقدين بهين ... لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم
وشرع فيها كل أسمر دابل ... وجرد فيها كل أبيض صارم
وجارى مصان عزيز جنابه ... فنام وما جار الذليل بنائم
أنا عنتر العبسى ذو البأس والندى ... أمير بنو عبس السراة القشاعم

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عنتر بن شداد من هذه الابيات فأجابه الهامان على شعره يقول صلوا على طه الرسول :

سرى طيف سعدى بالخيال الملازم ... فذكرنى هجر الحبيب المصادم
ومما دهانى أننى بعد همتى ... يبارزنى عبد لئيم مقاوم
وما يعلم أنى إذا الحرب شمرت ... وثار عجاجات الغبار غمائم
أنا الفارس الضرغام أحمى شكيمتى ... على ضامر كالقدح صلب الدعائم
أصول عليهم فى الوغا بمهند ... ضريبته تشفى صداع الجماجم
تركت الاعادى يوم مشتجر القنا ... بجم نجيع للأسود الضراغم
وما كنت رعيباً إذا الخيل أقبلت ... واصطدمت فى النقع أى تصادم
بل أردى الابطال يوم مجالها ... بأسمر خطى وأبيض صارم

(قال الراوى) فلما فرغ الهامان من شعره والمقال عادوا إلى الحرب والقتال بعدما استراحت الخيل للمجال وانطبق كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعانه ومضاربه

(قال الراوى) ومازالا كذلك حتى وقفت الشمس فى قبة الفلك وزاد بهما العطش والظمأ وطال الانتظار مما دخل على قلب عنتر من الحنق وطول مقامه فى ذلك القتال الذى له اتفق فعند ذلك هجم على صاحبه وعليه انطبق حتى حك الركاب بالركاب فقام عنتر فى ركابه وتمطى فى بداده وفتح يده ليضرب خصمه وكان سرجه على ركابه الايسر فانقطع سير الركاب بإذن مسبب الاسباب فوقع عنتر من فوق الجواد كأنه طود من الاطواد فانطبق الهامان على عنتر من شدة حنقه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير ثم سلمه إلى بنى عمه وأمرهم أن يشدوه كتاف وبعد ذلك قادوه إلى عمرو بن نفيلة فلما نظر إليه وهو فى ذلك الحال الذميم نال قلبه عليه منال عظيم غير أنه ما أمكنه يسعى فى خلاصه وقال له كيف رأيت نفسك يا أسود وقد حل بك فناك (قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك أمر بالتوكيل عليه وأن يوثقوا رباطه إلى أن يفرغوا من قتال تلك العشائر فعند ذلك قيدوه وقد بلى بالاسر والضرر هذا وبنو عبس علا منهم الصياح والبكاء وقد أيقنوا بالاسر والفنا هذا والهامان قد رجع إلى أقوامه ووقف فى ميدانه وأظهر سطوته واهتمامه ونادى يا بنى عبس دعوا عنكم الحرب والجلاد واتركوا مشاققة الملك الاسود وعودوا إلى ما كنتم عليه أصلح لكم وأنا أعطيكم الذمام وأحلف لكم أنى ما أخلى الملك الاسود يؤذيكم لان ما كان الغرض إلا عنتر وها أناقد أنزلت به الضرر فلا تجلبوا لانفسكم البلية فتحيط بكم الرزية (قال الراوى) إلا أن الهامان ما تم كلامه حتى قفز إليه عروة وصار قدامه وقد علم أنه ما هو من رجاله ولا يعد من أشكاله بل أنه أراد أن يفدى عنتر بنفسه ثم أنه خرج خروج المسلوب ودمعه على خده مسكوب وهو يقول لا حياة لى تطيب بعد فراق الحبيب فلما نظرت بنو عبس إلى ذلك الحال زاد بهم الخبال وعلموا أنه ما فعل ذلك إلا من كثرة ما لحقه من النيران فكثر الصياح عند براز عروة إلى الهامان مما حل به لاجل عنتر عنده لانه صادق فى المحبة ومقيم معه على المودة والصحبة وبقى سبيع اليمن وعروة وميسرة دموعهم منحدرة وعولوا أن يلقوا أنفسهم إلى الهلاك ويرموا أعداءهم فى ضيق الخناق وأيقنوا أن ركنهم بعد عنتر قد انهدم هذا وعروة قد صار مع الهامان فى مقام الجولان وزعق فيه ويلك ياأندل العربان والله لولا تصاريف الزمان لطال عليك أن ترى أبو الفوارس فى ذلة وهوان ولكن العبد لايقدر أن يمحو طوارق الحدثان وها أنا قد خرجت إلى الميدان فأما أن أرزق عليك بالنصر والظفر

وإما أن أضاف مع عنتر لانى قد آلمنى فقده ثم أن الامير عروة أشار إليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

لا عشت من بعد الشقيق بلذة وأراه مقروناً بذل وهوان
أما أفوز بثاره يوم اللقا أو أن أذوق كاس المنية دانى
أف لدهر خاننى لفراقه من بعد عيش صاف وأمانى
كم أذل فى يوم الحروب فوارساً بالصارم الهندى وبلوانى
كم من مقدم جحفلا ذو صولة أرداه عند تطابق الجولان
كم ذل فى يوم الهزاهز فارساً أرداه بجندلا بحد يمانى
ما كان عنده تكاسل يوم اللقا ما كان رعديداً ولا بجبانى
ما كان ذا فشل إذا اشتجر القنا فى حومة الهيجاء فى الميدان
بل يردى الابطال عند محالها بالصارم الهندى وبالمرانى
يا ويح نفسى كيف أبقى سالماً من بعد عنتر حامى الاظعانى

(قال الراوى) فلما سمع الهامان من عروة ذلك المقال ترنح ومال وقال له لقد جلبتم لنفسك البلية واليوم أقرنك إليه فى الشداد جزاء لما جلبتم لانفسكم يا أوغاد غير أمجاد ثم أنه بعد ذلك أطبق على عروة فى ساحة الميدان وحاربه حتى أتعبه وأكربه ثم جعل حمايل سيفه فى يده وقبض على خناقه بيده وزعق الهمدان أنا قاهر الفرسان وهز عروة واقتلعه من بحر سرجه وأخذه أسير وسلمه إلى بعض رجاله وعاد فى الحال إلى المجال فعند ذلك هم ميسرة بالخروج إليه فمنعه الملك قيس وحلف عليه فامتثل لامره ولم يخرج

(قال الراوى) هذا والهامان يجول فى الميدان ويطلب براز الاقران والأبطال قد فزعت منه وتوقفت جميع الرجال عنه فعند ذلك حل على فريق من بنى عبس وحده واقتحم الغبار بنوه وحملت بنى عبس عليه من الميامن والمياسر وحملت جميع العشائر كأنها البحار الزواخر وعلت الغبائر إلى الأفواه والمناخر فكم من رأس طاير وجواد بصاحبه غاثر وصارم الدم فاير وعظمت الحراير وتقطرت المرائر واظلم الجو واسودت الاقطار وطلب الجبان الفرار وخاف الشجاع من العار والفضيحة والشنار وندمت الرجال على فوات الأعمار وجرت الدماء مثل الأمطار وباحت القلوب بالأسرار وقل الاصطبار وهانت المنية على العبيد الأحرار وولى النذل من خوف البوار وعميت الأبصار واشتدت الأخطار ودار طاحون الآفات وعمل المرهفات فى جماجم السادات

وهمت سباع الغابات وضاقت على الخيول أقطار الفلوات وأيقنت النفوس بشرب كاس الممات وعملت السيوف الهنديات فى الدروع السابغات وتوقدت نيران الحروب المسعرات من أشفار السيوف القاطعات وأسنة الرماح السمهريات فكم من شجاع أيقن بالممات لما رأى تلك الأمور الهائلات فسبحان من حكم على تلك الصور الآفات وزعق فيهم بوق الشتات وصبرت بنى عبس وبنى عامر وبنى حمير صــــبر أولاد العربيات واختاروا لأنفسهم شرب كاس الممات وعلت منهم الزعقات وقلت منهم الحركات وهلكت العبيد والسادات وقبضت الأرواح وتحسروا على ما فات وتعثرت الخيل بالدما فبقيت ألوانها مختلفات والسيف يعمل بسائر الجنبات :

(قال الراوى) ولما نظر الوزير إلى ماحل ببنى عبس من التدمير وكيف فاض عليهم الجيش الكثير فخاف عليهم من الهلاك والتلاف وكان بالرغم لا بالرضا وحملت الرجال على بعضها وارتجت جنبات الأرض وحام عليهم كاس المنايا وحمل سبيع اليمن وميسرة وتركوا الجماجم على الأرض وهى منتشرة وحمل نازح بن أسيد ومازن فارس البيد وحمل ملاعب الأسنة فارس الخيل وحمل عامر بن الطفيل فكردس الخيل وأجرى الدما مثل السيل .

(قال الراوى) ولم يزالوا فى حرب إلى أن أقبل ظلام الليل فعند ذلك انفصلوا عن بعضهم البعض ونزل كل فريق فى مكان من تلك الأرض وأضرموا النيران وتحارسوا الفريقان وبات الوزير عمرو بن نفيلة وكانت عليهم ليلة طويلة وقد حل بهم الهم الأكبر من خوفه على عنتر لأنه كان كلما سمع بكاء الصبيان وضجيج النسوان من بنى عبس ومن معهم من العربان فيحل به البلاء وهو فى هم عظيم وحزن مقيم وكثرت عليهم الهموم والفكر حائر ما يدرى كيف يعمل على خلاص عنتر حتى يكفه من الأسر والضيق ويفرج عن بنى عبس الرجال فقد طال تحصنهم فى الجبال وأنا ما بقيت أبطل القتال حتى أنزل عليهم الذل والنكال وآخذهم عن آخرهم فى القيود والاغلال وأسبى نساءهم والعيال وأنهب جميع ما لهم من الاموال ولكن قلبى خائف على عنتر ومن معه من المأسورين بما يتسبب لهم بسبب يخلصون به ويفوتنا المقصود والأرب وأنا أريد أن أخفف هذه الأثقال عن قلبى وأرسلهم إلى الملك الأسود فى القيود والأغلال وأرسل معهم مائتين فارس صناديد وإذا وصلوا إليه يفعل بهم ما يريد وبعد ذلك أتفرغ للقتال بمن معى من الرجال وأدخل خلف بنى عبس إلى الجبال وأسبى الحريم والعيال وأنهب جميع الأموال ولا أترك منهم من يخبر بخبر :

(قال الراوى) فلما سمع الوزير ذلك المقال صعب عليه ذلك الحال ولكنه أجاب الهامان إلى ما يريد وقال له عذار أى شديد افعل ما شئت ودبر ما هويت فعند ذلك دعا الهامان بمائتين فارس من بنى همدان وقدم عليهم بطل من الابطال يقال له فياض بن هلال لأنه فارس شديد وبطل صنديد ثم أنه سلم إليه عنتر وعروة وذو الخار وقال له أريدك يا ابن العم أن تسير بهؤلاء الأسارى وهم فى ذل الوثاق حيارى وتقطع بهم البر والفدفد حتى توصلهم إلى الملك الأسود لنحظى منهم بالجائزة السنية ويعطيك أوفى عطية ولك أيضاً من الغنائم التى معنا القسم الوافر فانهض لما أمرتك به وبادر بالسمع والطاعة ثم ودعه وسار تلك الساعة بعد ما سلمه الأسارى وهم قد أيسوا من أنفسهم وأيقنوا بهلاكهم ووبالهم لأنهم يعلموا أن الملك الأسود ما يبقى عليهم والهلاك قدام أعينهم .

(قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من أمر الوزير فإنه نال قلبه منال عظيم وحل به خطب جسيم وبقى حائراً فى أمره وقل صبره وجلده وجعل يتفكر فى أمر عنتر وكيف يكون السبب فى خلاصه وفكاكه من يد قناصه الذى أعرف به الملك قيس بن زهير بأن قلبى قد ناله من أجلكم مشقة عظيمة وكذلك لأجل عنتر وما حل به من الضرر والذى أعلمتك به أن الهامان قد أنفذ عنتر ومن معه إلى الحيرة مع ابن عمه فياض فى جماعة كثيرة وهم مائتين فارس عوابس وقد سيرهم الملك الأسود حتى ينزلوا بعنتر حاميكم كيف يهلك فإن أردتم كسر هذه الجيوش وتفريق هذا الجمع المتكاثر وقتل الهامان ومن معه من الجيش وتخليص الأسارى وعنتر فساعة اطلاعكم على هذا الكتاب لا تتهاونوا فى هذه الأسباب بل أنفذوا من عندكم ألف فارس يكونوا ليوث عوابس ويكون معهم أمير كبير صاحب رأى وتدبير واتركوهم حتى يسيروا فى هذا الليل ويظنوا أنهم بلغوا القصد والنيل ويدعوهم حتى يتغوطوا فى البر ويعبرون من وراء الجيش ويضعوا السيف فيهم ولا يخلوا منهم أبيض ولا أسود ولا يتركوا منهم أحد ويخلصوا المأسورين ويعودوا من ورائنا ونحن عنهم مشتغلين ويضعون السيف فى عشائرنا فأول من ينهزم أنا وأطرح الهزيمة فى الجيش حتى يتشتتوا فى البر الأقفر وتخرجوا أنتم فى ذلك الوقت من بين الجبال وتنزلوا بهم الذل والخبال وتقتلوهم وتأخذوا ما معهم من الأموال وقد فزتم بالنصر والظفر .

(قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك طوى الكتاب وسلمه لعبده سالم النجاب وقال له يا سالم لى عندك حاجة وأريدك أن تركب فيها مركب النجابة وأنعم إذا أمرعت يا سالم

فى هذه القضية ونجحت على يدك أعطيتك خلعة سنية وألف دينار مصرية لأنها أهم من كل الحوائج وأريد أن يكون قضاؤها على يدك هذه النتائج .

(قال الراوى) فلما سمع العبد كلام مولاه أجابه إلى ما يهواه وقال له يا مولاى وما هى الحاجة حتى أبادر إليها من غير لجاجة فقال أريد أن تأخذ هذا الكتاب وتمضى به إلى ملك بنى عبس وتعود إلى بجوابه قبل طلوع الشمس ولا تسلمه إلا إليه فى يده وتوعده بالنصر والسلامة ولا تعود من عنده إلا بعلامة وإذا قضيت هذه الحاجة على يدك فيكون لك عندى الذى ضمنته إليك .

(قال الراوى) فلما سمع العبد كلام مولاه وعلم المقصود قال له يامولاى ومن ليلتى أعود فقال له إياك أن تنفعل فى مسيرك فينفسد الأمر وينعكس تدبيرك فسير ياولدى من هذه الساعة فقال يا مولاى السمع والطاعة .

(قال الراوى) ثم أنه سار حتى أنه ما بعد عن الجيش وترك الخيل من وراءه وجد المسير فى البر الأقفر كأنه الطير الذى يطير لأنه رأى الناس فى خلق كثير والأخ لا يعقل على أخيه والولد لا يلتفت إلى أبيه .

(قال الراوى) ولم يزل العبد سائراً إلى أن وصل إلى جدار الجبال التى بنى عبس نازلون بها فوجدهم فى أشد الحرس وهم على أرواحهم حذرين وكان الذى متولى الحرس تلك الليلة على الجيش والأجناد مالك بن قراد ومعه مائة فارس من عبس الأجواد منهم عمرو أخو عبلة وسبيع اليمن وميسرة ومازن وهم متفرقين مواكب وراكبين خيلهم خوفاً على أنفسهم من عدوهم حتى أنهم لو طار بينهم طائر ما فاتهم .

(قال الراوى) فلما نظروا بنى عبس إلى إقبال العبد فى سواد الليل وهو يتدفق مثل السيل فعند ذلك استغربوه وتبادرت إليه الرجال الأجواد وتقدم إليه مالك بن قراد وزعق فيه قف عندك يا نسل الأوغاد تكلم من قبل أن يحل بك الموت فعندذلك وقف العبد حتى وصلوا إليه وداروا من حواليه وقالوا له من أنت أيها الذليل وماالذى أقدمك علينا فى ظلام الليل فقال لهم من أنتم من بنى عبس الأمجاد لأن معى رسالة لا أسلمها إلا لمن أعرفه من السادات الأجواد فقال له مالك بن قراد وأنت من تكون أيها الأمير فقال له أنا سالم الوزير وقد أتيت إليكم فى بعض التدابير فلما سمع مالك مقاله أشار إليه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وبكى عند نظره إليه وتذكر ذلك الوقت عثر لما عرف أنه عبد لوزير وكان كيف يأتى إليه لأجل التدبير فقال له العبد ما تم إلا السلامة والخير وأريد أن ترسلنى إلى الملك قيس بن زهير ولا تعلموا بى أحداً من العباد واحذروا

أن يعلم بى الربيع بن زياد أو أحد من إخوانه فأهلك أنا مولاى وعنتر ورفقته فقال ورقة بن زهير ولكن كيف يكون العمل والتدبير حتى نوصلك إلى قيس أخى من حيث لا يعلم بك كبير ولا صغير فعند ذلك قال لهم سالم يترجل واحد منكم عن جواده ويخلع لباسه وعدة جلاده ويعطينى إياها ألبسها وأسير أنا وأنت يا مولاى وتنفذ قدامنا إلى أخيك بعض الغلمان وتأمره أن يخلى لنا مكان حتى أمضى وأدخل عليه وأسلم الوديعة ليه وآخذ منه علامة بالوصول إليه فلما سمع ورقة مقاله تعجب منه ومن فطنته واحتياله وقال والله لو لم تكن هذه المرة فيه ما كان أرسله الوزير فى أمره الذى يخفيه ثم أنه التفت إلى عمرو أخى عبلة وقال له ترجل يا عمرو عن جوادك واقلع ملبوسك فيتم الأمر فعند ذلك ترجل عمرو عن جواده وقلع لباسه وعدة جلاده فلبسهم سالم وسار معهم إلى ماهو عليه عازم وأرسل ورقة رسول إلى أخيه ليعلمه بالأمر الذى عول عليه فعند ذلك سار الرسول ووصل إلى الملك قيس ودخل عليه وأعلمه بما قد أتى إليه فلما سمع الملك قيس ذلك الخطاب صرف كل من كان عنده من الأصحاب فلم تكن إلا ساعة حتى دخل ورقة والعبد بين يديه فتقدم العبد وسلم عليه بعد ما قبل يديه فترحب به الملك قيس وقربه إليه إلا أنه ما كان يعرفه لان الملك قيس ما عنده خبر من قصة الوزير مع عنتر فلما أقبل العبد وتقدم إليه بأدب قال له من تكن يا وجه العرب فقال له يا مولاى أنا عبد الوزير عمرو بن نفيلة وقد أتيت بكتاب ثم دفعه إليه فلما قرأه قيس جرت دموعه من أماق عينيه ولكنه فرح لما اطلع عليه فقال له العبد يامولاى إنى أريد الروح ومرادى أعود إلى مولاى قبل الصباح حتى لايطلع على أحد فى هذا الامر والمعنى فنهلك كلنا فعند ذلك كتب إليه الملك قيس رد الجواب وشكر الوزير وأثنى عليه وعرض على العبد شيئاً من المال وسأله فى أخذه فلم يقبل ولاعقال وقال يامولاى أنا ماقصدى إلا سلامتكم من الاعداء فعند ذلك ركب العبد وركب رسول ورقه وساروا إلى أن خرجوا من الجبلين فلما وصلوا إلى طلائع بنى عبس وقد تم لهم الامر عند ذلك ترجل سالم وخلع ثياب عمرو ولبس فى الحال ثيابه وقد زال عنه خوفه وارتيابه ثم أعطى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح وعبر من خلف الجيش وطلب الفلاة فلم يمض من الليل نصفه إلا وهو عند مولاه فوجده فى قلق وسهر من أجل غيبته فلما دخل عليه وصار فى حضرته فرح برؤيته وسأله عن قصته فحدثه بما تم له فى غيبته وأعلمه أن الملك قيس قد فرح برسالته ثم أنه أعطاه الجواب ففرح بتلك الاسباب وأقام ينتظر وقد حل به الفرح والسرور وهذا ما كان من أمر الوزير .

وخبره وأما ما كان من الملك قيس فانه قد أصبح وحالته مستتره ثم أنه دعا بعامر بن الطفيل وسبيع اليمن ومازن وميسرة وملاعب الأسنة الفارس الغضنفر فلما حضروا التفت إلى ميسرة وقال أحب أن تخلص أباك من المهالك فبكى ميسرة وقال له يامولاى وأين لى ذلك فقال عامر بن الطفيل ومن أين لنا بهذه الامور وهى أقصى مرادنا ونريد نفدى أخينا عنتر بأموالنا وأرواحنا فلما سمع كلامهم قال أبشروا بما يسركم وأعلموا أن خلاصهم على يديكم ثم أنه أعلمهم بماجرى له من الأسباب وقرأ عليهم الكتاب ففرحوا فرحاعظيما وعلموا أن حالهم مستقيم (قال الراوى) ثم أن عامر بن الطفيل أقبل على الملك وقال له يامالك أنا أسير فى خلاصه وخلاص من معه من رفقاء ولو تلفت روحى فى هواه فان خلصته فقد فزت بالأمنية وأن مت فهى المنية التى كتبت على فقال قيس ماتم إلا الخير والسلامة وسوف تنزل على اعدائكم الندامة لان الذين ساروا معهم مائتين فارس فلو أنطلق واحد منكم لقتالهم أنزل بهم الوساوس وماتم عليكم شىء فيه صعوبة ولا ضرر من هذا الجيش المحتقر بعد خلاص أبى الفوارس عنتر حتى تفوزوا بالنصر والظفر (قال الراوى) ثم أنه فى عاجل الحال أدعا برجال عروة وهم المائتين فارس وأضاف اليهم أخاه ورقة وميسرة وعامر بن الطفيل فى ثمانمائة فارس كأنهم الأسود العوابس من كل بطل مداعس وليث ممارس فساروا الجميع الف بطل لا يبالون وشيبوب وولده الخذروف بين أيديهم يرشدهما على أقرب الطرقات ويتغوطوا فى البر والفلوات وخلفهم تلك الدساكر حتى ساروا من خلفهم العشائر وأيقنوا بنجاح وساروا جميع الرجال على طريق الحيرة وتلك الأطلال وهم تابعين الآثار وطالبين أن يلحقوا أبا الفوارس عنتر ومن معه من الرجال الأخيار (قال الراوى) فلما ساروا على ذلك الدرب الذى ركبوه قال لهم شيبوب كل من لقيتموه أقتلوه حتى لايعلم بكم بشر ولايصل خبركم إلى أحد من ذلك الجيش المحتقر ثم أنهم وكزوا خيولهم فى تلك الظلام وهم سائرين على هذا الترتيب ويطلبون من الله الفرج القريب وأن يلحقوا الأعداء ويرتاحوا من السفر والتعذيب هذا ما كان من أمر هؤلاء وماجرى لهم وأما ما كان من بنى عبس وأحوالهم (قال الراوى) فان الربيع بن زياد لما نظر إلى الملك قيس وقد أنفذ الألف فارس لحمل الهموم والوساوس وبقى حائر ونزل فى بدنه البلاء النازل لايدرى بأى سبب أنفذ الملك قيس هذه الخيل الذى يقدمها ميسرة وعامر بن الطفيل فقال للملك قيس يا ملك الزمان لأى شىء أنفذت هذه الجيوش والفرسان ونحن محتاجين اليهم فى هذا الأوان فقال الملك قيس فى أمر يكون لك فيه الخير فقال الربيع يا ملك الزمان ألك عنى سر تخفيه فقال الملك قيس أعلم

يا ابن العم أن هذه الجيوش قداحاطت من حولناوقدطال الحصار علينا وأناخشيت من الهلاك وسوء الارتباك لأنهم كل يوم يزيدون وتقوى منهم الشدة وتأتيهم نجدة بعد نجدةوأنا لما نظرت إلى ذلك خفت على أهلنا من المهالك فافتكرت فى نفسى من خوف الذله والويل فارسلت الف فارس وقدمت عليهم ميسرة وعامر بن الطفيل وأمرتهم أن يقطعوا البر الأقفر ويفرق الألف فارس فى جنبات الجيش من بعد أن يعلموا أن الليل قد أعتكر ثم يحملوا وينادون يالعبس يالعدنان فتدوى لأصواتهم البرارى والقيعان ونحن نحمل عليهم من بين أيديهم بسيوفنا ونزعق فى وجوهم بجمعنا فيشتتوا بين أيدينا ويضربوا بعضهم بعض أو يتفرقوا فى جنبات الأرض وأنا ما فعلت هذا الأمر الذى قد تدبر حتى لا تقول عرب البر الأقفر ما كان يحمى بنى عبس إلا عنتر فلما غاب عنها هلك أكثرها واندثر

(قال الراوى) فلما سمع الربيع ما تكلم به الملك قيس وما أشار اليه ضمه إلى صدره وقبله فى عينيه وانطلى ذلك الكلام عليه وقال له لله درك من ملك أمير وبحق العرب أن تسميك قيس الرأى فانك لم تزل برأيك تدفع عنا الأعداء وترفع الردا فهذا ما كان من الملك قيس والربيع ومادار بينهما من المقال (قال الراوى) وأما ما كان من ميسرة وعامر ابن الطفيل ومن معـــه من الرجال فانهم سلكوا البر الاقفر وشيبوب والخذروف ساروا يقتفون الاثر وهما بتلك الأمور ودرى وأخبر ثم سار بهم إلى أن طلع الصباح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح فاخذ بهم فى أقرب الطرقات وقد آمنوا على أنفسهم من النائبات فانشد عامر بن الطفيل يقول :

أقول وأفيض الدمع أحرق مهجتى عنى على شوق ولو بالتعللى
فهل مبلغ عنى همام عشيرتى لعنترة مع ذو الخمار المفضلى
ألم تعلموا أنى قتيـل صبابة وأن الهوى يصبى الفؤاد المقلقل

(قال الراوى) ثم أنهم جدوا مسيرهم فى قطع القفار حتى أدركوا القوم نصف النهار وهم سائرون بعنتر وماعندهم من لحقهم خبر لأن قلوبهم قوية بماوراهم من الجيوش المسمية فلم يشعروا إلا والغبار قد ظهرت من خلفهم مثل هبوب الرياح وبان من تحتها لمعان أسنة الرماح وسمعوا قعقعة اللجم وأصطفاق القنا وركض خيلهم قد قلب الدنيا (قال الراوى) فلما نظر فياض إلى الخيل وقد أندفعت والفرسان من فوقها تزاحفت فنادى يا بنى عمى خذوا أهبتكم فهذه خيل قد قصدتكم مسرعة وما أظنها إلا الأعداء وقد لحقوا بنا فى هذه البيدا فلما سمعت الفرسان من فياض ذلك المقال أخذت أهبتها للحرب والقتال وشرعوا فى أيديهم الرماح الطوال فلم تكن إلا ساعة من الزمان حتى أدركهم الخيل وعليها الفرسان وهى تنادى يا العبس

يالعدنان يا آل عامر وميسرة قدامهم كأنه الأسد الكاسر وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أبشروا بالخلاص من ذلة الأسرى بضرب المهند الفصال
برجالى من نسل عبس كرام وبنى عامر السراة الرجال
أنا اسمى ميسرة عند لظاها لاعبا بالرمح فى وسط المجال
فابشروا بفناكم على الرمال جمعا فأنا مهلك الأعداء فى يوم النزال

(قال الراوى) فلما سمع فياض ذلك أنغاظ وأيقن بالبلاء والأمراض إلا أنه أظهر الجلد وأحقن ماحصل له من الكمد وزعق على ميسرة وقال أسكت ياوغد قومه ولئيم عشيرته ثم أنه مال إلى نحو ميسرة بجواده وأراد أن يطعنه فى صدره فانطبق عليه ميسرة كأنه النار المسعرة واطلقا وعلت منهما الضجة وتجاولا وأشتد بينهما المجال والركض هذا وميسرة قد زاد به الحنق فزعق فى خصمه وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظره أصحابه وقد صار على وجه الأرض قتيل فعلموا أن بلاءهم طويل فعندذلك حملوا حملة رجل واحد وقد أيقنوا بالنوايب هذا وعامر بن الطفيل قد زعق على الخيل وأنزل بها الذل والويل فانطبقت عليه كأنها النار المسعرة وحمل سبيع اليمن ومازن بن شداد والفتى ميسرة وأقتحموا العجاج والغبرة وقاتلوا بشجاعة ومقدرة (قال الراوى) وفى هذا الوقت سمع الأمير عنتر طنين السيوف البواتر وصياح الفرسان يالعبس يالعدنان فبقى كأنه فى منام فقال لعروة ياأبا الأبيض هذا الذى نسمعه فى اليقظة أم فى المنام فقال عروة لاشك أنهم أصحابك وماتم عنتر وعروة هذا الكلام حتى فنيت المائتين فارس على التمام هذا وبنو عبس قد تبادروا إلى نحو الأسرى مثل النار المسعرة وكان السابق إلى عنتر ولده ميسرة فوجد شيبوب حله من وثاقه وكسر قيده وعجل فى أطلاقه فانكب ميسرة على أبوه وضمه إلى صدره وقبله فى عارضه ونحره (قال الراوى) هذا وقد داروا به الرجال فى عاجل الحال بعدما فكوهم من القيود والأغلال وسارت بنو عبس وبنو عامر يقبلون عنتر ويهنوه بالسلامة والنصر والظفر والخلاص من الأسر وعنتر يشكرهم ويثنى عليهم ويوعدهم بالنصر ثم سألهم عن العشاير وماحل بهم من الضرر فقال ميسرة ياأبتاه أن العشاير لهم أستلاطة والعدا بنا محاطة ثم أعلمه بأن الوزير هو الذى دبر ذلك التدبير وقد أشار علينا إذا سهل هذا الأمر العسير نرجع اليهم من ورائهم ونضرب بالسيف فى أقفيتهم ونبيد أقصاهم ويحمل الملك قيس عليهم بالسيوف والقنا وقد أنزلنا عليهم الذل والعنا (قال) فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الضحك والابتسام وقال وأسفاه

على قلة مجازاتى لهذا الوزير الهمام ثم أنهم عادوا راجعين إلى نحو أهلهم طالبين وعنتر قدامهم وهو مثل الأسد العرين ولما تمادى بهم المسير تذكر عنتر اشتياقه إلى الديار والأطلال وعبلة وماله من الأهل والعيال فانشد وقال .

يا طائر فوق الأراك مغردا　　أنسيتنى أم عاقك اليوم عاقك
أراك تجاوبنى على منزل العلا　　إذا لاح ضوء الصبح النور شارق
في مثل ماتشكى فقم نصطحب معا　　فانك ذو عشق وإنى عاشق
وغنى وهيمنى إلى العشق إننى　　لشعرك والألحان ياطير شائق
فمن مبلغ عنى عبيلة أننى　　مشوق اليها كلما طار شائق
هدمت عتاق الخيل أن لم أخض بها　　غبار المنايا بالرماح الخوارق
عليها رجال من آل عبس وعامر　　سراة لهم فى رتبة المجد سابق
كهول وشبان على أجسادها　　سوابغ دروع كالضياء الشارق
فان لم أجندل من أعداى فوارسا　　وأفنيهموا جمعا فنوى طالق
أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى　　بأبيض فصال وأسمر خارق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره طربت الفرسان من نظمه وشكروه على هذه الأوزان وساروا يقطعون البرارى والوديان فهذا ماجرى لهم من الأمر والشأن وأما ماكان من الهامان لما طلع النهار زحف يطلب الحرب والقتال وتبادرت اليه الابطال وصبرت بنى عبس على الاهوال ومازالوا معهم فى قتال إلى أن ألزموهم الجبال فعند ذلك علا من النساء الصياح خوفا من السبى والافتضاح وما زالوا وهم فى حرب وصدام إلى أن أقبل الظلام فرجعوا عن الحرب والخصام ودخلوا المضارب والخيام وأما الهامان فرجع فرحان وأمل أنه عند الصباح ينهب أموال بنى عبس وعدنان ولما طلع النهار أصطفت العشائر والابطال تروم الحرب والنزال وأراد الهامان أن يزحف على بنى عبس وإذا بزعقة وقعت فى جيشه وصار الضرب فيهم بالسيف اليمان فجفلت أبطاله والفرسان فثار الهامان وهو خائف فزعان وسأل عن ذلك الامر والشأن فلم يجبه إنسان (قال الراوى) وكان السبب فى إختباط تلك العشائر من أبى الفوارس عنتر لأنه كان قد جد فى قطع الربا والآكام حتى أشرف عليهم وقت الظلام وكان الوزير تلك الليلة خائف وقلبه على بنى عبس لايهلكهم الهامان ولما أتى عنتر على المضارب والخيام قال لمن معه أعلموا يابنى الاعمام أننا قد أشرفنا على هذه العشائر فى ذلك الليل البهيم وبيننا وبينهم تفاوت عظيم فالرأى أننا نصبر عليهم حتى يتفرقوا فى منامهم ونتفرق عليهم

من أربع جنباتهم ويكون مع كل فرقة أمير وتنزل بهم الذل والتعتير وبعد ذلك نبعد عنهم فى جانب من الارض وهم يقتلون بعضهم فى بعض وبعد ذلك أقبل على شيبوب وقال له وأنت يا أبا رياح كل من خرج من المعمعة وطلب البطاح أطلبه واضربه بنبلة عظيمة حتى ينزل عليهم الذل والنكال وتقلع آثارهم وتفرقهم فى الجبال فقال له شيبوب أنا معول على هذا الحال (قال الراوى) فعندذلك أستصوبوا مقاله ثم نزلوا على الارض وأراحوا الخيل فى هدو الليل وبعدذلك أدركوا الركوب لبلوغ المطلوب فكان الليل ولى وأقبل الفجر وابتهل فقام الهامان وصف عشايره ولم يدر ماكان له أعدام دساكره وبنو عبس متحضرة اليه لتبادره وقدصاح عنتر فى بنى عبس الغرر إلى ذلك الامر وصاحوا كأمرهم عنتر وكان أول من حمل ذو الخمار وهدر وزعق بأعلا صوته يالحمير فاجابه عامر بن الطفيل بصوت مدعر وزعق ملاعب الاسنة من الجانب الآخر فاجابهم عنتر بصوت يفلق الحجر وقد عمل الصارم البتار ووقع الفنا فى ذلك القوم الاشرار وسمع الملك قيس الاصوات قد قلبت البر الاقفر فعلم أنه أتى أبو الفوارس عنتر وقد كبس القوم فعند ذلك خرجوا من بين الجبال وهم كأنهم الاسود الكواسر وهم ينادون يالعبس يالعامر ثم أنهم بذلوا سيوفهم فى تلك العشائر وقد أقبل ذلك الوقت عنتر وأصحابه إلى المعمعة وتركوا الرؤس مقطعة وأنكر الاخ أخاه وأهله وأقرباه فيالها من ساعة ما كان أشدوقعها على الهامان ومن معه من الفرسان ولم تزل السيوف تعمل والرجال تقتل إلى أن تضاحى النهار ولما وقعت العين على العين وطاب وفاء الدين هذا وقد قتل من عشائر الملك الاسود عشرون الف وأكثر وبقى الهامان فى وسط المعمعة متحيرفبينما هو على ذلك الحال وإذا بالوزير قد استقبله وهو يرتعد من الفزع وقد أظهر الخوف والهلع وقال له كيف هذا الحال الذى تدبر لقد أردت أن أمنعك عن أنقاذ عنتر كان مانعاً يمنعنى لاجل ذلك الامر الذى تقدر والسعيد فى هذا الوقت من يطلب لنفسه النجاة لأن ما يقاتل موضع الغاية ويناضل إلا كل قليل العقل فبينما هم على ذلك الشأن وإذا بعنتر قد فاجأهم فصاح فيهم مثل الاسد وقال ويلك ياأخس العربان أتظن أنك أسرتنى ثم طعنه فى صدره أخرج السنان من ظهره ومال إلى الوزير وشكره وأثنى عليه وقال أيها السيد المحترم انهزم حتى تتبعك هذه الامم فعندها طلب الوزير النجاة فى الفلاة فتبعه الجيش من وراه وكل واحد أيقن بفناه رجاله فى بحر من الهموم راسخ وظل السيف يعمل مقدار أربع فراسخ وعاد عنتر ومن معه وهم يجمعون الخيل الشاردة والعدد المبددة وعادوا طالبين الجبلين وما منهم إلا من هو قرير العين هذا وقد سبق الخذروف إلى عبلة وبشرها بخلاص عنتر

من هذا الامر المنكر ففرحت وخلعت على الخذروف خلعة مثمنة وخرجت ومعها جميع النسوان ولطخو بالزعفران صدور الخيل وقد زال عنهم الهم والويل ثم دخلوا الجبال وأجتمعوا بالاهل والعيال وفرحت النساء بالرجال ووقعت عبلة فى صدو عنتر فجعل يقبل خدودها ويضم نهودها (قال الراوى) فلما أستقر بهم القرار وأنست بهم الديار فسكبوا عند ذلك الخبر العثار فهذا ماجرى لهم من الامر والشأن وأما الملك الاسود ومن معه من الفرسان فإنه كان كل يوم يبشر نفسه بالنصر على بنى عبس وعدنان على يد الهامان فبينما هو فى بعض الايام وإذا بزعقة قد وقعت وضجة قد ارتفعت والمنهزمين قد أقبلت وهم ينادون بالويل والثبور وعظايم الامور وخلف بعضهم متواصلين وأكثرهم حفاة مجروحين وقد أقبل الوزير وهو ذليل حقير بحالة الذل والتعبير ولم يزل حتى نزل قدام الملك الاسود وهو يبكى فانزعج الملك من الوزير ونزل من على كرسى مملكته وسأل الوزير عن حاله وقصته وأستخبر على الهامان وجماعته فاخبره عند ذلك الوزير أن عنتر قتل الهامان وأحل به التدمير ثم أعاد القصة من أولها إلى آخرها .

(قال الراوى) فلما سمع الملك الاسود كلام الوزير إلى آخره تحير فى أمره وقال مابقى أحد أنفذه إلى قتال عنتر ولايسير اليه فى هذه النوبة إلا أنا ومن هنا من العشائر وإلا ما أبلغ آمال فقال له الوزير هذا هو الصواب فقال الاسود أنا أمضى إلى كسرى وأشكو اليه قصتى وأسوق لعنتر وبنى عبس والعرب والعجم والترك وأبلغ منيتى ثم تجهز من وقته وساعته وسار فى خواص دولته إلى أن وصل إلى مدائن كسرى أنوشروان ودخل عليه وخدم وسلم بأفصح خطاب وقبل الارض والاتراب فنصب له سرير من الذهب وقال له كسرى فيما ذا أتيت ياشاه تازيان فقال له أعلم ياملك الزمان بأنى قد قهرت فى هذا الاوان وقد تعصبت على خمس قبائل من العربان وقد كسروا لى العشائر وكل هذا من بنى عبس وعبدهم عنتر ثم أخبره بكل ماجرى فلما حكى الملك الاسود ذلك الكلام وسمعه الملك كسرى زام كما يزوم الاسد الحجام وصار الضيا فى عينيه ظلام وقال له ياشاه تازيان نحن قد رجعنا إلى المنهاج الاول مع عنتر وبنى عبس فوحق النار والنور وتربة جدى سابور لابد ماأفنى هذه القبائل وأحل بهم البلا النازل ولا أدع منهم لافارس ولاراجل ثم أنه دعا بمرزبان يقال له شهربان بن مهران وكان من الجبابرة الشجعان وقال له أعلم أنه قد عصى على الدولة شلح من شلوح العرب وقد أذل فرسان البلاد وأهلك العشائر والاجناد يقال له عنتر بن شداد وهو أفرس من سائر العربان وكسر للملك الاسود عشائر وفرسان بعدد رمل الكثبان ومرادى أن تصير اليه

وتأخذ روحه من بين جنبيه أو تأتيني به أسير ولكن تأخذ معك أربعين الف فارس وتكون أنت المقدم عليهم فى ركاب كشاه تازيان العربان فلما سمع الحاجب شهربان من كسرى ذلك الكلام زاد به الفرح والابتسام وقال سمعاً وطاعة وها أنا أسير من تلك الساعة وأصرم عمره وأكفيك يا ملك شره ثم انه فى عاجل الحال جرد معه أربعين الف من الابطال وسار يقطع الارض بجيوشه والملك الاسود راكب إلى جانبه ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا الحيرة ودخل الملك الاسود ومن معه من الفرسان وكذلك المرزبان شهربان فلما نظرت الخلائق إلى هول جثته وعظم صورته استهولته وقالوا هذا والله يهلك عنتر وينزل به العبر هذا وقد ضربت له الخيام فى ذلك المقام وأخرج لهم الاسود الطعامات والعلوفات ولم يزالوا على ذلك الإكرام مدة ثلاثة أيام وفى الرابع نادى الملك الاسود فى الناس بالرحيل وسرعة التحويل ورحل الملك الاسود وسار يقطع البر والفدفد وهو فى تسعين الف من بنى لخم وجدام ورحل من بعد المرزبان فيمن معه من الفرسان وكذلك بنو شيبان فى عشرين الف عنان وتبعهم عاطل بن المثنى فى عشرين الف من بنى سليم من عظم ماحل من الضيم وهو ساير فى مقدمة الفرسان ينشد هذه الابيات :

ألا يا قومى من يكن لى مساعدا	إذا اشتبكت زرق الرماح الصلايد
على قلب محزون على ما أصابنى	من تدل قوم عند وقع التجالد
عسى أن أنل ثارى وأكشف كربتى	بطعن سنان أو بضرب مهند
أنا الفارس المقدام أحمى عشيرتى	على ضامر كالقدح صافى مقلد
إذا ازدحمت أسد الرجال فى الوغى	أبيدها فى كل قاع وفدفد
وما كنت وغد إذا اشتبك القنا	وأنا عن داعى الصياح بقاعد
وأنى أرد الخيل صفر وجوهها	وفرسانها ما بين مثنى ومفرد
ألا مبلغاً عنى الزنيم رسالة	بأن أرد القوم يبحث باليد
سآتيك منى ضربة بمهند	تظل بها فوق القفار ممدد

(قال الراوى) هذا ما كان من الاسود ومن معه أما ما كان من الوزير فانه صعب عليه هذا الامر والشأن فقال لابد لى ما أعلم عنتر بهذه الجيوش وأكون على ذلك مبادر لاجل أن يبقى على نفسه محاذر ثم أنه كتب كتاب يعلم عنتر بتلك الاسباب وقد أخبره فيه بجميع ماجرى وما كان وأعلمه بعدد من سار اليه من الفرسان ودعا بعبده سالم وسلمه ذلك الكتاب فسار العبد ليلا ونهار يقطع البرارى والقفار إلى أن وصل إلى عنتر وقد رآه فى أكله وشربه ولا على باله من الاسود ولا من يصحبه فبينما عنتر فيما هو فيه إذا

وصل ذلك العبد إليه من عند الوزير وسلم عليه وناوله الكتاب فسلمه لعروة وأمره أن يقرأه ولما علم فيه من الشأن شكر الوزير هو ومن معه من الاحوال وسار عنتر إلى الملك قيس ودخل عليه فوجد عنده سادات العرب فقال لهم ياسادات العرب لكم البشارة قالوا بشرك الله بالخير يا عنتر ماهذه البشارة قال لقد بشرتكم بغنيمة عظيمة فقالوا من أين هذه الهدية فقال قد أشرف عليكم الملك الاسود بسائر العربان وجيوش كسرى مع مرزبان يقال له شهربان بن مهران وخرج من الحيرة منذ خمسة أيام فما الذى تدرون فلما سمعوا كلام عنتر مامنهم إلا من أنذهل واستعظموا تلك الجيوش فقال الملك قيس الرأى ياأباالفوارس فى ذلك رأيك وما فينا من يخالف قولك فلما سمعت العرب كلام الملك قيس قالوا كلهم هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فقال لهم عنتر إن كنتم سلمتم الامر إلى فالرأى أننا نسير من هنا ونسلك القفار ويكون معنا الحريم مع العيال ونستقبلهم على بعد من الحيرة وقد تيسرت هذه الامور العسيرة فاستصوبوا رأيه وما أبداه من القيل ونادوا فى قومهم من وقتهم بالرحيل فعند ذلك هدت البيوت والمضارب ورحلوا فى البر والسباسب ومعهم جميع الحريم والعيال وعنتر يقول فى هذه المرة ملك الحيرة وما فيها من المال ولكن مافى الامر إلا شىء واحد فقال الملك قيس وماهو يا أبا الفوارس فقال أسبقكم أنا وعروة فى مائة فارس وأبعد عنكم وأنتم سائرين وأبصر لايكون للقوم كمين قال الملك قيس أفعل ماتريد فمالنا عن رأيك نحيد فالتفت إلى عروة وأمر بالمسير وأخذوا معهم مائة فارس من كل بطل نحرير وتقدم الامير عنتر قدامهم فى المسير وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول .

سرى طيف من أهوى ومن بان سر	وذكرنى ماكان غاب عن الفكر
وجدد أشواقا تقادم عهدها	فباح أشتياقا كان فى عالم السرى
وقد كان قلبى ياعبيلة صابراً	فلما سرى طيف الهوى خاننى صبرى
سأقسم أنى ما أنا لكى ساليا	فلا تهجرينى وأقبلى فى الهوى عذرى
وبالله يا ذات الوشاح تعطفى	ولا تتركى قلبى يقلب فى الجمر
ولا تهجرى صبا إذا غبت ساعة	تيقن الموت أحلى من الهجر
وها أنا قد جديت فى طلب العلا	لاجلك حتى لاتقادين فى الاسر
وسوف أبيد الجمع فى حومة الوغا	بطعن رماح أو مهندة بترى
ولو أن المنايا أعرضت لاقتحمتها	بكل همام ماجد ضيغم يسرى

يروم هلاكى ظـالما متعديا ... فماذا ترى يا ابنة العم فى أمرى
فهو الخالق البارى ومن ثبتت له ... منازل الحج المعظم والذكر
سأتركهم جزراً للسباع تنهشهم ... سباع الفلا بين الفدفد وموعر
ألم ترى الهامان أصبح ناويا ... وساداتهم تنقاد فى ذلة الأسر
قفى وأنظرى ياعبلة فعلى وصولتى ... وعزمى يفنى القوم بالبيض والسمر
أنا البطل المعروف بالبأس والندى ... أزيد مع الأيام فخراً على فخرى
على حد سيفى النصر قد لاح نوره ... ولا أحد غيرى متوج بالنصر
وفى الحروب ليس يقـارعنى ... بميدانهـا الأبطال بالكر والفر

هذا ما كان من عنتر وميسرة وماجرى له من الأمر والشأن وأما ما كان من الملك الاسود والمرزبان فانهما على ماهما عليه من الجدعشرة أيام وقد تقدم عند ذلك المرزبان وقال فى نفسه أنه يلتقى بعنتر ويسقيه كاس الحمام حتى يكون الذكر له من دون الانام وبعد ذلك نزلت الجيوش للراحة وكان ذلك الوادى الذى نزلوا فيه واسع كثير الخيرات هذا وعنتر سائر فى ذلك البر والوهاد وإذا به قد أشرف على ذلك السواد فعند ذلك أكمن عنتر برجاله فى بعض المواضع حتى يرحل الجيش ويكون فى أثره تابع وحدثته نفسه أن يسوق له قطعة من الخيل والجمال وإذا تبعه أحد من الجيوش ينزل به النضال وإذا بسرية خيل نحو مائة وخمسين فارس وهم فى الحديد غواطس قاصدين جبلين خشاخش والتناصب وكانت هذه المائتين وخمسين فارس أنفذهم الملك الأسود يكشفون الأخبار وينظرون ماقد جرى وسار والمقدم عليهم قتادة بن سوار فسار هذا السرب على ماذكرنا وعنتر مكمن كما قدمنا فامهل حتى ساروا قدامه مقدار فراسخ وأراد أن يتبعهم ويعدمهم السعادة والتوفيق فقال عروة ياأبا الفوارس الأمر فى ذلك اليك فافينا من يبخل بروحه عليك ثم أنهم خرجوا من الكمين وجدوا خلف هذه السرية فلما نظر قتادة بنى عبس قال لأصحابه هذه جيوش كثيرة فدونكم والنجاة فى ذلك البر فعند ذلك أخلفوا أعنة خيلهم وإذا بعنتر انطبق عليهم ومعه فوارس العبسية وناداهم ياويلكم سلموا أنفسكم قبل حلول الرزية فانا الفارس الأسود الصلد الانكدفلم تكن إلا ساعة حتى أخذهم عن آخرهم وشدوهم على خيولهم وبعد ذلك أشرف الملك قيس ومعه الجيوش وقد تحير عما فعل عنتر فعند ذلك أحضرهم بين يدى الملك قيس المسدد فلما حضروا قال لهم فيماذا أنفذكم الملك الأسود فقالوا له نكشف أخباركم إن كان عندكم خبر بمسيرنا أم لافقال لهم عنتر تبا لرأيه الحسيف الضعيف فوالله قبل مانخرج من الحيرة كان الخبر عندى بمسيره ثم

حضرب رقاب مائة وأربعين وأما العشرة الباقين فقطع منهم الاذان والأناف الجميع وجوههم وفعل بهم أقبح تشنيع ثم علق الاذان والاناف فى أعناق العشرة الباقية منهم وأركبهم على خيولهم عرايا وقال لهم سيروا إلى قومكم وأخبروهم الذى جرى على أصحابكم وقولوا للأسود لابد من أخذه وأعدم مهجته وأقتل جيشه وأملك محل مملكته ثم أنه أطلق سبيلهم فساروا حتى وصلوا إلى الملك الاسود واعلموه بما جرى فقال لهم الاسود ماهذه المصائب فقالوا عنتر قتل منا الأصحاب فقال الاسود كيف جرى هذا الشأن فاعلموه بما جرى فلما سمع هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ونادى فى الجيوش بالرحيل فعندها دقت الكوسات ونعرت البوقات وسار الملك الاسود بتسعين الف فارس كلهم بالعدد الكوامل والسيوف الشوامل فهذا ما كان لهم من الايراد وأما ما كان من عنتر فانه لما أخذ السرية وفعل بها مايراه ويشتهيه فرتب الجيوش قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجعل فى الميمنة بنى عامر يقدمهم ملاعب الأسنة وعامر بن الطل وفى الميسرة بنى حمير يقدمهم ذو الخار والملك وهب فى الوسط قيس والاخوص بن جعفر وما فرغ من هذا الترتيب حتى أشرفت الرايات ونزل الملك الاسود ومن معه من العربان وكذلك المرزبان شهربان وتقدمت الجهال يريدون الحرب والقتال فنظروا إلى الامير عنتر وهو فى المقدمة على ظهر جواده وهو فى مائة فارس كأنه الليث الكاسر فطمعوا فيه وأطلقوا الأعنة اليه وهم ينادون يا أسود ياجحام سلم روحك لندخل بك على الاسود ونصلح حالك وإلا حل بك الدمار فلما سمع عنتر منهم ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وانطبق على أقربهم وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فوقع عن الجواد يخور فى دمه ويضرب فى عندمه ثم طعن الثانى أرماه والثالث أهواه وظل على ذلك العمل إلى أن تضاحى النهار وقد أفنى منهم هو وأصحابه خلقاً كثيراً ماعليها عيار وكان الذين طمعوا فى عنتر نحو عن ستة آلاف من بجمعة العرب والالزام فقتل عنتر هو وأصحابه الفين تمام والباقى طلبوا أعلام الاسود وتركوا الصدام فقال لهم الاسود مالى أراكم منهزمين وفى البرار جافلين قالوا عنتر بادنا وأهلك أجنادنا فصاح فيهم فولوا منه منهزمين هذا وقد أقبلت جميع الفرسان للحرب والطعان وتقدمت الفرسان من جيوش العجم والديلم وأهل خرسان فقال عنتر لعروة لاتهملوا على هؤلاء اللئام فعند ذلك أكب عروة رأسه فى قربوص سرجه وحمل وتبعه من رجاله كل فارس بطل وحمل عنتر فزعق فزلزل السهل والجبل وحمل الامير مازن وميسرة وسبيع اليمن وانطبقت جيوشهم من خلف

ظهورهم وبذلوا فى الاعداء سيوفهم وأحلوا بهم الهوان فلم تكن إلا ساعة حتى قتل من الاعداء الف وخمسمائة إنسان فعند ذلك غضب المرزبان شهربان وقال لرجاله لأى شىء تعرضتم لقتالهم أما قنعتم بى وأنا أكفيكم أمرهم وكان ذلك عند إقبال الظلام وافتراق الجيشان (قال الراوى) ولما مضى من الليل نصفه استدعى الملك الاسود بخواص دولته وقد اجتمع رأيهم على أن يكاتب المرزبان لعنتر ويقول له أعلم أن الأمر فى يدى لأنى نائب كسرى أنو شروان والرأى تسلم نفسك بأمان فان فعلت ذلك فتكون قد نجوت من الهوان وإن أبيت فتكون على نفسك قد تعديت فلا يكون جواب هذا الكتاب إلا ماذكرت لك من الخطاب وسلام النار عليك ولهيبها يحرق عينيك ثم استدعى الحاجب وسلمه الكتاب وقال له أوصله إلى ذلك العبد واتنى برد الجواب فركب وسار إلى أن اقترب من الجيش وأخذ الاذن بالدخول على أبو الفوارس فلما صار بين يديه سلم الكتاب اليه فاخذه عنتر بيده وأمر عروة أن يقرأه فلما أتى على آخره وعرف معناه صاح عنتر فى الحاجب أرعبه وقال له ويلك ثكلتك أمك وعدموك قومك وقال لعروة يا أبا الابيض أجزع أنفه وأحلق لحيته وأقطع أذنيه وعلقهم فى رقبته ثم قال له قل لصاحبك أجهد جهدك فلعن الله أباك وجدك فها أنا صابر على جوركم ولابد أحلق لحا كم واقطع آذانكم واعلقها فى رقابكم وسار الحاجب إلى أصحابه فلما رأوه وقعت فيهم الدهشة والحيرة والانذهال وتعجب المرزبان من تلك الفعال ثم أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للحرب والقتال وقفز إلى محل الجولان وطلب مبارزة الفرسان وصال وجال حتى هدى مرج الحصان ثم أنه لكز الجواد بالمهامز الحديد وبربر على عنتر بن شداد بلغة الفارسية فخرج اليه عنتر كأنه رسول المنية واستقبله بصدر حصانه فاخذا فى الانطرار والانطباق فامتدت اليهما الاعناق وهما فى كر وفر وملاحمة ومهاجمة هذا والمرزبان كأنه النار المحرقة وعنتر يحاوله حتى أنه اضجره فعند ذلك هز المرزبان حربة من حرابه وقام فى ركابه وصاح فى عنتر وزجها اليه فخرجت من يده لها رنين وشهيق كأنها حجر المنجنيق هذا وعنتر لما رأى الحربة وصلت إلى صدره فاخرج رجله من الركاب وانقلب فصار الجواد مسرعا حتى جازته تلك الحربة ووقعت إلى الارض وفى الحال اعتدل عنتر إلى سرجه وتعجب المرزبان من خفته فحذفه بحربة ثانية فخرجت من يده كأنها رسول الحمام فنظرها عنتر وانقلب فصار لجواده حزام ولما جاوزته عاد إلى سرجه وصرخ على المرزبان أذهله وقال له ويلك

يا ابن الزانية إلى متى هذا الاحتيال وأنت تروم قتلى والوبال ثم أنقض عليه كأنه القضاء المنزل واستجداه بطعنة فى جانبه الايسر طلع السنان يلمع من الجانب الايمن فال عن الجواد يجور فى دمه ويضطرب فى عندمه فلما رأت العجم إلى مقامها وهو قتيل قامت قيامتها وحملت على عنتر حملة واحدة فالتقاهم كأنه النار المحرقة وطعن فيهم طعنات خارقة فعند ذلك حمل ذو الخمار وعروة وتمام المائتين فارس من الابطال وصاحوا فيهم بصوت منكر وطعنوا فيهم طعن القضاء المحتم فلما نظرت طوائف العرب إلى هذه الفعلة همت أن تحمل فتنعها الوزير لمحبته لعنتر وقال للملك الاسود أليس المرزبان قال لك أنه ما يريد منا نجدة ولا مساعدة وهذا أعظم ما يكون من القبح أن يكون مائتين فارس تحمل عليهم فقال له الملك الاسود وكيف يكون التدبير أيها الوزير أما تعلم أن ذو الخمار بسبعة آلاف وأما فروسية عنتر ماعليها حساب ولا يكل من الطعان ولا الضراب وأنا ماأترك هذا يتم علينا من عنتر لأنه قد تعدى وظلم وأباد فرسان العجم هذا وقد قام الحرب على قدم وساق وتطاعنوا بالرماح الدقاق وكذلك الحراب الرشاق وما زال بينهما الحرب والصدام إلى أن أقبل الظلام فعادوا إلى الخيام ورجع عنتر فى أوائل أصحابه وهو ينشد ويقول :

ألا فاسألى ياعبلة عنى وعنهموا ... وقد جارت الابطال فى المهمة الصلد
أتونا بنو الاعجام يبغوا قتالنا ... على صهوات الخيل الادهم الجرد
حصدتهموا بالسيف حتى كأنهم ... هشيم زرته الريح فى يابس الجعد
وخلفتهم ما بين حيران تائهاً ... وبين طريحاً ما ينال من الجهد
فكم فارساً جندلته فى حومة الوغا ... باسمر خطى وبالصارم الهند
ولما أتانى المرزبان لسرعتى ... ومن حوله قوم غطارفه أسد
خلفته فى القاع ووحوش تنوشه ... سباع الفلا تنهش أعضاه مع الجلد
أنا قاهر الابطال عند نزالها ... بضرب حسام أبتر ماضى الحد
ستذكرنى الفرسان عند رجوعها ... ساداتها تكد الخيل فى جريانها جد
أنا عنتر المعروف بالمجد والثنا ... أموت ويبقى لى أحاديث من بعد

(قال الراوى) فتلقاه الملك قيس وأخوته وشكروه على فعاله وفصاحة شعر مقاله ونزلوا فى الخيام والمضارب ووقعت لهم الهيبة فى قلوب الجيوش والكتائب وتقدموا لأجل أكلهم الطعام وترتبوا للحرس فى الليل والظلام واجتمعت أكابر عرب

بني شيبان وتلك الخلائق عند الملك الأسود داخل السرادق وقالوا أن الذين كنا نطلب منهم النجدة انكسروا وقتل المرزبان وبات الملك الأسود فى قلبه النيران وانحرقت هيبته قدام من له من الفرسان وخاف من غضب الملك كسرى أنو شروان ويلومه كيف لم يعين المرزبان ومازال الحرب يعمل للصباح وكان أول من ركب عنتر الجحجاح وانحدر إلى الحرب والكفاح وصال المجال ومد واستطال وأنشد وقال

ألا ياعبلة اترثى لشيبتى فانى بالحوادث لا أبالى وحقك لو نظرت رجال كسرى
تحول خيول كالسعالى وجمعوا كتائبهم وجاؤ بكل غضنفر وافى السبالى
وكم اقتحموا الأبحر فى لظاها بسبق الريح فى يوم القتالى

(قال الراوى) ثم أنه صاح فى الملك الأسود أرعبه وقال له ويلك أنت تأكل خير كسرى أنوشروان وجاعل روحك على العرب سلطان ورفعت الرايات البنود وجمعت العشاير الجنود على فرد شرح من شلوج العربان كما زعمت ياجبان وحق ذمة العرب الأقيال لاسلخن جلدك وأجعلنه دلوا إلى سقى الخيل والجمال وأحل بك الذل والويل ويلك كيف تجير قاتل ولدى وحشاشة كبدى ويلك وما يخلصك من يدى إذا لم تسلمنى حصن غريمى وتخرج من حق الملك قيس وتعطيه دية أخته المتجردة وإلا فنيتكم عن آخركم ويلك ياذليل يامهان حيث ماقدرت على الرجال جعلت قدرتك على البنات والنسوان فو الله لأجعلك حديثا ما بقى الزمان وأجعل فى موضعك على العربان الملك قيس سيد بنى عدنان ثم أنه التفت لحصن وقال له ياجبان التجأت لهذا الطنجير واضرمت هذه النيران أن لم تبرز لى أنت وعشيرتك فتبا لكم قد خابت قبايل أنتم ما فعل هذا العبد الأسود ويلكم احملوا بجمعكم عليه وأتونى برأسه من بين كتفيه هنالك حمل حصن فى بنى فزارة وحملت بنو شيبان وفى أوايلها مفرج بن هلال فالتفت ذو الخمار لعنتر بن شداد وقال له بحق الصحبة والوداد إلا ما تركتنى أنا ومائة فارس من قومى الأجواد تلتقى هؤلاء القوم اللئام والاوغاد قال له عنتر لاتقسم على بعد ما رأيت حصن بن حذيفة قد خرج إلى ولابد لى من الخروج اليه عسى آخذ ثارى وأشفى بقتلته الكروب وأخذ بثار ولدى غصوب فقال له ذو الخمار إذا كان كما ذكرت فنلقاهم أنا وأنت ويكون معنا مايه فارس ولاذلك ليدخل الرعب فى قلوبهم ياأبو الفوارس وإذا حمل بقية العشاير حملت فى سائر العساكر قال له عنتر أفعل ما بدا لك وبهذا الحال ما أخالف مقالك ثم أن عنتر قال للملك قيس لاتتحرك من مكانك ومن حولك جندك وفرسانك حتى ترى الأسود حمل بمن

معه من الفرسان هنالك أحل أنت بمن معك وأطلب الميدان وعاد عنتر ومامهل وإلى جانبه ذو الخار هنالك حل عنتر بن شداد وذو الخار ومن خلفهما مائة فارس فعند ذلك اختلط الجميع ووقع فى القلوب الرعب وطاب الطعن والضرب وطرح عنتر الرجال وكر على بنى فزارة فى المجال ونكس منهم الأقيال وأبادالأبطال وعينيه تدور على حصن فى المجال وذو الخار قد فتك فى بنى سليم وأنزل بهم الفنا والضيم وميسرة ومازن وسبيع اليمن وعروة وفتكوا فى بنى شيبان وأهلكوا منهم الشيوخ والشبان ونكسوا منهم الأقران وطلع الغبار إلى العنان وتعجبت الفريقان لذلك الأمر والشأن لأن عشرين الف التقاهم بمائة فارس وكانت المائة رابحة عليها وأوصلت الأذية اليها وهـذاوأما صرخات عنتر وذو الخال فانهما زلزلا الأقطار وداما على ذلك العيار إلى أن صار نصف النهار وإذا بحصن خرج من تحت الغبار وطلب الفرار وبنى فزاره من ورائه مجدين فى الهرب وعنتر خلفهم فى الطلب وهو فى أعقابهم التلهب وكان حصن انجرح جراحات أشرف منها على العطب لأن عنتر لما وقعت عينيه عليه طلبه وصار ينشر الفرسان الذى بين يديه حتى أنه قادر به وأدركه فعلم حصن إذا وقع به عنتر أهلكه فعند ذلك أدار عنان حجرته الغبرا وطلب البر والصحرا فلما رأى نفسه تألم وولى وأنهزم ودخل بين الخلائق والأمم وعاد عنتر لبنى شيبان رآهم متفرقين فى البرارى والكثبان ومن خلفهم زعقات ميسرة ومازن وعروة والمطال وسبيع اليمن الفارس الريبال فالتقاهم عنتر من بين أيديهم وبذل سيفه فيهم وأوردهم ذلهم وفناهم فما وصلوا إلى أعلام الملك الأسود حتى مـلأ الأرض من قتلاهم البر والفدفد وعاد عنتر وذو الخار لما أقبل الظلام هذا والملك الأسود منكس الرأس كثير الهم ذلهم ذليل النفس وهو يقول أيكون فى الدنيا أسوأ حال من دون الأمم فو الله مابقى لنا مقدار لاعند العرب ولاعند العجم من بعدما فعل بنا عنتر هذه الفعال وسقى فرساننا كؤس الوبال ونخاف أن نحمل بباقى العشائر تذل وتنكسر ويقولون مائة فارس كسرت عشرين الف فارس وأكثر وقد وقع الرعب بمن لنا من الأبطال والفرسان مما فعل معنا هذا الشيطان فقالوا اله وجوه دولته والفرسان الذى قتل مقدمها المرزبان هذه الفعال التى تفعلها فعلته وجرى لأى شىء ماحملت بهذه العشائر التى كانها البحر الزاخر وكنا طحناهم طحن الحصيد وإن دمتم على ذلك يلقطنكم عنتر واحد بعد واحد كا يلتقط الطير الحب الزائد وأما حصن بن حذيفة فانه أيقن بعطبه لما يعلم أن الذى جرى كان بسببه خاف على نفسه لأن عنتر لابد أن يطلبه وإن وقع فى يديه يعطبه فقال

أما ترى يا ملك ما حل بنا من العذاب الأليم وما فعل هــذا العبد الزنيم وذلك بسبب قعودك عن الحملة أنخرق ناموسك وركبتنا المذلة فكيف يكون حالك من الملك كسرى أنو شروان إذا لامك على قتل حاجبه شهربان فقال الأسود والله إنى استحييت أن أكون فى مائة الف عرب وعجم وأحمل بهم على عبد راعى غم مع أنكم حملتم عليه بعشرين الف فارس فالتقاكم بمائة فارس فتبين لكم أنه وافى عليكم لأن مافيكم من يرجى لشدة ولا يكون فيه نخوة ولا نجدة وكلامكم هذيان وتفعل أعظم من فعال النسوان وما مسكت أنا العشائر اليوم عنكم إلا أن كان حنقاً منى عليكم وما أسرف عنتر من ذلك الاسراف إلا وقت ما حمل بمائة فارس على عشرين الف فارس فقال مفرج بن هلال صدقت يا ملك الزمان وبالحق نطقت ولكن من الرأى لاتترك علينا وعليك إسم الهزيمة من عبد لاقدر له ولاقيمة ومازالوا يحموا الملك الأسود بمثل ذلك الكلام والعتب والملام حتى قال لهم اليوم مضى أمره وولى أكثره وبقى ياقوم أيسره وفى غداة غد فما أترك حجة لجمعكم وأعطيكم الأذن بالحملة عليهم كلكم ولكن لابد ما أرسل إلى ذلك الباغى كتاب وأسمع مايرد لنا من الجواب ثم إنه رجع ونزل فى المضارب والخيام وترجلت العشاير فى الليل والظلام وعلم الوزير إنهم إن حملوا بذلك الجمع على عنتر يخسر فكتب اليه يعلمه بما جرى من حصن وسنان وأما سنان يقول لحصن اعلم بأن الملك الأسود كان كف يده عن الحملة بهذه الجموع والفرسان ولكن أشغلوا قلبه بهذا الأمر والشأن .

(قال الراوى) وأما الوزير فإنه كتب لعنتر يقول له أعلم أن القوم أتفق رأيهم على الحملة بهذه الجموع والفرسان فخذ حذرك ودبر يا ابن شداد أمرك ثم أنه أحضر العبد سالم وأمره أن يوصل الكتاب لعنتر فقال السمع والطاعة وسار فى الوقت والساعة وكان عنتر رجع من المعمعة والزبد خارج من أشداقه وهو يهمز ويهيج كما يهيج الجمل حيث أنه مانال من حصن الآمال أما الربيع فكلما نظر إلى ذلك الحال انفطرت مرارته ولما نزل عنتر هنالك وصل عبد الوزير اليه وقدناوله الكتاب فاخذه عروة وقرأه عليه فكتب له كتاب رد جوابه يقول له لاعدمتك بتعصبك وفضلك وأحسانك وأمتنانك وسوف ترى مايسر قلبك من عبدك وترى ضربا يهد وطعنا يهد فلما وصل إلى مولاه العبد كان الوزير كتب كتاب ثانى فيه تحذير وتهديداً ووعد ووعيد وقال للوزير أريدك تمضى بهذا الكتاب لعنتر بن شداد البطل المهاب وتجتهد أن ترضيه على أى وجه كان ويسلم لى نفسه وأنا أعطيه الامان لكن يقدم إلى فى الوقت والحال أصلح بينه وبين حصن

ابن حذيفة على ما كان وآخذه أنا وأدخل به إلى الملك كسرى أنوشروان وآخذ له الذمام سنة والشفاعة فقال له الوزير السمع الطاعة ثم قال للملك الأسود أريد تحملني بكل ما تقدر عليه حتى تقع بي الهيبة حين قدم اليه فقال له الملك الأسود نعم ما أشرت وما به أيها الوزير ذكرت ثم أنه حمل بالكوسات الرموز والبوقات وأنفذ معه الجنائب ومن الذهب اثنى عشر قضيب ومن الفضة شيء عجيب وسار يقطع الارض والرحب بموكبه يسر القلب والنفس حتى أنه قارب فريق من بنى عبس ووصل الخبر بقدوم الرسالة لعنتر فركب اليه وتلقاه وأنزله وحياه وجمع الفرسان لتسمع الرسالة وما أتى به الوزير من المقالة فقال له الوزير أعلم يا أبا الفوارس أن سيف السلطان طويل وإن ساعده كالشمس التى تحتها الناس وأنا أشور عليك أن تدخل على هذا الملك وتطأ بساطه على الطاعة وتندم على ما فعلت من فعالك حتى ينصلح حالك ويكف عن أذيته عنك وعن رجالك ولو أنه أمر الجيوش بالحملة لحملوا عليكم حملة واحدة وتركوا منكم الارض خامدة فانتظر ماذا ترد من الجواب وحسن الخطاب ثم أن الوزير غمزه بعينيه وحاجبه أن يأخذ كل ما أتى من عند صاحبه فقال عنتر قبل كل شيء يجب أن تخلع هذه الزينة والاثواب فانا أحق بها منكم وسوف ألقاكم كلكم ولم أزل حتى أهلك الاسود وأجهد جهدى وآخذ بثار ولدى ولولا أنت رسول ولك على بادى جميلة وما يجب فى حقك مشقة ولاهوان وإلا جعلتك مطروح على الارض والصحصحان فعودوا إلى ملككم وقولوا له يقول عنتر بن شداد الفارس الصميدع وحق من أمر الماء فنبع إننى ما أخشى منه ولا من سيده كسرى ولا كل من تحت السماء وفوق الغبرة ثم أنه أمر ولده ميسرة وبعض الرجال أن يأخذوا كل ما صحب الوزير من الاموال فاخذوا كل ما كان مع الوزير وهو يقول له تفعل معى هذه الفعال سوف ترى عقب هذه الأحوال ثم أنه دنا اليه وقال له الوزير ما أعود لعشائرنا وأنا على هذه الحالة هنالك يجتمع عند الاسود الأمراء وذلك ليسمعوا جواب الرسالة هنالك اكبسنا أنت ومن معك فى الظلام وابذلوا فى عشائرنا الحسام الصمصام فإذا وقع الصوت بهم أول من يهرب أنا ونستريح من الذل والعنا فقال له عنتر لا تطل الكلام ثم أخرجهم حفاة فدخلوا على الملك الاسود وكان معه أمراء

(تم الجزء السادس والاربعون ويليه السابع والأربعون)

الجزء السابع والأربعون

من سيرة عنترة بن شداد

بنى شيبان وبنى فزارة ولحم وجذام وهم جلوس فى انتظار الوزير يسمعون مايبدى من المقال هنالك دخل الوزير وهو يلطم على وجهه وهو عريان من أثوابه وكذلك أهله وناسه فاندهش الملك الأسود لذلك وأحل به وسواسه وساله عن الأمر فعجل الوزير وأخبره بما جرى من عنتر وكيف أنه أخذ خيولهم وحل بهم العبر فبينما هم على مثل هذا الخبر وإذا بضجة قد وقعت والدنيا قد انقلبت وماجت المواكب وظهرت الأهوال والعجائب وطوائف بنى عبس قد حملت السيوف والذرد ونار الحرب أضرمت والرماح فى الصدور أخرقت وهزت كل صارم مهند وعنتر فى أوائلهم يطلب إلى سرادق الملك الاسود لانه بعد مامضى الوزير أخبر الملك قيس بالكبسة فاستصوب رأيه وأمر العشائر فركبت وحملت على جيوش الأسود وسمعت بنى لحم وجذام ضجيج فى العشائر وذو الخار يصيح يال حمير وعنتر يصيح بصوته الجهر فقال الملك الأسود ماهذه الامور أركبوا ياهؤلاء القوم ولا يبقى عليكم عتب ولا لوم فكان أول من هرب حصن بن حذيفة لانه حلت به المذلة والخفية وتبعه قومه من بنى فزارة وولت بعدهم بنو سليم تحت ظلام الليل البهيم وحل بهم الرعب والضيم وكذلك ولت بنو شيبان وقد حل الذل والهوان فلما رأى الأسود إلى ذلك علم أنه قد وقع فى بحر المهالك فركب على جواده وطلب الهرب وتبعه المنهزمون من العرب هذا والسيوف تعمل فيهم فى ظلمة الليل والغياهب والصياح أخذهم من كل جانب وعنتر يصيح وذو الخار يجاوبه بذلك الصوت الجهر فما بقى أحد من العدا إلا طار فواده وما صدق أن يصير على ظهر جواده وملك عليهم عنتر حتى قتل من جيوش الأسود شىء ماله قياس وحازوا بنو عبس الأموال والخيام وقال عنتر ما بقى بعد هذه النوبة إلا بلد الحيرة نأخذها ونجلس الملك قيس على كرسى الملك الاسود وندبر حالنا مع الملك كسرى فاستصوبوا رأيه وعطفوا راجعين وهم بالمال والعيال سائرين حتى وصلوا إلى الحيرة وملكوها واحتووا على ما كان فيها ونادى عنتر الأمان والاطمئنان وطيب قلوب الرجال والنسوان وأما عنتر فانه جاش الشعر فى خاطره فانشد يقول :

لقد كان قلبى يا عبيلة صابر   لما رأت عيناى من واكف تجرى

أنى لأرى الشامتين تجلدى ويحلم حلما مايذم ولايدرى
فبالله ياذات الدلال تعطفى ولاتتركى قلبى يقلب فى الجمر
فلا تلوى إن غبت عنك ساعة أيقنت أن الموت أحلى من الهجر
وها أنا قد جدت فى طلب العلا لأجلك حتى لاتقادين فى الأسر
وإنى مبيد الجمع فى حومة اللقا وأبذل للموالى العطاء مع النصر
سلكت سبيل العالمين بأسرهم بكل همام ماجد ضيغم يسر
مالى أرى أناسا يستمطرون دمى فاذا تشيرى يا إبنة العم فى أمر
وحق الإله الخالق البارى الذى منازله للحج أعظم للذكر
سأتركهم جزرا للسباع تنوشهم ضباع الفلا بين الفدافد والوعر
وآتيك بالأسرى بويل وذلة وساداتهم تنقاد فى ذلة الأسر
قفى وانظرى ياعبلة حربى وهمتى أنا مجيد الضرب بالبيض والسمر
أنا البطل المعروف بالمجد والثنا ولا يثنى عن فعل خير لدى العسر
على حد سيف النصر قد لاح نوره وما أحد غيرى متوج بالنصر
ولى عزم لايستطاع بلاغة منيف على أعلى السماكين والنسر
أنا عنتر العبسى فارس قومه تقر لى الأبطال فى البر والبحر
ولى راحة أجرى من المزن ساكباً إذا هطلت فى البحر من فيضها تجرى
حويت العلا والعقل والجود والثنا وملوك الأرض قد عرفوا قدرى
وفى الحرب مالى من مساو إذا التقت لميدانها الأبطال بالبيض والسمر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره أمر الملك قيس باصطناع الولايم وترويج الطعام وشرب المدام مدة من الأيام فهذا ما كان لهؤلاء العربان وأما ما كان من الملك الاسود فانه مادام فى هزيمته إلى المدائن وانقلبت الارض والأماكن وكان أول من دخل الإسود وحصن بن حذيفة وسنان والوزير ووصل الخبر إلى الملك كسرى فانزعج وتزعزع عن سرير ملكه وقد اكتمل الديوان ودخل الملك الاسود على الملك كسرى وقبل الأرض ونادى يا ملك قد قتلت الرجال وهلكت الابطال وملكت الاموال والارض والاطلال فلما سمع كسرى هذا المقال قال من فعل هذه الفعال فقال له عنتر وقيس بن زهير وبنو عبس وعامر وغنى وكلاب وحمير وعنتر عنده اليوم عشرون الف فارس وأكثر وملك ملك الحيرة فقال كسرى وأين المرزبان شهربان ومن معه من الاربعين الف عنان مافعل بهم

فقال له دمره عنتر وأسقاه الهوان لأنه بارزه وقتله وعلى وجه الارض جندله وأجتمعنا عليه بعد ماقتل تسعون الف وأكثر فكسرنا ذلك العبد الأغبرحتى أنه كسر العلم الاكبر وشتت العشائر ثم شرح له ماجرى لهم مع عنتر فلما سمع كسرى من الملك الأسود هذا الكلام صار الضيا فى وجهه ظالام فقال له قد بلغنى أنك صاهرتهم وتزوجت المتجردة زوجة أخيك منهم وقد صرتم أصهار وحبائب فما الذى أوجب هذه الحروب والمصايب فاحك لى بالصحيح عن هذه الحالة ولا تخف على شيء من المقالة فلما سمع الأسود من أكسرى كلامه فلم يجد له كتم من أعلامة وقال والله ماجلب لنا البلاء والمحن إلا حصن بن حذيفة ياملك الزمن لأنه قتل بن عنتر وهرب منه أيها الملك المفتخر وأستجار بى هو وبنى فزارة لأنى متزوج أخته ولزمتنى بنصرته فتجردت لأخذ تاره وكان قد قتل عنتر منهم مقتلة عظيمة وأسر بعد ذلك منهم الف وثلثمائة وذبحهم على قبر ولده غصوب وأحل بهم المصايب والكروب وأرسل يقول لى ولم أرض ذلك أن لم أسق بنى فزارة كاس المهالك وأقتل حصن قاتل ولدى حتى يشتفى فؤادى منهم وكبدى فلما رأيت بغيه عليهم وقتل ساداتهم وحماتهم أردت أن أمنعه وأصده عنهم فلج فى طلبى وقد قامت هذه الفتن بينه وبينى .

(قال الراوى) فلما سمع الملك كسرى كلامه وفهم مقاله قال له أنى أرى الذنب عليكم والتعدى والبغى كان منكم لأى شيء تقتلون ابنه لماجرت هذه الحروب بينهم وبينكم هنالك تقرب حصن وقبل البساط قدام كسرى وبكى وتأخر لوائه من المذلة مافعل وقدرضينا أن نترك ماقد مضى ونصطلح بين يديك وتكون ياملك الزمان لهم فى الرضاوها أنا وقومى بين يديك فان قتلتنا أنت فانت أحق وأولى لأننا الخدم والعبيد وأنت السيد المولى .

(قال الراوى) فلماسمع الملك كسرى يتفكر ماالذى يفعل فى حق عنتر بن شداد ثم أنه رفع رأسه إلى الوزير وقال ماالذى ترى من الرأى والتدبير فقام وقبل الأرض وقال ياملك الزمان أن عندنا شغلا شاغلا عن هذا الأمر والشأن ولم تعلم ماجرى وقد ملكت بلاد العجم إلى حدود أصفهان وتلك البرارى والآفاق ومابقى فى يدك سوى بلاد العراق فلماسمع الملك كسرى هذا الكلام والجند والعشاير فقال وزير الزمان لقد أجتهدت بروحى أن أطفى هذه الفتن فاقدرت على ذلك حتى أنه لايدخل على قلبك لاهم ولاغم وقد أنكسر أربع سرية وعادت المنهزمين إلى هنا وقد أضافت من أبناء العرب هذه المحنة فقال له كسرى ومن أين خرجت علينا هذه الخوارج والحساد وبلادنا محفوظة

بالعشاير والاجنادوالخوارزم والعجم وأعمالها مسلمة لشروين بن جروين وكذلك أصفهان وأعمالها مسلمة لاسفيدار ومن حوله من العشائر والبنين فقال له وزيره غلامك شروين هو الذى عصى عليك وقد عول على قتلك وأخذ البلادمن يدك ودبر الحيلة وقتل غلامك أسفيدار وملك إصفهان وتلك الديار قد أطاعته أكثر البلاد حتى صارت تحت يده ثلاث كرات ومنع الحمل والعداد وكلما جردت له جيشاً كسره وهزمه فى البرارى ودمره وقد كثر لنا أربع عشائر وشتتهم بتلك الارض والبيدوها أنا قد أخبرتك أفعل بعشائرك ماتريد فلما سمع كسرى ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وقال أن هذه محنة عظيمة وأحوال شنيعة ذميمة لأن العرب والعجم قد عصيت على وأن غفلت عن ذلك راح ملكى من يدى فكيف يكون الرأى والشأن فقال له الموبذان أن سمعت منى ورجعت بلادك اليك ويحضرك غلامك شروين بالسلاسل والاغلال إلى بين يديك وذلت لك الفرس والديلم وقد أطاعوك العـــرب والعجم وما يأتيك بغلامك شروين فى الذل والانكاد إلا أبو الفوارس عنتر بن شداد الذى فى زمن أبوك قتل الخوارج وله الفعال المرضية وأقام به الدولة الكسرية فعندذلك ضحك الملك كسرى بسبب ذكرك لعنتر حامية عبس وعدنان وهو الان علينا عصيان ونريد منه نجدة ونصرة فكيف يأتى ويدفع عنا المضرة فقال الوزير ياملك الزمان كان ضحكك لأجل ذلك فانا أضمن حضور عنتر إلى هذه الارض والممالك ويكون لك من الطائعين وترسله لذلك الجبار شروين وهو يأتيك به أسير مقيدفى المهين فانه فارس الفرسان وفريد الحملة كان حاجبك شهريان وصحبته أربعون الف إنساً فقتله وقد أنزل به الهوان وأذاقهم مر المذاق وكسر العجم والعربان وشتتهم فى الارض والكثبان وهذا أعظم دليل وبرهان وعلى أن أحضره بالفرح وزال ماكان من الذل والترح وقال دبر هذا الامر برأيك ومعرفتك وفى الوقت والحال جهزه بخمسة آلاف خيال بزينة فاخرة ونعمة عظيمة باهرة وجنائب براكب الذهب بالسيوف والدرق المكوكبة وصحبتهم هدية ماسمع بمثلها السامعون ولايصفها الواصفون كل ذلك لعنتر ولقيس بن زهير وأكابر بنى عبس وعدنان ومن عندهم من المقدمين والاعيان وكان أرسل لعنتر خاصة لنفسه مائة رأس من الخيول البيض القرطسية وكأنهم الحمامات العربية ماتقدر ترفع رؤسها مما عليها من الذهب والفضة والحلى والحلل وعشر كوسات وأربع بوقات من الذهب وسارت القوم فى زينة عظيمة وانقلبت لذلك المدينة فلما رأى حصن بن حذيفة ذلك أنفقعت مرارته وزادت بليته وحصل لحصن كربة وهم

وخاف من كسرى أن يقبضه وإلى عنتر يسلمه وقال لعمه سنان ابن أبي حارثة كيف ترى لهذه الأمور الزائدة وما وقع لذلك العبد من السعادة الواردة وأنا خائف أن يسلمني الملك كسرى اليه لأنه محتاج له ومعول على النصر على يديه فقال له سنان حاشا وكلا أن يكون ذلك أبدا وإن كان قدر علينا بشيء فالنا سبيل لدفع الأذى .

(قال الراوى) وسار الموبذان وإلى جانبه الوزير البهلوان وقطعوا فى البر والفلا وعدوا بحر الفرات هنالك سبقت البشاير لعنتر يخبروه بقدوم الموبذان والوزير البهلوان فتأهب للقائهم وركب وركبت لركوبه ملوك العرب منهم الملك قيس بن زهير وذو الخمار والغضنفر وركب عامر بن الطفيل والملك الاخوص بن جعفر ووهب بن موهوب وركب كل بطل وثوب قد ساروا حتى التقوا بالوزير والموبذان وترجلوا عن الخيل فى تلك المكان وسلموا على بعضهم البعض وضموا عنتر بن شداد بالاحضان وقبلوا صدره وبين عينيه فقبل عنتر من الوزير والموبذان يديهما وقال لهما الموبذان ياحامية عبس وعدنان لقد أرسلنى كسرى بهذه الهدية الحسنة اليك ويقول لك ما كان ظنه فيك ذلك بأن تقتل رجاله وتخرب أرضه وأطلاله فقال له عنتر أيها المولى المسدد فلا يعتب على بذلك بل أنه يعتب على الملك الاسود لأنه أجار قاتل ولدى وأحرق بفعله نار كبدى وما كفاه حتى قتل المتجردة وأقام بجهله هذه الامور الزائدة وأرسل لقتالى العشائر والاجناد وأراد قتـــلى بغياً وعناد فنصرنى عليهم الرحيم الرحمن وبقيت مشتتهم فى البرارى والقيعان واستجاروا من حربى بالقان كسرى أنو شروان وأنا والله ما على بالى من الإنس ولا من الجان فقال له الموبذان العفو أجل ياحامية عبس وعدنان فكان الذى كان وماليك بسبب المعاتبة بل أتينا نصلح الامر والشأن وأعلم بأن الملك كسرى خرج عليه خارجى ملك منه ومنع الحمل والعداد وأذل بفعله العشائر والاجناد وكسرهم وشتتهم فى الربا والمهاد هنالك قال مالنا سوى عنتر ابن شداد نستعين به على ذلك الخارجى الذى ملك البلاد ولولم يعلم الملك الذى بمراكب الذهب وقد كان البر منهم أن يلتهب ودقت الكؤسات والبوقات وقدم الخلع لقدام عنتر بعدما رمى عليه خلعة بالدر والجوهر وقال له اخلع على من شئت من العشائر والملوك هناك خلع عنتر على الملك قيس بن زهير وأخواته وعلى الملك الاخوص بن جعفر وعامر بن خالتك وكذلك ملاعب الاسنة صحبته وعروة وميسرة ومازن والملك وهب بن موهوب وابن عمه ذو الخمار وخلع على كل من له قيمة ومقدار حتى أنه خلع على الربيع بن زياد وقد ارتفعت مرارته وقال لأهله وأخوته أنا أظن بإن ذلك الاسود قدقربت منيته وزالت دولته وقد إزداد

سعادته وإن سائر الملوك خافت من سطوته ثم أنهم أقاموا ثلاثة أيام وقد أكرم عنتر الوزير والموبذان غاية الإكرام وتجهزوا للسفر وقطع الاماكن نحو كسرى وبلاد المدائن وتركوا المال والعيال فى الحيرة على خالتهم وخلفوا عندهم ورثة الملك زهير وعلقمة بن علاقة وألف فارس منهم خمسمائة من بنى عبس السادات الانجاب وخمسماية من بنى عامر وغنى وكلاب ثم أنهم ساروا بالعدد الكاملة والنعم الشاملة وساروا غير قليل حتى قاربوا المدائن فعند ذلك سبقت البشائر للملك كسرى وأخبروه بقدوم عنتر فى ذلك البر والصحراء فجلس على كرسى مملكته وعلى رأسه التاج وأفخر زينته وكان ذلك التاج برأس الإيوان ولمعان جواهره يأخذ بالاعيان وهو فى سلسلة من الذهب طولها مائة ذراع ما حاز مثلها ملوك الارض والبقاع وأكابر دولته وأبطال عن يمينه وشماله وهم متقلدون بالسيوف الفواصل والرماح الذوابل والعدد الكوامل وكان كسرى أمر العشاير كبيراً وصغيراً يخرجون لاستقبال عنتر الفارس النحرير فخرج كل من فى البلد حتى أنها خرجت النساء والبنات ووقعت البشاير ونعرت البوقات ونشرت الاعلام والرايات ودخل عنتر المداين ومن معه من العرب فى ساعة ما حكى بمثلها طول الزمان ووقع عليه البشرى من الدرهم والدينار فكان له يوم يعد من الاعمال وما زاله على الديوان حتى وصل إلى باب من الابواب وقد قارب الديوان وأراد أن يترجل عن الحصان وكان عنتر عارفا ذلك المكان لأنه دخله قبل ذلك من ساير الابواب وأنته راكب على جوادك هنالك دخل عنتر وهو راكب حصانه وكل من هناك مشاة حتى أهله وجميع أعوانه ولما دخل عنتر الدهليز الاول رآه مطلياً بالذهب الملون ودخل وإذا به عجب من كل عجب وكذلك الدهليز الثالث من البلخش وفى الرابع الزمرد وفى الخامس الياقوت وفى السادس الجوهر وفى السابع المسك والعنبر وقد فرشت بسطة الدهاليز بقطع المخمل والاطلس وكان كسرى أمر أن ينصب بين يديه سدة لطيفة من العود القمارى مرصعة بالدرر والجواهر وعليها مرتبة مزركشة وحشرها ريش النعام ومنه فوقها شراريب باللؤلؤ الكبار هنالك ترجل عنتر اليه ودنا منه وقبل طرف الكرسى وجلس كأنه سبع خرج من غابته فتبسم له كسرى وتعجب من فعاله وجلست ملوك العرب وكل من كان حوله من أهله فعند ذلك أمر بإحضار الزاد وأقبل كسرى على عنتر بن شداد وقال أيها البطل الوثوب أعلم أن اعادة العتب مما تجدد الحقود فى القلوب وأنا أعلم أن ناقبى هو الذى أخطأ وعد الصواب وقد استحق الضرب والعذاب

ولكن لأجلي تهبه خطيئته وتعفوا ياابن شداد عن ذلك وهذا حصن بن حذيفة قاتل ولدك قد بلغني أنك قتلت منهم ألف وثلثمائة رجل على قبر ولدك أشفيت قلبك وكبدك أن كان ماتعجبك هذه الأمور فانا وحق النار والنور وأسلم بنى فزارة اليك وتفعل بهم ماتقر به عينيك وأرى رقابهم بيديك فلما سمع حصن من الملك كسرى هذا الكلام حل به الرعب والسقام وإذا بكسرى يقول وأن سمحت نفسك فهب لى دمهم وأسمح لى وأصفح عن جرمهم فيكون أجل وأليق بكرمك وأحسن وأوفق بمروءتك وهم على كل حال بنو عمك ولحمك ودمك .

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك كسرى هذا الكلام نهض قائما على الأقدام وقبل الأرض وقال أما الملك الأسود فما بينه وبينى مطالبة ياملك الأنام وإنما مطالبته مع ابن عمى الملك قيس وأخوته على شأن أختهم وهى بنت الملك زهير المتجردة فعند ذلك التفت الملك كسرى إلى الملك قيس بن زهير وقال له ياقيس أما تعلم أن الأسود غلامى ونايب أرضى وبلادى والحاكم على العرب من يعد منها ومن اقترب وقد جمعتم الجموع عليه وكسرتم له أربع عشاير وماخفاكم هذا الاخراق بشاه تازيان وأحرقتم بحاجبى شهربان الذى كان فعند ذلك قام الملك قيس واثبا على الاقدام وتقدم إلى الملك كسرى أنو شروان وقبل الارض بين يديه وقال له أيها الملك الهمام أدام الله بقاك وبلغك الله الآمال من أعداك وجعلنى من الاسوى فداك فما كان بينى وبين الاسود معاملة إلا أنه هو الذى أجرى الشر بيننا وبينه وجار بنى فزارة قاتلين ولد ابن عمنا الأمير عنتر ويعلم أنا نحن الجميع أولاد عم من لحم وكلنا أصهار له فكان يحسن التدبير بيننا وبينهم وكان يفصل هذا الأمر الذى نما بيننا وبينهم فكان الذى أخطأ وأذنب بهذا الامر من الرجال فبطش بربات الحجال فقال الملك كسرى لقيس هو الذى أخطأ وأذنب بهذا الأمر الذى تجدد ومافصدنا إلا الصلح والاشاد وأطفأ هذه النار وإبطال العناد فعند ذلك تصالحوا الجميع مع بعضهم البعض وهللوا بالدعاء لملك الارض هنالك أمر الملك كسرى بتجديد الولائم والمسرات وقدموا الغلمان أنواع من الطعام فأكل منها الخاص والعام وهى أطعمة مختلفة الالوان فراحت من الملك كلما طاف عليه بقانية وملاحيه أبشر بها وهى على هذه الحال حتى تكاملت مسرات المدام وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ونهارهم يقضوه على مائدة الملك كسرى وليلهم بين الأهل مع الإخوان. وبعد ذلك التفت الملك كسرى إلى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا ماأرسلت لك إلا لأمر تجدد هو أن غلاما من غلمانى وهو من مماليك أبى يقال له شروين بن جروين

فلما انقضت مدة أبي وملكت الحكم بعده فاستخلصت ووليت ونصبت وأوهبت فمن جملة ماأوليت شروين بن جروين نايباً على خوارزم وأسفيدار نايباً على أصفهان ففي هذا العام أرسل الوزير على حكم العادة يطلب الحمل والخراج فعصى فارسل له الوزير عشاير وأجناد أربع مرات وهي ترجع العشاير مهزومة من الانكسار وبعد ذلك يقول أرسل إلى المال وإلا أخذت ساير بلادك مع الأطلال وكيف تكون هـذه العشاير حولي وأذل نفسي له وأنا الأسد الجسور فلا كان ذلك لا وحق النار والنور لاقطعن رأسه وأدبرن محلى قتله وأهلكه وأظن بعقله أنه ينال أربه وبعدذلك دبر حيلة وقتل وزيرى أسفيدار وقال بنفسه إذا قتلته بلغت النفس آمالها هنا لم يبق من أخافه وأصنع ذلك الوقت ما أريد .

(قال الراوى) وكان لهذا الجبار شروين بن جروين بنت يقال لها شهرمان وكانت أحسن أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها هنالك شاع ذكرها فى الارض والهضاب وخطبتها الخطاب وهو لاينعم لأحد بزواجها لأن أباها قد شغف بحبها وكان بلغ وصفها الملك أسفيدار صاحب بلاد أصفهان وتلك الديار فتعلق قلبه بها وهام وبات وهو مشتغل بها مستهان قال فاستدعى بوزيره اليه وأقبل بكلامه عليه وقال أعلم أيها الوزير أن الملك ماجعل الوزير إلا ليحل عنه الاثقال والتصرف فى ساير الاحوال وقد دخل على ما أوهنى بسبب بنت شروين بن جروين وقد عولت على الوزير أخطبها فان أنعم بها كذلك عسى يجتمع الشمل بها ويسير أبوها من قبلك وتملك الأرض والمسالك فلما سمع هذا الكلام من الوزير قال له أنت السفير بالهدايا واخطبها إلى منه فقال سمعاً وطاعة وتجهز من وقته وساعته وأخذ التحف صحبته وخرج وزير أسفيدار بزينة كاملة وهمة عظيمة شاملة بالعبيد والخدام والخيل بالسروج المرصعة بالدر والجوهر والركابات الذهب وسار الوزير يقطع الأرض والآكام وأكرمه غاية الإكرام ودخل على شروين دخلة مرضية وسلم عليه وقدم له الهدية ففرح به شروين وقربه غاية التقريب اليه وأقبل بكليته عليه وسأله ماسبب انزعاجه وما الذى قدمه إلى أرضه وبلاده فقال أتيتك خاطب وراغب ويكون نسيبك أسفيدار وتبقى فى قبضك الارض والديار وتصير المملكة واحدة ويدك ويده على الخير والشر متساعدة فلا تخيب قصد قاصدك ولا رجاء راجيك ومن أحسن الظن فيك فلما سمع شروين ذلك نزل على قلبه كالماء الزلال وقد وجد لقتل أسفيدار سبيل فاقبل على الوزير وقال له أيها السيدالنبيل فهو أجل من خطب وأجل

من يكن فيه يرغب وإنى أعدها له من اليوم فقال له الوزير ماتكون عنده إلا عزيزة مكرمة ثم أنهم فى الوقت والحال عقدوا العقد وصح الخبر بتلك الأرض والبلاد وأمر شروين الوزير أن يعود من وقته وساعته ويأتى اليه بالملك أسفيدار فى صحبته ويكون عنده مدة زواج ابنته وبعد ذلك يأخذها ويرجع لبلدته فعاد الوزير لصاحبه وهو فرحان بانقضاء حاجته فسار الوزير يقطع البرارى والقفار فبعد ذلك استدعى شروين بوزيره وقال له لقد وصلت لما ذكرت من قتل الملك أسفيدار وأملك بعد قتله الارض والديار وأدبر بعد ذلك على قتل سيدى كسرى وأملك بعده البر والصحرى فاذا دبرت على هلاكه وقتلته هنالك أكون قد أحتويت على مملكته فقال له الوزير أفعل مابدالك عسى تبلغ ماتروم بفعالك هنالك أستدعى شروين بأكابر دولته ومملكته فلما حضروا قال لهم قد بلغنى أن الملك أسفيدار ما أخطب من ابنتى إلا ليقتلنى إذا تزوج ابنتى ملك ملكه وقد حدثته نفسه أن يقضى على سيده كسرى ويملك البر والصحرى وقد علم أن هذا الأمر يتم له وأنا خلفه فأرسل يخطب منى بنتى وتبقى هذه الاراضى بكفه وينال مآربه وأنا قد عولت أن أقلع شافته وأقطع ذريته فما الذى ترون فقالوا له نحن لك سامعون ولقولك وأمرك طائعون لاننا بأرواحنا نفديك فاذا أتى الينا وقدم علينا فاننا نطبق عليه وعلى من معه بالسيوف ونسقيهم شراب الحتوف وإذا نحن قتلناه ملكنا نحن مملكته واستولينا على أمواله ونعمته وندفع لكسرى خراج البلاد ونكون مقيمين فى بلدته فلما رأى منهم الإطاعة قال أخبروا بعضكم البعض قال فهذا ماجرى من شروين وأما وزير الملك أسفيدار فانه عاد يقطع البر الاقفر وهو فرحان مستبشر وقد حل به السرور بإنقضاء حاجته ولما قرب من الديار أرسل بشيراً قدامه من وقته وساعته يخبره بأن صديقه الملك شروين أجابه لزواج أبنته ففرح لذلك أسفيدار فرحا شديداً ماعليه من مزيد وركب بأكابره وتلقى وزيره وزادت أفراحه وسروره ولما التقوا ببعضهما بعض ترجلا عن الخيل إلى وجه الأرض وأخبره وزيره بأن الملك شروين أجابه لزواج ابنته وتجهز الملك أسفيدار للسفر من وقته وساعته وأخذ المهر والصداق فى صحبته وسار يقطع الطريق بتمكين حتى قرب من بلاد شروين هنالك أرسل المهر قدامه والصداق وكان شيئاً يبهت الاحداق فعند ذلك أحضر شروين أكابر دولته وأوصاهم أن يأخذون الاهبة لقتله ويميلون بعد ذلك على أهله ورفقته ولما وقعت العين على العين والتقى بعضهما الجمعان تقدم شروين إلى أسفيدار ليسلم

عليه وقروه العشائر والاجناد فاظهر له المحبة والوداد وهو غافل عما بقلبه من البغضة والسواد فضربه على عنقه طلع السنان يلمع من علائقه فال أسفيدار هو والجواد إلى الارض والمهاد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وأطبقوا عشاير شروين على أصحاب الملك أسفيدار وأورثوهم الدمار وأسر منهم قدر الفين وسار بعشايره نحو بلاد الملك أسفيدار ومازالوا يقطعون الارض طولا وعرض طالبين أصفهان وفى أوايلهم شروين والمرريان وكانوا مائتين الف عنان حتى قربوا أصفهان وأحتاطوا بأبوابها من كل جانب ومكان فلما رأوا أهلها إلى ذلك وحققو أن صاحبهم أسفيدار شرب شراب المهالك سلموا اليه البلد وأعدوا له كل ما أراد وأطاعه العباد وأحتوى على خزاين الملك أسفيدار وعياله وأطاعته رجاله ومابقى بين يديه من يخالف أمره ولا من يخشاه ويحذره هنالك بغى وزاد شره وحدثته نفسه على سيده كسرى أن يقتله ويأخذ الملك منه فقطع الحمل وعول أن يركب عليه فوصل الخبر إلى الوزير البهلوان كذلك الموبذان شق ذلك عليه وكبر لديه ولم يعلم الملك كسرى بذلك الخبر فاراد الوزير أن يتحمل ذلك الاثقال فجرد له عشائر وأبطال فالتقاه شروين وكسره فجرد له ثانى عشاير أعظم من الاول فدمره ثالثاً ورابعاً قهراً فقامت على الوزير قيامته وعاد من الغيظ بعض راحلته وأراد أن يعلم الملك كسرى بماجرى فوجد الملك الاسود وقد أتى منهزم من عنتر والعرب والهاربين عبرة بين الورى فلما نظر الوزير هذه الاسباب المتواترة والامور الذى كانت عليهم مقدرة وعلم أن الملك كسرى نال قلبه منال عظيم وحل به رعباً جسيم فعند ذلك أخبره بما عنده وقال أيها الملك قد تجدد عندنا هم أعظم من هذا وشرح له جميع ماذكرناه ومافعل الخارجى شروين وماوصفنا .

(قال الراوى) فتزعزع الملك كسرى عن الكرسى الذى هو عليه وفرت الدموع من عينيه وكثر فى حضرته الكلام وتكلم الوزير والموبذان بما كان من الإلزام وقاله ما يأتى بشروين إلى هذه البلاد إلا أبو الفوارس عنتر بن شداد قال فلما سمع عنتر قام وضمن للملك كسرى أن يحضر له هذا الخارجى شروين ففرح كسرى بذلك الشأن وسيره وصحبته الوزير البهلوان وأرسل معه من العشائر عشرين الف عنان وعنتر ساير فى أوايل الخيل يقطع تلك البرارى والقفار وعلى رأسه الاعلام ومن وراء الفرسان من عرب وعجم وهم يقطعون البر هذا والربيع بن زياد انفقعت مرارته وزادت بليته وقال لأخيه عمارة مارأيت أعظم من هــــذا العبدسعادة ولكن هذا حكم من بيده المشيئة والإرادة فاذا يقال له بالذى سارت فى ركابه العرب والعجم وهم طايعين لأمره

حشل الخدام أما عنتر حامية عبس وعدنان أفرح الخلق بهذا الامن والشأن ثم أنه عاد على الوزير البهلوان وقال له أيها السيد المهاب من الرأى الصواب أن تكون جميع العشاير تسير لسيرك وتنزل لنزولك وأنا أسير فى المقدمة وأكشف البرارى والآكام ويكون معى أربعة آلاف فارس والفين من العرب والفين من العجم ويكون صحبتى ابن عمى الملك قيس وولدى ميسرة وأخى مازن الاسد الريبال وعروة بن الورد وابن خالتى المطال كذلك سبيع اليمن فحل الرجال لاننا نخشى أن ندهى بداهية ونحن لانعلم فقال له الوزير نعم به ماذكرت أيها الاسد الغشمشم ثم أنه ودعه وسار وهو من خلفه فى أربعة آلاف فارس كرار وهم يقطعون البرارى والقفار ولما تمادى به المسير فى تلك الارض والاقطار فانشد وقال هذه الابيات محفوظة بتاريخ عرف المرور

يعاتبنى فى الثار قومى وإنما فى ثارى أشياء يكسبهم حمدا
أسد به ما قد أجلوا وضيعوا تغرر حقوق ما أطاقوا لها سدا
وفى جفنه ما يغلق الباب دونها مكللة لحما مدفقة تردا
وفى عبلة عقد عتيق جمالته حجابا لبنى ثم أخدمتها عبدا
وأن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى أن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
وإنى العبد الضعيف مادام نازلا وماشيمة لى غيرها تشبه العبدا

(قال الراوى) فلما سمعت السادات هذه الابيات تمايلوا من فوق الصافنات وأما ما كان من الخارجى شروين فانه وصلت الاخبار من العراق وكان له جواسيس عند كسرى وتلك الآفاق أرسلوا يخبره بمجىء ذلك الجيش العرمرم وأنهم أربعة آلاف من العرب والعجم وفى أوايلهم عنتر بن شداد الفارس الادهم فلما سمع شروين هذا الخبر حل به الانذهال وتحير وفى الحال جمع أرباب دولته وأكابر مملكته وقال لهم ما ترون لهذا الجيش الذى أرسله كسرى صحبة ابن شداد عنتر وقد بلغنى أنه أسد قسور وهو فارس البدو والحضر فقال له وزيره أنت شاققت ملك الارض كسرى وعولت أن تأخذ مملكته وكسرت له أربع عشاير ولم تخف سطوته وماداخلك رعب ولا طرب وقد حل بك الرعب من شائخ من شلوج العرب فقال هذا أبو الفوارس عنتر بن شداد

وقد بلغنى أنه معه من العرب والعجم أربعة آلاف فارس فقال له الوزير وكيف يكون حالنا إذا أتى الينا الملك كسرى بالخلق والامم من العرب والعجم .

(قال الراوى) فلما سمع شروين هذا الكلام فقال له أنا ما أعمى القلب وإنما بلغنى أن هذا الرجل الذى هو عنتر بن شداد فارس الارض فى طولها والعرض ولولا يعلم الملك كسرى أنه فارس عظيم وبطل جسيم لما جعله مقدما على عشائره وإنما رأس بلا حيلة مالها منفعة وأنا أدبر على أخذه وأخذ من معه مرة واحدة وبعده أكسر هذا الجيش كله وأفرقه فى البر والبيد ثم أنه نادى بأخذ الاهبة للقتال وأعتد للطعن والنزال وتجمعت كتايبه وأبطاله ومواكبه وهم بالبيض المشطبة والخيول المهضبة والدرق المركبة والسيوف المذهبة والتروب الهندية وساروا وشروين قدامهم على جواد كأنه لون الظلام وهو لابس أفخر السلاح وهو يقطع الارض والبطاح ثم أنه أحضر بين يديه قائد جيشه وكان من المشايخ الكبار وهو يجتهد فى عبادة النار وكان يسمى سوار ابن كابهار وكان شيخاً عارفا بعواقب الامور من كثرة التجارب وقال له شروين كن أنت فى مقدمة العشائر حتى أتقدم قدامك وأدبر الحيلة على ذلك العبد عنتر فقال الشيخ سوار سمعاً وطاعة وأوصاه بحفظ نفسه فى الوقت والساعة ثم أنه حضر بين يديه مرزبان من المرازبة الثقال وكان كلب جبار لا يجرى إلا على الوبال لا يعرف حرام ولا حلال شديد العبادة فى النيران يقال له المرازبة سهرمان طوله سبعة أذرع بالهاشمى عنيد بين المجوس وضم اليه سبعة آلاف من الفرسان ما فيهم إلا كل بطل عرمان وقال له مر بمن معك فاذا أشرفتم عليه وقدمتم اليه ووقعت العين على العين وقربت من بعضها بعض الجيشين أرموا السلاح من أيديكم ونادوا كسرى يامنصور وهذا لأجل تحكيم الامور واستأمنوا اليهم فإذا تمكنتم منهم وصرتم معهم فاصبروا عليهم إذا الليل أظلم واعتكر ونام العبد عنتر فتكونوا أنتم أخذتم سلاحهم وخيولهم وبعد ذلك نزحف ونلتق بقية العشاير وتكون قد أنكسرت حدتهم بأسر ساداتهم ويفشلوا بأخذ قادتهم هنالك ننطبق عليهم ونطحنهم طحن الحصيد وندوسهم دوس الجلاميد فقال له المرزبان درك هذه همم الرجال وعزيمة الابطال وتجرد المرزبان بسبعة آلاف فارس وساروا ليحتالوا على عنتر .

(قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر فإنه لما فارق وزير كسرى وسار معه الاربعة آلاف فارس وهو يقطع البر الاقفر وإلى جانبه الملك قيس

الاسد الغضنفر وولده ميسرة من الجانب الآخر ومازن وسبيع اليمن وعروة بن الورد والمطال والجميع خلف ظهره يقطعون الارض والدمن ومازالوا سائرين ذلك النهار وثانى يوم إلى أن اشرفت عليهم غبرة القوم وبان من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وحمحمة الجرد القداح وبرق الحديد والزرد النضيد فلما نظر عنتر لذلك فرح واستبشر وأطلق نحوهم الابجر وأطلقت من خلفه الاعنة وقومت الاسنة إلا أنهم لما قاربوا القوم وأرادوا الحرب هنالك زعقت السبعة آلاف فارس ونادوا كسرى يامنصور ورموا من أيديهم السلاح وأظهروا الفرح والسرور وترجلوا عن الخيل ودنوا من عنتر بن شداد البطل القسور وقبل المرزبان رجله فى الركاب وفعل مثل فعاله جميع الاهل والاصحاب ثم أن المرزبان بكى واشتكى وقال لعنتر الاسد الجسور لقد بغى هذا الرجل وتكبر على سيده القان كسرى الذى رفعه وأعلا مقداره فوالله لو قدرت لقطعت أثره وأخذت أنفاسه وما أنا قدمت اليك لعل أن يكون هلاكه على يديك يافارس العرب ويامن له شرف المنازل والرتب فلما سمع عنتر فرح بذلك واستبشر وقال للملك هذه دلائل السعادة بمجىء هؤلاء الابطال إلى طاعتك بغير قتال وهى بشائر سعادتك ثم أن عنتر أمرهم بالنزول بهذا المقام هناك ضربت لهم المضارب والخيام وأركزت الرايات والاعلام وكان هجم عليهم الليل بالظلام وأخذوا الراحة لهم وللخيل بالمنام وسأل عنتر المرزبان وقال له كم عدد جيش شروين قال خلائق وأمم وهم ثلثماية الف من عجم مافيهم إلا من حل به الرعب والعدم وأكثرهم ماأطاعوه إلا كرها ومن جملتهم أنا لانه لئيم غدار وقتل صديقه أسفيدار ولكن أخذه بالمكر والخداع ليس بالحروب والقراع ومابينكم وبينهم إلا جملة واحدة وترى الارض منهم خامدة لأن أكثرهم ماتوا لخدمته إلا خوفا من سطوته ونحن أيضا كنا لهم طائعين فلما رأينا هذه الفرصة أتينا اليكم هاربين ففرح عنتر والملك قيس بذلك وتفرقت الناس وأخذوا الراحة للمنام وأما المرزبان فانه أقام فى مضرب عنتر وصحبته وكان عرفهم بما جرى بينه وبين صاحبه شروين فلما جن الليل وثقل فى نومه عنتر وذلك من شدة التعب والسفر فلم يشعر إلا والمرزبان وأصحابه داروا به وأخذوه أسير وصار ذليلا حقير ثم أنهم داروا على فوارس بنى عبس وقد حلوا بهم التعس والنكس فسمع الملك قيس ضجة فما حس إلا وعشرون رجلا دارت به وشدوه كتاف وكذلك ميسرة ومازن وعروة وسبيع اليمن والمطال وما كان أحد يخرج من خيامه إلا والعجم داروا حوله وشدوه كتاف حتى كتفوا بعد عنتر ألفا وخمسماية فارس تحت الليل الدامس والباقين لما سمعوا

الضجة فى البر والفلاة ركبوا خيولهم وطلبوا النجاة وعرفوا أن العجم قد غدروا بهم والمرزبان أخذ الجميع أسارى وقد شدوهم بالعرض على خيولهم وعادوا راجعين من ذلك الارض ومازالوا سايرين حتى قربوا من شروين وسبقت البشاير اليـــه ففرح وقرت بذلك عينيه وأشرفوا أصحابه عليه بالأسارى وفى أوايلهم أبو الفوارس عنتر وهو مقيد من تحت بطن جواده الأبجر وإلى جانبه أخوه مازن وولده ميسرة وسبيع اليمن وعروة بن الورد والملك قيس بن زهير .

هنالك تقدم مقدم العشاير وهو المرزبان الذى عمل الحيلة على عنتر وقال له يامولاى هذا عنتر بن شداد الذى ذكره عم البلاد وهذا الملك قيس صاحب الرأى الزاهر وهؤلاء أهله وعشيرته المفاخر ولما نظر شروين إلى عنتر استعظم صورته وقال أسود البدن جاع الزبل حلاب اللبن ما الذى حملك أن تسير إلى وتتعرض لحربى وقتالى أما بلغك همتى وفعالى وقد كسرت لكسرى أربع قبايل وأجناد وملكت بالسيف هذه البلاد وذلت لى العباد وماكان لقى أفرس منك يا ابن اللئام الاوغاد وحق النور والنار ومافيها من الشرار لأقتلنك شر قتلة وأمثلن بك أقبح مثله حتى لا يرجع مثلك عبد صعلوك يسير إلى حزب الملوك فلما سمع عنتر كلامه زاد غيظه وغرامه وقال له أسكت أخرس الله لسانك وأضعف عزمك وجنانك يا أخس المجوس يالئيم يامنحوس تقول لمثلى هذا المقال وأنا عنتر منكس الأبطال نهار المجال لم لاصبرت ياجبان حتى يقع الحرب والطعان كنت ترى ما يحل بك من الهوان فلما سمع شروين من عنتر ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وهم أن يرى رقبته وكذلك مع رفقته هنالك تقدم وزيره وقال له أيها الملك قد بلغنى أنه ساير فى أبطال العرب وماندرى أن نغلب أو تنغلب والرأى أن هذا الفارس تبقيه حتى أننا نخلص من هذا الأمر الذى نحن فيه فان كانت الفرصة لك فى المعامع فما يمنعك عن قتله مانع ومازال وزيره يلين قلبه بكلامه حتى أنه لان ورجع لرأيه ومشورته ثم أن شروين دعا بسوار قايد جيوشه وهو الشيخ الذى ذكرناه وكان سوار مربى دولة الأكاسرة الكبار منهم والصغار وكان ذا رأى صحيح وعقل رجيح وكان ربى الملك كسرى على كتفه وليس هو راضى أن يكون شروين يعصى على سيده كسرى ولكن جرى ماجرى وما يقدر يعصى له أمرا فلما حضر بين يديه قال ياشيخ الدولتين وكبيرها ومربى الملوك والاكاسرة ومشيرها خذاليك هذا الرجل ومن معه من الأسارى فما آمن عليهم أحدا غيرك بين العباد لأنك رجل حافظ الوداد وأريدك

تتولى حفظهم بنفسك ولا تأمن عليهم أحدا من ابناء جنسك حتى إذا كسر العشاير نرسلهم إلى خوارزم فان نصرت عليهم أقلع جميع أثارهم وملكنا أرضهم وديارهم وإن نصروا علينا كان أمرهم إلى غيرنا .

(قال الراوى) فعند ذلك تسلم الشيخ سوار بن كلبهار لعنتر وعروة والملك قيس وميسرة وصبيع اليمن ومازن وبقية الاسارى وهم بحالة الذل والخسارة وقد ساروا يقطعون البر ومامنهم إلا وقد آيس من الحياة ورحل من بعدهم المرزبان وهو بتلك العشائر التى كأنها البحار الزواخر وكانت ثلثمائة الف وأكثر وقد أطبقوا البر الأقفر فهذاماجرى لهؤلاء وأما المهزومين الذين نجواعندأسرعنتر فما زالوا يقطعون البر والصحراء حتى أنهم أشرفوا على الوزير والملك الاسود وركب سبيع بن الحرس وغشم بن مالك والملك وهب بن موهوب وعامر بن الطفيل وسألوهم عن الخبر فخبروهم بأسر عنتر والملك قيس فارتعدا الوزير وتحير وضاقت به الفكر لانه قدكان مؤملا بالنصر والظفر على يد عنتر فلما سمع بهذه الحالة غلقت فى وجوهه الابواب وتحير من هذه الأمور والأسباب وماج الجيش واضطرب من هذا السبب فاستدعى بالملك الاسود ومن معه من ملوك العرب وقال لهم ماهذا الفزع والرعب الذى حل بكم ووقع أما تخشو المذمة والعـــار والفضيحة فى ساير الأقطار وأنتم هنا أربعون الف عنان عرب وعجم ويفقد منكم الف وخمسمائة رجال تنحل عزايمكم والهمم فأين السادات الكرام الذين يخشون المذمة والملام سيما وأنتم تعلمون أن الأشياء دول تارة يكون لكم وتارة يكون عليكم فان كانت النصرة لكم سدتم إلى الأبد قام قايم وقعد وأن للموت عزيز ناموسها ثم أن الوزير استدعى بالمنهزمين وسألهم كيف كان أسر عنتر فشرحوا له القصة والخبر وماجرى عليهم من الامر المنكر وكيف التقطتهم الطليعة وهى تنادى كسرى يامنصور وكيف أنها رمت سلاحها وأقبلت على عنتر بن شداد بأرواحنا فلما أعطيناهم الذمام وعرفنا فى التمام لجرى علينا منهم ماجرى وانهزم منا سوى من ترى فصفق الوزير بيد وكاد أن يختنق من الغيظ ويكمد وذلك من شدة الغبن والقهر وعلم أن عنتر أخذ بالحيلة والمكر ثم أن الوزير نخا العشاير حتى ركبت خيولها وجردت نصولها وزعقت بوقاتها ورنت طبولها وأصطفت العشاير ونشرت الرايات والأعلام الكسروية ودقت الكوسات السلطانية وساروا فى ذلك اليوم حتى أشرف عليهم الخارجى شروين بن معه من القوم وتقطعت كل الغبار وبانت الأبطال والعشاير وظهر الخارجى شروين وعشايره

وأنتشرت وأبطاله ودساكره والرايات على رأسه مشتبكة وأبطاله حواليه محتبكة ووقف على نشر عالى وقد منع الفرسان ذلك اليوم من الطعان والضراب وضربت المضارب والقباب ونظر الوزير إلى الخارجى شروين تحت الرايات والأعلام فزادت به البليات والآلام لأنه نظره من بعض المماليك الخاسرة فطمعت نفسه أن يملك مثل الملوك الاكاسرة فعند ذلك أقبل على ملك العرب الأسود وقال له الرأى أن نكتب لهذا الشقى كتاب وتهديه إلى الصواب وتسمع مايرد لنا من الجواب وأقول له أنت تعلم أن الملك كسرى رباك وأحسن اليك أعظم من أمك وأباك وجعلك عمدته عند شدته فخاب فيك أمله وقتلت بعض أكابر دولته والشمس لاتتغطى عن الخلق والبشر فلا يغرك أسرك لإبن شدادعنتر والرأى أن تسير صحبتى وتدوس بساط الملك من غير تعنيد وأنا الضامن لك كلماتريد وترجع إلى بلادك وأنت مكرم من قبل أن يحل بك الندم ثم كتب الوزير جميع ماذكرناه داخل الكتاب وأرسله صحبة حاجب من الحجاب فسار ذلك الحاجب حتى أتى إلى شروين وسلم اليه الكتاب فلما قرأه وفهم رموزه ومعناه فقال له ويلك أنا طمعت بمملكة الاكاسرة من غير مقدرة حتى أن الوزير يخبرنى بهذه الصفة فوحق النار والنور والظل والحر ولئن ملكت الوزير لأسلخنه وأحشى بالتبن جلدة ودع كسرى يظهرلى كلما كان عنده فلابد من كسر عشائره وجنده ولا بقى لكم عندى قيمة بعد أسر ذلك الشيطان عنتر فعاد الرسول وهو فى ذلك الحال بالخيبة والاذلال وأخبر وزير الملك كسرى بكلما جرى فقامت عليه القيامة وانحمق وكاد من الغيظ يتمزق ثم أمر العشائر بالركوب اليه والحملة عليه هنالك دقت الكؤسات ونعرت البوقات ونشرت الأعلام والرايات وتقدم الوزير بنفسه الملك الأسود عن يمينه والملك وهب بن موهوب عن شماله وأقام ذوالخمار فى القلب وعليه الزرد والحديد وفى الميسرة ملاعب الأسنة وعامر ابن الطفيل بعشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس كانهم قطع الجبال بالسيوف الصقال والرماح الطوال وزحف الوزير البهلوان والملك الأسود فى بقية الأبطال ونظر شروين إلى ذلك الحال فرتب الاخر عشائره يمينا وشمال وزحفت الزحوف وأبرقت السيوف وصهلت الخيل وتراعقت الرجال وحملت واهتزت الأرض وتزلزلت وتراموا بالنبال فى مقاتل الرجال وتصادمت الخيل فى المجال وثار من حوافرها الغبار وأظلمت الأقطار وقد بربرت الأعجام فى هذا اليوم قتالا أدهش الحضار ولله در غشم بن مالك فانه كردس الفرسان فى المعارك ولله در عامر ابن الطفيل فانه ترك دما الأعداء كالمسيل وكثر الهلع وزاد الفزع ووقع الرعب والجزع وصارت الفرسان تهوى والرقاب من الاجساد تقع وأظهر عامر بن الطفيل فى عشاير شروين

العبر حنقاً منه لأسر عنتر وأما ذو الخار فإنه ركب مراكب الخطر حتى ندم هنالك من حضر فيالها من ساعة غاب عنها عنتر عما وقع فيها من البلاء المنكر وما زال القتال يعمل إلى الليل ودارت الجيوش بعساكر كسرى وملكت عليهم البرارى وامتلأت الأرض من القتلى ورأت ما حل بها من البلاء فعلمت أنها هالكة وكم جهدها ما لاقت عشائر شروين وهى عليهم متداركة وانفصلت العشائر ونزلت فى تلك الأرض وباتت عشائر شروين فرحانة بالنصر وباتت عشائر كسرى متيقنة بالقهر وبان فيهم الذل وحل بالملك الأسود وكذلك الوزير وما زالوا بتلك الأرض والبطاح حتى أصبح الله بالصباح طلبوا الحرب والكفاح وجالت الأبطال والكتائب وظهرت عشائر شروين من كل جانب وسدت الطرق والمذاهب وطمع شروين وبكى الوزير على نفسه وعليهم وحملوا على بعضهم وصار الإبرام بينهم نقض وكثرت فيهم الجراح ومزقتهم الأعداء بعوامل الرماح وثبت ذو الخار فى بنى حمير وعامر بن الطفيل فى بنى عامر الغرر والملك الأسود الهمام فى بنى لخم وجذام وما زالوا على ذلك الحال وهم يمانعون عن أرواحهم بالحرب إلى أن كثر عليهم العدد وزاد بهم المدد وما بقى فى العرب إلا هو قد أيقن بشرب العطب وأكثرهم عول على الهزيمة والهرب فبينما الناس فى شدة الهلاك وسوء الارتباك وإذا هم بصيحات عاليات من وراء عشائر شروين الخارجى هنالك فبهتوا فى الحال وانفصلوا عن القتال لينظروا الأخبار فرأوا ضرب الحسام البتار وحققوا الأخبار وإذا هم بصوت أبى الفوارس عنتر قد ملأ تلك الأرض والأقطار وهو يزعق وينادى يالعبس الأجواد ها أنا عنتر بن شداد وكذلك ولده ميسرة ومن بصحبته من السادات الأنجاب وقد أطلقوا من السلاسل والأصفاد وهم ينادون كسرى يامنصور اليوم دمك ياشروين مهدور فلما سمعت عشائر الملك كسرى هذا النداء عاشت أرواحهم وقد أيقنوا بسرورهم وأفراحهم وأجابوهم على نداهم وصاحوا فى وجوه أعدائهم ورأت عشائر شروين ذلك البلاء المبين وقد أتاهم من بين أيديهم ومن ورائهم لحاروا فى أمورهم وتفكروا فى رجوع عنتر وكسر تلك العشائر .

(قال الراوى) وكان السبب فى خلاص عنتر ورجوعه كلام عجيب وأمر مطرب غريب نريد أن نذكره على الترتيب فإن ذلك الشيخ سوار بن كلهبار الذى ذكرناه ربى الملوك الأكاسرة الكبار لما تسلم عنتر بن شداد وأصحابه وأوصاه شروين بحفظهم وأخذهم وسار بهم يقطع الأرض والآفاق وعنتر وأصحابه معه فى الوثاق فلاح من الشيخ سوار التفاتة فرأى عنتر الأسد الهدار دموعه على خدوده كالأمطار فقال له الشيخ سوار مالك تبكى ودموعك

غدار وأنت البطل المذكور وتبكى إذا نزل عليك الذل والدمار فقال له عنتر اعلم أنى ما أبكى خوفاً من الموت وإنما بكائى كيف تدبنى الملك كسرى إلى نصرته فى هذه الكرة ولا كشفت عنه غمه ولا أجلو هذه الظلمة وقدمنى على هذه العشائر فخاب يا شيخ أملى وأمله وعدمنى ملك الفرس فى هذه الطريق فلما سمع الشيخ سوار ذلك بكى وأن واشتكى وقال لعنتر يا فارس الورى ما أنت بأخوف منى على الملك كسرى لأنى أنا ربيته على كتفى وعشت فى دولة أبيه ونعمته فلما سلم لهذا الكلب شروين بن جروين خوارزم العجم جعلنى كسرى قائد جيشه وأمرنى بالمسير صحبته فلما غره الطمع فيمن أحسن إليه وصرت متفكراً فى سوء فعاله وما عزم ذلك الكلب عليه من أعماله ففيك يا عنتر كفاية إذا حليت وثاقك وخلصتك أنت وأهلك ورفاقك ورددت عليكم خيلكم وسلاحكم وأسير أيضاً بمن معى بصحبتكم ويبقى عددنا ألف فارس ونطلب أعقاب عشائره ونتفرق عليهم من الاربع جهات وندهمهم فى الليل الاسود ونزعق بينهم كسرى يا منصور قد هانت كل الامور وتضع السيف فيهم فيشتغلوا بنا وتحمل عشايركم قدامهم وقد بلغنا المنى ففيك تلقا عشايركم ونحمل عليهم وتدمرهم فأخبرنى الصحيح وأنا أطلقك وأفعل مع الملك كسرى ومعك الجميل وأعتقك وتستريح فلما سمع عنتر من الشيخ سوار كلامه قال له فرج عنى أيها السيد ورد على آلة حربى مع الجواد وانظر ما يفعل عنتر بتلك العشاير والاجناد وكيف آخذ شروين فى السلاسل والاصفاد وإلا ما أكون أنا عنتر فارس الحرب والجلاد فضحك الشيخ سوار من كلامه وأطلقه وكذلك رفاقته وقد تعجب منه ومن سعة صدره وفى الحال رد عليهم سلاحهم وآلة حربهم وكفاحهم ولما جرى ذلك رد إليهم أرواحهم وكنا ذكرنا عدد الأسارى التى أسروهم ألف وخمسمائة وانضافت إليهم الذين كانوا صحبة الشيخ سوار وعنتر فيه الكفاية وساروا على آثارهم راجعين وإلى قتال شروين ومن معه طالبين حتى أشرفوا على العشاير كما ذكرنا ورأوا جيوش كسرى معولين على الهرب فعند ذلك أقبل عنتر وهو يزعق ويقول يا كلاب الفرس ويا أندال الأعجام أنا عنتر فالق الجماجم فسار يخترق الصفوف ويرمى من الأعجام القحوف ويصدم الخيل يكردسها ويزعق فى الفرسان ينكسها هذا والوزير البهلوان والملك الأسود ومن معهم من العربان عاشت أرواحهم وأيقنوا بفلاحهم ونادى فى العشاير بالفرح والسرور وانطبقت تلك العشاير واتسع المجال على ذى الخمار فبذل فى الأعداء سيفه البتار ونظر الخارجى شروين لعنتر وقد خلص وعاد من وراء العشاير والشيخ سوار بن كلهبار بجانبه فعند ذلك زادت أحقاده ومصائبه وعلم أنه هو الذى أطلق عنتر ومن كان معه من كل ليث قسور فخرج

من تحت الأعلام وعطف عنتر كأنه الليث القسور وفى يده عمود من الحديد وزنه تسعة قنطاران وأكثر وقد ذكرنا طول هذا الجبار شروين سبعة أذرع بالهاشمى فلما حذف عنتر بالعامود لحاد عنه عنتر الشجيع المهاب فغاص لحد نصفه بالتراب وعاد عنـــتر كالبرق لسرجه وقد بطل من الخارجى دخله وخرجه هنالك قاربه عنتر وضايقه وحك الركاب ولاصقه وبعد عنه مقدار قصبة وضربه بعقب الرمح قلبه وإذا بميسرة ترجل إليه وشده كتاف وأخذوه أسير وقادوه ذليلا حقيراً هنالك تنكست راياتهم والأعلام وولت عشايره وطلبوا الانهزام وعادت العرب لنهب الأموال والخيل والجمال هذا والملك الأسود والوزير البهلوان يشكرون الأمير عنتر وجمعوا الغنايم من البر والآفاق وشد شروين بالوثاق وعادوا على آثارهم طالبين بلاد العراق وسبقت المبشرون إلى الملك كسرى يخبروه وهم يقطعون البر والصحراء فلما سمع الخبر أمر بتزيين البلد ودقت الكؤسات ونعرت البوقات ورنت الطبول ونشرت الأعلام والرايات ونظر شروين لنفسه وهو أسير هنالك همت الدموع من عينيه وبكى بدمع غزير فنظر إليه عنتر وقال له لم تبكى أيها الملك الخطير فقال له يا أبا الفوارس أنا بك مستجير فإن الذى جرى منى كان خطأ كبير وها أنا معترف بذنبى وإذا حضرت أمام الملك كسرى لا بد أن يقطع أنفاسى وأنا يا أبا الفوارس مستجير بك وأريد منك الذمام ولو أننى أخطأت معك ولكن ما أعلم أنك من الناس الكرام الذين يفتخرون بالذم والعطاء وإطعام الطعام وها أنا أسير بين يديك وقد وضعت أمرى فقال له عنتر وصلت يافتى ولك منى الأمان والذمام ولا تخش من رعب ولا إلام وهذه يدى لك بالوفاء على ما قلت من الكلام وإن شاء الملك العلام أدعو كسرى يردك إلى بلادك بالخير الجزيل والعز النبيل ويفعل معك هذا الجميل وما زالوا وهم يقطعون الأرض والأماكن حتى وصلوا إلى المداين وكان دخولهم البلد فى يوم مشهود وفرحت به العشاير والجنود وكان طالع مسعود وخفقت على رأسه الرايات والبنود ونثر على رأسه مالا ممدود وقد جلس كسرى على سرير مملكته ومن حوله أكابر دولته ودخل عنتر والوزير البهلوان لداخل الإيوان وعنتر قايد والموبذان حتى أحضر قدام الملك أنوشروان فرفع رأسه إليه ونظر له نظرة الغضب وأخذه من فعل عنتر بن شداد العجب وقال له يا أبا الفوارس هذا أسيرك وقد بلغنى ما فعل بحقك وكان أراد قتلك وتدميرك وما فعل فى حقى وحق الملك أسفيدار فلذلك يوجب قتله والدمار فهنالك تقدم عنتر وقبل الأرض بين يديه ثم أنه أقبل بكليته عليه وقال العفـو يا ملك الزمان ومقصدى أن ترده لأرضه والمكان وإن عاد عصى عليك ورجع كما كان أكون

أنا المطالب به وأعيده إليك وهو فى الذل والهوان (قال الراوى) فزاد بالملك كسرى من عنتر تعجبه وحسن مودته وصفى باطنـــه فأطلقه لأجل خاطره وأعتقه ورد عليه أمواله وأعاده لأرضه وأطلاله بعد ما أخذ عليه العهد والميثاق وعاد إلى بلاده يقطع الأرض والآفاق وجعل الشيخ سوار بن كلهباو وكيلا وأنه لا يقطع أمراً دونه ففعل ذلك وساروا وهم يقطعون الأرض والمسالك وكان الملك قد أنفذ معهم ناظراً يطالعه بالأخبار يوماً بعد يوم هذا ما كان من أمر هؤلاء بتلك الأرض وأما ما كان من الأمير عنتر فإنه أقام أياماً قلائل وهو فى منادمة الملك وبعد ذلك طلب الرحيل فأذن له بعد أن دفع من المال شىء جزيل وقد أعطى كسرى خراج خراسان ذلك العام إلى أبى الفوارس عنتر الهمام ولمن معه من العرب والفرسان ففرق عنتر الجميع على من كان صحبته من قبائل العربان فنطقت الألسن لعنتر وساروا حتى وصلوا إلى الحيرة فأقاموا بها ليالى وأيام وجلس الملك الأسود على سرير ملكه وردوا عليه ما كان من أمواله واجتمع بأهله وعياله فعند ذلك تفرقت العرب لأوطانها وسارت بنو عبس وصحبتهم بنو فزارة وحصن بن حذيفة كثير الخوف والحذر من أبو الفوارس عنتر هنالك سبق الخذروف ووالده شيبوب يبشرون بقدوم عنتر وما زالوا سائرين حتى وصلوا القبيلة وشاع الخبر والتقت المقيمين بالقادمين والتقتهم العبيد والأحرار وفى أيديهما الدفوف والمزاهر وطلبت بنى فزارة منازلها وأطلالها ونزلت بنى عبس أرض الشربة بتلك المقام ونصبت الرايات والأعلام وأقام عنتر فى أكل طعام وشراب .

(قال الراوى) إلى أن كان يوم من الايام وعنتر بن شداد جالس بصدر المجالس وهو كأنه الاسد العابس وولده ميسرة وابن أخته الرطال بجانبه وبقية أهله وأصحابه من بين يديه وإذا بعبد من بعض عبيد الملك قيس بن مسعود سيد بنى شيبان وعليه ثياب الذل والهوان وعليه آثار السواد وهو كثير البكاء والتعداد وهو ينادى وأميراه واسيداه حتى دنى من عنتر بن شداد وقبل يده وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا حامية عبس فارسها وراجلها ... عند اشتباك الخيل والقنا تصدم
قتل خليلك بسطام وقد نفذت ... فيه المنايا وذلت بعده الحرم
أمسى قتيلا على المهـــاد مجندلا ... تجول من حوله العقبان والرخم
وإذلالنا بعد حامينا وفارسنـــا ... ياويل شيبان قد زلت بها القدم
جارت علينا بنو الاندال واحتكموا ... فينا ولانا ضرير حى لمن ظلم
مالوا على الاهل ميل المبغضين لنا ... وأكثروا فى الرجال الحى قتلهم

ومنك نرجو أبا الفوارس تدركنا فأنت خصم إلى من طال بأسهم
أبو الفوارس لا تأتيك نائبة ودمت فى آل عبس صاحب العلم

(قال الراوى) فلما سمع الهمام من العبد النظام وأخبره بقتل صديقه بسطام ما بقى يعرف اليمين من الشمال وبكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وقال للعبد كيف كانت هذه المصائب وكيف امتد لبسطام أيدى النوائب قال له يا حاميه عبس وعدنان قتله الهيلقان حامية بنى رميش وتلك المكان وكان السبب لقتله الامير بسطام كل عجيب وكان الامير بسطام نظر لجارية من بعض بنى رميش خطبها من أبيها فأنعم له فى الوقت والحال بها وأعطاه يده وتزوجها ووقع الرضا على شىء من الحطام وشهدت عليهم بذلك مشايخ الحى الكرام وكان المهر ألف ناقة سود الحديق طوال الوبر ومائة نعجة من المسك والعنبر ومن أصناف ثوب الحرير شىء كثير ثم أنه خلع على أكابر الحى وعقدوا من السماط لكل من هنالك حضر وبانت الناس فى أكل طعام وشرب مدام وكان الهيلقان بجيهة منتهام فبينما هؤلاء القوم فى السرور والافراح وإذا قد تغيرت الافراح أتراح كما قاله بعضهم رأى نعيما لا يكدره الدهر هنالك كبسهم الهيلقان بخمسة آلاف عنان ووضعوا السيف فى الصغار والكبار وسلبوا الاموال والاحرار وكان الامير بسطام ذلك الوقت سكران وهو طافح من خمر الدنان فركب على ظهر الحصان وتلقى الفرسان وهو ينادى أنا الامير بسطام حامية بنى شيبان وإذا بالملك الهيلقان وقد فاجأه وقاربه وداناه وطعنه فى جانبه الايسر جعله على الارض قتيلا معفراً واحتوى على العروس والمال وترك المنازل العامرة أطلال ورجع لارضه والاوطان وترك القوم ملازمين الندب والاحزان واجتمعت الابطال والفرسان عند الملك قيس بن مسعود المفتخر بخبر أبو الفوارس عنتر ويقوله يا أبو الفوارس بادر لنصرتنا عسى يديك تكشف كربتنا وتأخذ بالثار وتكشف عنا العار .

(قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر الهمام من العبد ذلك الكلام زادت بليته واشتدت مصيبته وقال إن لم أكن آخذ بالثار وأكشف العار ما أكون أنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد ثم أنه فى الوقت والحال ركب بخمسمائة خيال وساروا وهم يقطعون البرارى والقفار وشيبوب بين أيديهم يقتفى الآثار وقد زاد بعنتر الهيام وسار يبكى على الامير بسطام وأنشد يقول :

أسفى على بسطام الطعانى البطل الندب قوى الجنان
ما كنت من شداد عالى النسب ولا تعاليت فوق متن الحصان

يا آل قحطان عنتر جاءكم ... يبيدكم طعناً برأس السنان
اليوم تروني وترهبوا سطوتي ... وتيقنوا بالخوف بعد الامان
قتلتم إلى بسطام غدراً وقد ... كان شجاع الحرب يوم الطعان
فواحسرتاه كيف ما قد علا ... على جواده واستمد العنان
لكنها إلا قد ازدادت به ... أسنة من صافى عتيق الدنان
فتيقنوا بالمـــوت يا أمة ... خانت وما الخوان إلا جبان
فعنتر العبسى أنا الذى ... قتلكما عندى بأعلا مكان
وضمنت أخذ الثار من خصمه ... وعند لقاء الخصم أوفى الضمان

(قال الراوى) وما زال عنتر بمن معه من القوم مدة إحدى عشر يوماً حتى قاربوا حلة بنى رميش وذلك المكان هنالك أقبل شيبوب على أخيه وقال له أقم أنت ومن معك بهذا المكان حتى أسير وأكشف لكم الاخبار وأرجع على الآثار فأجابه إلى ذلك وسار يقطع الطريق والمسالك فما غاب عنهم سوى بقية ذلك اليوم ورجع وعاد حتى وصل إلى أخيه عنتر بن شداد فناداه هات ما عندك وخبرنا أبا رياح بالذى رأيت فى تلك الارض والبطاح فقال له إعلم أنى لما سرت من عندك أيها الاسد العرين دخلت إلى الحلة بجملة الفقراء والمساكين وسرت وسط المضارب والبيوت فى زى سائل طالب القوت فرأيت الحلة يا أخى ترتج بالابطال وتموج ومازلت دائر بالحلة من مكان إلى مكان وأنا أنادى وأقول أين من يسد رمق الجيعان حتى رأيت الملك الهيلقان وهو جالس كأنه الاسد العابس وهو بالحديد مسربل كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو قاعد فى طول الرجل القائم والشر يلوح على وجهه بعلائم والرب الكريم سترنى فما فيهم بحمدالله من عرفنى ومن الصواب أن تكونون مكمنين إلى الصباح حتى تخرج أموالهم للبر والبطاح وتغيروا على المال فعند ذلك يقطع الصوت وتخرج لكم الرجال هنالك يقع الحرب والقتال فلما سمعت بنى عبس من شيبوب مقاله أجابوه إلى ما ذكر لهم استحسنوه ثم أنهم باتوا على تلك النية إلى أن سار وقت السحر هنالك أفرغوا على أجسادهم السلاح وركبوا على الخيل الجرد القداح وما فرغوا من ذلك حتى أصبح الله بالصباح وقد طلعت الشمس على الروابى وخرج المال إلى البر وبقى مباح هنالك هجمت عبس على المواشى والجمال وفى أوائلهم عنتر ليث البطاح فساقوا أموال القبيلة وطعنوا بأقفية العبيد طعناً مثل فتوق الاعدال وهرب بعض العبيد نحو الديار وكان هروبهم عند اشتغال بنى عبس بذلك المال وفى دون ساعة ثار الصياح وركبت الابطال والعبيد تنادى وتقول أخذت الاموال فى

البرارى والتلال وتسارعت الفرسان وفى أوائلهم الهيلقان كأنه الاسد الغضبان وقد أرغى وأزبد وهو يخط الارض بأقدامه ويحرثها بهامه وهو يزعق ويقول خابت آمالكم ففى هذا اليوم أجازيكم على فعالكم وأنكل بكم أيشم تنكيل وهم يجردون فى أياديهم الصفاح فلما سمع عنتر ومن معه نداءهم ورأوا إلى هذا الجمع أتاهم أوكلوا بالغنيمة مائة فارس من الفرسان وعطفوا على الاعداء بأربعمائة عنان وكانت الأعداء التى من بنى رميش عشرة آلاف فارس ما فيهم إلا كل بطل ممارس فصاح عنتر بالشارات الأمير بسطام البطل الهمام وزعقت بنو عبس الثار الثار البدار البدار لله در عنتر وميسرة كردس الأعادى خمسة خمسة وعشرة وكذلك الامير مازن ياما قتل وسبيع اليمن ياما فعل ومازال بينهم الحرب إلى أن أقبل الليل ورجعوا بنى رميش وفى أوائلهم الملك الهيلقان ولكنه فى غاية الذل والهوان وهم يقولون له ما عملت معنا من الخير بقتل الامير بسطام وثانياً عدمنا الرأى باتباعنا لبنى عبس وعدنان وإن جرى لنا غداً معهم مثل ماجرى لنا فى هذا اليوم لم أبقوا منا ولا إنسان لأنهم اليوم أبادوا فرساننا ونكلوا بأبطالنا وإن هربنا بلونا بالذله والعار وخربوا أرضنا والديار وسبوا ما لنا من العيال ونهبوا ما لنا من الأموال وقد ضاقت صدورنا وحرنا فى أمورنا .

(قال الراوى) فلما سمع الملك الهيلقان من بنى عمه هذا الكلام قال لهم اعلموا يا بنى الأعمام أن الحرب ثارات وساعات وأوقات مقدرات والشجاع لا يحدث نفسه فى كل وقت بالغلبة والنصر وإنما الرجال تصبر على البلاء والخطر فما هذه عزائم الرجال ولاهى همم الأبطال وما يقتل منكم ومنهم إلا من يكون دنا أجله وقرب إلى المقابر مرتحله وموت الرجل فى الحرب قتيل أخير مما يموت على فراشه ذليل ومن تكونوا هؤلاء الأنذال حتى حل بكم منهم الخوف والإذلال فأين الهمة الرمشية والفروسية الجاهلية القحطانية وها أنا عند الصباح أبرز لقتالهم وألتقط يا بنو الأعمام أبطالهم وتعاينوا فعالى من فعالهم وأبلغكم آمالكم وأبلغ آمالى وبانت الفريقين فى تلك الأرض والبطاح إلى أن أصبح الله بالصباح وتواثبوا للحرب والكفاح بعد ما ركبوا على الخيل الجرد القداح واصطفت الأبطال والفرسان وبرز الهيلقان وصال وجال وأنشد وقال :

لا بد من حرب وطعن الأسمر الأسل ... والضرب بالبيض فوق الهامات والقلل
أنا الهزبر وكل الناس تعرفنى ... بالهيلقان والتى الفارس البطل
يا آل رميش اشهدوا لى أننى بطل ... ألقى الأسود نهار الروع فى الدحل
يا آل عبس ابرزوا إلى وانظروا بطل ... ليث يحاكى القضاء فى الحرب والأجل

فأين أسودكم يبرز إلى أسد بالميلقان سمى حقاً بلا زلل
فاليوم أقتله صرعاً وأقهره وبعد هذا فلا يسل ولا يسل

فما تم الميلقان كلامه ونثره ونظامه حتى برز إليه عنتر وصار قدامه ولما نظره بالعين قال له يا كلب هذا اليوم آخر مالك من الأيام ولا بد من قتلك فى ثار الأمير بسطام ثم أجابه على شعره يقول:

أنا البطل الكرار فى حومة الوغا إذا عثرت فرسانها بالجماجم
ودنت الرجال مع الرجال وأرعدت بكاس المنايا من حدود الصوارم
ولاحت علامات الشجاع بلا اخفا وذل الجبان النذل مكسور نادم
فإنى أصليها وأقهر كماتها بطعنة عسال وضربة صارم
ولا أنثنى يوم الوغا عن ملمة وإنى لكرار ونعم مقاوم
رويداً لقد حدثتك نفسك باطلا وأنت الذى أضمرت أحلام نائم
فتلقى فتى لا ينتج الدهر مثله ولا تنطوى عمن سواه الملاحم
اليوم تلق فارساً أنت طالبه وتبقى طعاماً للنسور القشاعم
وأخلى بنى قحطان ينعوك حسرة بين النساء يندبن عليك المآتم
أنا عنتر العبسى فارس قومه مردى الأعادى بالسيوف الصوارم
ونحن بنو عبس الكرام وجدنا على أعلا العلا من فوق أعلا الدعائم
تجيد طعن الرمح فى حومة الوغا ولا أنثنى يوم العطا بالمكارم

ولما فرغ عنتر من نظمه صرخوا على بعضهم صرختان عظيمتان تتعتعت لهما الجيشان ورفعت الخيل رؤسها وظنت الفرسان أن السماء فتحت أبوابها وأظهروا ما كان فى القلوب من الحقود ثم أن عنتر قام فى ركابه وتمطى وضربه بالسيف على وريده أطاح رأسه فلما نظرت عشائره ورأت ما حل به من عظيم مصابه صاحت وولولت وعلى عنتر حملت وهم يقولون شلت أناملك يا ولد الزنا لقد قتلت سيد كريم وبطل عظيم ثم رمت الخوذ عن رؤسها ووطنت على الحرب نفوسها وأطلقت الأقومة والأسنة وقد انطبقوا على عنتر هنالك حملت بنو عبس الغرر وتكردست على عنتر المواكب ومالت عليه الفرسان من كل جانب ولما نظر ميسرة لوالده وقد دارت به الجحافل صرخ فى بنى عبس بصوت مثل الرعد فحملت وفى أوائلهم عروة بن الورد وحملت الخمسمائة أصحاب عنتر بن شداد واشتد بينهم الحرب ووقع بينهم الطعن والضرب حتى انكسرت حدة بنى رميش وذلوا بنى طى

وقحطان فولت أبطالهم من الميدان وولى الجميع الادبار وطلبوا الهرب والفرار وقد حل بهم الدمار وما كان لهم صبر ولا قرار وضاق بهم كل مكان بعد قتل ملكهم الميلقان وعادت بنى عبس جمعت الخيول والاسلاب وقد أحلوا ببنى قحطان العذاب ولما جمعوا الغنائم والاسلاب بعد ذلك هجموا على المضارب والقباب ثم قتلوا من تخلف من المشايخ والشباب ونهبوا ما هناك من الاسلاب وعادوا وهم زائدين السرور والافراح وقد تباشروا بالنصر والفلاح وما زالوا راجعين وإلى نحو ديار بنى شيبان طالبين والغنايم تنساق أمامهم وعبد الملك قيس بن مسعود سيد بنى شيبان يجرى أمامهم وهم يقطعون البر والصحراء والعبد يشاهد كل ما وقع وجرى لأن عنتر ما مكنه من الرجوع إلى ديار مولاه بل قال له اصبر حتى تأخذ الثار وتسير لسيدك وتحضر المعزى (قال الراوى) فبينما عنتر ومن معه من بنى عبس يقطعون البر والفلا وهو مع أصحابه فى حديث الميلقان وقومه بنى رميش إذ لاح لهم غبار وقد ملأ الارض والاقطار وبان من تحته لمعان أسنة الرماح وسمعوا قعقعة السلاح هنالك أمر عنتر أخاه شيبوب يكشف له الخبر فغاب وعاد على الاثر وقال له هذا الملك قيس بن مسعود ومن معه من بنى شيبان وجاتهم تسعة آلاف عنان وقد أتوا طالبين لثار الامير بسطام وما يعلمون أنك قتلت الملك الميلقان وأسقيته كاس الحمام فعند ذلك تلاقوا الفريقين مع بعضهم البعض وترجلوا عن الخيل فى تلك الارض والتقى الملك قيس بعنتر وقبله فى صدره هنالك قبل عنتر بن شداد يديه وقال له ها أنا قد أخذت لك الثار وأزلت عن بنى شيبان العار ثم أخبره عنتر بما ذكرناه وقال له قتلت لك الملك الميلقان وأذقته الموت ألوان ورجعنا بالغنايم قاصدين وإلى أياديك الكرام واردين لنخبرك بما رزقنا الله من الفتح المبين والتمكين فلما سمع الملك قيس بن مسعود من عنتر هذا الخبر حل به السرور واستبشر ولما فرغوا من الحديث والكلام نزلوا فى المضارب والخيام بتلك المقام وأركزت الرايات والاعلام وأمر عنتر العبيد والخدام بترويج الطعام وفى ساعة الحال أقبلت الأطعمة صحبة العبيد والغلمان فأكلوا وباتوا فى ذلك المكان وعند الصباح قد ركبوا على الجرد القداح وساروا يقطعون البر الاقفر هذا وعنتر على ظهر جواده الابجر إلى جانبه الامير هانىء بن مسعود الغضنفر والملك قيس أبو بسطام من الجانب فلما زاد بعنتر الوجد والهيام أنشد وجعل يقول

قف يا خليلى بالعقيق وسلها ... على من له الإحراق والقلب تضرما
فذاك خليل فارس فى الورى ... إذا امتزجت يوم الهياج ملاحما
تشد به خيلا إذا ما تلاطمت ... نهار العدا والجو أقتم مظلما

وتبكيه شجعان إذا ما تراسلت سهام المنايا بين خير معلما
وتندبه الشجعان فى كل محفل إذا طرقتهم فى الصباح مأتما
خليلى قد صرت رهيناً على الثرى يقلبه سبع القفار وقشعما
همام غدا يبكيه فى الحرب مثله إذا نادت الابطال للموت دائما
أيا صاحبى فقدى لبسطام هدنى وأجرى دموعى فوق خدى سجما
ستندبه الخيل العتاق لانها به فقدت قرماً هماماً مقدما
يبيد العدا فى حومة الروع ماجداً له الهمة العليا وكان لنا حما
يا سيدى بسطام يا فارس الثرى عليك سلام الله من محب متيما
سقى تربة من كل هطل مازن لها نسمات من عطير محتما
فن لبنى شيبان إذا قحمتها العدا صباحاً وفيها كل نحرير مقتما
لموت صاحبى قد انهمل دمعى لفقده على صحن خدى دائماً متسجما
ترى من يرد الخيل عند هجومها ومن يضرب الهامات والجوم مقتما
عليك سلام الله يا فارس القنا ويا أسد من حربه الاسد تهزما

قال فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات بكى الجميع وبكى أبوه الملك قيس بكاء شديد وأشار يرد على عنتر وينعى ولده بسطام بهذا النظام :

وهى جلدى من بعد فقده لحبايبى وعز اصطبارى يوم قل المصايب
وأصبحت أبكى ربعهم وديارهم وأندبهم ما بين خل وصاحب
أيا ولدى بسطام يا غايه المنى قد كان ذخرى عند يوم النوايب
أيا ولدى بسطام قد ضمك الثرى وكنت لنا فى النايبات تحارب
بعدك فاض الهموم بخاطرى وأنحلتنى وأشعلت منى مذاهب
وخلفتنى أدعو لمن لا يجيبنى وشمس لقد غابت وعز مطالب
إذا ثارت الحى أبدوا تعجباً أرى وجهه ليكون بين القرايب
أقول وقد وافى الرحيل إلى اللقا يحل بقلبى النار من كل جانب
وقد حان حينى ومن يكن لى مسعداً وكهفى قد أمسى عفير الترايب
وحصن بنى شيبان أصبح هاوياً وقد بان عنه حلة مع أقارب
نحن لبنى شيبان إن أصبحوا العدا بساحتهم يرجون سبى الكواعب
وأصبح نقع الجواد أسود قاتماً ودارت بنا الفرسان من كل جانب
وانتدبت شجعانها ورجالها وقد أقبلت فرسانها والجنائب

فمن ذا يرد الخيل يا أوحد الوغا ... ويا من سمى فى عجمها والاعارب
سيندبك السيف اليمانى إذا غدا ... بكف جبان لا يرد النوائب
وتبكيك قوم أسرعوا الملمة ... يريدون كشف الغيم يا نعم صاحب
ستندبك الاظعان إذا ما تبادروا ... يرمو القوى يا واحد وأنت غائب
وتندبك القصاد يا فارس الورى ... إذا ما أتوا يبغون منك المطالب
أيا فارساً قد هد ركنى لفقده ... وخلفنى مضنى عظيم المصائب
أيا عنتر العبسى بسطام قد غدا ... رهين الثرى من دون كل الاعارب
يا كاشف الكربات أنت ذخيرتى ... وكهفى إذا اشتدت على المصائب
غدا الفارس المشهور فى كل مشهد ... وخلفنى أندبه بين النوادب
فلو كان يعدى كنت أفديه بمهجتى ... ومالى وخلانى وجميع حبائب
ولو كان من يفدى به لفديته ... بروحى وجسمى وكل القرائب
ولكن بهذا قدر الله فى الورى ... ولا يدفع المقدور يا إبن الأطايب
وكل امرىء لا بد له من مسيره ... ببطن الثرى مفقود بين الحبايب
ألا يا حمامات الأراك قفى واسمعى ... لأبكى على من هد ركنى وجانب
وخلفنى أبكى ليال طويلة ... وأبكى على التشتيت بين السباسب
أبكى على من ضمه اللحد هاوياً ... وقد كان للخلان كفء مصاحب
سقى قبره بالغيث والمزن دائماً ... لانه من قوم كرام أطايب
وسلامى عليه ما حييت وإن أمت ... مقيم على عهدى ولست بكاذب

(قال الراوى) فلما فرغ الملك قيس بن مسعود من إنشاده بكت عشائره وأجناده هنالك أشار الأمير هانىء بن مسعود يقول :

مابالى دمعى على الخدين يسيلا ... لمصاب قد حل عما أقولا
إلى فرقة الخلان مالى نصيرا ... وتركنى من بعده فى نحولا
سقى قبره الغيث والهطل دوماً ... من رب مجد ونعم الجليلا

(قال الراوى) وما زالوا وهم سائرين قاصدين قبر الأمير بسطام حتى وصلوا إليه وترجلوا ونزلوا عليه ثم أن عنتر فارس الارض والآفاق ذبح على قبره ثلثمائة من النياق وتباكوا بكاء شديد ما عليه من مزيد وعول عنتر على الرحيل فقال له الملك قيس مالك أيها الأسد النبيل ما تسير لأرضنا والبيدا لاجل نجدد بك عهداً فقال له عنتر أما تعلم أن قبيلتى ما يسرهم ذلك وأنى خائف عليهم من عدو يأتيهم فقال له الملك قيس بن مسعود إن فراقك عندى أعظم من فراق الارواح من الاجساد فلا عدمتك من خل صافى القلب

والفؤاد فودعوا بعضهم وسار كل فريق لما له من الأرض وما زال عنتر الأسد الريبال سائراً بمن معه من الأبطال إلى أن أشرفوا على أرضهم والتقت بهم المقيمون من أهلهم ودخل كل منهم فى مضاربه وقر بعنتر بن شداد القرار وآنست به الأهل والديار ليوم من الأيام وعنتر جالس بعد ما أخذ ثار الأمير بسطام والخيمة مشرعة الاذيال وعبلة إلى جانبه ووجهها يغلب نور الهلال والمكان عابق من المسك الأذفر وقدح من الخزف بيد عنتر بن شداد وهو يحكى لعبلة كيف أخذ ثار بسطام من الميلقان وهى تقول له نعم ما فعلت يا ابن العم فوالله لقد زاد عند الناس مدحك وإذا بشيبوب أقبل وهو فرحان ويضحك فقال له عنتر ما هذا الضحك يا شيبوب قال له إعلم أن الأمير عروة أتاه ولد من الملكة ودعه فلما سمع هذا المقال فرح فرحاً شديداً وقال وحق ذمة العرب إنك فرحتى بهذا السبب ثم أمر أخيه شيبوب أن يذبح مائة ناقة بعزم وتمكين ويفرقهم على الفقراء والمساكين ويذبح مائتين أخرى ويجعلها وليمة للملك قيس وإخوته والربيع بن زياد وإخوته وتكون الوليمة على غدير ذات الأرصاد ويأكلون من وليمة عنتر بن شداد وكان ذلك إكراماً منه لعروة ومحبة ونخوة ففعل شيبوب ما أمره به أخوه عنتر وقام فى الوقت والحال يحو النياق وطبخ الطعام وقد أكل الخاص والعام واختلطت الحراير بالإماء وكذلك العبيد والسادات وضربت الدفوف بعلو الأصوات وتحسنت الأوقات وما منهم إلا من فرح لعروة بهذا الولد وحل بهم السرور وزال النكد وفرح عروة بما فعل عنتر فى حقه ونهض وقبل يديه فهناه عنتر وقبله بين عينيه وأنشد فى حق عروة هذه الأبيات يقول :

دامت لنا هذه الأفراح والنعم ... فإن أعداءنا بالذل والنقم
ولا برحنا مدى الإيام فى دعة ... بدولة الملك الضرغام ذى الكرم
مولاى قيس لك الشجعان صاغرة ... وسيف عزمك مشهور على الامم
فقد أتى عروة الضرغام يهنا بما ... وافى غلام جليل زايد الكرم
أنا به قد سعدنا فى جحافلنا ... وزادت أفراحنا بالفارس المضم
يا عروة أحييت لنا كل نايبة ... وعش سعيد على الاعراب والعجم

(قال الراوى) فلما سمعوا بنى عبس من عنتر هذه الابيات زادت بهم الافراح والمسرات ونهض عروة على الإقدام وأشار بمدح عنتر ويقول:

كفيت ياذا المعالى سائر النقم ... وزدت فى درج العلياء والكرم
أبو الفوارس لا تأتيك نائبة ... ولا برحت مدى الايام فى نعم

لا زال حمدك مقيما فى مشارعها ... وعربها وملوك العرب والعجم
لكم نظرت الشجعان ما خفقت ... إليك يا فارس الهيجاء والهمم
وكم كشف الحرب يا أملى ... بصارم يفلق الهامات والقمم
أولاك ربك ما ترجوه من نعم ... بين الانام وقد سارت لك الامم

(قال الراوى) فشكره عنتر وأثنى عليه وأمر له بخلعة رميت فوق كتفيه ووهبه خمسمائة ناقة من النياق العصافيرية وخمسين جواداً بعدتها وقضوا نهارهم بالمسرات وزال عنهم الاتراح وكان عروة سمى ولده زيد فأمضى أيام قلائل حتى كبر وانتشى ومشى وطلع ولداً نجيباً صاحب عزم واهتمام أحب ما عليه الحرب والصدام وظهر بأعطافه روائح بنى عبس وسار أبوه عروة كل يوم يخرج إلى الميدان ويعلمه الحرب والطعان ويخرج به إلى الصيد والقنص فيوم من الايام خرج زيد بن عروة على حالة الانفراد وغرق فى البرارى والمهاد فرأى روحه تائهاً فى البرارى والفلاة فسار إلى أن غابت الشمس وقد تاه عن طريق بنى عبس فأشرف على حلة من الحلل كأنها البحر الزاخر وهى قبيلة عامرة لا يعرف لها أول من آخر فلما رآها حل به الفرح وزال الترح ومازال حتى قارب المضارب والخيام ورأى الرجال فرمى عليهم السلام وقال لهم من تكونوا هؤلاء من القوم من العربان فقالوا له نحن فرقة من بنى شيبان والمقدم علينا الامير كوكب بن مجالد وهو رجل سيد وكريم وباذل ماله لكل مسافر ومقيم فلما سمع زيد بن عروة منه هذا المقال فرح بهذه الامور فإن الامير كوكب صاحب عروة أبيه وبينه وبين عروة وداد مستقيم قال والسبب أن عروة كان صاحبه فى بعض غزوات وأن عروة خلص كوكب هذا من القتل فى بعض الوقعات فلما سمع زيد من العبد هذا الكلام سار معه إلى بين يدى الامير فتلقته العبيد بلطافة وأخذوه وأنزلوه فى بيت الضيافة وتعجبوا من جماله وصورته وأخذوا الجواد يسيروه وجلس زيد بدار الضيافة وقبلوا يديه وقد فرح به الامير كوكب وآنسه وأكل الزاد معه وقال له شرفت بك المنازل وهذه الديار وطابت بك يا ابن أخى المزار ثم أنهم بعد ما أكلوا الطعام قدموا له آنية المدام وبات ليلة هنية وهو من الخمر نشوان فعند الصباح أراد الرجوع إلى ديار بنى عبس وعدنان بعد ما تودع من الامير كوكب وأصحابه وقصد ناحية أهله وبلاده بعد ما لبس عدة حربه وجلاده وأراد أن يركب جواده فنظرت عيناه جارية خماسية القد تفاحة الخد مياسة القد كأنها قضيب بان أو غزال عطشان فأنشد يقول :

بيضاء طيبة الحديث كأنها ... قد توسط جنح ليل أسود

وترى عيناها ترق مقلة سوداء تعرف ثماد الأثمد

(قال الراوى) وكانت تلك النظرة أعقبته ألف حسرة ورشق منها بسهام ووقع في بحر الغرام وهي أيضاً وقعت عينها عليه فوافق شكله شكلها واحتوى عليها قلبه فتبسمت فى وجهه فأحرقته وألهبته فعند ذلك أنشد يقول :

لما نظرت إلى محاسن وجهها سبقت على النار فى أوصال
بيضاء يحكى البدر ضوء جبينها يزهو كمثل المرهف الفصال
تشفى فجائع من أراد عناقها بريق عذب الرضاب زلال
تفوق نور الشمس طلعة وجهها بسلاف خالصة من الجربال

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية هذه الابيات علمت على أنه من أجلها فتبسمت عن شفائف كأنهما مرجان ورمته بسحر من طرف فتان فبينما هو كذلك إذا مر به بعض العبيد فقال له زيد يا مولد العرب من هذه الجارية فقال له هذه الربابة بنت ماجد بن حسان فقال له زيد هى ذات خدر أم ذات بعل فقال له هى ذات خدر قال فلما عرف إسمها لم ينطق بحرف واحد ثم اعتمد على عدم الرحيل فلما كان من الغد دخل عليه الامير كوكب بن سيار عم الجارية الربابة فقال له زيد إعلم يا عماه أنى قد جئتك خاطب لإبنة أخيك الربابة فلما سمع كوكب ذلك فرح وقال له أنت غاية المطلوب ثم أنه أحضر أباها وأعلمه بذلك فلما عرف أجاب ودخل على إبنته واستأذنها فى ذلك فأجابت فرجع إلى زيد وقال له قد أجبتك فيما تريد فقال له زيد اقطع المهر فقال له حتى يحضر أبوك فوالت حسرته وركب من وقته وساعته وقلبه من الفرح قد طار وهو ينشد ويقول :

يا من تعلق بها قلبي من الناس حلت بقلبي محل العين فى الرأس
أستغفر الله ربى فى هواك فما على منه بحمد الله من باس
قل للغزال الذى أهواه يرحمني رعيت قلبي وقد قطعت أنفاسى
بحسن وجهك يا من لاشبيه لها لا تشمتين العدا يا أحسن الناس

(قال الراوى) ثم سار زيد إلى أن وصل الاحياء وكان أبوه عروة من أجله على مقالى النار وهو لا يقر له قرار لانه ما علم أين سار فبينما هو كذلك وإذا قد وقع الصوت بقدوم زيد فقال عروة ما الخبر فقيل له ولدك زيد قد حضر فنهض إليه وضمه إلى صدره وسأله عن غيبته فأخبره بقصته وما جرى له وكيف نزل فى بنى شيبان ونظر إلى الربابة وأعلمه بالاسباب فلما سمع عروة من ولده ذلك الكلام تجهز من يومه وأخذ معه رجاله وسار مع ولده يجد السير فى الآكام وزيد ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ولما تهيأ للرحيل جمالها ... وجد بنا سيراً ففاضت مدامع
وقالت وعيناها تسح مدامعاً ... فديتك خبرنى متى أنت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر ... يسير وما يدرى به الدهر صانع
صبرت وقلبى للفراق معذب ... وقد غلبتنى زفرتى والمدامع

(قال الراوى) فلما سمع عروة شعر ولده وما أنشده من النظام علم أنه فارس همام وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بنى شيبان فعلم سيار وكوكب بقدومهما فخرجا إلى لقائهما واستقبلوهما من أبعد مكان وأمر المولدات باصطناع الطعام فأكلوا وشربوا المدام وبعد ذلك نهض عروة قائماً على الاقدام وقال يا وجوه العرب إننى راغب فى ذلك النسب فقالوا قد وجب فقال عروة لأبى الجارية اقطع المهر يا سيد قومه فقال والله لا كان ذلك واعلم أن إبنتى لك أمة ولولدك جارية ففرح عروة وقال له جوزيت خيراً بل تحمل مهر إبنتك ألفين ناقة مثل مهر بنات الملوك وخمسين رأس من الخيل الجياد وعشرين ثوباً من الديباج ومائة عبد ومائة أمة ففرح أبو الجارية وقبل كل واحد صدر صاحبه ثم مضى عروة وولده وبنى عمه إلى ديارهم وأنفذ عروة الذى اتفقوا عليه فقال أبوها سمعاً وطاعة ثم جهز أمر إبنته وعقد لها رصافية من الذهب وجللها بثوب أطلس مدثر وركبها على جمل أحمر وركبت جميع بنى عمها والعبيد بين يديها وساروا يجدون المسير وهم متقلدون بالسيوف ولا يخشون من طوارق الحتوف وساروا تمام ذلك اليوم ومن الغد ضاحى النهار وإذا قد طلع عليهم غبار ومن تحته سبعمائة فارس كرار يقدمهم فارس عنود فى تقاطع الأسود غارق فى لامته متقلد بصمصامته كما قال فيه واصفيه حيث قال :

وصار فى جده موج موجه ... يقصر فى صمصامه ويطول
ترى فوق جنبين الفرند كأنما ... تنفس فى الأنفاس فهو صقيل
حسام غداة أروح يجلى كأنه ... من الله فى قبض النفوس رسول
كأن قرون الدر يكسون قرنه ... فوالله كم قرن هناك جديل
وإن لاحظ الابطال وامتد للطلا ... بحسام يناهى حده ويطول

وكان تحته جواد سابق رقيق كأنه القبة المبنية أو العروس المجلية كما قال

سبقت الريح لما كان تحتى ... حصان لا يقاومه حصان
إذا سار يطوى الارض طياً ... صبور عند إلفات العنان

وكان هذا الفارس يقال له زيد بن جعفر وهو فارس جبار وبطل مغوار شديد البأس

صعب المراس وكانت سائر الفرسان تفزع من صولته وتخاف من هيبته وهو قد شردهم من أوطانهم لكثرة غزواته لانه كان يغزو بلاد الحجاز وبلاد اليمن وكانت فى هذه المرة معه سبعمائة فارس من كل ليث عارس يقدمهم فارس كانه عامود فى تقاطيع الأسود غارق فى لامته ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر وتحته جواد سابق وصولته على خصمه مرافق وعليه درع منضد وكان هذا الفارس يقال زيد بن سلمة بن جعفر ابن يربو بن حنظلة فلما أقبلت عليه تلك الجارية الربابة وهى تحمل أبى بعلها زيد بن عروة فقال لجماعته واقه يابنى عمى هذه غنيمة فدونكم والحلة فعند ذلك ركبوا وقوسهم فى القرابيص وحلوا مثل الاباليس وهم ينادون يااليربوع الغنيمة وقد أقلبوا بصياحهم البر وهم يقولون ويلكم خلوا عن المال والعروس وانجوا بانفسكم سالمين وهو ينادى أنا ابن سلمة القرم الوثوب والفارس الموهوب ثم أطبق عليهم بقلب قوى فعند ذلك حمل أبو الجارية ووقع القتال وجرى الدم وسال وكثر القيل والقال وقد أطبق زيد بن سلمة على أبو الجارية وتعلق بدرعه وجذبه وأخذه أسير وسلمه إلى بنى عمه حقير وحمل على بقية الخيل فرقها بطعن مثل نار الحريق فلم تكن إلا ساعة ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وحاز زيد بن سلمة الهودج والاموال وعاد يطلب أرضه وقد أعجبته نفسه فانشد يقول :

لمن الديار كوسمة الموسم أمسى ينوح بها الغراب الاسحم
مدت بها ريح الصبا فتنكر أعلا بقية قومها المتعادم
كانت أنيسات بهن فأصبحت قفراً فيالك فى الخليط المنسم
آه وآه من فرط الصبابة والجوى لذعت فؤادى مثل لذع الارقم
فأسأل بنى يربوع عنى الوغا أهل الحروب وكل ما لا يعلم
قومى سراة الناس عند مجالهم يوم الهياج بكل أدهم ملجم
أبداً أخوض الحروب بعزمة تشفى صدورهمو برأسى مضرم
تقلوا الصوارم فى الحروب ويفتد ى والخيل نافشة الحوافر بالدم
يخرجن من حالل الدروع عوابس مثل السباع بكل أسد ضيغم
وبكل مداد الكعوب منازل يسمو على الأقران غير معلم
ففرقت جمعهمو بهمة فارس تحت العجاجة فى الغبار الاقتم
وأخذت كل خيولهم ورجالهم بمهندى يفرى الهمام المقدم

(قال الراوى) وسار وهو فرحان بما وصل إليه فهذا ماجرى لهؤلاء وأما زيد بن عروة

فما على باله من أحد وإذا وصل الصياح إليهم بأخذ الجارية فصعب ذلك عليهم وفى الحال نادى عروة بن الورد فى رجاله وأما ولده زيد فبقى مسلوب العقل طائر الفؤاد فسار معهم عند ذلك ميسرة بن عنتر ومازن وسبيع اليمن وأسيد بن مجيد وسابق ولاحق وكان عنتر غايب فى هذا الوقت وميسرة بن عنتر بين غائص فى شكته غارق فى لامته وهو ينشد ويقول :

لقد علمت رجال الحى أنى ... أفلق هامة البطل الشجاع
وأخرق صدر أعدائى برمحى ... إذا اغتم عن القيل الفزاع
وإنى فى الحروب لهيب نار ... لها فى كل معركة شعاع
فقولوا لابن جعفر أن حربى ... يكثر من نسائهم النواع
وإنى فارس الهيجاء حقاً ... أبدد شملكم وسط البقاع

(قال الراوى) فلما فرغ عروة بن الورد وولده من شعره فرحا وأما ما كان من زيد بن سلمة بن جعفر فإنه سار بالأموال وهو يفتخر بنفسه فبينما هو كذلك وإذا بخيل بنى عبس قد طلعت عليهم وهم ينادون أبشروا بالدمار وقلع الآثار فلما سمعتهم الجارية فرحت ونادت يا زيد أنا عروستك أخذت بيد الأعداء فأرنى طرفاً من شجاعتك وما أنت عليه من قوتك فلما سمع زيد بن عروة كلامها وما أبدته علم مرامها وحمل على أخصامه وهو مع حملته ينشد ويقول .

خلوا الضغاين واذهبوا يوم اللقا ... فأنا الهزبر الضيغم المفضال
قومى بنو عبس الكرام أولوا النهى ... شرف الفخار لهم على الأبطال
لهم الشجاعة والبراعة والعلا ... والمجد والإحسان والإفضال
الضاربون الهيام فى حومة الوغا ... شرفت بهم عدنان فى الإيصال

(قال الراوى) ثم أنه ركب رأسه فى قربوص سرجه وحمل وغاص فى أوساطهم وطعن فارساً أرداه والثانى أهواه والثالث عن جوادة أرماه والرابع تركه قتيل فى البر والفلاة وما زال يضرب فى صدورهم ويطعن فى نحورهم هذا وميسرة لم يحرك ساكن بل نزل عن جواده ووقف يتفرج على زيد بن عروة وينظر إلى طعنه وضربه وصدامه فلما رأى ما قد جرى وأنه دارت به الرجال وأحاطت به الأبطال صرخ ميسرة فى وجوههم صرخة دوى لها البر وحمل يطلب الكر والفر وحمل بعده عروة بن الورد وقد احترق

فؤاده على ولده وحمل بعده مازن وسبيع اليمن وسابق ولاحق وحملت المائة فارس وعمل بينهم القتال وعظم النزال وحملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال واختلط الجمعان وامتزج الفريقان وكثر ضرب الصارم اليمان ولم يزالوا على مثل ذلك الشأن فى الجد والطعان حتى كشفوا الرحال عن زيد بن عروة وخلصوه من تلك الغمة ونظر بنو يربوع إلى مائة فارس كأنهم الأسود العوابس وقد تكفلوا بقتال السبعمائة فارس وفى أوائلهم ميسرة وإلى جانبه عروة بن الورد وولده زيد صاحب القريحة كأنهم الأسود الضراغم أو النسور القشاعم وقد اشتبك الحرب ووقع الطعن والضرب والتحمت الكتائب وعملت القواضب وظهرت العجائب ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل حتى حجز بينهما الظلام وخفيت مواضع الأقدام وانفصل الجمعان ونزلوا عن ظهور الخيل فى الميدان وقعدوا يتحدثون وقد أضرمت من الطائفتين النيران ولم يزالوا على مثل ذلك الحال إلى أن برق النهار فركبوا على ظهور الخيل الجرد القداح بعد أن غاصوا فى السلاح ومدوا إلى بعضهم البعض عوامل الرماح وإذا بزيد بن عروة قد برز بين الصفين وأشهر بين الفريقين ونادى يا بنى يربوع من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا زيد بن عروة بن الورد العبسى قومى من بنى عبس الكرام والفوارس العظام المسمون بين العرب بفرسان المنايا والموت الزؤام ها قد برزت إلى الميدان وموقف الحرب والطعان وكان قد بات ليلته لا يغمض له جفن ولا يلتذ بمنام وكيف أنه لم يقدر على خلاص زوجته وأسر أبيها مع بنى يربوع لأن الذى أسره كان فارس كرار وبطل مغوار لا يهاب الممات ما له همة غير شن الغارات وكبس الديار العامرة وسبى الحرائر المخدرات وهو ابن عم عتبة بن شهاب اليربوعى إلا أن زيد لما نادى ذلك النداء وطلب البراز وسأل الإنجاز وإذا بفارس قد برز إليه طويل القامة عريض الهامة وهو أسد نبيل فى تقاطيع الفيل وحمل عليه من غير خطاب ولا جواب وطعنه طعنة شاذة فانحرف عنها زيد وقاربه بالحصان وضربه بالسيف على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فزعقت بنى عبس زعقة الفرح لا سيما أبوه عروة زال عنه الترح فبرز إليه الثانى وقتله والثالث جندله والرابع زمله والخامس أهلكه وما أمهله والسادس عجل إلى المقابر مرتحله والسابع سقاه كأس أجله والثامن دمره والتاسع محقه والعاشر قطع عنقه ومازال يقاتلهم وعلى وجه الأرض يجندلهم ولما علم زيد بن سلمة اليربوعى أن هذا الغلام هو زوج الجارية صاحبة الهودج قال فى نفسه إذا لم أخرج أنا إليه وآخذ روحه من بين جنبيه وإلا ما يحصل لى هذه الجارية فخرج إليه زيد فى عدته غائص فى لامته وعلى رأسه بيضة

عادية ترد أسباب المنية متقلد بصفيحة هندية ومعتقل بقناة خطية وتحته جواد مضمر بحافر كالدرهم منسب فلما نظر ميسرة إلى ذلك الفارس العظيم علم أنه جسيم وعلم أيضاً أن بنى عبس ما فيهم من يلقاه فخرج إلى زيد بن عروة وقد خاف عليه ولا سيما عروة فإنه خاف على إبنه من الويل والعطب لما برز إلى فارس يربوع فلما خرج إليه ميسرة فاطمأن قلبه على ولده هذا وميسرة قد وصل إلى زيد وقال له عد مكانك فإنه قد لحقك بعض التعب فرجع زيد وزعق ميسرة على فارس بنى يربوع فأوقفه عن الحملة وقال له أى شيء الذى أطمعك فى أموال بنى عبس وحريمهم حتى أنك سرت إليهم دون غيرهم فقال له أطمعنى عزمى وجنانى وسيفى وسنانى وأنت ياأسود يازنيم يا وغد يالئيم أبعدت عنى خصمى ووقعت أنت من قسمى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يقاتله ويضاربه فجالا طويلا واعتركا ميلا وتطاعنا طعناً شقياً ثم إفسحا فى الأرض ميداناً وأجادا ضرباً وطعاناً وانطبقا كأنهما جبلين تصادما أو بحرين تلاطما فبينما هما فى طعانهما وإذاً بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبريق الخوذ لمعت ساعة وانقشعت وظهر من تحته عشر فوارس ما منهم إلا كل ليث ممارس يقدمهم فارس الجلاد ومبيد الأبطال الشداد أبو الفوارس عنتر بن شداد والكل ينادون ياالعبس ياالعدنان ياالعينيك يا زيد يا أسد الفرسان قال وكان السبب أن عنتر كان غائب عن الحى وأخوه شيبوب وجرير والخذروف وعمه مالك وابن عمه عمرو ومجيد بن مالك وابن أخته الهطال وعياض بن ناشب وبهيج بن حازم وورقة بن زهير وأخيه الحرث كانوا ركبوا فى طلب الفرجة على الغدران وأوسعوا فى البر للصيد وانتهاز الفرص وغابوا جملة أيام فلما قدموا فى أوائلهم عنتر البطل فنزلوا فى مضاربهم والخيام وسأل عنتر عن ولده ميسرة وأخيه مازن وصديقه عروة فأخبروه بزوجة زيد ولد عروة وكيف أنها أسرت فى بنى شيبان وكيف مضى عروة وولده زيد وولدك ميسرة وأخيك مازن وسبيع اليمن وقد ساروا فى مائة فارس وقد سمعنا بأن العدو الذى سبى زوجة زيد فى سبعمائة فارس فلما سمع عنتر ذلك الخبر صعب عليه وأراد أن يسير وحده وفى ركابه أخوه شيبوب وولده الخذروف فأقسموا عليه رفاقه العشرة أنهم يسيرون معه فساروا وشيبوب يقتفى لهم الآثار كأنه النعام الذكر ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ولما رأوهم بنو عبس فرحوا وانشرحوا إلا عنتر لما رأى ولده وهو مع زيد بن سلمة فى الميدان احترق فؤاده بالنيران فعند ذلك قفز إليه ورد ولده ميسرة وصاح فيه وأطبق عليه ولاصقه وزعق فيه أدهشه وهجم عليه إلى أن حك ركابه بركابه وضربه على جزع رقبته أطاح رأسه عن جثته ثم حمل على بقية الخيل أقلبها

على أعقابها وأطبق عليهم ميسرة ومن معه من رفقاء وطعنوا فى ظهورهم وأخرقوا بالرماح صدورهم فلما رأت يربوع مقدمهم قتيل وعلى الأرض جديل ولوا الأدبار وهربوا يميناً ويساراً وبنى عبس وراءهم إلى أن أبعدوا الأعادى عنهم وغنموا خيلهم وأسلابهم واجتمعوا وهنوا بعضهم وقبل عروة يد عنتر وفرحت الجارية وأبوها بخلاصهم من يد الأعادى وساروا بعد ذلك طالبين الديار وميسرة بن عنتر ينشد ويقول

سلوا بنى يربوع عن فعلنا ... إذا ما التقينا جميعاً معا
وقدناهم فى خمار الضنا ... على كل خصانة أربعا
ضعونا إلى الحرب جهلا بنا ... سمعنا إلى الداع لما دعا
فناديت قومى بهذا النداء ... فكانت كما أنجم تلمعا
وصلنا عليهم بحرب شديد ... يشيب من هوله المرضعا
وما كان إلا كلمح البصر ... وأكثرهم فى الفلاة صرعا
أصول إذا صال ذو حمية ... وأزرى الهمام إذا ما روعا

(قال الراوى) وقد عادوا وهم مسروروں فرحين ولما وصلوا عملوا الولائم ثلاثة أيام على التمام فى اكل طعام وشرب مدام وزفت الجارية على زيد بن عروة واقاموا فى الديار فى ألذ عيش إلى ان كان يوم من الايام وعنتر جالس فى حلته وإذا قدم عليه الأسد الرهيص يطلب منه ما كان عليه من الرسم وهى مائة ناقة وثلثمائة من الغنم وعشرة من الخيل الجيدة الحسنة وهو يتمنى ان يأكل لحمه ويشرب دمه فقربه وادناه واحسن إليه فى ضيافته واكرم مثواه هو وعبده نجم وسأل عنتر الأسد الرهيص عن حاله فقال له يا حامية بنى عبس اى شىء حال من لايرى الليل فى ظلامه ولاالنهار فى ضيائه وابتسامه فتأسف عليه عنتر وطيب قلبه وهون عليه ما يلقاه وندم على ما فعل فى حقه واكرمه غاية الإكرام واعطى له الف ناقة والفين رأس من الغنم ومائة من الخيل واعتذر له بعد ذلك وسلم إليه من العبيد عشرين تسوق له الاموال فركب وسار وأخذ الأموال كما ذكرنا وودعه عنتر وسار يطلب أهله والأطلال وكان فى هذه المدة قدتعلم رمى النبال حتى كان يصيب بها على الحس فى الطير والارانب والغزال ولكن عنتر لم يعلم ذلك ولا عنده خبر ولم يدر ما يجرى به القضاء والقدر .

(قال الراوى) وكان عنتر جالس فى يوم من الايام وعبلة إلى جانبه وهو يشرب فضلة خمر كانت عنده وإذا بالصياح فى الحلة قد ارتفع فانزعج عنتر لذلك وتزعزع وهم أن يركب ويكشف الخبر وإذا بأخيه شيبوب قد أقبل وأياديه مشبكة على رأسه وهو

ينادى واسيداه واعظم لجمتاه قد انهزم ركن أخى عنتر بعدك وعمت المصائب لفقدك فقال له عنتر يا أخى ما الخبر فقال له يا ابن الام قتل عروة بن الورد وهو العزيز عليك وقد أخذت رأسه وهذه جثته قد أقبلوا بها عشرة رجال فلما سمع عنتر ذلك قامت قيامته ووقع على قامته ثم غشى عليه وانقلب الحى وقد انفجع لعروة الرجال والنساء وكثر الخوف والاسى قال وكان السبب فى ذلك أن عروة بن الورد كان يحب زيداً ولده محبة عظيمة لانه كان بارعاً فى الجمال وليس له غيره على كل حال وكان كل يوم يركب ويركبه معه ويبعد به عن الاوطان ويعلمه أبواب الحرب وخدائع الطعن والضرب وباقى النهار فى الصيد والقنص وانتهاب اللذات والفرص إلى أن كان فى بعض الايام خرج على جرى العادة وأبعد به فى البر والآكام وكان معه عشرة فوارس من عربه يتفرجون على ما يجرى بينه وبين ولده فى الكر والفر والفروسية وإذا بخيل قد ظهرت عليهم فى صدر البرية وهم خمسمائة فارس كأنهم الاسود العوابس وفى أوائلهم فارس طويل كأنه البرج المشيد وهو يزعق ملو جلده بالضيان يا أرباب الضرب والطعان أنا حسان بن ثابت صاحب الدين القديم والثار العظيم فلما رآه عروة قال يا أولاد العم هذه خيل قد طلعت علينا وأريد من يخرج إليهم ويعلم من هم من أى العرب وما مرادهم فلم يتم كلامه حتى خرج من العشرة فارس وأحمى جواده حتى صار فى وجه القوم وزعق وقال من أى الناس أنتم أخبرونا قبل حلول النوائب وإنزال الرزايا ثم وقف يسمع الجواب وإذا بمقدم القوم قد زعق به وقال ويلك نحن من بنى ضبيان قد أتيت أطلب قتل عروة وآخذ منه ثارى وأكشف عنى عارى لانه قتل أخى عامر وألبسنى العار بين كل باد وحاضر قال وكان السبب فى ذلك أن عروة بن الورد لما كان من أول منتشاه صار إلى بنى ضبيان وساق أموالهم وقتل أخا هذا الغلام وكان هذا صغير السن فلما بلغ هذا الغلام مبالغ الرجال نظرت عيناه إلى جارية من بنات عمه يقال لها ريحانة بنت وشاح بن راجح وكانت ذات حسن وجمال وبهاء فوقعت فى قلبه وأخذت خاطره ولبه فخطبها من أبيها فقال له يا ابن العم ما أنت إلا أنفر من خطب وأجل من فيه يرغب ولكن ما يخطب البنات الابكار إلا من ينتفى عنه الذل والشنار وأنت رجل عليك عار بدم أخوك ابن أمك وأبوك الذى قتله عروة بن الورد العبسى وإن لم تأخذ له بالثار لا تتعرض لخطبة البنات الابكار فلما سمع حسان ذلك هاجت بقلبه نيرانه وقال له يا عماه أريد أن تشهد عليك العرب من حلتك أننى متى أخذت ثارى إنك تزوجنى إبنتك فأشهد أبو الجارية عليه وصافحه وقام حسان من حضرته واجتمع بعشيرته وأطلعهم على سره وجهره فقالوا

له كنا نبذل المجهود ونفوسنا بين يديك فطاب قلبه بذلك وجعل لهغيرنا تأخذله أخبار عروة بن الورد إلى أن جاءته الأخبار فركب فى خمسمائة فارس من صناديد بنى ضبيان القناعس وسار إلى أن قارب ديار بنى عبس وكمن فى تلك الأرض وما زال مكمناً إلى أن طلع الصباح وخرج عروة بن الورد كما ذكرنا ومعه ولده والعشر فوارس كما وصفنا فعند ذلك خرج حسان بن ثابت بالخيل التى معه وأطبقوا على عروة وأصحابه وولده زيد وأنفذ عروة ذلك الفارس يكشف له الخبر فمضى وعاد إليه بجلية الأثر وأعلمه أن القوم بنى ضبيان والمقدم عليهم حسان بن ثابت وهو يطالبك بدم أخيه عامر الذى قتلته أنت فى الزمان الغابر فلما سمع عروة ذلك ضحك عجباً منه بنفسه ثم حمل فى العشرة الذين كانوا معه وقد أركب رأسه فى سرجه ونادى يا أوغاد غير أمجاد أتتم تتعرضون لبنى عبس الكرام الضاربين بحد الحسام وجئتم تطالبون بدم قتيل له زمان طويل وأسيرنا لا يفدى إلا بشفار النصول فلم يتم كلامه حتى قفز إليه حسان وصار قدامه وقال له ويلك يا ابن الورد أما علمت أن صاحب الثار لا ينام ولا بد له أن يستوفيه على مدى الأيام وأنا ما خرجت من قومى إلا قاصد إليك حتى أننى آخذ روحك من بين جنبيك لأنك قد أفجعتنى فى أخى ثم صال وأوسع فى المجال فأنشد وقال :

كنا بغصنين فى خرنوبة بصقت حباً بأحسن ما يأتى به الشجر
حتى قيل ما لبست فروعهما وطاب غرسهما واستظهر الثمر
حكما على ريب الزمان وما يبقى الزمان على شىء ولا يذر
كأنجم الليل كان بيننا قمر يجلى الدجى فهو من بيننا القمر

(قال الراوى) فلما سمع عروة شعر حسان زعق وقال له يا ابن الخنة لقد سعيت برجليك إلى حتفك ثم أن عروة أجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول:

لقد سمعت رجال الحى أنى أفلق هامة البطل الشجاع
وأمنع صاحبى وأذب عنه وأحمى حوزة الخيل المطاع
وأنى فى الحروب لهيب نار لها فى كل ناحية شعاع
وسيفى صارم عضب ثقيل يداوى الرأس من ألم الصداع

(قال الراوى) ثم انطبق كل واحد منهما على صاحبه ومالا طويلا واعتركا وبيلا ووقع بينهما الكر والأخذ والرد والهزل والجد فانطبقت الخمسمائة فارس وردوهم عن عروة ثم جالوا بينهم ساعة من النهار وكان قد انفرد من الخمسمائة للعشر فوارس الذين مع عروة وانطبق باقى الخمسمائة على عروة وهم أربعمائة فارس فلما رأى عروة تلك

الفرسان أيقن بالمهالك وحار وتخبل وقد انسدت فى وجهه أبواب الحيل فانطبق عليه حسان واستجاده بطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عروة عن الجواد يخور فى دمه ويطرب فى عندمه وقتل من أصحاب عروة سبعة وبقى ثلاثة مع زيد وولده وترجل حسان وقطع رأس عروة وأخذها وعاد إلى دياره وقد بلغ أوطاره وخمدت ثاره وقر قراره فوقعت البشائر والأفراح وحمل حسان رأس عروة إلى عمه وقال له يا عم هذا رأس الذى عايرتنى فانعم لى بزواج إبنتك الجارية رفيعة الحسب حتى يصبح بيننا النسب فأجابه إلى ماطلب وجزروا الجزور ونحروا النحور وسكبوا الخمور وزفت الجارية على حسان بن ثابت الذى كان بها ولهان وبعد ثلاثة أيام اجتمعوا مشايخ العشيرة إلى عند حسان وقالوا له ياحسان أنت الذى قتلت عروة بن الورد وقد أضرمت علينا نار تحرق الكبار منا والصغار والعبيد والأحرار وكأنك ببنى عبس وعنتر وقد أتى الأبيات بما فيها والمضارب والأوتاد وهم يذبحونا ويسبوا النسوان والاولاد ولا يقبل عنتر فداء ولا يسمع منا مقال فقال حسان يا بنى عمى أنا ما قتلت عروة إلا وقد علمت أن عنتر يطلبنى ولو أعلم أنى ما له كفؤ ما تقربت له ولا قدمت عليه فلما سمعوا القوم كلام حسان سكتوا عن خطابه وجوابه .

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من زيد بن عروة والثلاث فوارس فإنهم أخذوا جثة عروة وحملوها وعادوا بها إلى الاحيا . وقد أقلقوا الدنيا بالبكاء وجدوا بالانتحاب إلى أن وصلوا ووقعت الزعقة كما ذكرنا وأتى شيبوب إلى عنتر كما وصفنا فانغاظ عنتر وقام إلى جثة عروة وصار يبكى ويقول وحق ذمة العرب لأخربن ديار من فعل هذه الفعال هذا ونساء الحى صارخات وزيد بن عروة مشقوق الثياب كثير البكاء والانتحاب وأهل الحى ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور هذا وعنتر سأل عن الذى كانوا مع عروة وعن الذى قتله فقالوا يا حامية عبس قتله حسان بن ثابت وكان قد خطب بنت عمه فعايره لعجزه عن أخذ الثار فسار وقتل عروة وأخذ رأسه وعاد إلى أهله وناسه .

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الحديث صعب عليه وكبر لديه فاتفق رأى زيد بن عروة يرثى أباه بهذه الابيات وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

لما نعى الناس إلى عند قتله ... تمكن منى الحزن وانقطاع الظهر
وأصبحت من حزنى عليه كأننى ... سكران دارت على نشأة الخمر

تركني وحيداً ليس لى من مساعد فياليتنى معه موســد فى القبر

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من زيد تلك الأبيات شق ثوبه وعلا البكاء حتى برق الدم من مناخيره وصارت عيناه كأنها لظى الجمر إذا أضرم ثم أرغى وأزبد فأرعب كل من رآه ونادى واحرباه عليك يا أبا الأبيض فوحق العلى الأعلى لأقتل قاتلك أشر قتلة ثم نادى بأعلا صوته وا أخاه واصديقاه واسيداه واعروتاه يا سيفى الثقيل ورمحى الطويل فبكت بنى عبس لبكائه ومزقن العمائم وأقامت فى الحى المآتم ثم أن عنتر حفر لعروة قبراً ودفنه فيه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

سقيت الحيا قبر عروة والندا إلى أن يرى من فوقك الغيث مرتفعا
ففيك الذى كان سيفى على العدا ومنــه فؤادى لا يزال مروعا
ولما تفرقنا كأنى وعروة بطول الليالى لم نبت ليلة معا
فشملى أضحى بعده متفرقاً وقل اصطبارى اليوم قد عاد بلقعا
وسيفى معلولا ورمحى محطماً وركنى مهدوماً وقلبى مفجعا
نعى عروة والناعى فزاد تقلقلى وأيقنت أنى ميت لست مانعا
فياليتنى من قبل مصرع عروة فقدت جميع المال والأهل أجمعا
ويا ليتنى لا كنت أحييت بعده فإن فؤادى لا يطيق التفزعا
بنيت لهذا المجد بالسيف عنوة وها قد بدت أركانه متضعضعا
أدافع كل الحادثات جلادة وسهم المنايا ما أرى منه ممنعا
ولولا يقينى أننى لاحــق به لا بكيت ما لاح الصباح وأطلعا
ولكن مشيب الرأس أعلم بأنه بدى الداعى إلى الموت يوم إذا دعا

(قال الراوى) ولما سمعت بنى عبس هذا النثر والنظام انهملت من دموعهم العبرات وبكت بنى عبس الكرام ثم ان عنتر عاد من القبر وقال لشيبوب قدم لى الأبجر فما كانت إلا ساعة حتى أرى السرج على ظهره وشد حزامه وأصلح عدته ولجامه فاستوى عنتر على ظهره بعد ما أفرغ عليه عدته وعرق فى شكته وتقلد بلامته ونادى يا بنى عبس الكرام يا فرسان الأنام ويا أبطال الزحام الثار الثار اجلوا عنكم العار فأجابته بنى عبس نداه وركبوا الخيل الغوال وتقلدوا بالنصال ولم يتخلف عن الركوب إلا الملك قيس وإخوته وصارت بنى عبس وآل الدروع وأخروا على خدودهم سواكب الدموع وسار عنتر وإلى جانبه ولده ميسرة ومازن وسبع اليمن وأسيد بن ماجد والمطال وجاد بن حامد وسابق وأخيه لاحق وهم ليوث الوغا وأسود البيدا فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان

من بنى ضبيان فإنهم بقوا تحت القلق حتى وصل إليهم الخبر أن عنتر سائر إليهم وقادم عليهم وقد جمعوا حلفاءهم وأصدقاءهم وأقصاهم وأدناهم وقد صاروا يداً واحدة وحصنوا أموالهم وحريمهم فى الجبال وفى الشعاب وأقاموا لهم دبادبة على الطرقات وبقوا على الخيل جرائد منتظرين البلاء وحسان بن ثابت قد مات فى جلده من عنتر ونظر إلى بنى عمه فرآهم تحت الخوف والحذر فقال إلى زوجته أن مرادى أن أرحل عن هذه الديار ولا أقابل عنتر ولا من معه من الأشرار فقالت له افعل ما تريد فأنا عن رأيك لا أحيد فأخذ زوجته وأركبها على جواد سابق وركب هو أيضاً جواده وخرجوا تحت الليل ولم يعلم بهما أحد وساروا فى البر على وجوههما فلما أصبحوا بنى ضبيان فلم يروا لهما خبر ولا وقعوا لهما على أثر فاجتمعوا إلى وشاح بن رامح وقالوا له ما قصر معنا حسان الندم فكونوا على أهبة الحرب وحاموا على نسوانكم وأولادكم فها أنا قدامكم فقالوا بنى ضبيان ياأمير والله ما فينا من يتخلى عنك ولا عن الحريم حتى تلعب الخيل برؤسنا وتضيق نفوسنا .

(قال الراوى) فبينما القوم فى المشاجرة وإذا بالدبادبة قد ظهرت تخبر أن خيل بنى عبس وصلت فاضطربت بنى ضبيان وعلا منهم الضجاج والالتهاب وكثر البكاء والانتحاب ووثبوا للخيل وركبوها وإلى الزرديات لبســـوها وإلى سيوفهم تقلدوها وإلى الرماح اعتقلوها وركبت معهم بنى الوحيد وبنى باهلة وبنى هلال وبنى عاتكة وأقبلوا طالبين بنى عبس يقدمهم وشاح بن رامح والخيل خلفه متتابعة والقبائل إلى اللقاء متجمعة ولم يبعدوا عن الديار حتى ظهرت لهم فرسان بنى عبس من تحت الغبار يقدمها ليثها الكرار وفارسها المغوار وأسدها الهدار من زعزع الجبابرة وقهر الملوك والأكاسرة الذى أباد شجعان البلاد وقهر جبابرة العباد الرفيع العماد الطويل النجاد الأمير عنتر بن شداد وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يابنى عبس الثار الثار هذا يوم كشف العار وساعة الافتخار والطعن بالأسمر الخطار قال ولما وقعت العين على العين انطبقت بنى عبس على بنى ضبيان من غير كلام ولا خطاب وقد التقوا بقلوب صلاب ووقع الضرب خطأ وصواب وصار عنتر يهبر الرجال هبراً ويجزرهم جزراً حتى فاضت الأرض بالدماء وأبلى أعداءه بالويل والعمى وكثر العطش والظمأ وتحسرت النفوس على شربة من الماء وامتلأت الأراضى بالقتلى والدماء تسيل من حسامه وكلما أقتل فارس يقول يا لثارات عـــروة ويتذكر أيامه وصارت الفرسان تهرب من قدامه وأما ميسرة كسر الأعداء كسر وهو يبيدهم خمسة خمسة وعشرة عشرة وأما مازن وسبيع اليمن فقد أنزل على العدا الموت والمحن ودحرجهما عن المنازل والوطن وأرحلوهما إلى المقابر بلا كفن وأما زيد بن عروة والمطال فقل

الرجال فكل منهم على الأعداء صال وجال وفرقوا الأعــداء فى البرارى والتلال وطرحوا الفرسان يميناً وشمالا وذاقت بنى ضبيان فى ذلك اليوم أشد النكال .

(قال الراوى) ولم يزل الأمر على ذلك الحال حتى ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال وقتل من بنى ضبيان ألف وخمسمائة تمام ولزم بنى عبس إلى المضارب والخيام ولولا قدوم الليل والظلام ما كان بقى منهم المهج والرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وركبت بنى ضبيان وفى أوائلهم فارسهم الأمير وشاح وقد اصطفت الصفوف وتعدلت المئات والالوف وكذلك بنى عبس تعدلت والهلاك فى أعدائها أقبلت هنالك برز عنتر إلى محل القتال وصال واشتهر الابطال منه حنقة وأحقاد وتذكر صديقه عروة وحسن وداده ونادى يا بنى ضبيان أبشروا بخراب دياركم وقطع آثاركم وقطع أصولكم وفروعكم لأجل قتلكم خليلى عروة بن الورد منسوب الأب والجد فمن كان يزعم منكم أنه من الشجعان فليبرز إلى الميدان ومقام الحرب والطعان ثم أنه صال وجال وأنشد هذه الابيات :

يا عين ابكى عند كل صباح ... وانعى لفقد الفارس الجحجاح
قد كان سيفاً ذخرى فى الحوادث كلها ... يوم النزال فكان مثل جناح
قد كان سيفاً يصول على العدا ... حتى رماه الدهر بالاتراح

(قال الراوى) وما فرغ عنتر من شعره ونظامه حتى برز الامير وشاح وصار قدامه وصاح به وقال ويلك يا عنتر إلى متى هذا البغى منك على العرب أما آن أن تنهد أركانك حتى هجم عليه وضايقه ولاصقه وســد فى وجهه جميع طرائقه وطعنه بالرمح فى صدره وأخرجه يلمع من ظهره ونادى يا لثارات عروة وبعد ذلك جال وصال وطلب الحرب والقتال ونادى فما أحد خرج إليه وعلموا أن كل من برز إليه قضى عليه فحملت القبائل بأجمعهم وظهرت أحقادهم فلما نظر عنتر إلى القبائل كلها وقد حملت صاح فى الخيل وعليهم حمل وتبعه ميسرة سيد الابطال وسبيع اليمن والمطال ونزلوا على الاعداء بحملتهم وبنو عبس قد احتاطوا من ورائهم ومن قدامهم وغاصوا تحت العجاج وزاد الارتجاج وكثر الهياج وطلع القتام كأنه الليل الداج وخاضت بنى عبس فى بحر العجاج وقد تلاطمت كتلاطم الامواج وقدحت حوافر الخيل ناراً كالسراج واشتدت الشدائد وفى دون ساعة صار الغبار ضباباً والقتام حجاباً وأهلك عنتر الرجال وأباد الابطال وهو مثل البرق الخاطف والرعد القاصف ولما تعالى النهار ولت بنو ضبيان الإدبار

ور كنت إلى الحرب والفرار ما هلك منهم إلا كل فارس كرار وأسروا منهم بنى عبس ستمائة أسير وأنزلوا بهم الذل والتعثير وقلع عنتر الأحياء بما فيها وهو متحسر على حسان بن ثابت كيف يخلص وولى ولم يبلغ منه أملا ثم عاد عنتر طالب بنى عبس وقد سأل عنتر من بعض الأسارى عن حسان فقال يا حامية عبس أنه أخذ زوجته وهرب ولكن قد وصل إلينا خبره أنه قد استجار بدفانة بن هود بن شماس وقد أجاره من دون الناس وأوعده بالنصر والظفر على بنى عبس الغرر قال فلما سمع عنتر هذا الكلام صار يأكل كفيه من الندم وصار حتى وصل إلى الديار وعدل إلى قبر عروة وذبح الأسارى ثم زاد بعنتر البكاء والاشتكاء فأنشد وقال صلوا على باهى الجمال :

أعيناى إذا لم تبكيا لعروة فعودا إلى لهو وقولوا غواكا
وإن كنتما لا تبكيان لفقده حرام على النوم وقت كراكا
سأبكى خليلى عروة كل ليلة إذا ما حمام الايك هيج شجاكا

(قال الراوى) ثم أن عنتر جد فى طلب حسان وصاح فى رجاله وأبطاله وطلب المسير وإذا الملك قيس أقبل وهناه بالسلامة وبكى على عروة ومسح أطراف عنتر بلين الكلام حتى أنه يسأله عما هو فيه فقال له يا حامية عبس إلى أين عزمت فقال طالب الثار من حسان اللئيم الغدار فقد بلغنى أنه نزل على دفانة بن هود وقد أجاره من دون الناس وأنزله بجواره وها أنا سائر إليه أقطع شافته .

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيس كلامه فما أمكنه أن يرده عن مرامه وقال له محفوظاً بعين الله ملحوظا وسار عنتر فى خمسمائة فارس وهو قاصد بلاد الإعطاء .

(قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر فارس عبس وعدنان وأما ما كان من الامير حسان بن ثابت وبنى ضبيان فإنه لما هرب فى الليلة التى ذكرناها هو وزوجته وما زال يدور فى قبائل العرب ويستجير بهم فما أحد يجيره ولا يكون نصيره لما علموا أن عنتر بن شداد غريمه وما زال حتى وصل إلى قبيلة يقال لها قبيلة بنى قريع فنزل على سيدها دفانة ابن هود وكان هذا أوحد أهل زمانه وفارس عصره وأوانه تحمل إليه العرب الغفارات وتخشى جانبه السادات ولما دخل عليه واستجار به فما سأله دفانة عن حاله حتى قضى حق ضيافته فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع سأله عن حاله فأخبره بقصته فقال له ياوجه العرب قد أجرتك ولو كان خصمك من أكبر الملوك فقال له حسان أيها النبيد أنا خصمى ماهو ملك عظيم الشأن ولا من أكابر الفرسان بل هو عبد من العبيد الأوغاد يقال له عنتر بن

شداد وهو يطالبنى بفارس قتلته يقال له عروة بن الورد وكان قد جار علينا من قديم الزمان وقتل أخى وكنت أنا صغير ولما بلغ عمرى خمسة عشر سنة خطبت إبنة عمى فقال لى عمى يا ولدى أنعم بك غير أنك محل بالعرفان إن أخذت ثارك وقتلت قاتل أخيك أزوجك إبنتى فقلت له يا عماه وثارى لا أعلمه عند أى أعراب فقال عند عروة ابن الورد العبسى فلما علمت ذلك أكمنت لعروة حتى خرج وقتلته وأنزلت به العبر وأخذت لأخى بالثار وتزوجت بإبنة عمى وبلغ الخبر إلى عنتر فسار إلينا بفرسان بنى عبس وأخذ من بنى ضبيان خمسمائة أسير بعد ما قتل ألفين وأكثر وسافر إلى قبيلته وذبح الأسارى على قبر عروة من شدة صداقته له وقال أنه ما يقعد عنى حتى يأخذنى ويذبحنى أنا الآخر على القبر وأنا قد استجرت بك منه ومن مكره وغدره .

(قال الراوى) فلما سمع دفانة ذلك من حسان بكى من عظم ما جرى عليه من الهم والحزن وقال له طب نفساً يا أمير حسان فلك منى حصن حصين وجبل راسخ مكين وأرسل إلى قومك يأتون إليك وآخذ لكم بالثار وأكشف عنكم العار وأبذل فى أعدائكم الحسام البتار .

(قال الراوى) ففرح حسان بقوله وأرسل إلى قومه وإلى بنى الوحيد وبنى باهلة وبنى هلال قال فلم تكن إلا أيام قلائل حتى قدمت الثلاث قبائل وهم يبكون وينتحبون مما جرى عليهم من عنتر بن شداد ومن قتل منهم ومن أسر فاستقبلهم دفانة بأعز استقبال وأنالهم أشرف منال وضمن لهم النصر والظفر وبلوغ المنال من بنى عبس وعنتر وأن يكشف عنهم العـــار ويزيل عنهم الشنار فشكروه على مقاله وجزوه خيراً على ذلك الإحسان ونزلوا عنده فى أعز مكان وقد أمنوا على نوائب الزمان وطوارق الحدثان فهذا ما جرى لهؤلاء من الإيراد وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه سار يقطع الأرض طولاً وعرض وهو فى ستمائة فارس صناديد وليوث أماجيد من بنى عبس قال ولم يزل سائر حتى وصل إلى ديار القوم وقرب منهم فقال له شيبوب إعلم يا ابن الأم إنك قد توسطت بلاد الأعداء وما فى الأرض قبيلة إلا ولها دم عليك وثار والرأى عندى أن تمكن أنت فى بعض المواضع أنت ورجالك إلى أن أسير أنا آخذ لكم الأخبار وأنظر إن كان حسان أجاره دفانة أم لا فلما سمع عنتر مقالة استصوب فعاله وقال له لا كان يوماً لا أراك فيه يا ابن الأم ثم أنه عدل إلى بعض الوادى ونزل فيه بخيله ورجاله وفرسانه وأبطاله هذا وشيبوب قد أخرج ثياب حيلته ولبسهم وقد تعمم بعمامته وجعلها على رأسه مثل الطبق وأرخى لها عدب وركب بعض النوق وعول على المسير فقال عنتر

أى شىء هذا الرأى يا ابن الأم فقال له إنى أريد أن أدخل على القوم فى زى شاعر فسار عنتر يضحك وإليه ناظر فسار شيبوب حتى أشرف على الأحياء وإذا به يراها تموج بسكانها وتريج بفرسانها والمضارب وقد ملأت الأرض ذات الطول والعرض فحار شيبوب لما رأى تلك الأماكن وقد اندهش مما عاين ولم يزل يخترق المضارب والخيام حتى وصل إلى ديار دفانة بن هود فأنكرته الفرسان والجنود وتواثبوا إليه العبيد مثل الأسود وقالوا له ما حالك يا غلام ومن أى الناس أنت فإننا محرصين أن لا نترك أحد يلم بساحتنا ولا يقرب نحو أبياتنا ولا نأمن لمن لا نعرفه وإن كان من أعدائنا لابد من موته وتلفه فقال شيبوب يا قوم أنا رجل شاعر من أرض بنى سنبس وقد بلغنى خبر عن سيدكم دفانة فأتيت إليه قاصداً إلى رحابه وأريد أسأله أن يزيل عنى ما نزل بى من الفقر ومن الفاقة لما سمعت عنه من الكرم والمروءة والشجاعة والقوة فلما سمعوا العبيد مقاله رقوا لحاله وأخذوه لبيت سيدهم دفانة وكان ذلك الوقت جالس وعنده حسان بن ثابت وإذا بالعبيد قد دخلوا على سيدهم وقالوا له السيد الأمجد إعلم أنه قصدك شاعر من بنى سنبس فقال دفانة أسرعوا به إلينا وادخلوه علينا فخرجت العبيد إلى شيبوب وأخذوه وبعد ما عقل ناقته بفاضل زمامها وسار شيبوب إلى أن بقى قدام دفانة وأرخى أكمامه وأفصح لسانه وقال حياكم الله مزيد التحيات وعمتكم البركات وطارت عليكم طيور السعادات أين هو الملك دفانة بن هود بن شماس الذى سار ذكره بالكرم والجود على ألسنة جميع الناس وخص بالشجاعة والقوة والبراعة وشدة البأس وإذا جلس فاق بحسنه جميع الجلاس وإذا ركب جواده خضعت له جميع الأجناس قال فلما سمع دفانة ذلك قال له ها أنا قصدك يا شاعر العرب وسيد أهل الأدب فقبل شيبوب الأرض بين يديه ثم أنشد وقال :

يا من له كرم يفيض على الورى	ما دام كفك بالنوال يجود
فاضت لنا من سحب كفك مزنة	من ويلها توافى الغمام مزيد
أنت الذى عم الخلائق فضله	بمكارم لم يحصها التعديد
يا من له أيام فضل فى الورى	بيض إذا كان الزمان يسود
أنت الذى عم الخلائق وقده	بمكارم لم يحوها التحديد
والمال مثل عزمكم من جودكم	هذا وذاك على البحور يزيد
أسد تذل له الأسود وتتقى	سطواته يوم الحروب الجيد

وتراه في يوم الوغا لا ينثني ماضي العزيمة في الزمان وحيد
حزب المناقب عن أبيك وإنما بالفرع طاب الأصل والمولود
وجازت حدود المدح بعد صفاته وعلت وليس لحدها محدود
يا أيها الملك الذي من لم يفز بغنائه يوماً فليس يعود
فقصيدتي ألقت عليك مفاضة ما جاز مثل حديدها داود
وما كنت أخشى أن أكون كأنني فلقد دعاني في يديك الجود
أمطر على سحاب جودك أنه قطر على كل الأنام يجود
فالناس إن أرموا محاسن عبدهم فلنا بوجهك كل يوم عيد
فوحق جودك لا أسواه لأنه ما قبله فيما سمعنا جود
فإذا حييت مسلماً وبقيت لي أبد الزمان فإنني مسعود

(قال الراوي) ولما سمع دفانة شعر شيبوب اهتز طرباً ومال عجباً وقال أحسنت يا شاعر بني سنبس ثم أنه خلع ما كان عليه وأعطاه لشيبوب وأتاه العبيد بثياب غيرها ثم أن دفانة أجلس شيبوب إلى جانبه وأمر له بمائة ناقة وعشر رؤس من الخيل وقال له يا أخا العرب أنت قد وصلت إلينا وأنا مشغول فقال له شيبوب وما الذي يشغلك يا مولاي فقال يا شاعر قد نزل عندنا أقوام مستجيرين وأجرتهم ونحن على أهبة القتال معتدين للحرب والنزال وقد وصل إلينا الخبر أن عنتر عبد بني عبس سائر إلينا وقادم علينا وهؤلاء الأقوام ما أتوا إلينا إلا من شدة بأسه خائفين ومن سطوته فزعين ونحن هكذا منتظرين الأعداء وخيولنا مسرجة وملجمة ولوقت الحاجة مقدمة ثم جعل دفانة يحدث شيبوب وهو يدير عينيه في القبائل والأبيات وتلك المنازل ويفرز العشائر والجحافل إلى أن كان من الغد عند الصباح ودع شيبوب دفانة وطلب الرواح وإذا قد دخل على دفانة عبد من عبيده يقال له سارح وكان من خواضين الليل وسارقين الخيل وكان قد دخل على بني عدنان ودر وبني قحطان وهو داهية من الدواهي وإن ركض بقدميه يصطاد الغزلان بيديه فلما دخل ذلك الوقت نظر إلى سيده فرأى شيبوب وهو يودعه فقال يا مولاي من هذا الذي قربته منك غاية التقريب وأعطيته من عطائك أوفى نصيب فقال له دفانة إعلم أن هذا من بني سنبس وإنه شاعر لبيب وقد مدحني بقصيد عجيب فأعطيته هذه العطية وهو والله يستاهل أكثر منها ولا عليه منية فلما سمع العبد كلام مولاه ميز إلى شيبوب وصاح صيحة كادت الأكباد منها أن تذوب وصفق بيده وضحك حتى كاد يغشى عليه وقال يا مولاي هذا ما هو شاعر ولا من بني سنبس ولا من بني كهلان هذا

من بنى عبس وعدنان هذا آفة الزمان هذا محنة العربان هذا مخرب الدور والقصور هذا أبو الدواهى والأمور هذا أبو الحيل الواصلة هذا أبو الأقاويل الفاضلة هذا صاحب التدابير القاتلة هذا صاحب النكات المضحكة هذا اللبوة الطلوب هذا البلاء المصبوب هذا القضاء المسكوب هذا أخو عنتر هذا شيبوب .

(قال الراوى) فلما سمع دفانة من عبده هذا الخطاب صاح فى العبيد دونكم وهذا الشيطان قال فلما سمعوا العبيد ذلك الكلام داروا به وقبضوه وجعلوا عمامته فى رقبته ثم أمرهم بصلبه فنصبوا له العبيد خشبه عالية وأخذوه إليها ليصلبوه وإذا بالزعقة قد وقعت والضجة قد ارتفعت والعبيد من المراعى قد أقبلت وصاحت وولولت فوقفوا العبيد عن صلب شيبوب وقال دفانة ما الخبر يا ويلكم وما الذى جرى عليكم فقالوا له يا مولانا أن عنتر بن شداد قد طرق هذه البلاد وغار على الأموال وقتل جماعة من الرجال فلما سمع دفانة هذا الخبر أمرهم أن يشدوا شيبوب فى بعض أعمدة البيوت وقال وذمة العرب لا أصلبه حتى آتى آخذ عنتر أخيه وأصلب الإثنين على خشبتين ثم أمر العبيد بإحضار الجواد فقدموا له جواده وغاص فى عدة جلاده وقد زعق وقال الخيل يا أرباب فثارت القبائل وقد ركبت الخيول الصواهل .

قال وكان السبب فى مجىء عنتر وغارته الأموال أنه انتظر جيوش أخيه فما عاد إليه خبر ثم قال لابن أخته المطال كيف العمل فقال له اركب يا خال حتى نغير على الأموال ونشرع فى القتال فإن كان شيبوب مطلوق عاد إلينا وإن كان قد وقع فى شدة أدركناه قبل أن يثير الحرب فلما سمع عنتر مقاله ركب فى رجاله وقصدوا إلى المراعى وأخذوا الأموال وطرحوا فى أقفية العبيد ضرب مثل فتوق الأعدال فعادوا العبيد على الأعقاب كما ذكرنا وأخبروه بالخبر وتبادرت الرجال كما وصفنا وركب دفانة وهو مثل ثنية الجبل المشيد من كثرة ما عليه من الحديد والزرد وركبت معه قبيلته وركب حسان بن ثابت فى عشيرته ولم يزالوا يركضوا حتى أشرفوا على عنتر وأصحابه ولما نظرهم دفانة احتقرهم وداخله فيهم الطمع فقال وحق اللات والعزى ما هذا إلا رجل مجنون وإلا ما كان سار فى هذه العصابة اليسيرة وأنتم الساعة يا حسان قهركم عنتر وأنتم أربع قبائل فقال حسان يا هؤلاء لا تحتقر بهذه الطائفة على قلتها فهى التى أذلت رقاب الجبابرة وأخذت أعناق جميع الاكاسرة لا سيما هذا العبد الزنيم الوغد اللئيم هو فارس عبس وحاميها فقال دفانة يا حسان لولا يقال أنى معجب بنفسى ما تركت أحداً يعاوننى من

أبناء جفنى وكنت خرجت إليهم وحدى وأكون خالى من السلاح وآلة الحرب والكفاح وأخطف منهم الارواح ولا بد لى من أخذ عنتر وأمحقه وأعجل مصرعه وبعد ذلك أصلبه مع أخيه شيبوب وأسق كلا منهما كأس منيته ثم أترك نساء بنى عبس تشق عليهما الجيوب إذا علموا بصلبه وصلب أخيه شيبوب ثم أن دفانة استدعى بعمه خالد وكان من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة وقال له ياعم اخرج لهؤلاء القوم وحذرهم من بأسى وقوة مراسى وقل لعنتر ويلك يا عبد السوء لا تظن أن الزمان كله لك ولا تظن أن دفانة مثل من لاقيت من الفرسان ولا مثل من رأيت من الشجعان فارجع من حيث أتيت ولا تكن نفسك تعديت لحسان قد صار جارنا وشمله ذمامنا ونحن نحميه ونرد عنه أعاديه فقال له السمع والطاعة لاتعرف هذا إلا منى وإن أبى أتيتك به أسير وأقوده بين يديك ذليل حقير ثم خرج خالد وهو غائص فى الحديد غارق فى الزرد النضيد متقلد بسيف صقيل عريض ومعتقل برمح مديد وتحته جواد شديد له قوائم كأنها عماويه وسار فى زيه وإعجابه حتى قارب عنتر وأصحابه وأحاطوا به من كل مكان وعنتر ليس مبالى لا من كبير ولا من صغير ولا من قليل ولا من كثير وإنما حسرته أن تقع عينيه على حسان ويخرج إلى طابق الجولان فهو كذلك وإذا بخالد عم دفانة أقبل ونادى بأعلا صوته أنا خالد بن شماس قد أرسلنى ابن دفانة إليكم شفقة منه عليكم وأنا قد أتيت أحذركم وأنذركم وأما أسودكم الزنيم أريد أعرفه أن ماله فى أرضنا مطمع وإن أبى أن يرحل أخذته أسير قال فما تم كلامه حتى قفز مازن أخو عنتر وسار قدامه وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد وأطلق عنان الجواد وسار خالد فى مقام الطراد وزعق عليه وقال له ثكلتك أمك وعدموك قومك وأهلكك الله يا أقل العباد وأخس العرب الاوغاد ثم أنه دنا من خالد وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد كأنه طود من الاطواد ثم أن مازن صال وجال فى حومة المجال وأنشد وقال :

﴿ تم الجزء السابع والاربعون ويليه الثامن والاربعون ﴾

الجزء الثامن والاربعون

من سيرة عنترة بن شداد

نحن الذى علا ذكرنا والفخار لنا   بالبيض طورا وبالخطية السمر
الباذلون نفوسنا كلهـا همما   لو أنصف كانت دونها القدر
هل منكم بطل يدنوا إلى بطل   فى يده ذكر يعلو على ذكر

(قال الراوى) فلما نظر دفانة إلى عمه قتيل وعلى وجه الارض جديل قال الآن طاب اللقاء لهؤلاء الأوغاد ثم إنه دعا بقية دروعه وكان بينهم درع ضيق العدد كثير الزرد لايعمل فيه الصارم المهند أفرغه على جسده وترك على رأسه بيضة عادية ترد أسباب المنية وتقلد بصحيفة هندية وطارقة قديمة بهلولية وأعتقل برمح طويل سنانه كأنه قنديل وركب على جواد مثل لون الذهب قوى العصب ولما صار على ظهره زعق بين أذنيه فخرج من تحته مثل السهم إذا مرق أو النجم إذا زرق وصار فى الميدان ونادى بنى عبس من عرفنى فقد أكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفا أنا دفانة بن هود بن شماس الذى حويت الشجاعة ولابد لى ما أفنيكم فى ثار عمى ثم أنه صال وجال وأنشد وقال

يا لئاما فاقوا على كل اللئام   سوف أفنيكم بحد الحسام
بحسام يشفى الصداع من الرأس   ويطفى نار الوغا بالضرام
لى فخار ليس يخفى إلى الحشر   ساميا فى العلا كبدر التمام

فلما سمع مازن شعره أجابه على رد شعره وقال .

لنا شرف الفخار على البرايا   بانساب تهون لنا الصعابا
وإنى أفخر الأقران طرا   وأكرمهم وأزكاهم نصابا
لنـا خيل تراها مقبلات   على الاعداء تقرب اقترابا
وإنى مازن من آل عبس   ومازالت صوارمنا الضرابا
قتلتم عروة غدراً قتيلا   ودمع العين ينسكب انسكابا
وسوف نبيدكم جمعاً بنضب   يقد الهام منكم والرقابا

(قال الراوى) ثم أنطبقا الإثنين وتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين حتى احتجبا عن كل عين وشخصت اليهما الأحداق وقام بينهما الحرب على قد وساق وانطبق دفانة على مازن بصدر حنق لأجل قتله لعمه ولاصق مازن وضايقه وطعنه فى صدره أخرج الرمح

يلمع من ظهره فوقع مازن يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه ولما نظر إلى ذلك عنتر وأن أخاه مازن صار قتيل حار عقله ولطم على وجهه وأخاه والله لقد رميت بسهم من إسهام القضاء والقدر عند الشيخوخة والتكبر كل يوم أرى من زمانى عبر فياليتنى من قبل هذا كنت أدركنى الموت الاحمر ولا أرى ذلك البؤس والضرر ثم أنشد وقال :

كل يوم أسقى بكاس دهاق ... كاس صبر فى الطعام مر المذاق
طال حزنى على شقيق وخلى ... وأخى صاحب الخيول العتاق
قسما لا سلوت عنه ودمعى ... جاريا مدميا من الآماق
كيف أسلوا أخى ويذهب حزنى ... وهو سيفى كان عند التلاق
ففؤادى قد ذاب من ألم الحزن ... وقلبى من ناره فى اشتياق
ياهمام مضى فخلف فى القلب ... لمثواه شعلة الاحتراق
مازن فارس البرية فى الخلق ... وهمام فى ذروة العزباق
فارسا كلت الفوارس عنه ... فى مجال الهياج والانطباق
يابنى عبس اندبوا فارس الحرب ... وأذكروا المشهور فى الآفاق
كيف يحلو من بعد مازن عبسى ... بعد ما بان شخصه للفراق
كيف صبرى عنه وماكان إلا ... عدتى فى شدتى واختناق
كيف لا أصطلى مكابدة الحرب ... وأفنى الفرسان عند التلاق
ياسراة الرجال ياآل عبس ... ذا قتيل رمى بسهم الفراق
فانجزوها حرب عوان وصولوا ... صولة تهلك الرجال البواق
كان البدر فى السماء ولكن ... خانه فى الطلوع صرف المحاق
يادموعى فيضى عليه وجودى ... بانهمال فمهجتى فى احتراق
كل شىء يفنى وحزنى باق ... ما أنار الهلال فى الآفاق

(قال الراوى) ثم أن عنتر قفز بالابجر بعد كلامه ونظامه وصرخ بدفانة وقال له يالئيم قومه ووغد عشيرته والله لقد جلبت لنفسك النار لقتلك هذا الفارس الكرار أبشر بقطع الاعمار وخراب الديار وقلع الآثار وأشتت شملكم فى ساير الاقطار ثم أنه أنشد وجعل يقول :

مقالة عبلة وبك ياعنتر العلا ... تعست وماعهدى بك اليوم ناعس
أتقعد عند ثار الخليل وقدرى ... صريع العوالى وهوم قرم ممارس
فقلت لها لا تعجلى وتبينى ... فعالى إذا التقت على الفوارس

وألقى اليهم طارقات بعزمة | إذا كثرت فى الطارقين الوساوس
إلا افترقوا عين تهجمت قسطلا | يهاب لظاه الفارس المتداعس
وإنى لأشرى الحمد أبغى رباحه | وأترك خصمى وهو حيران ناكس
وإن ذكرونى فى الجحافل كلها | فذكر حديثى نزهة فى المجالس

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه وجالا طويلا واعتركا مليا وغاصا فى الأوابد وصبرا على الشدائد واختفيا فى الغبار وغابا عن الأبصار وقدحت حوافر خيلهما شرار وحارت منهما الأفكار وتحسر كل واحد منهما على مفارقة الأهل والديار إلى أن أقبل الليل بظلامه وقد افترقا على سلامة وما فيهما إلا من عض كفيه على خصمه ندامة وشاهد دفانة من عنتر ماحيره وأبهره وأذهله وأعمى بصره وقال يافارس عبس الليل قد أقبل والظلام قد أسبل فاعدل بنا لنأخذ راحة إلى الصباح ونعود إلى الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق فالق الأصباح ومسير الرياح ومركب الأرواح فى الأشباح مابقى لك من بعد أخى مازن براح إلا باتلاف الأرواح وحق زمزم ومنى وجعل البيت الحرام أمنا لابرحت من هذا المقام إلا بالإنفصال وبلوغ المرام كيف أعود عن القتال وأخى مطروح على وجه الأرض والرمال وأما إذا كان لابدلك من الراحة فترجل عن جوادك وأنا أفعل كذلك ويبقى كل واحد منا فى مقابلة الآخر إلى الصباح ونعود إلى الحرب والكفاح فاجابه دفانة إلى ذلك وقد وقع فى قلبه فزع عظيم ثم نزلا عن الجوادين وأركزا الرمحين وقد أقاما وكل منهما ينظر إلى صاحبه شذراً ويرمقه حذراً ولما مضى الليل بالغلس وبدأ الصبح يتنفس ركبا على ظهور الخيل الملاح وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وامتشقا الصفاح التى هى أقرب لقبض الأرواح وتضاربا بالسيوف حتى أشرفا على شرب كاسات الحتوف وكثرت المصائب ومازالا مع بعضهما حتى صارت الشمس فى قبة السماء وزاد بهما العطش والظمأ وتعب دفانه وكل وذهب عزمه ومل فصاح به عنتر أذهله وأرعشه وخبله وضربه بالسيف على صدره أطلع الحسام من خرز ظهره فمال عن الجواد قتيل وعلى المهاد ملقى جديل وجال عنتر حوله وصال ووقعت الصرخة فى بنى قريع بعد قتل سيدها دفانه وقالوا لحسان لقدكانت طلعتك علينا ميشومة وهى أيشم الطلعات وقد كنا فى ديارنا آمنين حتى أنك جلبت لنا هذا البلاء المبين فلابد من برازك إلى هذا الفارس الجبار تأخذ لسيدنا منه بالثار فلما سمع حسان من القوم ذلك الكلام لم يجد له صبراً على هذا الحال والملام وقد علم أن

لابد له من الخروج والبراز مع فارس الحجاز وخاف منهم أنه إذا لم يبرز لعنتر يقتلوه و يقبضوه وإلى عنتر يسلموه فاراد أن يموت موت الكرام ولا يكون لئيم ويعيش عيش اللئام فعند ذلك قفز حسان بالجواد ومازال إلى أن بقى قدام عنتر بن شداد وصار معه فى الميدان ومقام الحرب والطعان ووقع على مصرع دفانه وأنشد وقال :

خل عنك القتال ويانذل قوم ... وذلك من دون كل الرجال
وأرتجع عن مقام حرب وضرب ... وطعان المثقف المفضال
أنا أدعى حسان فى موقف الكر ... وساقى الفرسان كاس الوبال
وأنا سوف آخذ الثار عنه ... من لئيم الأصل راعى الجمال
وعزيز على أن أفتديه ... بلئيم بقيـــة الأنذال
هل يسام الرماد بالدر قدرا ... أو كلاب الفلا بأسد الرحال
غير أن القضاء له غفلات ... ترى الطير هاويا من أعالى الجبال .

(قال الراوى) فلما فرغ حسان من شعره وسمعه عنتر قال يا ابن الملعونة يا قرنان من هو الذى قطاعة الأنذال والله الذى لا إله إلا هو ذو الجلال لو كنت تعقل على كلام وماقلت مثل هذا الكلام وزيادة ولابد من قتلك ولو كنت على ظهر الغمام أو احتميت منى بالبيت الحرام أتظن أنه من قتل عروة خليل ومازن أخى بقى لك فى هذه الدنيا مقام لا وحق من أنزل القطر من الغمام ثم أنه استلت الرمح من التراب وهجم على حسان هجوم القضاء والقدر وطعنه برأس السنان من قبل يفتل العنان فوقعت الطعنة فى صدره فخرج السنا يلمع من ظهره ونفضه من على رأس الرمح المداد فسار على بسيط الأرض والمهاد فلما رأت العشائر إلى ذلك حملت وإلى أعنة خيلها أرسلت وهجمت على عنتر مثل السيل إذا انحدر وهى من كثرة عددها لا تنحصر فلما رأى عنتر ذلك اقتحم الغبار وخاض النقع المرار ونظر وفرسان بنى عبس إلى ذلك حلوا واقتحموا الغبار وسطوا سطوة الأسد المدار وفى مقدمتهم ميسرة وسبيع اليمن والمطال وزيد بن عروة والفتى الريبال وصاح بن غالب وسابق بن غياث وجندله ابن فارس وسابق وأخوه لاحق وعمر وأخو عبلة وأبوه مالك بن قراد وانقلبت جميع القبائل وهزت النواصل واضطربت الجحافل وحقت الحقائق وبان الكاذب من الصادق وانهرق الدما وصار الوجود عندما ومابقوا يعرفون الأرض من السما ولحق الفرسان الويل والعما وقد عضت الخيل على ألجامها وانقطعت من شدة الجرى حزامها وعرقت أجسادها وصبرت الفرسان على

ماكان من جلادها وانفطرت قلوب أسادها وذهب صلاحها وكثر فسادها ودام على الابطال كيادها وطال عنادها وعدمت القوم رشادها وضاقت على الهارب الارض بجبالها ومهادها وملت النفوس من ضرب بولادها وعدمت من السواعد شددها وصارت الصدور مثل الارض والرماح أوتادها وعظمت الصرخات وزاد الضجات وعلت الصيحات والزعقات وارتفعت الاصوات وسارت الأرواح منتبهة والنفوس بالحز ملتهبة (قال الأصمعي) وأما ميسرة بن عنتر وسبيع اليمن والمطال فانهم أبادوا الابطال وأهلكوا الأقيال وشتتوا الاعداء يميناً وشمالا ولم يزالوا كذلك إلى وقت الزوال وتقهقرت القبائل من سيف عنتر البلاء وقد طلبتهم بنى عبس وهم خلفهم فى الفلاء وملكوا بيوتهم والاموال وسبوا حريمهم والعيال وخلص عنتر أخاه شيبوب وهو لايصدق أن يراه سالما من الكروب وسأل شيبوب عما جرى له فاخبره بقتل مازن فبكى شيبوب عليه وأتى عنتر إلى وسط المعمعة وأخرج أخيه مازن وقد داسته الخيل فدرجه فى قطع الاديم وحمله على بعض الجمال وعادوا وهم سائرون بالغنائم والاموال الى أن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى وقد تجددت على عنتر الأحزان ومن إجل عروة ومازن وندبت النوادب وقامت المآتم وعظمت المصائب ودفنوا مازن على العلم وكان عنتر أحضر جماعة من بنى قريع معه فى الاسر فذبحهم على قبر مازن ولما حضر إلى الأوطان قام إليه الملك قيس والتقاه وفى أخيه مازن وفى صديقه عروة عزاه فشكره عنتر واثنى عليه ومن شدة غيظ عنتر قطع الركوب والمنادمة ولزم بيت الأحزان على فقد عروة ومازن وما كان له من غصوب والغضبان فاستقام على ذلك مدة من الزمان هذا وبنو زياد فرحا بما أصاب عنتر من هذا السوء والضرر وصار الربيع يقول اتبع الله الماضين بالباقين وأما عنتر قد كان بلغه ذلك ويكتمه ولم يزل كذلك مداوم الأحزان سنة كاملة من الزمان وهو ينعيهم بالليل والنهار هذا والعرب تسمع وتأتى تعزيه على عروة وأخيه وقد أبطل الغزوات وأقل من الغارات فصارت الفقراء يقترضون من الأغنياء وبعض الناس تداينوا وصارت عليهم الديون فمضوا إلى عنتر وقالوا له يا أبا الفوارس قد أضربنا قعودك فى هذه السنة وقد هلكنا وعلانا الدين فنظر إليهم وهو باكى العين وقال لهم أعلموا أن فقد مازن وعروة قد أقعدنى ولكن شدوا حيلكم ثم أنشد وجعل يقول :

لقد لامنى عند القعود رفاقى وقالوا ألا تغزوا إذا الخيل شدت
فقلت لهم إن كان عروة فيكمو ومازن يحميكم إذا الخيل كرت

خانى قد يرانى أصول بمرهف ... وأضرب فى الهيجاء إذا الأسود كلت
لقد عدمت المشرفية مازن ... وأن أصبحت منها برغمى تخلت
فقتله مازن ثم عروة هدنى ... وقتل غصوب هد حيلى فذلت
وقتله غضبان سبب كسر خاطرى ... ولم يتولى ثارهم غير همت
وسلمى تنادى ويك يازيد أخنى ... فعروتنا عند المنية ولت
فقال لها ياعمتى جاءت العدى ... سراة على الخيل السرات وكرت
وعهدى بعروة والرماح تنوشه ... وأثوابه من دمه قد تروت
إذا ذكرت يوما غصوبا ومازنا ... وعروة والغضبان بالرزايا جلت
سأبكى عليهم ما حييت بدمعة ... وأندب أياما تقضت وولت
وكيف حياتى بعد أسد تغيبت ... فلم أر أمثالهم يوم حلت

(قال الراوى) فتباكت السادات وزادت بهم الحسرات وندموا على ما فات ومازال عنتر يندب عروة ومازن الليل والنهار وهو مقيم فى الديار فعند ذلك تقدم إليه ولده ميسرة وقال يا أبتاه أنا أمضى معهم ونطلب من الله الارزاق الميسرة فأمره عنتر وقال له ياولدى أمض مصاحب السلامة مع هؤلاء الرجال فانهم رجالنا على كل حال قال فقبل ميسرة يد أبيه وسار فى جماعة من الأبطال يطلبون المعاش والمكسب والغزو على بعض أحياء العرب فبينما هم سائرين فى بعض الطرقات إذ طلع عليهم هودج فى وسط البر والآكام وهو محال بالحلل ومن داخله عروس كأنها القمر المنير وحوله أربعين ناقة محملين قماش وأموال ومعهم مائتين فارس مثل عروس أسود الدحال وهم حول الهودج يلعبون وتحت سيوفهم يتقلبون فلما عاين ميسرة تلك الأحوال علم أنها عروس سائرة إلى بعلها فى منازله والأطلال ونظر إلى ما معها من الغنائم والاموال فهاله عظم مارأى من تلك الأمور الثقال فحمل عليهم وهو يقول ياويلك يا أيها الرجال أتركوا ما فى أيديكم من المال وأطلبوا لأنفسكم النجاة قبل أن يحل بكم الوبال ثم ركب رأسه فى قربوس سرجه وصاح وزعق وعلى الهودج والعبيد انطبق وضرب العبد الذى ماسك بزمام الناقة بيده أطاح رأسه عن جسده وأخذ بزمام الناقة التى عليها ذلك الهودج فطلبته الرجال ودارت من حواليه يميناً وشمالا لما أن رأوه قد فعل تلك الفعال فكر ميسرة عليهم وطعن فى وجوههم ونحورهم وأكتالهم كيلا وأى كيل وأجرى دماهم مثل السيل وطحن العبيد طحن الحصيد ورمى جثثهم على وجه الصعيد وساعدته أبطال بنى عبس

الصناديد قال وكانت هذه الجارية بنت أكال الاكباد وهي سائرة تزف على بعلها مرائر بن ملجم بن حنظلة الطائى والمقدم على الرجال السائرة جنادة بن زيادا المعروف بأكال الاكباد وهو أخو تلك الجارية التى فى الهودج قال ولما أن وقع بهم ميسرة صاح بهم صيحة أبيه المنكرة ومازال يقاتلهم ويناضلهم حتى أبادهم وأهلكهم ونظر جنادة بن زياد أخو تلك الجارية هذه الفعال فخرج إلى ميسرة يرده عن القتال فلم يمكنه ميسرة أن يصول ولا يجول بل طعنه بالرمح فى صدره وتركه مقتولا وبعد ذلك ولت أصحاب الهودج هزائم بين الجبال وقد تركوا الجارية بهودجها وما معها من الأموال فحازت بنى عبس المتاع والجمال والخيل الغوال وعادوا وهم كاسبين ولما معهم من الأموال غانمين ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا ديارهم وقر فيها قرارهم فبلغ الملك قيس فعالهم وما قد دخل إلى الحى معهم من أثقالهم فعظم عليه وكبر لديه وخاف من بنى طى وبنى كنده أن تطلب قتالهم وتغزيهم فى أطلالهم فركب جواده ثم دارت عبيده من حواليه وسار إلى أن وصل إلى خيام عنتر ودخل عليه فقام له عنتر وسلم عليه فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس اعلم أن ولدك ميسرة جلب لنا ناراً لاتخمد لها شرار وجلب لنا ابطال تذهل عقول النظار وتحير منها الكبار والصغار ويشيب لهول حربهم الولدان وتيتم الأطفال وترمل النسوان وكأنك والله ببنى طى وبنى كندة قد جاؤا الينا مثل السيل ويطالبونا بثأرهم الذى كانت أحقنة نفوسهم يجعلون بهذه الفعال حجتهم فقال عنتر ياملك طب نفساً وقر عيناً فإذا جاؤا الينا وقدموا علينا بعشائرهم خرجنا اليهم وفصلنا فى أمرهم مثل عادتهم وأسقيناهم كأس التلاف ولو كانوا مثل عددنا أضعاف فقال الملك قيس سألتك ياحامية عبس بحق من أطلع الشمس وفضل اليوم على أمس إلا ما أنعمت على بالعروس وأموالها وما كان معها حتى أننى انفذها إلى أهلها ونعيد عليها أحوالها وتطفى عنا ما جدد علينا ولدك من النار وتعتذر اليهم لعلهم يقبلوا منا الاعتذار فعند ذلك تبسم عنتر من ذلك المقال وقال له أيها الملك المفضال وتربة ولدى الامير الغضبان الذى كان سيد الفرسان لو طلبوا من الجمال بعرة أو من المال وبرة لم أعطهم منها ولاذرة ولا أفعل ذلك إلا بعد ضرب يهد الجبال وطعن يقد الدروع الثقال (قال الراوى) فهذا ما كان من الملك قيس وعنتر بن شداد والأمراء الاجواد وأما ما كان من الخيل الذين انهزموا من ميسرة فانهم ساروا حتى وصلوا إلى أكال الاكباد ودخلوا عليه ونعوا ولده بين يديه وأخبروه بسبى ابنته فعظمت مصيبته وفى عاجل الحال كتب إلى الامير ملجم بن حنظلة الذى هو زوج ابنته وعرفه بماجرى من قضيته وكيف أن فرسان بنى عبس سطوا عليهم وأخذوا من الطريق عروسته قال

فلما بلغه ذلك قامت عليه قيامته وقام من وقته وساعته وشخر ونخر وطار من عينيه الشرر وفي عاجل الحال أرسل الرسل إلى جميع حلفائه وكل من يعتمد عليه في شدته ورخائه من سكان البراري والفلاة فأتت اليه عدة قبائل وأتته بنى الاسد وبنى القين وبنى كندة الاسود العوابس ومازالوا حتى اجتمعوا في خمسة وثلاثين ألف فارس مافيهم إلا كل من له على بنى عبس دم جديد وقديم ويريد كل واحد منهم أن يحل بهم العذاب الأليم وأيضا أكال الاكباد جمع خلقاً كثير وساروا قاصدين أرض بنى عبس في هذا الجمع الغزير قال وبلغ الخبر إلى الملك قيس أن ملوك اليمن قد سارت إليه مع الملك زياد بن أكال الاكباد والملك ملجم بن حنظلة وقدقصدوا الهجوم عليكم سائرين اليكم ليأخذوا منكم بثأرهم ويخلصوا عروستهم وينفوا عنهم عارهم قال فصعب ذلك على الملك قيس وجمع من عبس الاكابر وحدثهم بحديث تلك العشائر فدخل على قلوبهم الفزع الاكبر والخوف فقال يابنى عمى السبب فى ذلك ميسرة بن عنتر الذى فعل هذا الفعل المنكر وأنا ما بقيت أرحل من هذه الحالة مادام لى على الرحيل مقدرة وأخليها له ولأبيه عنتر ولا بقى لى معهما مجاورة ومن أجله تأتينا العربان وتقصدنا من كل جانب ومكان فقال له الربيع بن زياد وكان كلامه له دخول وكياد والله لقد صدقت ياملك الزمان فما عادتنا سائر العربان من أول الزمان إلى هذا الأوان إلا من عنتر ولولاه ماقدمت علينا هذه العشائر وإنى أنا الآخر تقرر عندى هذا الخبر وأريد أن أرحل معك وأسكن فى البر الاقفر وقد بلغ هذا الحديث إلى أبى الفوارس عنتر فتنغص صفو عيشه وتكدر وقال لابنة عمه عبلة ألا ترين إلى قيس ومايقول فى حقى من الكلام والمقال وجحد ما بنيت له ولقومه من المنازل العوال فقالت له عبلة أرحل بنا يا ابن العم عنهم واترك لهم هذه الديار فقال عنتر أن رحلت من هذه الساعة فيقولوا أنه مارحل إلا خوفا ثم أنه جمع بنى عمه ورجاله وأطلعهم على ما كان من أحواله وأخبرهم بخبر الجيوش السائرة اليهم وعن سبب قدومهم عليهم وقال لهم أن هذه العشائر التى قادمة علينا وقد أتانى خبرها أنها جيوش غزيرة ونريد أن ننفذ إلى حلفائنا وإلى من يكون أصحابنا الذى يحفظنا ويرعانا (قال الراوى) فبينما هو يدبر فى ذلك الأمر والمرام وإذا بالملك قيس قدوصل اليه وبدأه بالسلام وقال له ياأبا الفوارس قد كنا فى غنى عن هذا التعب والعنا فقال له عنتر ياملك إن كنت أنت قدخفت من لقاهم أرحل أنت ومن تشتهى كما قلته ولا تنظرهم ولا تراهم ودعنى أنا ومن يعز على اللقاء حتى ألقى أقصاهم وأدناهم فقال له الملك قيس إنى أرحل أنا وعشيرتى والطلب كله لى ولإخوتى ولكن الرأى عندى أننا نساعد عليهم وتلقاهم قال فاستصوبوا رأيه فا به قد

شار وقالوا هذا رأى صواب فعندذلك كتب فى عاجل الحال كتاب وأرسله مع نجاب إلى من لهم من الحلفاء والأصحاب وقد اجتمع من عبس ستة آلاف فارس مامنهم إلا كل مدرع ولا بس ثم أن الملك قيس أمر بتحصين المال والعيال وأن يصعدوا إلى أحاقيف الجبال وأنت إلى بنى عبس حلفاهم من سائر القيعان وأجتمعوا من كل ناحية ومكان وأما عنتر فانه أنفذ أخاه شيبوب وجرير يكشفوا له الأخبار فغابوا أياما قلائل وعادوا إليه على الآثار وأخبروه أن العشائر مالهم عدد بل هم مثل موج البحر إذا أرغى وأزبد فهناك أقبل عنتر على ولده ميسره فوجده قد اشتمل بعدته فقال له ياولدى خذ معك مائة فارس من الأبطال الشداد وكن طليعة فى البر والمهاد وكل من رأيتموه اضربوه بالسيوف الحداد وارموهم بالعناد واجعلوا صلاحهم فساد وأعلم أن إرسالك إلى الأعداء ماهو بخاطرى لأنك فضلت ماأبقى إلى الزمان من الأولاد فامضى فانى حصنتك برب العباد فركب ميسرة كاأوصاه أبوه وتبطن فى البر والقفار ولم يزل سائرا إلى أن التقى بطليعة ملجم بن حنظلة صاحب البنود والرايات وكانوا أربعمائة فارس وهم للدروع لوابس ولما تقاربوا تصايحوا صيحات هائلات فجم ميسرة عليهم وقد صدم مقدم الطليعة وابهره وضربه بالسيف على صدره أطلعه يلمع من ظهره فانهزمت بعده أصحابه فى القفار وأحلوا بهم الهوان وضربوا فى أقفيتهم مثل ضرب النيران فلم يجدوا لهم بين أيديهم عدوا فولوا الأدبار ولموا بنى عبس خيلهم وأسلابهم قوة وأقتدار وعادوا راجعين وفى سيرهم بجدين وإلى قومهم بنى عبس طالبين فهذا ما كان من هؤلاء وأما كان من المنهزمين الذين انهزموا من بنى طى فانهم لما وقعوا فى الحذر عادوا على أعقابهم خائبين فى البر الأقفر إلى أن التقوا بملجم بن حنظلة وكان تابعاً لهم على الأثر فاخبره بما تم عليهم من ميسرة بن عنتر فصرخ وجلبب وزمجر وصاح فى جيشه تكدر وماذالوا سائرين إلى أن أصبحوا فى أرض بنى عبس وكان قدومهم عند طلوع الشمس وقد نزلوا ذات اليمين والشمال حتى ملؤا الروابى والتلال فلما رآهم الملك قيس انجزع وقد داخله ماحل به الخوف والفزع وسمع بذلك عنتر فانى إليه وسكن روعه وطيب خاطره ممانزل به ودخل عليه وقال أى شىء هذا الخوف ياملك الزمان دع عنك هذا الوجل والرجفان وأعلم أن هيبتنا قد سكنت فى قلوب العربان ويكون على علمك إنى ماأبالى بجميع الفرسان ولو التقت على خلق البطان وأتتنى عشائر كسرى أنوشروان ودساكر قيصر ملك عباد الصلبان وإن كنت قد خفت من ملتقاهم فدعنى أنا وأصحابى للقاهم فإن قبلونى وحلوا بى المنون فدبروا أنتم لأنفسكم من بعدى كما تشتهون وافعلوا ماتريدون قال فهذا ماجرى بين الملك قيس وعنتر الهمام وأما ماكان من الملك

حاجم ومن معه من الفرسان فانه دعا بالقطريف بن مناهب فحضر إلى بين يديه وكان له بجاوب وكان بطلا من الابطال وقدمه على عشرة آلاف فارس لهم فى الحرب مقدرة وأمره أن يكون بهم فى الميسرة ودعا بعد ذلك بزياد أكال الاكباد وضم اليه عشرة آلاف فارس وأمره أن يكون فى الميمنة ورتب عشرة آلاف فارس وقدم عليهم الفرقوع ابن نحاد وتركه فى القلب حتى يكون فى مقابلة عنتر وجعل باقى الجيش فى الجانبين وأراد بعد ذلك أن يقضى ماله على بنى عبس من الثار وكذلك فعلت بنى عبس فى جنودهم مثل أفعالهم وخففت أعلامهم وكان فى المقدمة عنتر بن شداد وبين يديه ولده ميسرة وابن أخته الهطال وسابق ولاحق لحول الرجال ووقف الملك قيس تحت راية العقاب وحوله أخوته وعنتر وقف فى القلب وعلى رأسه التنين والازدهار الذى كان على رأس الملك كسرى ملك الاقطار ولما اصطفت الصفوف برز عنتر بين الصفين وأشهر نفسه بين الفريقين وكان راكباً على ظهر جواده الابجر وهو الذى كان على رأسهم كلما كبر زادت قوته ولا يمل ولا يضجر ثم أنه زعق زعقة حير بها الطائفتين ثم نادى وقال من عرفنى فقد أكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفا أنا العالى العماد أنا بطن الواد أنا مفتت الاكباد أنا مدحرج الروس من فوق الاجساد أنا ميتم الأولاد من الآباء والاجداد أنا القاهر فى الحرب سائر العباد أنا حامية بنى عبس عنتر بن شداد فأين أصحاب العزمات أين الملوك والقادات أين أصحاب البنود والرايات ثم صال وجال وأروى طرفا من شجاعته للاقيال ولعب بالسيف الصقيل وطعن فى صدور الفرسان بالرمح الطويل فأدهش الناظرين وحير عقول جميع الحاضرين وبعد ذلك جاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فانشد هذه الأبيات الحسان

ولما رأيت الخيل تمر بى كأنها … جداول زرع قد علا فى التنبت
فناديت جاءت أسد عبس غطارفا … إذا طردت طالت قريبا وكرت
بكل حسام فى العظام مصمصم … وسمر القنا قد ساعت واستمرت
وكم خضت فيكم قسطلا بعد قسطل … وقدت ملوكا فى حبال وذلت
لحا الله شجعا كلما صاب معرك … تولى فراراً مثل كلب بنى مزنت
فكم رويت الرمح من دم كندة … بطعن إذا ما العين رأته ولت
وكم خضت فيكم جحفلا بعد جحفل … وأرويت طيراً من حسامى وحلت
ولو أن قومى أنصفنى رماحهم … فعلت فعالا تذكره كل ملت

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من الشعر نادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز فلا يبرز للميدان إلا كل بطل مناجز وما يتاجر اليوم إلا كل الأعاجز فلما سمعوا بنى طى وبنى كندة منه حديثه علموا أن ليس لهم به طاقة فاحتاجوا أن يحملوا كلهم لأنهم علموا أنه إذا قتل أحدا من ملوكهم كسرهم وبدد شملهم فلم يهلوا دون أن حملوا من وقتهم وساعتهم عن بكرة أبيهم ولم يبق إلا الملك ماجم بن حنظلة والملك زياد بن أكال الاكباد لأنهم ملوك تمام فثبتوا تحت الرايات والاعلام ومعهم نفر قليل من الفرسان هذا وعنتر قد تلقاهم وفتك فيهم بشجاعة وسار تارة يطعن فى الميسرة وهو يعمل عمل النار المسعرة وكذلك يفعل مثل ما فعله ولده ميسرة وكان لهما على الحرب قوة وسار عنتر يقصد القلب والجناح ويجندل فيه من الإبطال ويكر على من هناك من الشجعان ويعود إلى وسط الميدان وقد أعانته على ذلك بنى عبس ومن معهم من الفرسان وكان لهم ساعة تقشعر منها الابدان من كثرة جثث الفرسان وساروا أكوام فى وسط الميدان

(قال الراوى) فبينماهم فى تلك الاحوال والحروب قايمة على ذلك الشأن وهم فى ذلك القتال والقلعان وإذا بغبرة قد ثارت ملأت تلك الروابى والقيعان وكان إقبالهم من ناحية ديار بنى عبس وعدنان وكانت جيوشنا قد سدت التلال والكثبان فتسارعت اليهم الرجال بعد أن كفوا عن الحرب والقتال ومضى منهم من يكشف الاخبار والاحوال فتلقوهم وتبينوهم وإذاهم من بنى الشريد وبنى جشم وأهل تلك البادية يقدمهم عمرو وضيغة ومالك والحكم ومعاوية وفى أوايلهم النسر المعمر شيخ العرب ابن الصمة الذى بلغ من العمر الطويل ما بلغ ولم ينقص عليه شىء من تلك العزيمة والهمة ولما رأى سوق الحرب قايم والطعن بين الطايفتين دايم صاح واحرباه عليك يا أبا الفوارس ويا من ليس له فى هذا الزمان مقايس وما أن نادى بذلك أشد النداء حمل هو ومن معه وتلقوا الاعداء وقد أثار نار الحرب واصطلاها وشك بطعناته صدور الرجال وكلاها وزعق فى الرجال فخاضت الجحفل وجودت فى القتال هنالك حمى الهوجل وكثر القسل وداخل الجبان الفشل وانقطع الرجاء والامل وظهر من عنتر العجب ولم يلحقه ملل وكان ميسرة فى ذلك اليوم بطل وأى بطل ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وأنسدل وافترقت العشاير بعضها من بعض وقد امتلأت من أجساد القتلى جنبات الارض وعادت بنى عبس وبنى هوزان يقدمها دريد بن الصمة وقد ظفروا وأنتصروا وأما بنى كندة وملوكها قد تحسروا وخسروا لانهم قتلت شجعانهم وانهدمت أركانهم وعاينوا من بنى عبس وبنى هوازن ما شيبوا والدانهم هذا

وعنتر قد عاد فى مقدمة العربان كأنه لابس حلة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يزأر كما يزأر الاسد الغضبان ومع ذلك ينشد ويقول :

سقيت الغيث من قطر الغمام ألا يادار عبلة على الدوام
نزلت من الحجاز بغير أرض وطفت من القباب مع الخيام
خيالك ياابنة مالك أمامى وطيفك يعتريني فى منام
أعبلة لو سألت بجمع طى وكندة أخبروك ببنى الكرام
سل سيفى ورمحى عند حربى وعند الضرب كيف بهم أحام
على ظهر الأبجر ليث غاب أقــدمه إلى الموت والزؤام
ويحميه فتى شروس عبوس بابيض فاصل فى الكف ضام
تخال المرهفات به صباحا يجاوب صوته رسل الحمام
إنى حامية عبس المكى لكشف النائبات على الدوام

ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر طربت السادات ولحقها الهيبة ولم يزالوا كذلك إلى أن نزلوا فى الخيام وأكلوا شيئاً من الطعام وتحارسوا الجمان وأخذوا الراحة للمنام إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وتأهبوا إلى الحرب والكفاح وإذا قد برز عنتر إلى الميدان واشتهر بين الفريقان وقال أين الليوث الضراغم أين الاسود القشاعم أين حماة بنى طى اليوم أكوى قلوبهم بنار الحرب كى أين فرسان اليمن أين سادات بنى قحطان أبرزوا إلى الجولان فى الميدان إن كنتم تدعوا أنكم فرسان فقالوا العرب لبعضهم إلى متى يهددنا هذا القرنان ثم انتخب منهم الاقران وإذا قد بان لهم غبار من تلك التلال وبعد ساعة تقطع وظهر من تحته رجال وأبطال وطلبوا مكان الحرب وهم ينادون ياالعامر يالكلاب فى حثل هذا اليوم طاب الطعان وفى مقدمتهم عامر بن الطفيل وهو ينادى ويقول هذا لعينيك يا أبا الفوارس ويامن لم يزل لقبيلته حافظ وكان السبب فى قدوم دريد بن الصمة وعامر ابن الطفيل الذين كان أنفذهم عنتر فان عنتر لما رأى ماحل بالملك قيس من الامر أنفذ عبدين من عبيده إلى شيخ العرب دريد بن الصمة فى بنى هوزان وإلى عامر بن الطفيل وفى ثانى الايام وصل شيخ العرب دريد بن الصمة فى بنى هوازن وفى خامس الايام وصل عامر وبذلك كان السبب لتأخير العبدين فان عودتهما أخيرا بنى عامر بالخبر كما أوصاهما الامير عنتر ولما وصل عامر ورأى عنتر كما ذكرنا فى مجاولة الاقران وكان أول من برز من سادات بنى كندة الاعيان يسمى مروان فلما عاد عنتر وتقابلا الفرسان

تمادى بعنتر وأكثر من الهذيان وقال له ياعبد السوء إننا ما تأخرنا من برازك وقتالك إلا انفت أنفسنا منك ومن أعمالك وعار علينا أن نبارز عبداً من أمثالك فتبسم عنتر من مقاله تبسم الغيظ وقال ياابن اللخنا أن قولك هذا قول من هو غير عاقل لانك تتمنى أنت وسائر ملوك اليمن أن تكون نساؤهم وبناتهم منى حوامل فكم من فارس أبلج وملك متوج تركته طعاما للنسور فى الميدان ومضى عليه الزمان كأنه ما كان فعند ذلك حمل الفارس على عنتر حملة منكرة فالتقاه عنتر بعزمة باهرة وفتحا فى الحرب أبوابا حسان وجالا وأوسعا فى الجولان وكان لهم ساعة من ساعات الزمان وهما لايفترقان وفى الحرب لايقتصران ودام بينهما الحرب والطعان وارتفع عليهما فى ذلك الوقت الغبار حتى غابا عن الاعيان ومابقى يظهر من الإثنين إلا بريق السيفين ومازالا كذلك هذا والقلوب اليهما متعلقات وإذا بتلك الغبرة قد تمزقت وإلى نحو السماء تعلقت وظهر من تحتها عنتر البطل الصنديد وهو كأنه البرج المشيد وخصمه مجندل على الصعيد

(قال الراوى) وكان السبب أن عنتر اتعب خصمه وأهوى له بالسيف أن يضربه فوقانى فاستتر خصمه بدرقته فقلب عنتر سيفه الظامى كلمح البصر وضربه تحتانى فوقع السيف على خاصرته خرج من خرزة ظهره فوقع إلى الارض نصفين ورمقته كل عين هنالك بزالغطريف بن مناهب الملقب بمقارع المناقب وخرج كأنه باشق وهو الذى كان كسر بنى عبس سابقاً فى أول مرة بقوته وفروسيته وشجاعته فخرج ولحقه الغيظ على عنتر وفى يده رمحه وهو من الحديد يلعب به وهو كأنه البرج المشيد ومتقلد بثلاث أسياف لأجل قتاله أحدهم فى ركابه عن يمينه والثانى عن يساره والثالث هو الذى فى اعتقاله وعليه ثلاث دروع من الزرد مضاعفة العدد كأنها عيون الجرد لاتقطع فيهم الصارم المهند وعلى رأسه بيضة عادية ململمة ترد أسباب المنية وعلى كتفه درقة خلجانية بهلولية وهو راكب على حصان أدهم وحمل فى عاجل الحال على عنتر بن شداد حنقاً وكذلك عنتر الآخر حمل وأطلقا العنان ودام الحال ساعة من الزمان حتى تعجبت من فعلهما الفريقان وتطاحنا بالرماح وامتشقا بالصفاح وعلا منهما الصياح ولم يزالا على ذلك التلاطم وهما فى الجد والكد والتلاحم وفى أيديهما الصوارم وتعجب منهما كل قاعد وقائم على ماجرى بينهما من الضرب المتراكم وتعبت من تحتهما البهائم وارتعدت من فضائلهما الابطال ولم يزالا على ذلك العيار إلى أن قرب آخر النهار وعنتر كان فى زيادة واستظهار وأما الغطريف كل ومل وانمحى رسم قواه واضمحل وأيقن بحلول الاجل والموت المعجل وبان لعنتر منه التقصير وعرف منه ذلك معرفة خبير فزعق

فيه زعقة عظيمة وضربه ضربة مستقيمة فوقع السيف على رأسه ودام السيف يقطع إلى حد أساسه فوقع عن الجواد قطعتين وانجدل صريعاً من الجانبين كأنه جزر جزار أو نشر بمنشار فصار يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه فتعجبت الفرسان لتلك الضربة وقالوا والله لقد نكب هذا الفارس نكبة وأى نكبة ولما فعل عنتر ذلك الفعال عاد عن مقام القتال لاجل أستقبل من ورد عليه من الابطال فتلقاه عامر بن الطفيل وهناه بما ناله من الظفر ومال أعداؤه من الذل والويل .

(قال الراوى) وكان عنتر أعلم دريد بن الصمة وولده ميسرة الذى له على الحرب قوة ومقدرة على أنه قاصد العودة إلى الميدان فإذا رأيتموهم قد حلوا على أحلوا واحموا ظهرى فانى أريد أقصد ملجم بن حنظلة وكذا زياد أكال الاكباد أروى من دمائهم أسنة الرماح المداد فاجابوه أصحابه كلهم إلى ذلك المقال وقد أيقنوا أنهم إذا فعلوا هذه الفعال تنقضى جميع الاشغال ثم أن عنتر رجع على عقبه وقد أرمى الرمح مزيده وجرد سيفه الضامى من غمده واستوثق من الدرقة وكانت من الحديد مصفحة بجلده من جلود وحوش البحار وأصلها شديد ومن فوقهم رمانة بولاد وزاد وزنها تسعة أطنان بوزن تلك البلاد فوكز الابجر بمهاميزه والدرقة بيده فخرج من تحته كأنه الهبوب فطاب القلب فتزاعقت عليه الرجال من سائر الجنبات فلم يعتنى بهم ولا التفت اليهم ولم يزل على ذلك الاهتمام إلى أن وصل إلى تحت الاعلام ومر بمجتمعة فى مكان واحد كأنهم قضب الآجام ويزل يضرب فيها بالحسام يرى منها سبعة أعلام وتساقطت إلى الارض وتبددت طولا وعرض وبعد ذلك طلب ملجم بن حنظلة وضربه بالسيف على رأسه كاد أن يهدم أساسه فجاءت الضربة صفحاً لشىء يريده الله فوقع على الارض وقد أيقن بالبلاء والويل ثم أن عنتر طلب بعده زياد بن أكال الاكباد ولم يمهله إلى أن لحقه وضربه بالسيف على عاتقه طلع من علائقه ولم تكن إلا ساعة حتى تلاحقت به بنو عبس وهم لا يعرفون الصواب من الخطأ وهزوا فى أيديهم السيوف وحموا على الصفوف وجزروا الرجال جزرا وهبروهم هبراً وسقوهم من العذاب كاساً مراً قال فتلقتهم بنى قحطان تريد الضرب والطعان فدهمهم عنتر وولده ميسرة وهما كأنهما النيران المسعرة وسار ينكث الاقران ويقتل الشجعان وقد طلعت على رؤسهما الغبار إلى العنان وصار مثل الدخان هذا والعجاج حالك وكثير من الرجال هالك فيالها من ساعة ما أعظم شأنها وأشد أركانها شابت الرؤس وضاقت النفوس وكثر الدعاس وقوى المراس وصارت خيل بنى عبس وحلفاءهم تدرس أجساد الناس ولم يزالوا كذلك حتى

سالت الدماء نجيع وطارت الرؤوس هلوها وسالت الدماء على السواعد سائلات وضرب بالقوم المثل وكثرت الأقاويل وصار العزيز ذليل هذا والضرب جزراً والطعن هبراً وأخذوا بنى عبس من أعداءهم كثير من الأسرى وقد بقيت الوجوه مثل العلق إذا أظلم الآفاق ولم تزل نار الحرب تشعل والسيوف تعمل حتى أظلم الظلام ولم يبق من بنى كندة وبنى قحطان ولا شيخ ولا غلام إلا كلهم ولوا الأدبار قال فعند ذلك احتاطت بنى عبس بأموالهم والغنائم وأسلابهم هذا وجميع العربان تشكر عنتر وتثنى عليه ويكثرون من الدعاء إليه وكذلك ولده ميسرة البطل القسور وصار عنتر يشكر تلك القبائل التى قدمت وتسارعت إلى معاونته ويثنى على شيخ العرب دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وكذلك عامر بن الطفيل الفارس القيل وأصحابه الأنجاب وهم بنى عامر وغنى وكلاب ثم أنه ابتدأ يعرفهم بما هو عازم عليه من جهة رحيله من أرض قومه وأنه راحل عنهم من يومه وبما قالوه فى حال غيبته وبما بلغه من العيب والمذمة وما تكلم قيس فى حقه من الفساد وبما قال له الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد ثم أنشد هذه الأبيات الحسان:

خليلى مر بى على دار عبلة ... لتسأل رسماً قد خفى عن أحبتى
لاسائلا ربعاً باللقا من ذوى الفضا ... إلى الربوة العليا محل ربابتى
سلامى على أرض الشربة إننى ... مفارقكم يا إخوتى وعشيرتى
فوالله لا خليت أرضاً أكن بها ... مضاماً ولا يعرفن أهلى منيعتى
ستذكرنى قومى إذا جالت العدا ... عليهم جهاراً فى الدجا والعشيتى
هناك بيان الفعل حقاً وتذكروا ... فعالى وأهوالى وبأسى وشدتى
ألا بلغا عنى وقولا لكندة ... دعوا الحرب أن الحرب نار وزفرتى
فلا تبتغوا حرباً لعبس فإنهم ... أسود الثرى فى الحرب غير أذلتى
ولما رأيت الخيل تعثر بالقنا ... وقد نهلت منها الذمائم غلتى
أقنا لهم سوقاً إلى الطعن كثرة ... لنا الحرب عند أبيات زفر وكرتى
أنا لا أرى أن تشعروا زايدى ... إذا هى من هول الحروب اقشعرتى
وإنى أرم أحمى جميع عشيرتى ... وأوقفهم فى المجد إذ هى وليتى
وقفت فيهم فى موقف لو ثقوا به ... جبال الفلاة ذاك الوقت دكتى
ومروان لما رام حربى تركته ... يمج نجيعاً جزر وحش الشرستى
ولما رأى شخصى زياد فى الوغا ... فولى قوانا يبتغى المنيـة

وطاعنت قحطان وبددت شملهم   بأسمر عسال فولت هزيمتى
وجندلت أبطال المفارق فى الوغا   بعزمى وبأسى فى الحرب الشديدتى
وقد علمت كل الخلائق إننى   علوت بمجدى فى الورى بحدتى

(قال الراوى) فلما سمع الفرسان شعر عنتر قالوا له أحسنت ياأبو الفوارس ويازين المجالس لا فض الله فاك ولا كان من يشناك والله لقد صدقت فيما به نطقت ولكن يجب عليك أن تغضب على قومك لأنك سيفهم القاطع ودرعهم المانع فوالله إن فارقتهم لاترى منازلهم بلاقع فقال عنتر يابنى عبس بطول ما إسمى عليكم وأنا فى حياة الدنيا أنتم فى حرز عظيم وعز مقيم حتى إذا علمت قبائل العرب وأشرارها قد دهمتنى المنية فى ذلك الوقت ما يلومون من عبس ثم أنهم عادوا إلى الديار وقربهم القرار فعند ذلك أمر عنتر بذبح النوق وأمر عبيده وخدامه بترويج الطعام وأقام بإكرام جميع العربان وأكرمهم غاية الإكرام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع تفرقت العرب إلى منازلهم وطلبت أما كنها بعد ما طلب دريد أن ينزل عنتر عنده وكان ذلك تخفيفاً عنهم فانصرفوا إلى حال سبيلهم وقد خلى عنتر فأدعى بعمه مالك بن قراد وولده عمرو وأخوه زخمة الجواد وسلم إليهم أموال عبلة وأمواله وكل ما يملك من الفضة والذهب وأدعى بعد ذلك بولده ميسرة وقال له يا ولدى كلما اكتسبت من الفضة قد سلمته إلى أعمامى وهو عندهم فإن احتجت إلى شىء خذ منهم وأمرك نافذ فيه مثل أمرى ونهيك مثل نهيى وأوصى إليه ولو أراد هلاكهما جميعاً لا تمنعوه منها فقالوا سمعاً وطاعة ثم وهب لغلمانه من الأموال غير قليل وأعتقهم وقال لهم لا تفارقون ولدى ميسرة وكونوا معه فقالوا له سمعاً وطاعة وأقام ميسرة عند بنى عبس والناس يبكون لفراق عنتر بكاء شديد ثم ودع عنتر الناس وكان أكثر وصية لبنى عبس ولده ميسرة وعروة بن الورد ثم التفت إلى ولده ميسرة وقال له ياولدى إن رأيت من بنى عبس ضيم لا تجاورهم أبداً وارحل عنهم أنت وأصحابك إلى دمشق فإنى ماضى إليها أزور صاحبها الحارث الوهاب سيد بنى غسان لأنى كثير الشوق إليه وهو كذلك لأنك تعلم ما فعلت معه من الجميل وإياك يا ولدى أنك تذل لأحد من الأنام إلا وتقطع رأسك بالحسام ودعه يكون من الأعداء أو من بنى الأعمام فقالوا له العبيد الذى قد أعتقهم وأكثر الرجال والفرسان إن لم تأخذنا فى صحبتك ونكون فى ركابك وورفقتك فلا يهدى لنا حال ولا تحرمنا من رؤيتك ودعنا نشبع من طلعتك فقال عنتر لا أسير إلا وحيد فريد ولا يكن معى أحد صاحب رأى سديد أقل ما يقول الملك قيس فى حتى قد أخذ عنتر فرسان الحى ليغفروه وإلا كنت أخذتكم معى ثم أنه قال لهم إنه

كان مرادكم صحبتى فصاحبون رجال صديق عروة وولده زيد إن رحل عنكم ولدى ميسرة فصاحبوه وانظروا كيف تكونوا معه ثم سار وقد أخذ معه شيبوب وولده الخذروف وسبيع اليمن وأمه مسيكة وأبوها وأختها وبنت عمه عبلة وجعل هودجها محاذى هودج مسيكة بالمسير ثم أنه أقبل على عبلة وقال لها يا بنت العم رحلت وتركت الديار للملك قيس والربيع بن زياد فهو من اليوم يتبع رأى الربيع وإخوته ويدبروا رأيهم كيف يشاؤن وما أنا إلا عبد للملك زهير وأولاده وإن بقيت منهم بنت عمياء مكسحة تبعتها وعدت الناس إلى طاعتها فسمعوا أهل القبيلة منه ذلك الكلام فبكوا على فرقته وحسن مودته ودخلوا على الملك قيس وقد أخبروه بما نطق به عنتر وكيف أنه رحل من بينهم قال فبكى الملك قيس عليه بكاء شديد وزاد تأسفاً وتنكيد ثم نهض أن يقوم يسترضى عنتر ويتلاقا قلبه فقال الربيع وعمارة اترك هذا العبد الزنيم والبغل اللئيم ودعنا نستريح من مقاساته ومعادات العرب فأنت تعلم أن جميع العربان ماعدونا إلا من أجله ولا بد له من بعد غضبه أن يرجع إلينا ونقتله وعلى وجه الأرض نجندله ونريح العرب منه فدعه يمضى من حيث لا يرجع ولا بقينا نرى وجهه الأشنع ولم يزالوا بنى زياد على الملك قيس بمثل ذلك الكلام حتى أنه قعد عن المسير خلف عنتر لأجل ما بينهم من العداوة والضرر ثم أن عنتر قدم سبعة جمال وحمل عليهم ما يعز عليه من المال وأخذ معه من الخيل الأبجر والأصفر والأشقر وفرس زيادة بن أكال الأكباد ونعامة وكواكب وأمه سكاب وخمس قباب من الاديم وسبع قباب إبراسيم وسرادق كبير كان للملك كسري مكان وسار وأنات وهؤلاء الذين كان أهداهم له الملك كسرى وبعد ذلك رحل عنتر من ديار بنى عبس وصار يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار وهو يجد المسير فى الآكام ليلا ونهار وشيبوب والخذروف فى ركابه كأنهما ذكر النعام إلى أن وصلوا إلى الرحبة وقد أقاموا بها أيام وبعد ذلك سار إلى السبخة وأقام بها ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع حمل وسار إلى أن وصل الى حصن قيصر فأقام به ثلاثة أيام ثم رحل فى اليوم الرابع وسار إلى أن وصل إلى مكان يقال له القيمول وكان طوله ميل وهو كثير العشب والكلا والماء والمرعى فأقام هناك فى أكل وشرب ولهو وطرب مدة أيام ثم صاح بأخيه شيبوب وقال له يا أخى اسبقنى إلى دمشق وأعلم الحارث الوهاب بوصولى إليه وقدومى عليه فقال له سمعاً وطاعة ثم قام من وقته وساعته وأخذ ولده الخذروف فى صحبته وركب البر الأقفر فلم تكن إلا أيام قلائل حتى أشرف على دمشق وبقى قريب منها ونظر إلى البساتين والأشجار وسمعنا أصوات الأطيار وتغريد البلبل والهذار وروائح الأزهار فدخلا دمشق

فرأوا الندب والمآتم والبكاء فى جميع الرسوم والمعالم والأسواق مغلوقة والقلوب من أهل دمشق محروقة فارتاع شيبوب والخذروف من ذلك فبينما هم باهتين وإلى هذا الحال شاخصين وإذا هما بخيول مصبوغة وسروج مقلوبة وجوار منشورات الذوائب لاطمات الخدود مهتكات الوجوه فتقدم شيبوب إلى بعض الناس وسأل عن الخبر فقيل له يا فتى قد قتل صاحب دمشق الحارث الوهاب سيد بنى غسان فلما سمع شيبوب ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وعاد من ساعته إلى أخيه عنتر وترك ولده الخذروف يكشف له الخبر وكيف كان هذا السبب فى قتل الملك الحارث الغسانى لما عمر الرصافة وعمرت وجعلها هى لنزهته وسكن فيها مدة من الزمان ورحل طالب دمشق وقد علت مرتبته وخاف ملوك البلدان من أهل الشام فى مدته وصار له العز والسداد والجزية تحمل والعداد من أقصى البلاد وأنه فى بعض الايام أرسل ابن عم له إلى بنى تنوخ فى بعض الأعمال وطالبهم بالجزية فأكرموه وأقام عندهم أيام وليال هو وما معه من العبيد وحملوا إليه المال فكان شيئاً كثيراً من ثياب ومال وطيب وذهب وفضة ثم عاد طالب دمشق والمال بصحبته فتبعوه قوم من بنى تنوخ لما كثر فى أعينهم المال ونظروا إلى عدم الرجال الذين بصحبته فنزلوا عليه وقتلوه وكل ما كان معه من المال أخذوه ووصل الخبر إلى الملك الحارث وكان فى خدمته إثنين إخوة من بنى تنوخ فأحضرهما وقال لهما إننى قاتل أحدكما فى ثار ابن عمى فقال وما ذنبنا ونحن عبيدك حتى تقتلنا ونحن ملازمين خدمتك والذى جرى على ابن عمك لم يكن بعلمنا أتقتلنا يا ملك بذنب غيرنا فقال لا بد لى من ذلك فانظروا من فيكم مختار الحياة لنفسه وآخذ ثأرى من الثانى وبعد ذلك فلا بد ما أكتفى بقتل واحد منكم حتى أسير إلى أهلكم وأقطعهم عن أخرهم فقال أحدهم أيها الملك إن كان ولا بد من ذلك فاقتلنى ودع أخى فإنه خير منى فقال الآخر بل اقتلنى أنا ياملك ودع أخى فأنا لا أرضى أن أعيش بعده على هذا الحال فقال الملك أنا أوافق أن تضربوا بينكم القرعة فمن وقعت القرعة عليه قتلته ثم أنه قارع بين الإثنين فوقعت القرعة على الأكبر فلما علم أنه مقتول قال لأخيه يا أخى اقرأ والدتى منى السلام وقل لها ولدك شرب كأس الحمام ثم أنه بكى وأنشد هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

وما بعــد الإقامة فى ديار ... وما الليالى الدهر بالفائدة
فبلغ تنــوخ وسادتها ... وبلغ سراة بنى زائدة
ويا مالك بعــد موتى فسير ... وبلغ سلامى إلى الوالدة
ويا أم شمال لا تجزعى ... أرى الموت شرب لمن وارده

والصبر أجمل من غيره ، سفوحاً ونيرانها خامدة
وما لى فى الناس من غيره وحسبك من أسوة واحدة
فلم يدع المـــوت أشفاقها ولا هى من ربها حامدة
ولو أنهم قتلوا مالك لكنت لهم حية راصدة

(قال الراوى) فبكى مالك بكاء شديد وقال أيها الملك اقتلنى واطلق أخى وإلا اقتلنى معه فلم يقبل وأمر السياف فضرب رأسه وطرد مالك من خدمته وأخذ ماله ومال أخيه ونجى مالك على ظهر جواده ولحق بأهله بنى تنوخ ودخل على والدته ونعى لها أخيه شمال وأنشدها شعره فقالت له صحبتك من هذا اليوم حتى تأخذ بثار أخيك ممن قتله فقال لها كيف الوصول إلى قتل الحارث فقالت له يا مالك أما سمعت قول أخيك ولو أنهم قتلوا مالك لكنت لهم حية راصدة فقال مالك لله درك ما أخبرك بالشعر والنظام ثم أنه ركب من ساعته على ناقته وأخذ معه سيف كان ورثه من أبيه وما زال حتى وصل إلى دمشق ثم أتى إلى رجل خمار ونزل فى بيته وأقام عنده ليلا ونهاراً وهو يبكى وينشد الأشعار فرق له قلب الخمار وقال له من أى العرب أنت وما جرى لك من المصاب فقال يا فتى أنا رجل غريب من بنى تنوخ الشجعان وقد قتل أخى الحارث سيد بنى غسان فقال له الخمار يا فتى عندى رجل حاله مثل حالك فهل اجمع بينك وبينه فقال مالك افعل ما تشاء فأخذ بيده ودخل على ذلك الفتى فرآه يبكى فجلس مالك إلى جانبه فقال مالك يا فتى من أى الناس تكون فقال من همدان وقد قتل لى الحارث ولد وأنت من أى العرب تكون فقال أنا من تنوخ الشجعان وقد قتل لى الحارث أخ من غير ذنب وكان يقال له شمال وأنا إسمى مالك فقال الرجل وأنا إسمى لوبيد وقد قتل لى الحارث ولد وأتيت آخذ ثاره منه فدعنا نشرب ويطيب عيشنا فلعل تسهل مصائبنا وينجلى عنا عارنا فأنا عندى رأى حميد وهو أننا نطلع إليه فى عيد الميلاد ونقتله ونبعد عن بلاده .

(قال الراوى) ثم أن الحارث كان عادته أنه كان يخرج وحده هذا العيد لا يتبعه أحد لا أبيض ولا أسود وكان يرفع المظالم عن الرعية والذى يكون له حاجة يقضيها له أو مظلمة يرفعها عنه ويطلب بذلك التقرب إلى المسيح ثم أن الإثنين مالك ولوبيد أقاموا عند الخمار شهراً كاملا فلما كان عند الميلاد خرجا وكان كل واحد منهما قد أخذ معه خنجر ولما خرجا من بيت الخمار وقفا للحارث فى طريقه وإذا به قد طلع من داره مثل طلوع الشمس ولم يكن معه أحداً من عشائره بل هو وحده كما جرت عادته فتلقاه الرجلين فقال مالك للوبيد

تقدم أنت إليه واشغله واجعل أنك مظلوم واشغله بالحديث وأنا أكفيك أمره ثم أن مالك أكمن له وهو مستظهر بخنجره وتقدم لبيد وكلمه واشتغل الحارث معه فى السؤال فطبق عليه مالك وضربه على عاتقه أخرج الخنجر من علاتقه ثم ثنى عليه بآخر قطع أمعاه وأخرج ما فى وعاه فتواثبـــوا إليهم واجتمعوا الحاضرين وقبضوا على الإثنين وسلموهما إلى نائبه فحبسهما فى قلعة دمشق وأقاموا بعد ذلك ثلاثة أيام وهم قائمون الأحزان ثم أنهم أنزلوا الرجلين من القلعة وقد أحضروهم إلى القتل فأنشد مالك التنوخى يقول :

يا إخوانى بالغوا ولا تدعوا ... بنو تنوخ إذا هما رجعوا
ألا تجدوا مثل ما وجدت أنا ... ولى زمان قد مسنى الوجع
حلة صفاح الحديد من قدم ... فى الصواعق للمحموم قد سطع

(قال الراوى) وبعد إنشاد مالك قتلوا الإثنين وحان عليهما الحين ثم أنهم قاموا على الحارث البكاء والنواح وقد ذهبت عنهم الأفراح وحلت بهم الأتراح هكـذا مساء وصباح وفى تلك الأيام التى نحن فى ذكرها وصل شيبوب أخو عنتر وولده الخذروف وجرى له ما جرى وعادوا إلى عنتر وأعلموه بالخبر وأطلعوه على جلية الأثر فعظم عليه وكبر لديه ثم أنه سار حتى دخل إلى دمشق ونزل فى الميدان الأخضر وطلعت إليه البلد والعوام وسلموا عليه ففرحت بقدومه البلاد ووقع الصياح فى دمشق الشام بوصول عنتر وإنزاله فى الميدان الأخضر قال فطلعت أرباب الدولة وأكابر البلد والقسيسين والرهبان وحدثوه بقتل الحارث فبكى عليه ثم أنهم دخلوا إلى البلد وأنزلته حليمة فى دار واسعة الأركان وهى نزهة للناظرين هو ومن معه أجمعين وأنفذت إليه الفرش والمأكل وكل ما اعتاده وجميع ما يحتاج إليه وقد أقام عنتر مخدوم مكروم شهر كاملا وهو يأكل ويشرب ولما أن كان بعد الشهر أنفذت حليمة وطلبته إليها ولما حضر نصبت له كرسى من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر فجلس عليه عنتر واحضرت له الطعام من خاص سائر الألوان فأكل وبعد ذلك قالت له يا حامية عبس إعلم أن من عام قتلت المرزبان وأبو الدوح وكثرة الجيوش التى لاياس بن قبيصة ما عدت ذكرتنا ولا زرتنـا ونحن مشتاقين إلى طلعتك وندعو لك فى السر والجهر لأننـا ما رد علينا الملك إلا أنت فلا أعدمنا الله طلعتك فقال لها عنتر يا ملكة أنا قد أشغلنى عنكم ما جرى علينا من الاحكام وصروف الليالى والايام ولقد صعب على والله فقد أبوك ونسأل الله أن يطيل عمرك ولا يعدمنا شخصك فأعلمينى من خلف بعده على الرعية وسياسة الملك فقالت له يا حامية

عبس قد خلف ولداً لكنه طفل صغير عمره تسع سنين وأنا خائفة من صاحب الحيرة وعشائر العراق يأتوا ويجتمعوا بدمشق ويأخذوها ويقتلوا أخى فقال عنتر كان يفعلوا هذه الفعال إذا لم أكن أنا حاضر هاهنا وما يقدروا يقربوا جهة الشام فقالت حليمة إعلم يا أبا الفوارس أن الرب القديم قد من علينا بقدومك إلى الشام فقال لها أحضرى أخوكى حتى أننى أنظره فعندها أحضرت الغلام بين يدى عنتر البطل الهمام فأخذه أقعده فى حجره وبكى ساعة زمانية ودخل عنتر إلى المجلس الذى كان يجلس فيه الحارث وأنفذ من ساعته خلف الحجاب والوزراء وأرباب الدولة فحضروا ووقفوا بين يديه ثم أمر العبيد أن تنادى فى جوانب دمشق بالحضور إلى مجلس الحارث فتسارعوا الناس يهرعون إلى القصر مثل الجراد المنتشر وجلسوا أرباب الوظائف فى مراتبهم المعروفة وأبصر عنتر سرير فأمر الخدام أن يضعوا المساند وأجلس ابن الحارث على ذلك السرير وكان إسمه عمرو فقال عنتر يا معشر العرب من بنى غسان وبنى قحطان إعلموا أن هذا الصبى ابن الملك الحارث وما فيكم إلا من يعلم ما صنع أبوه من صيانة الحريم ومن إنصافه لكل مظلوم ورد الغريم وتعلموا أيضاً منزلته كيف كانت وما كان بينى وبينه من المودة والاحسان وهذا ولده وهو وارث الملك من بعد أبيه ومن عانده فقد عاندنى ومن أولاه فقد أولانى فبايعوه الملك مثل ما بايعتم أبيه وأنا أحامى عنه بسيفى إلى أن يكبر وآخذه وأسير به إلى قيصر ملك الروم وآخذ له منه الشام وما يليها من الرسوم فقالت العرب المنتصرة وأهل البلد لله درك يا أبا الفوارس إشهد علينا بأننا بايعناه وقد أقررنا أنه ملكنا كما كان أبوه من قبله وهكذا نحن نكون تحت أمره كما كنا تحت أمر أبيه فقال لهم عنتر وأنتم اشهدوا على أننى أكفيكم مؤنة أهل الشرق والغرب والروم والافرنج وإن أحد عادا كم فأنا لكم وبين أياديكم فعند ذلك أمنت الناس وانصرفت العوام وهم فرحا بعمل عنتر وقعاده عندهم قال دخل عنتر إلى حليمة وقال لها يا ملكة أن أخوكى له رونق عظيم وهو على سدة الملك مقيم وقد أطاعه الخاص والعام وارتفع مقامه إلى أعلا مكان فقالت حليمة لا أعدمنا الله طلعتك يا حامية عبس ثم أنفذت حليمة إلى عبلة وزبيبة ومسيكة وأحضرتهم إلى دارها وأجلستهم على سريرها وقدمت لهم الطعام المختلف الألوان وكان طعاماً لم أرمثله قط ولا أكلوا شكله فأكلوا منه بحسب الكفاية إلى أن شبعوا وبعد ذلك دار عليهم المدام بكاسات من الذهب الأحمر وخلعت عليهم الخلع السنية مع خلع الملك قيصر وقدمت لكل واحد عشر جوار كأنهن الأقمار وثلاثة نوافخ من المسك وخمس طبلات من العنبر وثلاثة عقود من الجوهر ثم جلسا يتحدثن وزبيبة تشكرها وتثنى عليها ثم هموا بالانصراف

فودعتهم حليمة وسارت كل واحدة منهن إلى منزلها ودخلت عبلة إلى ابن عمها و معها تلك الأموال فوجدت أنه قد أتى إلى ابن عمها من الأموال والتحف والهدايا من كبار الشام شيء كثير ففرحت بذلك إلا أنها تحيرت مما نظرت وشاهدت وعنتر أيضاً تعجب مما رأى مع عبلة من التحف التى قد أعطتها لها حليمة ونظر عنتر إلى تلك الجوار كأنهن الأقمار فقال عنتر والله يابنت العم لا فى خزائن أبوكى ولا ملككم قيس مثل هذا فضحكت وقالت ياابن العم إنها أعطت مسيكة وأمك مثلها فضحك هو الآخر وقال وأمى الأخرى ثم أنه قام إلى منزل أمه فوجد شيبوب وولده الخذروف والجوار حولها فأقبل عليها وهناها بما أعطتها حليمة فنهضت إليه وتبسمت فى وجهه وضمته إلى صدرها ثم قالت له يا ولدى أقر الله عينك ولا أشمت بك عدواً لأننى بوجودك ارتفع قدرى ففرح بقولها وقبل رأسها وعنقها وطلب منها الدعاء ثم أقبل إلى إبنة عمه عبلة فتقدمت إليه وقبلته فأخذها إلى حضنه وضمها وقبل ورد خدها وأخذها على ركبته وسار يتحدث معها هذا وقد نفذ أمره فى دمشق وأعمالها فلو أراد أن يملكها لملكها لأن ما ثم أحد فى دمشق إلا وهو خائف منه ومن سيفه .

قال فبينما هو جالس مع عبلة يتحدثون وإذا بشيبوب قد دخل عليه وقال ياابن الأم خادم رومى كأنه القمر يريد الدخول عليك فقال له دعه يدخل فعند ذلك ترجل الخادم ودخل على عنتر وحط بين يديه رزمة فيها ثلاث خلعات مقصبات كل واحدة لون وثلاثة مناطق ذهب بفصوص الياقوت وثلاث نوافج من المسك الأذفر وعشر طبلات من العنبر وفرسين سابقين ورمحين مصفحين بالذهب الأحمر وعمودين من الذهب وكل عمود له حربة مدمكة بالذهب الأحمر ثم قال له يا مولاى ستى حليمة تسلم عليك وتقول لك هذه عدة أبوها وهى لك هدية ففرح بها غاية الفرح وسمى الفرسين واحدة غرابه والثانية عقاب ثم قال ستى الملكة حليمة تريد من فضلك وإحسانك أن تكون كل يوم تقعد موضع أبيها فى سد الملك ولا تترك أحداً من الجند ينقطع عن الخدمة إلا فى كل يوم يأتون إلى الديوان ويسلمون عليك فقال السمع والطاعة وانصرف الخادم وثانى الأيام عملت حليمة سماطاً كبيراً ودعت عنتر إليها فحضر وأكل وشرب ولما أن كان من العد لبس أفخر ثيابه ودخل إلى القصر وكانوا قد فرشوه الفراشين بالفرشات المثمنة وأقاموا الغلمان على رأسه كأنهم الولدان الحسان ووضعت المباخر من الفضة والذهب وفيها من العود القمارى ونصبت الكراسى من العاج والأبنوس والحديد والصينى وفيهم ذهب

وفطنة ودخل عنـــتر وجلس على سدة الملك وقد أقبلت الحجاب والنواب والوزراء وأرباب الدولة وسلموا عليه وجلس كل شخص فى محله وامتلأت المجالس بالناس وأقبل عمرو بن الحارث ومعه الخدم والغلمان وهو كأنه غصن بان وعلى رأسه تاج الملك فقام له عنتر ووقف بين يديه وأقبلت الأمراء وصاروا يسلمون على الملك وهو يرد سلامهم ويأمرهم بالجلوس ولما استقر قراره قام عنـــتر قائماً على قدميه وقال يا معشر الأمراء والأجناد والوزراء والسادات الأجواد اعلموا أن كل من كان فى ديوان ومراتب فلا يغيرها ومن كان له مال يستوفاه فلا ظلم ولا جور وكل من تعدى أو حقد على رفيقه أخذت روحه وخمدت نفسه فقالوا أجمعين سمعاً وطاعة يا أبو الفوارس ودبر أنت ما أردته من عقلك وأنت الحاكم علينا إلى أن يكبر ابن ملكنا فقال عنتر يكون ذلك وإذا كبر وأخذته ودخلت به إلى بلاد الروم وأخذت له التشريف والخلع والأنعام وادع البلاد بحكمه وتحت يده وإن لم يرض قيصر بهذه الأحكام ضربت رقبته حتى جعلته تحت حكم هذا الصبى وقعدته هذا فى سدة الملك وجعلت قيصر فى خدمته فعند ذلك رقع الدعاء فى قلب كل من كان حضر إلا أنهم شكروه وسارت حايمة فى كل وقت ترسل إلى عنتر المال والجواهر وأقام عنتر يدبر الملك ستة شهور وقد تواصلت الأخبار بموت الحارث الوهاب إلى بلاد الروم ووصلت أيضاً إلى الملك كسرى ملك العجم وأيضاً علم صاحب الحيرة الملك الأسود بقتل الحارث الوهاب وأرسل الملك الأسود إلى الملك كسرى وتشاوروا مع بعضهم بعض فى أخذ دمشق ويسيرون إليها فى جيوش العرب والعجم والديلم ولما هموا على ذلك أتتهم جماعة من الجواسيس وأخبرت أن عنتر بن شداد هو الحاكم فى تلك البلاد وكانوا قد جيشوا الجيوش فى تسعمائة ألف فارس من بطل همام مع كسرى ملك الأعجام وقالوا ما لنا بعنتر ولا بحربه طاقة ولا سيما صداقتنا معه ومعنا عهد منه لا نضيعه وأما الملك قيصر ملك الروم لما وصل إليه الخبر فقال ومن هو المتولى على البلاد الآن من بعده فقالوا له ولده وهو طفل صغير فقال قيصر كان الواجب أنه يأتى إلى قبل أن يجلس لأجل ما كنت أعطيه الخلع والتشريف فقالوا له اعلم أيها الملك أن عنده من أرض الحاز اليوم فارس غيور وبطل جسور قد أذل العباد وقهر الفرسان الشداد وهو فارس عبس المسمى عنتر بن شداد وهو الذى أقعده على الملك وبايع له جميع العشائر والأجناد وقال إذا لم يرض الملك قيصر بما فعلت سرت إليه واستلبت منه ملكه ونعمته وضربت رقبته إن لم يدخل تحت طاعتى ويقف فى خدمتى وقد عزم أنه يأخذ ابن الحارث ويأتى به إليك فقال الملك قيصر وكيف تركوه ملوك العراق يتمكن

من ذلك فقالوا له إعلم أيها الملك أن الملك كسرى و نائبه الأسود لما سمعوا بموت الحارث اهتموا وأرادوا أن يسيروا بالعشائر على الشام .

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر قال أما عنتر فإنه خلص منى المأسورين فاتلنة ومين وأخذ الرهائن من خيار الأقوام وفعل فعل الكرام وحق المسيح لئن أتى عنتر وطلب منى الولاية لابن الحارث لم أرد طلبته وأقضى حاجته وأبلغه كل ماطلبه ولا أترك عشائر تبتلى بحربه ولا بقتاله وأعطيه الخلع والأموال ولا أرده من عندى إلا وهو منشرح القلب ولا أبتلى منه بطعن ولا بضرب .

(قال الراوى) وكان بمدينة بغداد قرية يقال لها قرقيسة وبها ملك من ملوك الروم من أقارب الملك قيصر وهو شيطان مريد وجبار عنيد وكان يبذل الأموال على البطارقة ويأمرهم بفساد العشائر والأبطال وكان مراده أن يتقوى على الملك قيصر ويقتله ويأخذ ملكه فعلم قيصر ما قصده وأنه قد عزم على هلاكه فاستدعى ببعض البطارقة والرهبانه والعمالقة وأرباب الدولة ومن له قوة وقدرة وقال لهم إذا نظرتم صاحب قرقيسة قد دخل وهو حامل سلاحاً فاقبضوا عليه هو وجماعته فقالوا له السمع والطاعة فلما كانه ميعاد القدوم وأقبلت جميع ملوك الروم وكان بالجملة صاحب قرقيسة وكان ضامراً للملك كما ذكرنا وأقبل الملك هابيل على بطارقته وجماعته وكل من كان فى صحبته وهموا أن يتواثبوا على الملك قيصر فى حال دخولهم عليه فأجابوه إلى ذلك فلما كان وقته الجلوس ودخل هابيل على الملك قيصر وأرادوا جماعة أن يعملوا ما أمرهم فكانت دولة للملك قيصر أسبق إلى القبض عليهم فقبضوهم وأرادوا أن يسقوهم شراب المهالك فلم يمكنهم الملك قيصر من ذلك وقال لهم قيدوهم واجعلوا فى أعناقهم الأغلال والباشات الثقاله ففعلوا ذلك وسلموهم إلى بعض البطارقة ودخلت جماعته وأصحابه وبطارقته وفرسانه وهم يريدون الهجوم على قيصر فسمعوا أن صاحبهم قد قبض عليه هو ومن معه وهم فى الحديد والكتاف الشديد وسمع الملك بدخول من ماتبقى فأمر بالقبض عليهم كلهم فقبضوهم بأجمعهم كما ذكر وقدوهم كذلك وشدوا عليهم الوثاق وضاق بهم الخناق وقررهم الملك فقروا له بجميع ما كان عزم عليه صاحبهم هابيل فعزم قيصر على قتله فسأله فيه بعض خواص الملك وضمنه فقال الملك وحق المسيح ما أطلقه ولا أسلم إليه عقالا طوال الأبد ثم أن الملك أنفذه إلى قلعة وهى فى جانب بحر الفرات يقال لها قلعة زربيا فسجنوه فيها وأما أصحابه وحجابه الذين أتوا معه فإنهم بذلوا فى نفوسهم مالا كثيراً للموكلين بسجنهم ففدوهم منهم وأطلقوهم فساروا إلى القلعة التى فيها صاحبهم هابيل وقد توصلوا إليه

وأشاروا عليه أن يبرطل الموكلين بالمال ويعطيهم الأموال ويخلصوه فأمرهم بذلك وبرطل هابيل بالأموال وبذل على نفسه التحف والجواهر الغوال حتى خلص ونزل فى الموكب وسار إلى أن وصل إلى أنطاكية بمن معه من أصحابه وسار يغير على القرية ويأخذ منها أموالها وينهبها وسار يقطع الطريق ويأخذ القوافل وأموال التجار نهباً ويفرق على أصحابه ومن يجتمع عليه حتى سار معه مال بكثرة وبقى مع عشائره أجمعين وسار إلى أنطاكية فخرج إليه صاحب أنطاكية فقتله وهربت عشائره فقال له أصحابه بحق المسيح إرحل بنا لا يسمع قيصر فيجد فى طلبنا أو أنه يرسل خلفنا عشائر مثل البحر الزاخر فعند ذلك وسار إلى حلب فركبت عليه عشائر حلب فكسرها ونهب خيولها وسار يجتمع عليه كل زنديق حتى سار معه عشرين ألف فارس فأخذهم وسار بهم إلى الفرات وحاصر بلادها وأقام عليها أيام فأعطوه أصحاب البلاد مال كثير ورحل عنهم فقال له واحد من أصحابه وكان إسمه قابوص مقدم عند النصرانية معتبر عند أهل الملة المسيحية فقال له إعلم أيها الملك أنك ضيعت أيامك وشهورك وأعوامك وقد سارت معك هذه البشائر الثقيلة والغلمان وأن الحارث الغسانى صاحب دمشق الشام قد مات وهى الآن بلا ملك وإن سرت إليها وملكتها ملكت أنطاكية وسائر البلاد أقصاهم وأدناهم قال فلما سمع هابيل من حاجبه ذلك الكلام رآه صواب ورحل من ساعته فهذا ما جرى من هؤلاء .

وأما ما كان من عنتر فإنه اعتمد أن يأخذ الملك عمرو بن الحارث وبعد ذلك يصل إلى أنطاكية ويأخذها ويبيد ما فيها ثم ينقلب على ملك الروم يأخذ موضعه فلما سمع عنتر ذلك حلف أنه لا بد ما يأخذ قرقيسة ويجعلها لعمرو بن الحارث بعد ما يقتل صاحبها وكان قيصر قد سمع عن هابيل أنه خلص من قلعة زربيا وأنه قطع الطريق وخان الرفيق وسار طالب قرقيسة وأما عنتر فإنه جيش الجيوش من سكان البلاد وقد أخذ معه عمرو ابن الحارث وسار يجد المسير ليلا ونهاراً حتى وصل إلى مدينة قرقيسة فوجد وزير قيصر نازل عليها فلما سمع بوصول عنتر وعمرو بن الحارث ومن بصحبته فركب والتقاهم من وقته وساعته وسلموا على بعضهم وأخبروا عنتر بما جرى من هابيل المجنون وأنه أفنى البطارقة وأهلك العمالقة فوعده عنتر أن يأخذه أسير ويتركه مجندل عفير ثم أنهم أنزلوا العشائر ونزلوا حول قرقيسة وباتوا تلك الليلة فى أكل طعام وشرب مدام وأخذوا لهم الراحة بالمنام ولما أصبح الصباح ركبوا الخيول وساروا فى ذلك البر وركب البطريق هابيل فى ثلاثين ألف فارس شداد كأنهم من قوم ثمود وعاد وكان أول من استفتح الحرب البطريق هابيل وطلب البراز وسأل الإنجاز فخرج إليه عنتر بن شداد فارس الحجاز ثم حمل

كل منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وجالا طويلا وأبعدا ميلا وغاصا فى الأوابد وصبرا على الشدائد وأخذا فى الطعان والضراب ولم يبطل بينهما الخطاب حتى أن عنتر أتعبه وأكربه وطعنه فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره فوقع هابيل على الأرض صريع يمج علقماً ونجيع ولما رأت الروم إلى هابيل صار مجندل عفير ولوا منهزمين وللنجاة طالبين ولم يبق لهم إقامة فتبعوهم أصحاب عنتر وأصحاب الوزير ونهبوا منهم شيء كثير وباتوا تلك الليلة وهم كثيرين الافراح والسرور والانشراح وأجلس عنتر عمرو بن الحارث على سرير الملك وأنفذ خلف وزير الملك قيصر والحجاب وأربابه الدولة وأوقفوهم فى الخدمة لعمرو بن الحارث وقال لهم اعلموا أنى قهرت هابيل وفرقته عشائره وأريد أن أجعل هذه المدينة لعمرو بن الحارث لأجل أن يبقى معه دمشق والرحبية حتى تقوى جنده وتكثر عشائره وهذه قرقيسة قد حصنوها أهلها فزعاً منا وطلبوا أن يعصوا علينا فما عندكم من الرأي فقالوا له يا أباالفوارس أكتب إليهم كتابه وتحذرهم وأنذرهم وهددهم فكتب عنتر كتاباً يقول فيه :

يا أهل قرقيسة من حضر منكم ومن غاب أن هابيل صاحبكم قد قتلناه فإنه كان قد عاد الملك قيصر وعصى عليه فإن عاديتم الملك غضب عليكم المسيح بن مريم وحلنا عليكم مع أنى أنا وحدى فى الكفاية لكم وما يعظم على العبور إليكم فسلموا المدينة بلا عناد وأنا أقسم بالله إن لم تسلموا إلى المدينة لم تلاقوا منى خير .

ثم أنه أنفذ الكتاب مع غلمان الملك قيصر وكان المتولى على قرقيسة قدأخرج مائتين جثة ووضعها حول الفرات ومنع الناس من العبور فلما جاء الشخطور قال أنارسول فساروا به إلى المتولى على قرقيسة فأخذ منه الكتاب وقرأه وفهم رموزه ومعناه وقال له ارجع إلى صاحبك وقل له لو أقام ههنا ألف عام وعمرت أعمار النسور ما تتمكن من العبور ثم أنه رد الرسول بالكتاب ولما رجع الرسول إلى عنتر وأخبره بذلك الخبر غضب عنتر وركب فرسه الأبجر وخطف رمحه فقالوا له إلى أين يا فارس العرب وسيد من ضرب فى البيدا وتد ومد وطنب قال مرادى أدخل الفرات على ظهر جوادى وأعبر إلى الجانب الآخر وأرى اهل قرقيسة ما أفعل ومن هو أقدر على الحرب وأصبر ومن يربح ومن يخسر إذا اشتهر هذا الحسام الذكر فقالوا له يا أبا الفوارس لا ترمى نفسك فى الفرات فإنه عميق لكن اصبر حتى نعمل زوارق ونعبر عليها فقال عنتر معاشر الناس ائتونى بالأخشاب والنجارين حتى نعمل زوارق لأجل نعبر عليهم إلى هؤلاء القوم المخالفين .

قال وكان إلى جانب قرقيسة قصر عال يقال له قصر بنى هريج وفيه رجل من العرب وله أحد عشر أخ وكان عارفاً بصناعة الزوارق فأنفذ إليهم عنتر وأحضرهم جميعاً وأشار عليهم فى شغلهم الزوارق فما أصبح الصباح إلا وقد عملوا نحو عشرين زورق فى ظرف أيام قلائل يجمع زوارق بكثرة وعبر عنتر عليهم إلى الجانب الآخر ومعه عشرة آلاف فارس من كل مدرع ولابس غائصين فى الحديد والزرد النضيد وكان عبورهم فى الليل ولما تبسط النهار زعق عنتر زعقة عظيمة ارتجت لها البطاح كذلك العشرة آلاف فارس زعقت معه وحلت وهدرت فوصلوا إلى الصور وكان على الفرات ألف رجل يحرسون المكان فحال العشرة آلاف بينهم وبين البلد وجالت عليهم فرقة من عشائر عنتر فما منهم إلا من طلب الهرب والهزيمة وكانت لهم أوفى غنيمة وكان عنتر يضرب الرجل بالعامود فيهرسه ويخسف هامته ويخرج مخه ويفجع فيه أهله وعشيرته وقد أنزل على الجيش البلاء وأدخلهم أبواب قرقيسة وهم يطحنون بعضهم بعض ومن ورائهم عنتر وعشائره وقد أهالهم ما رأوا من فعاله وهو قد تمتع الصور بزعقاته وأهلك الفرسان بسطواته فدخل الرجال إلى الحصن وتحصنوا فيه وقد رفعوا الأحجار على الأبراج وترجلوا الرجال عن خيولهم وتقطعت الأوصال وظهرت الأهوال وعنتر فى أوائل الفرسان والأبطال وهم عدد القراب وقد جاءتهم نجدة من الروم سبعة آلاف فارس وامتلأت بهم الأرض ذات الطول والعرض وكان عنتر ضرب للملك عمرو قبة على الفرات واجتمعت الناس من حوله .

ثم أن عنتر جرد من العشائر خمسة آلاف فارس وأمرهم بلبس الحديد وأعطاهم خمسة آلاف وأمرهم أن يلصقوهم إلى جانب الصور فقال له الوزير لله درك يا حامية عبس وشكره على ذلك سائر الفرسان ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح صف عنتر الجيش وقدم رماة النبال بين يديه وجعل من خلفهم عشرة آلاف فارس كلهم بالزرد ولا يبان منهم غير تداوير الحدق ونظرت أهل قرقيسة إلى ذلك فوقفوا على الأسوار وأرادوا أن يرموهم بالأحجار فأطلع عليهم خمسة واربعين الف نبلة من قوس واحد فبقت الشمس مثل السحاب وبقى النشاب كأنه الجراد المنتشر وما بقى احد على السور بل هربت الرجال وأول من وضع رجله على سلم الصور من الأبطال كان عنتر ولحقوه الرجال على الصور وصاروا يبدلون على السلالم التى تقدم ذكرها ولم يزالوا على ذلك حتى نزلوا فى المدينة ووقع السيف فى البلد وأمر عنتر المنادى ان ينادى ان لا يتعرض احد لأهل البلد أبداً وبذلوا السيف فى الأجناد واصحاب المناصب ففعلوا ذلك ووضعوا السيوف فيهم فتحصنوا أهل قرقيسة فى الحصن الشرقى وكان هذا برج حصين ينظرون

منه إلى الزوارق فطلعت إليه الرجال والعشائر وطلبوا منهم الأمان ففتحوا لهم الباب وأدخلوهم وكانوا ألف رجل تمام وسلموا القلعة إلى الملك عمرو بن الحارث وأقاموا فيها عشرة أيام فبينما هم كذلك وإذا برسول من الملك قيصر قد أتى لهم ومعه مائة فارس ولما وصل إلى العشائر سأل عن عنتر وعن الملك عمرو فأرشد إليه ولما دخل وجد عمرو جالس والامير عنتر عنده جالس على كرسى من الحديد الصينى والوزراء والأمراء والحجاب مع أرباب الدولة كلهم قائمين فسلم الرسول بالرومى فردوا عليه السلام وفرحوا به وحيوه وبعد ذلك سأله عمرو عن حاله فقال اعلم أن ملك ملوك النصرانية وسيد أهل أبناء ملوك المعمودية قد ولاك مكان أبيك وهو يسلم عليك وقد عرض له إليك حاجة وهو أن تجمع سائر أهل الشام والعرب الذين عندك من المتنصرين وتلتقى ابن عمه هابيل وتقتله ولا تبقى عليه واقطع رأسه واخمد أنفاسه ولا تقابل الملك إلا برأسه وإن طلبت عشائر يرسل إليك وسائل ليس لها أول يعرف ولا آخر يوصف .

فقال عمرو اعلم أيها الحاجب أن هذه الحاجة قد قضيت بسعادته وقد قتلنا هابيل وقد شرب كأس منيته ونحن ما نحتاج إلى نجدة لأن معنا البطل الأمجد أبو الفوارس عنتر بن شداد فقال له الرسول ومن هذا الرجل العجيب فقال عمرو الذى تراه فعند ذلك غمز الرسول إلى عنتر بعينيه فحار من خلقته ونظر إلى وجهه كأنه قطعة من جبل شامخ وطوله بازل فصلب على وجهه وقال لعمرو هذا من الإنس أم من الجن فقال بل من الإنس وهو جليل الشأن فقال له ما إسم هذا الفارس قال إسمه عنتر بن شداد سيد الشجعان وهو من قبيلة بنى عبس وعدنان .

ثم أن عمرو خلع على الرسول فقال الرسول أيها الملك قد أتى معى أموال كثيرة فخذها وفرقها على العشائر وإن شئت أعطيتها إلى عنتر فقال له عمرو أيها الحاجب جعلك المسيح برضائه إعلم أننا أخذنا من هذين البلدين أموال ما تأكلها النيران قبل لى أيادى الملك وقول له عملوكك ما يروم إلا رضاك فعند ذلك تودع الرسول من عمرو وسار طالب أنطاكية وهو راكب فى السفينة وكان قد أخذ معه رأس البطريق هابيل ورؤس سبعين من البطارقة الذين كانوا عصوا معه على الملك قيصر ولم يزل الرسول سائر حتى وصل إلى القسطنطونية ودخل على الملك قيصر وقبل الأرض ووضع الرؤس قدامه وأخبره بالذى جرى بعد ما سلم عليه ففرح بذلك فرحاً شديداً ثم حدثه الرسول بما فعل عنتر فى هابيل وفى عشائر الروم والذى جرى من الأول إلى الآخر قال ولما سمع الملك قيصر ذلك قال أريد أن أنظر إلى هذا الرجل وأشاهده وأعطيه الخلع والأموال ثم أنه خلع على الرسول

خلعة عظيمة وأقام ثلاثة أيام فى القسطنطونية ورده حتى يأتى إليه بعنتر ويحضره بين يديه هذا ما جرى للرسول .

وأما عمرو بن الحارث وعنتر فإنهما أقاما بعد الرسول ثلاثة أيام وجمع من العشائر والجحافل وسار وكان مع عمرو مال كثير وخير غزير وخلع على عنتر وقد أعطاه الأموال العظيمة وسار طالب دمشق ومازال سائرحتى أشرف عليها بالعشائر وقد تقدمت العشائر بين يديه ودخل البلد وكان لقدومه يوم مشهود ودخل وجلس على سرير مملكته ودخل عنتر على إبنة عمه ففرحت بقدومه وقالت له يا ابن العم ويا كاشف كل غم أريد أنفذ خلف أخى وولدك وقومى حتى يدخلون إلى الشام ويستريحون من تلك القفار والآكام فقال لها الأمر إليك افعلى ما بدالك وعول عنتر أن ينفذ خلفهم أخاه شيبوب وإلى عنده يجيبهم وإذا بالرسول الذى للملك قيصر قد دخل على عمرو بن الحارث قال فأشغل قلبه من قدومه وأنفذ يطلب من ساعته أبو الفوارس عنتر فلما حضر أجلسه إلى جانبه وقال له يا حامية عبس اعلم أن الملك قيصر قد أنفـــذ خلفك من القسطنطونية يطلبك وقد اشتهى أن يراك ويشاهد صورتك فقال عنتر السمع والطاعة أنا أسير معك فقال عمرو بن الحارث وأنا أسير معك ياسيد الفرسان لأجل أن أكون حاكم بلاد الشام وتكون تحت حكمى وأمرى فقال يا مولاى سر على بركة الله وعونه ثم نهض وأعلم عبلة بذلك فقالت يا ابن العم أخاف عليك من بلاد الروم لئلا تقضى عليك فقال عنتر ياعبلة فوحق ذمة العرب لو كنت نائمة ما أحد يقدر يوقظكى ولا فى يقظتى يرعبكى ثم أنه استخلف أخيه الأمير جرير وكان أرسل أخيه عند سفرته إلى قرقيسة تخلفه على أمواله ومراعيه وكانت فى موضع يقال له التسـيه وهى أرض غزيرة إلى جانب نهر الشريعة وكانت هى ربع أموال عنتر ثم بعد ذلك رحل هو وعمرو بن الحارث وولده الخذروف وأخذ عمرو معه الهداية والتحف وحمل ألف ناقة وأربعمائة حصان كلها عربية وطلع الجيش جميعه لوداعه وركب معه أربعة آلاف فارس كلهم غائصين فى الحديد والزرد النضيد وجدوا فى السير هذه الهمة وعنتر فى المقدمة غائص فى شكته غارق فى لامته راكب على جواده الأبجر وعلى عاتقه رمحه الأسمر متقلد بسيفه الطامى الأبتر وهو سائر فى تلك الآكام وشيبوب وولده الخذروف قدامه كأنهما ذكر النعام ثم أن الرسول تقدم قدامهم حتى يعلم الملك قيصر بقدومهم ولم يزالوا سائرين إلى أن أشرفوا على القسطنطونية وشيبوب يتعجب من كثرة عشائرهم وقلاعهم فقال لأخيه يا ابن الأم لو أننا نقيم فى هذه البلاد سنة كاملة كنت أعرف أرضهم وجبالهم .

وأما الرسول فإنه ما زال سائر حتى وصـــل إلى الملك قيصر ودخل عليه وأعلمه بقدوم عنتر بن شداد الأسد المهارس ومعه عمرو فلما سمع الملك قيصر بذلك أمر بأن ينصب لهم كراسي من الذهب وأمر بإحضار عنتر إليه وعمرو إلى بين يديه فقال عمرو يا أبا الفوارس خذ من أصحابك مائتين رجل ودعهم يدخلون على الملك فى أفخر ملبوس وأحسن زينة وأكمل نفوس فقال نعم يا مولاى ثم أن عنتر لبس الخلعة التى أعطاها له الملك كسرى أنوشروان وجعل على رأسه عمامة وأرخى له ثلاث عدبات أيضاً وتمنطق بمنطقته التى كانت للملك المنذر أبى الملك النعمان وكانت كلها مرصعة بالدر والجوهر وكانت تساوى ملك الشام ومصر وعلق فيها الخنجر وشد وسطه بمنديل إبريسم وجمع أذياله فى منطقته وركب مع عمرو فى خواص دولته وبنى عمه ودخلوا إلى القسطنطونية قال فتلقاهم الملك وأصحابه ورعيته وحجابه ورؤساء مملكته وكان يوم عظيم ما صار مثله فى جميع الأقاليم ونشروا عليهم الأعلام والرايات ودقت الكـؤسات وخفقت البيارق والازدهارات وكان يوم لا تدركه الصفات وقد حاروا أهل المدينة واندهلوا من صورة عنتر والناس ينظرون إليه ويتعجبون من طول قامته ومن كبر جثته وعظم هامته وارتهاج عينيه ووسع حدقتيه وغلظ سواعده ومنكبيه وتقليص حاجبيه .

فعند ذلك أخذتهم الحيرة منه ومن إطاعة شيبوب إليه والقيادة بين يديه وعلت زعقاتهم وعيطاتهم عند نظرتهم إليه فقال عنتر أبعد الله شركم يا ويلكم أى شىء حصل بكم حتى تطيلوا إلى بالنظر فقال له الوزير يا حامية عبس من محبتهم لقدومك عليهم .

قال الأصمعى فى تاريخ العرف والمورود قد كان طول عنتر سبعة أذرع هاشمى وعرضه ثلاثة أذرع وطول شنباته نصف ذراع ووجهه ثلثى ذراع وفمه ربع ذراع وكل عين من أعينه فتر فسبحان من خلق الإنسان من ماء مهين فتبارك الله أحسن الخالقين وسنرجع إلى سياقة الكلام .

ولم يزالوا سائرين فى ذلك العالم العظيم حتى وصلوا إلى باب القصر ودخلوا إليه فوجدوه مفروش بالبسط الرومية والوسائد البهية وعاينوا بطارقة وكهول بأعمدة الحديد والتوت والدرق وعلى رؤسهم الطاسات الفولاذ وهم كأنهم نيران محرقة أو صواعق مبرقة فلما ساروا إلى البـــاب الثانى رأوا الحجاب والبطارقة بأنواع الملابس وبأيديهم أعمدة الحديد وهم بالمناطق الذهب ثم دخلوا إلى الباب الثالث فعاينوا غلمان شباب بملابس الأطلس الأحمر بأيديهم الحراب واقفين عن يمين الباب وشماله .

فلما وصلوا إلى البـاب الرابع وإذا عن يمينه وشماله غلمان ملاح حسان وكأنهم الأقمار أو حور الجنان وفى أيديهم عصى الصولنجان محلاة بالذهب الأحمر مرصعة بالياقوت والجوهر ودخلوا إلى الباب الخامس فرأوا غلمان عظام طوال الأجساد وهم بالمناطق الذهب المحلاة بالياقوت والجواهر وبعد ذلك دخلوا إلى الباب السادس وإذا به عن اليمين وعن اليسار أنواع السلاح وغلمان بأيديهم قضبان الذهب وعندهم الملاهى وآلة الطرب ودخلوا إلى البـاب السابع التقتهم البطارقة وفى أيديهم من أصناف الحديد والأعمدة والصوارم وقد تعجب الملك قيصر وقد أمر أن ينصب سرير من الذهب الأحمر وكراسى من الفضة البيضاء والعاج والآبنوس وغيرها من أفخر الفروش وأمر أرباب دولتـه وأكابر أهل مملكته أنهم ينهضوا ويتلقوهم ويكرموا مثواهم ففعلوا وكان ذلك اليوم يوم عظيم غريب وأمره عجيب .

وكان على عنتر خلعة عظيمة من ملابس الملك كسرى ترهج بالذهب الأحمر وفى وسطه منطقة مرصعة بالجواهر ورأته أرباب دولة الملك قيصر فهبوا فيه وتنافروا من بين يديه وزعقت البطارقة وأولاد العمالقة وأمروه بالنزول فترجل الرسول وعنتر والملك عمرو وجعلوا يمشون على البسط الرومية وتلك الفروشات الملكية إلى أن أشرفوا على الإيوان الصغير مقابل الإيوان الكبير فوجدوه شاهقاً فى الهواء من عمل أكابر الروم والملك قيصر فى صدره على سرير عالى وعلى رأسه تاج والولدان عن يمينه وشماله وجميع الحجاب على رأسه قيام والإيوان كله بالذهب وفيه الصور المختلفة الألوان وهى صورة المسيح عيسى وأمه مريم البتول وجماعة من الحواريين ومن تابعهم من المتقدمين .

وكانوا الحجاب واقفين بعواميد من الذهب والفضة والغلمان بعكاكيز الآبنوس من حول السرير الذى فيه قيصر فاندهش عنتر من عظم ما رأى من تلك التصاوير التى تدهش النظر هذا وعاين عنتر ملابسهم وحسن تيجانهم وقد أخذته فكرته وأومأ ساجداً بجسمه وأدب فاستحسن القيصر فعله وأدبه وعقله وأخذ الرسول والحجاب بيد عنتر إلى بين يدى الملك قيصر وقدموا له كرسى من الذهب الأحمر فجلس عنتر عليه ورجليه فى الأرض وهو مطاطى الرأس هذا والملك قيصر وأرباب المملكة ناظرين إليه وإذا بالخدام قد طلعوا بصوانى الذهب والفضة وفيها أطباق المأكول معجون باللبن الحليب وسمن البقر وهو مغطى بمنديل الإبريسم فحطوه وجعلوا بين يدى كل ملك صينية وبين يدى عنتر

سبع صوانى والرسول والحجاب والنواب واقفين بين يديه وأمر الرسول أن يجلس ويأكل معه وجاء بعد قليل من ألوان الطعام أصناف شتى لجعل عنتر يأكل لقمة كبيرة هائلة غير قليل فبهت قيصر وصار ينظر إليه وكلما أكل عنتر لوناً صار يأكل من غيره والملوك قد اكتفوا من الطعام وعنتر يأكل ويتبسم وهو ينظر إلى الطعام بعينيه ويقطع ويبلع وهو لا يتحرك وهم يتعجبون وصاروا يقدمون بين يديه الطعام حتى أن عنتر أكل عشر موائد فى كل مائدة خمس صحف وعشر بواطى ثم رفع يده من حيائه ولم يشبع لانه ما أكل مثله فى دنياه إلا عند الملك كسرى .

فعند ذلك كلمه الملك قيصر بغير ترجمان بالعربية وقال له يا عربى ما حملك أن تأتى من بلاد العرب لقتل ابن عمى من الشام وتأخذ منه بلدة قرقيسة وتهلك أجناده الكرام فقال له عنتر أيها الملك المسدد والهمام الامجد والسيد الأوحد ما قتلته إلا لما بلغنى أنه معاندك وخرج من سجنك هارب وتغلب على ديارك واستخلف بطارقتك على هلاكك وقلع آثارك وخراب ديارك وأخذ البلاد من يدك ويصير هذا الكلب ضدك وأيضاً أراد التعدى على خادمك وابن خادمك وهو عمرو بن الحارث الغسانى ملك الشام وقرقيسة والرحبية لانى يا ملك كنت ماراً على أرض الشام فبلغنى بموت الحارث الغسانى فأردت أن أكافىء ولده عمرو وأقعده على المملكة بعد أبيه لأجل ما فعل معى من الجميل .

وقتلت الذى تعدى عليك وعليه وبعد ذلك عولت أن أجيبه وأحضره بين يديك فكان نجابك السابق ورأيك أولى وهو الموافق ثم جئنا إلى حضرتك وها قد أكلنا طعامك وشملتنا نعمتك فتبسم الملك قيصر من كلامه وأعجبه سرعة جوابه وسأله عن حسبه ونسبه فقال من بنى عبس الكرام الضاربون بالحسام المسمون بين الأنام بفرسان المنايا والموت الزؤام وأمى بنت الملك النجاشى سلطان الحبش والسودان وأبى سيد من من بنى عبس وعدنان وإنى أخذت بنت عمى عبلة وملكتها بالحسام المشطب وأدخلت روحى فى الحسب والنسب وتزوجت بإبنة عمى ولكن ما تزوجت بها حتى قتلت خلقاً كثيراً من أجلها والآن جميع الملوك والفرسان إذا سمعوا ذكرى يفزعون من شجاعتى ويخشون سطوتى فقال له الملك قيصر الآن أريد منك أن تفرجنى على طرف من شجاعتك حتى تثبت عندى مقالتك فقال له عنتر السمع والطاعة فى غد أريك فى الميدان ما يحير أبناء الروم من قسس ومن رهبان ومن عباد

الصلبان وتعلم أنت أى فارس هذا الزمان وحاوى قصب الرهان فقال له الملك قيصر الأمر إليك يا فارس عدنان (قال الراوى) وقام عنتر من حضرة الملك فتسلموه الخدام الذين ركبهم الملك لخدمته وأدخلوه إلى دار شاهقة فى الهواء فلما رأى ذلك قال أريد خيامى وقبابى فقال له أنزل ههنا فان هذا الموضع قد أعده الملك لك وأن خيامك وكذلك قبابك محفوظة فدخل عنتر فوجد خيله وهم مع عبيده وخيامه وقبابه ورجاله وكل ما كان له قد أحضره فى الدار وقد نقل اليه مع أنواع الفرش الرومية ومن أنواع الخز والديباج ومن الكراسى المذهبات ومن المأكول والمشروب ما يسر القلوب وبات عنتر تلك الليلة فى أرغد عيش باكرام ولما كان من الغد أدخلوه الحمام وأزالوا ما كان عليه من السفر وأحضروا له خلعة سنية فلبسها وركب وأخذوه قوم آخرون وساروا به إلى الميدان فرأى الميدان اتساعه فراسخ وقد امتلأت بالعشائر وعليهم الزرد والجواشن البيض والجنود والمغافر فعندذلك أمر قيصر المقدمين بالبراز وسأل الانجاز فبرز رجل من الروم مشتمل بعدته غارق فى لامته ومعتقل برمحه ومتقلد بسيفه وبيده درقته وهو كأنه الجمل الهايج وهو على جواد من الخيل الجياد بقوائم شداد ولونه مثل العاج ولعب البطريق برمحه وسيفه وصال وجال وإذا برسول من عند الملك قيصر قد وصل إلى عنتر وقال لا تبرز إلى هذا البطريق الساعة حتى تنظر فامتثل أمره ورجع إلى جانب الملك ووقف فجال البطريق ولعب بالرمح وطرحه فى الهواء والتقاه فبرز اليه رجل فطعنه بعقب الرمح أرداه وثانى فأهواه وثالث ما أمهله ورابعا بنفسه أشغله ولم يزل يبرز فارس بعد فارس حتى رمى خمسين الف من الأبطال وعنتر ينظر إلى طعانهم ويرمق بطرفه إلى فرسانهم فعاين من الروم جبابرة أوقاح ورآهم يقاتلون بسائر السلاح ويطعنون بالقنطاريات والرماح فعندذلك قال عنتر لأخيه شيبوب أمض إلى الدار وآتنى بالدرقة التى لى وهات رمحى والثلاث دروع وهم درع ابن الجلاج اليثربى ودرع الملك الحارث ودرع الملك المنذر فمضى وعاد ومعه خمسة غلمان من الروم يحملون الثلاث دروع وكان أنابيب من حديد مركبة على ذكر فى أنثى وأنثى فى ذكر وحمل شيبوب الدرقة وخرج وتقدم إلى عنتر وأخذ الأنابيب ركبها فى بعضها بعض أربعة وعشرين كعباً فبقى كأنه صارى مركب فقال قيصر هذا رمحك ياعنتر وبه تقاتل فقال عنتر نعم وبه التقى الملوك والجحافل فقال له الملك لقد دنا أجل من قاتلته وطعنته بهذا الرمح اليه من ساعديك وكنت تقضى عليه قبل أن يصل الرمح اليه هذا وعنتر غاص فى عدته ولبس درعه وركب البيضة على رأسه وهامته وحزم جواده الأبجر وباس غرته فرفع رجله عن الارض

من ساعته وفى الحال بقى على ظهره أخف من الريح الهبوب وعلق الخنجر ونفخ الابجر من عظم جثته وحمل شيبوب الدرقة وحده ثم قال عنتر لشيبوب ناولنى الدرقة لأنه لم يقدر يشيلها فانحنى عنتر ليأخذ الدرقة من شيبوب فتعلق شيبوب بكلية يديه لجذبه فرفعه معها وحذفه فى الميدان كأنه حجر منجنيق وسقط فى موضع بعيد المكان ولكن لم يزل قائم على قدميه وجميع الأمم ناظرة اليه فضحك الملك قيصر وحق المسيح ما رأيت أعجب من هذه الشياطين هذا شيبوب وأخيه ثم أن عنتر حذف الدرقة فى الهواء وسار تحتها وشيبوب معارضه يركض كأنه السهم إذا مرق والرمح إذا رشق فانذهلت الروم من سرعة جريه ومن خفته وسعيه فقال الملك قيصر يا أبا الفوارس وهذا الآخر الذى معك ومع فرسك الابجر هو من الشياطين أو من الآدميين فقال عنتر يا ملك هذا أخى فلا تعجب منه يسبق الخيل العتاة ويقبض الوحش بيده من البر والفلاة وإذا جرى تضرب أكمابه شحم أذنيه وله ولد يسمى الخذروف أعجب منه وقد خرج أقوى من أبيه واخف وإذا نظر الغزال وقف يلعب بساقيه فى الهوى كما تلعب الطيرة بأجنحتها بين الأرض والسماء ويمسك الجحفل من الجبل بيده ويصطاد الأرانب برجليه فقال له الملك قيصر أريد منك يا أبا الفوارس أن ترينى من فعال هؤلاء الإثنين طرفا مما ذكرت فقال عنتر سمعاً وطاعة ثم أن عنتر استدعى بشيبوب والخذروف وكان لحقه ومعه عشرة من بنى عبس فلما كان ذلك اليوم اشتهى الملك يحضر فحضر شيبوب فقال شيبوب كنت أنت واقف على عجل وإذا طلبتك أسرع لى بلا مهـل فقفز عنتر إلى الميدان وقد شخصت اليه الأعيان وجميع الشجعان والفرسان ونظرته القسس والرهبان وعباد الصلبان وأمر الخذروف أن يقف إلى جانبه وأطلق عنتر الحصان إلى أن لين عريكته فى الميدان وعطف البطريق المقدم ذكره وقال له خذ لنفسك الحذر فمد البطريق القنطارية إلى صدره وزعق بجواده وقصد لعنتر بالطعنة فلما قاربه قبض على الرمح من يد الرومى كسره وحذف الرومى بقطعة منه فى صدره وكاد أن يخسفه وقد وقع إلى الميدان فتركه ملقى على الصحصحان وطال عنتر وجال وطلب البراز فقفز اليه بطريق آخر بيده صفيحة هندية ترد أسباب المنية وحمل على عنتر فصدمه فالتقاه عنتر وحاذاه ولاصقه وقاربه وقبض على أطواقه مع خناقه وجذبه اقتلعه من سرجه وحذفه من يده القاه بعيداً نحو العشرة أذرع على ظهره غير أن يجلد به الأرض عن رأسه وعن أثوابه ويتعجب مما أصابه فخرج اليه بطريق ثالث من البطارقة الكبار وكان فارساً جبار فصبر عليه حتى قاربه ومد يده اليه وقبض عليه اقتلعه وحذفه وراه فبرز اليه بطريق شديد البأس صعب المراس قوى الجنان وحمل على عنتر ودمدم بكلام الرومية وهمز وزجر فـد عنتر

يده بشدة بأسه وجعل يده على رأسه واتكا بقوة مراسه فكبس عليه فلم يقدر يتحرك لاهو ولا الجواد فعلم أنه من القوة فى مكان عظيم فناداه الصنيعة يا فارس العرب فاطلقه عنتر بعد أعترافه ورفع يده من على رأسه ولم يزل عنتر كذلك إلى نصف النهار وقد أتعب الف فارس كرار فخلع الملك قيصر على عنتر من الخلع الغوال ورجع إلى القصر وكان الخدام قد أحضروا الطعام فاكل منه الخاص والعام وبعده قدموا المدام وشربوا حتى غسق الظلام وعنتر يحدث الملك بحديث العربان وما جرى عليه من القتال ولم يزل كذلك إلى أن دخل عليه النوم فنهض الملك وسار إلى مكانه وكذلك عنتر مضى إلى الدار التى جعلت برسمه وكان فى ذلك اليوم قد رأى فى مجلس الملك جارية مليحة تخجل الشمس والقمر وتذهل الفكر ولما رآها عنتر أطال اليها النظر وتنهد وتحسر فلما نظر قيصر اليه ماخفى عليه حاله فصبر حتى أنصرف من بين يديه ودعا بتلك الجارية وأرسلها إليه وكان مقصود الملك أن تحمل من عنتر وتأتى له بولد ذكر حتى يفتخر به قيصر ويكون مثل أبيه فى الشجاعة وكانت هذه الجارية من سرارى الملك الخاص أصنع أهل زمانها فى ضرب قطع الآلات فلما دخل عنتر قامت الجارية وباست يديه ولكن فزعت من خلقته وأما عنتر فانه فرح وأختلى بها فى تلك الليلة إلى الصباح فلما أصبح ودخل عنتر على الجارية وكان خالياً من السكر وقال لها فى أى وقت دخلت هذا المكان وما الذى جرى لى معك ياعابدة الصلبان فقالت له يامولاى أنا من سرارى الملك الخاص أنفذنى اليك من محبته ورغبته فيك وأعلم أن تقدمى اليك رفعة لشأنك فعلم عنتر ما مراد قيصر فزاد به الغيظ والنكد وكره أن يكون له فى بلاد النصارى ولد وإذا هو كذلك إذا بالخدم دخلوا عليه للسلام على الجارية وأخذوها للحمام وكذلك عنتر أخذوه وغسلوه وأشربوه ماء التفاح فزال عكسه وحالوا عليه خلعة من خلع الملك وأمروا له بفرس ماركب مثله ملوك بنى الأصفر وأخذوه إلى الميدان يتفرج على مايجرى بين الفرسان والملك كان فى ذلك اليوم نصب حلقات من الذهب وصارت الفرسان تطعن فيها من بعيد ومن قريب فنهم من يخطىء ومنهم من يصيب فلما رأى ذلك عنتر تقدم إلى الملك قيصر وقال له أيها الملك كم عندكم من هذا الخلق قال عندى أربعمائة وسبعون حلقة وكل حلقة مائة مثقال من الذهب وزنهـــا فقال عنتر قل لغلمانك أن تنصب الجميع وأنا أكر عليهم كرة بطل شجيع وأن لمست منهم واحدة اكسروا سيفى ورمحى فقال الملك وكل حلقة أصبتها خذها فعند ذلك أسرعوا الخدام وجعلوا ينصبون الحلق حلقة حلقة

وكلما أصاب عنتر حلقة يأخذها فامضى النهار وارتكبت الشمس قبة الفلك إلا والخاق كله مع شيبوب ينظرون الأبحر فتعجب من ذلك الملك قيصر وقال وحق المسيح ماهذا فعل بشر (قال الراوى) ورجع الملك قيصر بعد ذلك إلى قصره فلما استقر به المقام قدموا لهم الخدام الطعام فأكلوا وشربوا حتى غلبهم المنام وتفرق شمل الناس وقام عنتر يتمايل من الراح وهو بغاية الفرح والإنشراح ودخل على الجارية ولم يزل معها إلى الصباح فلما طلع النهار وفاق من سكره قال فى نفسه أنا أعلم أن الملك ماأرسل هذه الجارية إلا يريد أن تتلق منى بولد يشابهنى فى الشجاعة والقوة والبراعة فاضمر عنتر على قتل الجارية ولا يبقى عليها ولكن عندما يطلب السفر ثم أنه أخبر أخاه شيبوب بهذه القضية بقتل الجارية لما يقرب يخرج من القسطنطونية (قال الراوى) وأن الخدم أخذوا عنتر وأدخلوه الحمام فاغتسل وألبسوه خلعة مليحة الهندام وركب جواده وحملت الغلمان سلاحه وسار إلى الميدان وكان الملك أمر بالصراع فترجل ملوك الروم وتصارعوا صراعا عظيم فرأى فيهم عنتر رجلا كبير الجسم فقال الملك قيصر لعنتر أريد اليوم يا أبا الفوارس أن تفرجنى على الصراع على هذا الاتساع فان عندنا من المصارعين ناس كثيرين ولهم صراع بتمكين فقال عنتر ولكن أريد منك أيها الملك المنتخب إنك توصيهم على الأدب وأن يستعملوا الانصاف وأما إذا بغوا أوردتهم موارد التلاف فقال قيصر تقتلهم ياعنتر قال نعم أيها الملك المفتخر إذا بغى على أحد من الرجال ولم يفترق ويقر بالعجز والخبال أنزلت به الويل والوبال فعند ذلك حذرهم الملك قيصر من عنتر ثم قال لهم كل من قهره منكم يتأخر فانه يسقيه الموت الأحمر هنالك ترجل عنتر وخرج للميدان وصار الرجال يخرجون واحد بعد واحد وهو يصرعهم بقوة كفه والساعد وكان قد جمع أذياله فى منطقته وتشدد حتى صار كأنه قطعة جلد تخرج اليه بطريق كأنه منجنيق وقبض على زند عنتر وهزه لجزبه عنتر اليه وعصر على زنوده بقوة كف أطرى الزندين إلا أنه ماوقف حتى مال من شدة ماجرى عليه وزعق ووقع مغشيا عليه ساعة وأفاق ودخل تحت أخاذ عنتر ليبلغ منه الأمل فعصر عليه وزعق بالعبس ونظر عنتر إلى الووح وهى تخرج بكثرة فصاح من صميم فؤاده وتألم فى قلبه وفى عاجل الحال ضرب الرجل دست آخر فطلعت روحه وانصرع ومال على الارض فزعقت الروم بأصواتها وعلت منها غيطانها وارتفعت زعقاتها وولت على وجوهها من هول ماعينت وقد تعجب ملك الروم قيصر وقال صراع ميشوم منكر ثم قال من يخرج إلى هذا الاسود عنتر فلم يجاوبه أحد فلما أبصر قيصر توقفهم عن عنتر قال أريد أن اتفرج على أخيك وابنه فى أمر السباق فى

الميدان فامر عنتر أخيه شيبوب وولده الخذروف بالسباق لأجل فرجة الملك قيصر فامرهما عنتر وأمر الملك أن يحضروا لهما جوادين سابقين من خيول العربان وأحضر الملك قطعة من الغزلان وقال أريد أخيك يسبق الخيل وابن أخيك يلحق الغزلان فقال حباً وكرامة ثم تحزما الإثنين ورفعوا شعورهما عن أكتافهما والملك ينظر اليهما ثم بعد ذلك أطلقوا الخيل والغزلان وهما كانهما ذئبان ولم يزالوا سائرين إلى أن توسطوا الميدان وشيبوب بين الفرسان والخذروف بين الأقران والملك واقف فى رأس الميدان وفى يده من الدنانير كيسان وقال من سبق إلى عندكم أعطيه مافى يدى ولم يزالا إلى أن بقى بينهم وبين الملك رمية نشاب فتخطى شيبوب الخيل وسار قدامها مثل السيل وزعق على ولده الخذروف فصار يقفز على الأرض وسار قدام الغزلان وتقدموا إلى الملك وسلموا عليه فناولهما الكيسان وخلع على الإثنين وتعجب منهما وقال وحق دينى لو كانت العرب كلها هكذا لكانت ملكت الدنيا بما عليهم فقال له الوزير أيها الملك أن هذين الإثنين إذا سمعت الابطال بذكرهما تخاف شرهما فاذا ذكروا بين الملوك تنكس رؤسهم ثم أنه حدثه الملك قيصر بما جرى لعنتر وكيف أذل الفرسان وسجد لشعره جميع الامم وخضع له كل سيد محتشم فقال الملك ما أنا وحق دينى إلا قد سمعت بفعاله ثم أنه خلع عليه وقال له الملك قيصر ياأبا الفوارس اجعل إقامتك عندى وأنا أجعلك مقدم مملكتى والحاكم على أهل دولتى فقبل عنتر الارض مراراً وقال له ياملك ما يقر لى هنا قرار لأنى ما أنا معتاد سكنى الجدران وما نسكن إلا فى البرارى والقفار والمهاد والاوعار ولا يمكن أن أفارق الأصحاب والخلان بل إنى أجعل بالى على عمرو بن الحارث الفارس الهمام وأكون من جملة الخدام وما أقطع زيارتى عنك فى كل عام (قال الراوى) فلما هم بالقيام من عند الملك قيصر أرسل ليأخذ الجارية فلم يجدها فسأل عنها بعض الجوار فقالوا أخذها بعض الخدام وماندرى أين مضت فاغتم لذلك قيصر وسأل أيضا عليها من عنتر وقال له هل عندك من الجارية خبر التى أوهبتها لك أو تعرف سبب عدمها من عندك فقال له عنتر والله ياملك ما أعلم لها خبر ولا شأن فقال الملك عدمت ولا أعلم فى أى مكان وماندرى السبب فى فقدها ياسيد الفرسان فتأسف عنتر وصعب عليه وكبر لديه وقال له ياملك الزمان لقد ضيقت صدرى لأنى لما مضيت من عندك سألت عن الجارية فقالوا أرسل فى طلبها الملك فعلمت أن الجارية جاريتك لأجل خدمتك فلما سمع الملك قيصر من عنتر ذلك الكلام فقال فداك ياأبا الفوارس فقال له عنتر أيها الملك أريد منك أن تنعم على بالرحيل فقال له الملك قيصر أصبر قليل (قال الراوى) وكان السبب لفقد هذه الجارية حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك

إننا كنا قدمنا قبل هذا الكلام حديث الملك خلنجان ملك البحر ومقدم الافرنج لما ساروا إلى الملك كسرى مع الملك قيصر فى أيام أن سار الحارث الوهاب فى بنى غسان إلى ديار بنى عبس وعدنان ليأخذ بثار ولده بدر النصرانية وأسر أخوه الملك النعمان وهم عمرو بن هند والملك الأسود وكسر عشائر الملك النعمان بغدر بنى فزارة وسار عنتر ودريد وأخربوا بلاد الشام وساروا فى طلب قيصر إلى الفراة والتقيا بالملك قيصر فى الطريق وقتل الملك خلنجان فى أرض العامريات وأخوته سوبرت وتوبرت واصطلح عنتر مع قيصر كما ذكرنا وأخذ الرهاين وكان لهم أخ أصغر منهم إسمه كوبرت فاخذه الملك قيصر بعد ماقتلوا أخوته فلما صار عندهم أنعم عليه وأحبه وشغف به الشغف العظيم لأجل مافيه من الحسن والبهاء وهو كأنه غصن بان يسحر كل قلب جماله وقد سرقت منه الغزلان أحداقا وعنقاه وشفاه حمر وشامة خضراء وسنان مفلجة وردف ثقيل كما قال فيه الأبيات الحسان

وشادن من بنى النصارى له لحاظ بها رميت
أخلف من المعجزات عيسى فذاك يحيي وذاك يميت

وكما قيل فيه أيضا هذه الأبيات الحسان

أهوى فرنجيا مقلتاه زرقا مثل الصارم الأبتر
سطوا على العشاق لحظه الحسن والقد بريق عنبر
لعبلة فى الحسن لكنه أشجع فى الهيجاء من عنتر
خجل الزهراء من وجناته يحكى به المريخ والمشتر
سألت منه الوصل أطفى به جسما غليلا بالجواء مسعر
فقال جد بحرب أن شئت أن تنال وصلا من بنى الأصفر

(قال الراوى) ومن حب الملك قيصر جعله من بعض حجابه وخواصه وأحبابه واقطع له أقطاع وزاده فى الارتفاع وصار فى قلب الملك قيصر الحب الشديد الذى ماعليه من مزيد وقد نشأ كوبرت وصار فارس شجاع وقرم مناع ولا يثبت بين يديه شجاع فى مقام الحرب والقراع وعلت منزلته عنه الشجعان وهابته الاقران وخافته الفرسان حتى صار يلتقى الف فارس فى الميدان وخافت وخشيت صولته فى الحروب السادات وهجم على الاسود فى الغابات وفزعت منه الامراء ولما علم الملك قيصر ماصار من كوبرت قربه اليه وأدناه حتى صار من خواص ندماه فلما أتى عنتر بن شداد وعمر بن الحارث صاحب دمشق وتلك البلاد كما تقدم من

الحديث فوقع فى قلب الحاجب كوبرت من عنتر أمر عظيم وخطب جسيم ولذكر قتل أخيه على يد عنتر فقامت برأسه الحميه وقوة الشجاعة والفرسية وبربر بلغة الافرنجية وغضب غضب الملوك البحرية وهدر وزمجر وتنهد وتحسر وحدثته نفسه أنه يجتهد فى قتله وكلما نظر إلى الملك قيصر وهو يزيد فى أكرام عنتر ينقطع كبده وتنفطر مرارته

(قال الراوى) واعجب مافى هذه السيرة العجيبة أن الجارية التى أنفذها إلى عنتر الملك قيصر كانت تهوى كوبرت وهو يهواها وكانت له عاشقة وبه واثقة وكانت هيبة الملك التى كانت تمنعهما عن بعضهما بعض ولا يقدران على النظر إلى بعضهم إلا فى مجلس الملك قيصر فلما جرى ماجرى من الامور والاسباب الذى تحير عقول أولى الألباب فصار كوبرت يرصدها فى الطريق ويشكو لها مابقلبه من النيران والحريق وتشكى اليه الاحزان مما تقاسيه من ألم التفريق وأخذوا بعضهم العهود والمواثيق واتفقوا على أن كوبرت يأخذها ويوسع بها فى القفار ويدخل بها إلى جزائر البحار ويعيشا فى تلك الارض والامصار ولما استوثق كل واحد منهما من رفيقه ماوجب عاينوا اليوم الذى عولوا فيه على الهرب وأجاب كل واحد منهما صاحبه إلى ماطلب ومن عظم ماأخذه من الوسواس والافتكار تغيرت أحواله وغاب عليه الاصفرار فنظر اليه قيصر وماهو فيه وقد صار بعض البياض أصفر فقال له يا كوبرت ما بالك وما الذى تم عليك ونالك فانى قدهالنى أمرك وما الذى أنت فيه من تغير أحوالك فقال له ياملك وحق المسيح الذى أذل لك رقاب العباد ماأمرضنى إلا عنتر بن شداد وهو الذى أحرق منى القلب ثم أنه قبل الارض وصلب على وجهه ورفع رأسه وقال أيها الملك وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل أننى أنا حى فى صفة قتيل فقال له بعد أن نظر إليه أخبرنى ماهذا الذى تجدد لك من المرض وأنا وحق المسيح أبلغك الغرض فقال ياملك ماأمرض منى الفؤاد إلا عنتر بن شداد لانه ياملك الزمان سابقاً قتل أخوتى سوبرت ونوبرت وخلنجان وتركنى على فقدهم أقاسى الذل والهوان وأنا أتنكد بحسرتى وزادت بليتى وقلت حيلتى وأنا اسأل من أنعام ملك الزمان وفريد العصر والاوان وأريد من بعض أنعامك والافضال أن تمن على عبدك بالمسير والارتحال وأسير إلى بعض ديورة الجزائر وتلك البلاد وأكون بها مقيم مدة مقام عنتر بن شداد فى هذه الارض والبلاد لانى أخاف ياملك الزمان أن يبدو منى شىء من الفساد فاغدره واقتله فى بعض الاوقات جزاء بما فعل فى أخوتى وانزل بهم الآفات فيضيق صدرك لاجل ذلك ويكون سبب موتى وهذا سبب ماأنا فيه ياملك الزمان من الاعلال والامراض والاسقام ثم انه قبل الارض بين يدى

الملك قيصر بعد هذا الكلام (قال الاصمعى) وجهينة اليمانى رواة هذه السيرة الحجازيه العجيبة المطربة الغريبة ولما وقف الملك قيصر على آخر مقال الحاجب كوبرت وعرف سؤاله أمر له بمركب كبيرة من السفن الخواص الذى للملك قيصر وهى كاملة العدة وقد سير الرجال وأمرهم بطاعته ولا يعارضه أحد أينما توجه فى سفرة فاجابوه الجميع بالسمع والطاعة ثم أنه خرج من تلك الساعة وحمل على جميع مايعز عليه إلى المركب من وقته .

(قال الراوى) وقد قصدا الجارية فى اليوم المعين ولما عادت من عند عنتر كجرى عادتها أرسل عنتر شيبوب وولده الخذروف خلفها ليقتلوها فمضى شيبوب والخذروف وسبقاها وأكمنا لها لهلكوها فدبر الله فى ملكه مايشاء وحكم بما أراد ولما أتت الجارية قبل أن تصل إلى الموضع الذى فيه الخذروف وأبيه مكمنين فالتقاها كوبرت وأخذهـا وسار فى الحال هو وإياها ونزلوا فى المركب ورفع الشراع وسار بالبحر الزخار وقد نال كوبرت ماأحب وأختار وبعد ذلك طلب قيصر الجارية على حكم عادته فما وجدها ولا علم لها خبر ولا وقع لها على أثر وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر قال ولقد وجدنا فى بعض التواريخ أن عنتر لما هم بالقيام من حضرة الملك قيصر أنفذ الوزير أخذ الجارية من مقصورة عنتر فلما دخل عنتر إلى المقصورة فما وجد الجارية فسأل الجوار عنها فقالوا أخذها الملك قيصر فاحس عنتر أن قلبه قد أنفطر وقال لأخيه شيبوب ويلك يا ابن الملعونة الحق الجارية فى أى مكان كانت فاقتلها فانى أخاف أن تكون حملت منى وتجيب ولد يشبهنى وأنا ماأشتهى أن يكون نسلى فى بلاد الروم فعندها انطلق شيبوب مثل الريح الهبوب فادرك الجارية قبل دخولها إلى القصر الذى للملك قيصر فبادرها بضربة من خنجره فى الظلام فرماها وسط الخدام وعاد إلى أخيه عنتر وأعلمه بما دبر ففرح عنتر واستبشر بقتل الجارية وقال وكان كوبرت قد حملها فى ركض الخدام خلف شيبوب ونزل بها إلى المركب وفتح الشراع وساروا فى البحار لأمر يريده الله من سلامة الجارية وكانت ضربة شيبوب غير قاتلة وأن كوبرت لما نظر فيها الروح وحملها إلى المركب وصار يلاطفها ويريد صلاحها وعلاجها حتى برئت جراحها .

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد القسور والملك قيصر فان عنتر صار عند الملك فى أعز مكان وصار يركب فى كل يوم معه إلى الميدان ويعلم الفرسان ويسود على الأقران والشجعان والملك قيصر فرحان من مدة الزمان إلى أن كان يوم من بعض الأيام والملك قيصر فى الميدان وعنتر بن شداد فى معاركة الفرسان وقد رفعت على رأسه الصلبان وعنتر أقرب إليه من كل إنسان والحجاب والبطـارقة

والقساوسة والشمامسه والرهبان والجميع سائرين إلى الميدان وإذا قد بان لهم من أمواج البحار قلع مركب سائر كأنها الطير الطائر وهى إلى ساحل القسطنطونية قاصدة وقرب بعد ما كان مباعدة فوقف الملك قيصر وعشائره وأجناده ونوابه وحجابه ورهبانه وبطارقته ناظرين إلى نحو المركب (قال الراوى) وما لبثوا فى الوقوف غير قليل وإذا بالمركب قد التصقت بالمينا وأرخو المراسى ومدوا الانقالات وطلع من المركب مائة راهب بالقلانس والدروعات والبرانس الملونات وأطواقهم بالذهب معلسات وطلع بعدهم قسيس نحريرى وله قدر وتوقير وعلى رأسه صليب من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر ثم أن القسيس المقدم ذكره ركب حمار أشهب بمركب ذهب ودار حوله الرهبان والقسوس يقرؤن الإنجيل وبعضهم يضرب بالناقوس ويشير له بالتعظيم والتبجيل ولما ظهروا من المركب بهذا الزى والمخبر نظروا إلى الصليب الجوهر والعلم الأخضر الذى على رأس الملك قيصر قصدوا اليه وعنوا بالقدوم عليه تقدم اليه راهب من تلك الرهبان وأقبل إلى ناحية الملك قيصر وصلب على وجهه وأبدى السلام والتحية والإكرام فقال له الترجمان عن لسان الملك قيصر تكلم بما جئت به يافلان فقال الترجمان بعدما قبل الأرض مرة ثانية بين يدى ملك الزمان وقال أيها الملك الكبير هذا رسول الملك الليلمان بن مرير صاحب البحر والجزائر قد أتى اليك قاصد ونحوك وارد فقال الملك قيصر بكتاب أو بخطاب فقال بكلام وخطاب والرب عالم بالصواب ويدبر الامور والصعاب ويصلح الأمر الفاسد برد الجواب (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام والخطاب أمر حجابه وخواصه بملتقى الرسول فسارت وحركت الخيول والتقته بأحسن ملتقى ودعوا الملكهم بطول العمر والبقا وعزموا أن يدخول بالرسول إلى القسطنطونية ويزيدون فى إكرامه إلى أن يعود الملك من ميدانه فأبى الرسول عن ذلك وقال ورب سائر الممالك أنا معى إذن من صاحبى أن أدخل إلى بلدكم ولا أذوق شيئاً من زادكم إلا بعد ما تقرأوا كتابى وأسمع ما يكون من رد الجواب وأعود من هذا المكان من يومى أنا وجميع أصحابى قال فانفذوا بعض الحجاب وقد أمر بنصب السرادق الكبير وجميعه طير ووحوش وتصاوير تحفة من الديباج وأطرافه من الحرير ونصب فى وسط السرير من الذهب الأحمر مرصع بأصناف اليواقيت والجواهر يصعد اليه بمدرج وقد بسط فيه البسط الملك قيصر ورفع على رأسه التاج والعصابة الجوهر ووضع كرسى عالى وجلس عليه عنتر وجميع خواص مملكته وسائر الحجاب والبطارقة قيام فى خدمته وكذلك أصحاب صولته وأرباب دولته فعندها أمر الملك باحضار الرسول وأذن له فى

الدخول فدخل أبا الفوارس عنتر فتزحزح الملك وأخذه إلى جانبه وقد أخذ يسأله ويستخبره حتيما أنى من سؤاله وفى الحال أمر الملك بإحضار الطعام فأحضرته العبيد والخدام فقال الملك للقصاد دونكم والطعام وأدوا ما حملتم من الكلام فقام الرسول قائماً على الأقدام وصلب على وجهه ودعا ببقاء الملك على الدوام وقال ياملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية أسألك بالمسيح وبالسيدة أم النور وبالإنجيل وسبعين مزمور وتعفيني من الزاد فانى عبد مأمور وفى عنق عهود وأيمان من الليلبان وعلى شهود ممن قد أتى معى من القسوس والرهبان أنى لا أقرب لك زاد دون أن تقرأ كتابى وترد بعد ذلك جوابى (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر هذا الخطاب أزداد غيظ والتهاب ونادى هات الكتاب فناوله الكتاب وهو ملفوف فى ثوب من الحرير معلم بالذهب ففضه وقرأه وعرف معناه ثم حذفه من يده من عظم غيظه وشدة حرده وأخذه الوزير بعد ما أمر قيصر أن يقرأه على الكبير والصغير فامتثل الوزير لكلام قيصر ونهض قائماً على الاقدام وابتدأ بقراءة الكتاب وقال أما بعد فانى كتبت إلى ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية نشر المسيح أعلام نصره وأمته فيه من حوادث دهره وجعله الحق مسموعا مطاعا وله وعاء وجعل له من القسيسين نوراً مشعشعاً وجعل له حظ من رجيع البترك والرهبان إلى أن تقوم الناس ليوم الساعة والمحشر وملكه الأرض طولها والعرض ودامت له طاعة جميع البلدان ورايات اهل الصلبان بدعوة الحواريين ثواب الرهبان والقسيسين أمين الذى أعرفك به أيها الملك الرجيم إن وصل إلى ابن عمى وجد عمى وغمى وهو كوبرت أخو الملك خلنجان وقد ذكر لى أنه قاتل أخوتى وأولاد عمى ومقيم عندك فى أمان وهو عنتر بن شداد العبسى نسل الاوغاد فساعة وصول كتابى إليك وقبل أن تضمة بين يديك تقبض عليه وترسله إلى مع الرسول وهو مقيد مغلول حتى آخذ بثار أولاد عمى وأخوته وثار الافرنجية وأزيل عنها عارها وعار أهل المعمودية والشريعة المريمية أن كنت تحتج بحجة باردة وترد الرسول بلا فائدة فإنى أقصد إليك بعشائر وكتائب ودساكر فى مراكب يكون أولها عندك فى القسطنطونية وآخرها عندى والسلام على من قد عرف قدر المسيح وعرف الحق ورجع عن القبيح (قال الراوى) فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب بلسان الروم الذى هو عن لسان العرب مدغوم ومعجوم فامر الملك قيصر أن يعيده بلسان العرب ليسمعه عنتر بن شداد ويعرف ما فيه من الايراد والأوعاد فجعل الوزير يقرأه فصلا بعد فصل وعنتر يسمعه وقلبه يتقطع ولما أتى على آخر الكتاب وعلم عنتر أنه هو المطلوب عاد سواده بياض ثم انقلب وثار من عينيه شرار النار واللهب وبقى حائر أى شىء

يرد من الجواب وبقى يسمع مايبديه الملك من الخطاب ونظر الملك قيصر إلى وجه عنتر فرأى عيناه كأنها برك الدم الأحمر فعلم بحاله وماقد ناله فعند ذلك قال الملك قيصر للرسول يا أبانا أماخبر الملك عن عنتر أنه مقيم عندى صدق وما كذب وأقول أنه قتل خلنجان واخوته فصدق أيضا فى كلمته لأنهم قتلوا فى طاعة المسيح ودفنوا فى البر الفسيح وهذا الرجل لما قتلهم كان من أعدائنا وأما اليوم فهو من أصدقائنا وقد أكل طعامنا وأنا قد حلفت بالإنجيل والسيدة أم النور ذات التبجيل بإنى لا أوذيه ولا أتعامل عليه ولا أنقض مابينى وبينه من الإيمان والعهود وأيضا فان هذا الرجل الذى بين أيديكم ماهو بحكمى حتى أنى أقبض عليه وأسلمه اليكم فاذا سمع الملك كلامى وعرف مرادى ونظر إلى بعين الصواب والأمر الذى لايعاب يرجع عن هذا الخطاب وإذا طلب قتالى قاتلته وإن حاربنى حاربته فما هو أشد منى بأس ولا أقوى مراس ولا أكثر عددو ولا أزيد مدد ويعطى النصر المسيح لمن يشاء ويختار ثم أنه أمر للرسول بخلعة سنية وعشرة آلاف دينار فأبى الرسول أن يقبلهم ولا أحد من الرهبان مخافة من الملك الليلبان بل أنه قال ياملك أريد منك أن تنعم لى برد الجواب حتى أنى أعود من حيث أتيت على الاعقاب فقال له الملك مايحتاج إلى كتاب بل أنك تحدثه بما سمعت من الخطاب ورد أنت الجواب فعند ذلك عاد الرسول إلى المركب الذى أتى فيه وشرعوا القلوع من ساعته وساروا فى البحر حتى أنهم غابوا عن الناظرين فعند ذلك قال عنتر ياملك الزمان من يقال لهذا الذى قد أتى من عنده هذا الشيخ الكبير الرأس والآذان فقال الملك ياأباالفوارس هذا قد أتى من عند الملك الليلبان وهو ملك عظيم الشأن شديد البطش حاكم على جزاير كثيرة وبلدان ومسيرة بلاده والارض الذى هو فيها أربعة أشهر طولا وعرض ولأجل اتساع جزايره وبلاده هو فى نفسه جبار وشيطان رجيم ماله عديل وهو ثعبان أرقط .

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام الملك قيصر قال له ياملك الزمان وكيف الوصول إلى هذا القرنان فقال له بيننا وبينه أربعون يوما على التمام ليلا ونهاراً إذا كان الهواء معتدل بلا كدار فقال له عنتر وبعد الاربعين تشرف على الجزاير والحصون فقال له عنتر والأرض التى لهم مثل أرضنا هذه تحمل الخيل عند الجولان وقت الحرب والطعان قال نعم ياأبا الفوارس فقال عنتر وهذا الملك ماهو تحت طاعتك ولاهو من أهل ولايتك فقال الملك وحق المسيح الكذب ياأباالفوارس قبيح ماهو إلا ملك وجده وحاكم على جيوشه وجنده فقال عنتر ياملك فلم لاتسيرنى اليه حتى أزل قدميه وأنهب أمواله وأسبي عياله وأقطع بهذا السيف أوصاله وأبرى لحمه وأكسر عظامه واحكمك فى

حياله وأمواله وجزايره ودياره وقد أنسر قلبه بكلامه وتعجب من قوة جنانه وشجاعته وسعة صدره وبراعته فقال له ياأبا الفوارس لابدلنامن القتال لهذا الملك الجبار والطاغى الغدار وكانك بعشائره وقد تبادرت فقال عنتر إذا كان الأمر ينتهى إلى القتال والحرب والنزال فسيرنى أنا إليه فى بعض المراكب حتى أضمن على روحى بأنى لاأخلى من أبطالهم لاماشى ولا راكب فعندذلك قال الملك قيصر لاوحق المسيح يا أبا الفوارس ما يبقى أحد منا إلا ويسير إليه وأكون أنا من جملة الجيوش والدساكر فقال عنتر لاوحق من لم يعلم له أول من آخر وهو الواحد الأوحد الفرد الصمد القاهر العالم بما يحتاج فى الصدور مايسير إلى ديار هذا الظالم الغادر إلا أنا وأتركلى ولهم حديثاً يسطر فى الدفاتر ويتحدث به الأوائل والأواخر وبعد هذا أيها الملك ماههنا أمر يزعج لك خاطر وإذا كنت أيها الملك تريد أن تسير اليه بجميع ماعندك من البشر فلاشىء يصبح عبدك عنتر .

(قال الراوى) فعند ذلك فرح الملك قيصر بمقالته وأنسر سروراً عظيما فأمر الملك من يومه الحجاب بأصلاح العدد والقواضب وأمر بحضور مقدمى المراكب فلما أقبلوا عليه قبلوا الأرض بين يديه فأمرهم أن يجهزوا خمسمائة مركب حربية بالفولاذ والطوارق ويجهزوا عددها فى أسرع ما يكون من الاوقات فاجابوه سمعاً وطاعة .

(قال الراوى) ومن يومه فتح الملك خزاين السلاح وفرق آلات الحرب والكفاح فكانت أربعمائة الف فارس من كل بطل مداعس وبعد الثلاثة أيام أقبلت المراكب وهى كأنها العرايس المجلية بالستاير والبنود القسطنطونية واللوالب والطوارق والتنوت الطيلقانية فأمر الملك أن تدق الطبول والكؤسات والبوقات وخفقت الصناجق ولمعت البيارق وأقبل عنتر كانه البرج المشيد مسربل بالحديد غائص فى الزرد النضيد وهو متقلد بحسامة الضامى الابتر معتقل برمحه الأسمر وشيبوب والخذروف فى ركابه والفرسان والحجاب يمشون بين يديه فاقبل الملك قيصر على عنتر وقال له ياأبا الفوارس هـــذه الجيوش كاملين بآلة الحرب والجميع يسيرون بين يديك فى هذه المراكب وأنت عليهم مقدم وحاكم وكل من خالفك أقتله ولاتكن بقتله مطالب فقال عنتر أيها الملك الكبير والسيد الخطير أنا وأى شىء أعمل بهذه العشاير كلها وأنا وحياة رأسك وطيبة نفسك وعينى عبلة لاأسير لهم إلابى عشرين ألف فارس وبهم تنمصل الاحوال وأقضى الشغل وأبلغ الآمال فقال الملك قيصر لاوحق دين المسيح ما أدعك تخاطر بنفسك ولا سيما القوم من غير أبناء جنسك وهم خلق كثير وعالم غزير وجزايرهم كبيرة ودساكرهم كثيرة فقال له عنتر يا ملك أنا قد أقسمت بالإيمان الكبار إنى لاأسير اليوم إلا فى عشرين

ألف فارس وسوف تصل اليك الأخبار بما يفعل عبدك فى أعداك الأشرار وأسقيهم كؤس الحمام ولا أترك فى الديار منهم أحداً فاجابه الملك قيصر إلى مقصوده فعند ذلك قال له شيبوب ياابن السوداء إذا كنت أقسمت بهذه الاقسام فدعنى أنا أنتخب لك الفرسان الذين هم بين الرجال التمام وأنتخب لك مقدام تعتمد عليه عند الصدام وإلا فصحبتى اليوم عليك حرام فقال عنتر أفعل باشيبوب ماتريد فعند ذلك تقدم شيبوب إلى وسط الجيوش والجحافل وأنتخب فارساً بعد فارس وصار لايعدل عن صاحب الأولاد والنسوان وينتخب الرجال الكوامل ويعدل عن الشباب ولم يزل كذلك حتى فرز عشرين الفاً من الشجعان وهم نقاوة من ساير الفرسان فقال عنتر وأى شيء الفايدة من هذا الذى سويت فقال شيبوب أنا أعلمك ياابن الام بأن هؤلاء جميعهم روم ونحن معهم غير دينهم وأنهم يعبدون الصليب ونرى أن نلتق بهم أهل ملتهم ولا نأمن أن يخامروا علينا وإلى الأعداء ينقلبون ويصير الجميع علينا فانتخب الذى له نساء وأولاد ومن له لفتة إلى هذه الديار لأجل نساءهم وأولادهم يقاتلون معنا وينحصون ويبذلون مجهودهم فى القتال ويكونوا من تحت أمرنا فقال عنتر والله ياشيبوب أنك نظرت موضع النظر وأستحذرت علينا فى أوقات الحذر هذا والملك قيصر قد تعجب من كلا شيبوب مع عنتر وقد تحير من معرفتهم وذكاوتهم وفطانتهم فأمر الملك الرجال والابطال الذين انتخبهم شيبوب بالمسير فى صحبة عنتر بن شداد وأكثر معه من لحوم القديد والزاد وكذلك الخيول العربية الجياد ونادى يامعاشر العشاير والاجناد ماالمقدم عليكم إلا عنتر ابن شداد وهو متولى عليكم من قبلى وأمره فيكم كأمرى وكل من خالفه انتقمت من أولاده وخربت دياره بعد سبى أهله وعياله فاجابوا الجميع من تلك الساعة لعنتر بالسمع والطاعة وبعد ذلك أستدعى الملك قيصر بولده الأكبر هرقل وهو ولى عهده والموصى له بالملك من بعده فاحضره بين يديه فلما حضر قبله بين عينيه وقال لعنتر ياأبا الفوارس هـــذا ولدى يسير فى صحبتك وهو تحت أمرك وطاعتك وأمر ولده بالطاعة لعنتر وأنه لا يخالفه فيما يأمره ولا فيما دبر فاجاب هرقل بالسمع والطاعة ونزلت العشاير من تلك الساعة وترتبوا فى المراكب ونزلوا ساير السلاح وآلة الحرب والكفاح من سيوف ورماح وقواضب وأحضروا مائة سفينة تحمل الخيول ومائة سفينة برسم الماء والزاد ومائة سفينة لأجل الحاجة اليهم فى تلك البلاد وساروا ثلثمائة سفينة والجميع مزينين بالستاير الحرير الملونات والبنود والاعلام والرايات وامتلأت بقية المراكب

بالرجال والفرسان وهم مستعدى للحرب والقتال وبعدذلك أقبل عنتر وهرقل بن الملك قيصر وأرباب دولته ونزلوا فى المراكب السلطانية وهم على صفة القلاع المبنية وفى صدورهم وظهورهم موانع الصلب من الحديد لأجل الصدام وقت القتال ونزل الملك قيصر وودع ولده وأمر بحسن الوفاء والطاعة لعنتر فى كل مانهى وأمر ثم أمرهم أن يأخذوا الحذر وأن يكونوا متيقظين فى أمورهم متأهبين وفى تلك الساعة دقت الطبول ونعرت البوقات وجذبوا المراسى وشرعت القلوع وصاحت الروم باختلاف لغاتها وسار ثلثمائة قلع فى لجج البحار وقد امتلأت بعشرين الف فارس كرار وغابوا عن الابصار وجدوا فى المسير فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من الملك الليلمان فانه لما وصل رسوله إليه وأعاد ماسمعه من الملك قيصر فقام وقعد وصرخ صرخة عظيمة من شدة غيظه ونادى فى جيوشه وأبطاله وفرق عليهم العدد والسلاح واستعد بفرسانه وكان عددهم ستين ألف فارس وأمرهم بالنزول إلى المراكب ونزل الليلمان مع رجاله وأمرهم بفرد القلوع وصاحت الجموع وساروا طالبين الملك قيصر وفى نيتهم أن يكسروه بهذه الجيوش ولم يعلموا بأنه منهم أشطر ولم يزالوا سايرين مدة خمسة عشر يوما وفى اليوم السادس عشر توقف الريح معهم وطلع عليهم من صدر البحر ضباب حتى انتشر وسد الاقطار وصار البحر هادى ووقفت جميع المراكب على المراسى وأقاموا ستة أيام وهم فى أكل لحوم وطعام وشرب مدام فلما كان اليوم الثانى والعشرين هبت الارياح من سائر الاقطار فنفخت القلوع وسارت مراكبهم من يومهم ولياليهم ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أشرفت عليهم مراكب الملك الليلمان ووقعت العين وظهرت مراكب الاعداء والتقوا بمراكب الملك قيصر وعنتر بن شداد وتعارفت الجيشان وأرتفعت الزعقات وعظمت الضجات وعلت الصرخات واختلفت الاصوات وتراشقوا بالسهام وكثر بينهم الكلام وفى ساعة التصقت المراكب وجردت القواضب وقل خطاب المخاطب وتصادمت المراكب كتصادم الجبال وثبتت لبعضها البعض تلك الرجال وتناطحت كتناطح الكباش وكثر الفزع والارتعاش وأخذهم الخوف والاندهاش وانقطع قلب الجبان وطاش ودمدم البطل الصنديد وعاش وعظمت الاهوال وفر الجبان خوفا من الملمات وقوى قلب الشجاع على البليات وزادت المصايب يوم الثبات وعلقت الكلاليب ومدت الاثقالات هذا والطايفتين ينادون بعيسى ومريم وبالصليب الذى هو عندهم معظم هذا ومراكب الملك قيصر قد دارت بهم

المراكب وتكاثروا عليها من كل جانب فوثب عنتر كأنه الاسد الغضبان وهمز بنفسه فسار فى وسط مركب من مراكب أعدائهم وصرخ فى أصحابها فارجفت أعضاءهم وقل عزمهم وقواهم وكثر صياحهم ونظر بقية صحاب المراكب إلى ذلك تراجعت اليه كل جانب وعنتر يضرب فيهم يميناً وشمالا ويريهم العجايب والاهوال ويبرى بسيفه الاوصال ويقرب الآجال ويمدد الرجال وأنزل فيهم المصايب وأوقع الافرنج فى البلاء والمعاطب وهرقل بن الملك قيصر يصيح فى الابطال ويحرضهم على القتال ولما نظرت الروم إليه وهو يفعل تلك الفعال صاحت الفرسان وأشتد القتال وعنتر يضرب فيهم ضربات مثل نار الحريق فهذا قتيل وهذا غريق وحل البطريق منهم مالا يطيق وانخذلت الافرنج ونصرت عليهم الروم وجرى عليهم القدر المحتوم وانسدل الظلام وانفصلت الطوايف عن بعضها ورجعت كل مركب إلى أصحابها وعنتر فرحان والتقى بالملك هرقل بن قيصر وأخبره بكبس القوم بظلام الليل فقال هرقل أفعل يا أبا الفوارس مابدا لك بحج المسيح أفعالك فعند ذلك أنتخب خمسمائة فارس شجعان وأخذهم وطلع بهم فى مركب كبير وصار يوصيهم على الحرب والكفاح وبعد ذلك عنتر وشيبوب والخذروف فرسان البطاح ونظر الليليان إلى مركب عنتر برز يطلب القتال دون رفقاه فصرخ على عشرة مراكب أن تخرج إلى لقاه وكل مركب فيها ألف فارس عتاة وأحتاطوا بعنتر فصرخ فيهم وقاتل قتال من كره الحياة ويقصدونه المراكب من كل جانب وعنتر يضرب فيهم يمينا وشمالا ويبرى بسيفه العظام ويقرب الآجال ويمدد الرجال وأوقع بالافرنج البلاء والمعاطب هذا وهرقل يصيح فى الابطال يحرضهم على القتال ويشجعهم على الأهوال وهو بينهم يقاتل ويناضل هذا وعنتر يضرب فيهم بالحسام الفصال والسيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ولم يزالوا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فرجعت المراكب عن بعضها البعض وصبروا إلى أن أصبح الصباح فزحفت عشر مراكب أخرى إلى نحو مركب عنتر وأحتاطوا به يميناً وشمالا فصرخ عنتر الفارس الهمام وقاتل قتال من كره المقام وبتر بسيفه الكفوف والمعاصم ويبرى الجماجم فعند ذلك قصدته المراكب من كل جانب وأنشبوا فى مركب عنتر الكلاليب وتقدم بطريق هايل المنظر تذل له الفرسان من قوة بأسه ومازال حتى قاربه فعند ذلك حذف الوهق على عنتر ورماه فى رقبته وجذبه اليه فوجده كأنه عامود حديد وهو عن مكانه لايحيد .

(قال الراوى) ولما نظر عنتر إلى ذلك مسك حبل الوهق بيديه وجذبه بشدة حيله وقوته فكلت يد البطريق وخلطت سواعده فما يشعر إلا وعنتر جذبه إليه وفى عاجل الحال صار مرمياً بين يديه فسلمه إلى شيبوب والخذروف فشدوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف ثم حمل على عنتر أخو البطريق وهو كأنه المنجنيق وكان فى يده حربة فهزها حتى بان طرفها ورمى بها عنتر والخلائق تراه فخرجت من كفه مثل الشهاب الثاقب حتى لحقت عنتر وقربت منه حاد عنها بمعرفته وسرعة حركته فدخلت فى صدور عاج من علوج الروم فقتلته وعبرت فى كتف آخر خرقته فحنق عنتر على ذلك البطريق فهجم عليه بشدة سطوته وضربه بالضامى على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه فعند ذلك مالت الافرنج على عنتر وتكردست مثل أوائل المطر وهو بينهم مثل الأسد إذا هدر فقاتل قتال المجنون وفعل فيهم فعل من قد أيقن بكاس المنون والتصقت مركبه إلى العشر مراكب المقدم ذكرها فى الأول وداروا به كما يدور البياض بسواد الحدق وربطوا المراكب بالكلاليب والحبال وأشتد الحرب والقتال وقتلت الرجال وتعلق عنتر بمركب من المراكب فصار فيها والتقى بالأبطال وأبلاهم بالمعاطب والبلاء ولم يزل يضرب فيهم بالحسام حتى ملك المركب منهم قوة وقهرا وعاينت الافرنج منه ضربا لايبقى ولايذر فارموا أنفسهم إلى البحر فرجع عنتر بالمراكب وكان قد أضافها إليه فتلقاه هرقل وشكره وأثنى عليه فقبل عنتر يديه وشكره وحمده وباتوا يحرصوا بطارقة الروم على النصح فى القتال والثبات على ملاقاة الاهوال إلى أن أصبح الصباح زحفت المراكب إلى بعضها البعض وكثر الابرام والنقض والتقتهم مراكب الافرنج وظهر الجد وخفى المزاح وتصادمت الاشباح بالارواح وأما عنتر فانه أمر القبطان أن يصدم بمركبه مركب بقال الضراب والغراب الأدهم بزيد على وصف الغراب الاسحم وهجم فى وسطه ونثر من الافرنج الرؤوس والرقاب وألحق الشيوخ بالشباب وهو يخطف أرواحهم كما يخطف اللحم العقاب وهدر وزمجر وطلع الزبد على أشداقه وأحمرت آماقه لكل من رآه سبحان خلاقه

(قال الراوى) وكان هؤلاء الافرنج من عتيق الجزائر وهم شداد العشائر وعمرهم ما رأوا مثل قتال عنتر لأن قتاله يفطر المرائر فانذهلت عقولهم وحاروا فى أمورهم ولم يزل عنتر يضرب فى تلك الاجناد ويسقيهم كاس الاعطاب وقد ضرب فيهم ضربا تتعوذ منه العجم

(تم الجزء الثامن والاربعون ويليه التاسع والاربعون)

لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس

Bibliotheca Alexandrina
06694696